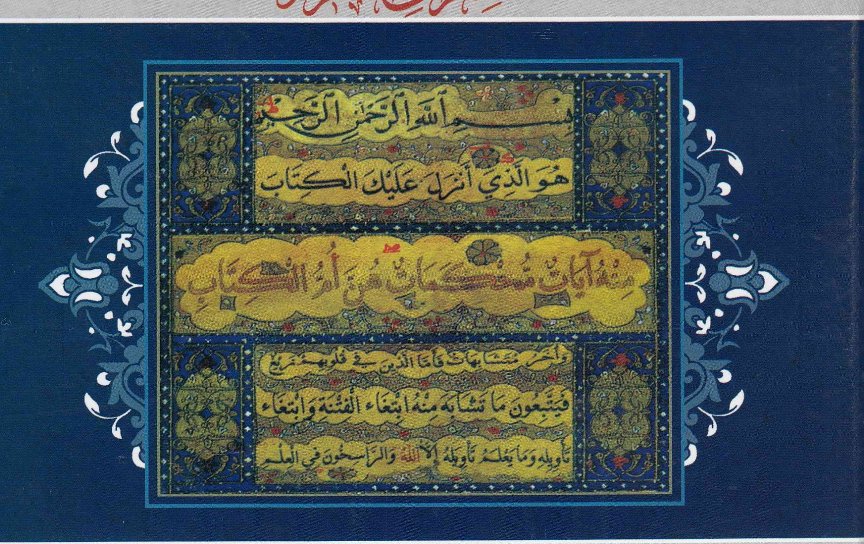
تقريرات سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

الموسوعة التفسيرية ٣

تفسير أمومة الولاية والمحكمات

للقرآن الكريم



الشيخ محسن الجصاني



أسباب النزول

تفسير

أمومة الولاية والمحكمات

للقرآن الكريم

الولاية قطب القرآن عليها تستدير محكماته

تقريرات أبحاث

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

بقلم:

الشيخ محسن الجصاني





الجزء الثالث

سرشناسه	سند ، محمد ، ۱۳۴۰
عنوان	اسباب النزول تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم، الولايه قطب القرآن عليها تستدير محكماته الجزء الثالث
تكرار نام پديد آور	بحوث محمد السند؛ تاليف محسن الجصانى
مشخصات نشر	تهران : نشر صادق، ۱۴۳۷ هـ =۲۰۱۶ م = ۱۳۹۵ ش
مشخصات ظاهرى	۴۴۰ ص .
بهاء	۱۵۰۰۰۰ ريال ISBN: ۹۷۸_۶۰۰_۵۲۱۵-۴۲-۷
وضعيت فهرست نويسى	فيپا
يادداشت	كتابنامه به صورت زيرنويس
موضوع	تفسير ـ فن
موضوع	قرآن ـ علوم قرآنى
موضوع	قرآن ـ بررسى و شناخت
شناسه افزوده	جصانى ، محسن
رده كنگره	۱۳۹۵ ، ۵۳ الف ۹ س/ ۵/ ۹۱ BP
رده ديويى	۲۹۷/۱۵۱
شمارهٔ مدرک	۳۹۶۷۴۶۲

أسباب النزول
تفسير أمومه الولايه والمحكمات للقرآن الكريم
تقرير ابحاث سماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند (دام ظلّه)

تاليف : شيخ محسن الجصانى

الطبعة: الاولى- ۱۳۹۵ هـ.ش- ۲۰۱٦م - ۱٤۳۷ هـ.ق

المطبعة: طاهر

عدد النسخ: ٥٠٠ نسخة

عدد الصفحات: ٤٤٠ صفحة

قطع : وزيري

ردمك:۷-٤۲-٥۲۱٥-٦٠٠-۹۷۸

الناشر: مؤسسة الصادق

مراكز التوزيع:

١ . العراق ، النجف الاشرف، المعرض الدائم للعتبة العلوية المقدسة

٢ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول ﷺ ، قرب مدرسة النضال مكتبة دارالبذرة

٣ . العراق ، النجف الاشرف ، شارع الرسول ﷺ ، سوق الحويش مكتبه سيد علي البصري

٤ . العراق ، كربلاء المقدسة ، المعرض الدائم للعتبة العباسية المقدسة

٥ . العراق ، بغداد ، الكاظمية المقدسة المعرض الدائم للعتبة الكاظمية المقدسة

٦ . ايران، طهران، شارع ناصرخسرو، زقاق حاج نايب ، سوق المجيدى، موسسة الصادق للطباعة و النشر
(+۹۸ ۲۱) ۳۳۹۳٤٦٤٤

٧ . ايران، قم، شارع معلم، مجمع ناشران رقم B٤٠ ، موسسة الصادق
(+۹۸ ۲٥) ۳۷۸٤۲٥۷٤-۷٥ / ۰۹۱۲٤۱۰۲۰۹٦

٨ . ايران ، قم ، ابتداء شارع صفائيه ، سوق الامام المهدي عجل الله فرجه ، مكتبة فدك
(+۹۸ ۲٥) ۳۷۷٤٥۷۰٥



هوية الكتاب

عنوان الكتاب: .... تفسير أمومة الولاية والمحكمات للقرآن الكريم

.... الجزء الثالث

.... لسماحة المرجع الديني الشيخ محمد السند دام ظله

المؤلف............................. الشيخ محسن الجصاني

الطبعة .... الأولى لسنة ٢٠١٠

عدد الصفحات ....٤٤٠ صفحة

الإخراج الفني .... السيد عبدالله الهاشمي

القاعدة الثامنة

الفهرس الإجمالي لقاعدة:

أسباب النزول:

* البُعد التأريخي فِي أسباب النزول وأصل توثيقه.
* أهمية قَاعِدة أسباب النزول
* مميزات قَاعِدة أسباب النزول.
* تنبيهان.
* ارتباط قَاعِدة أسباب النزول بترتيب القُرآن آياتاً وسوراً.
* الوجود البلاغية لاستعمال كُلّ كلمة بنحو مستقل فِي الآية الواحدة.
* برهان عَلَى عدم التعويل عَلَى وحدة سياق الآية الواحدة فضلاً عَنْ وحدة السياق فِي الآيات فِي السورة الواحدة.
* التأريخ وطمس وتحريف الوقائع وتأثيره فِي معرفة أسباب النزول وتفسير القُرآن.
* أسباب النزول وخطورة التنقيب عَنْ الحقائق المطموسة فِي السِّيرة.
* لماذا تُغَيَّب أسباب النزول.
* لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القُرآن وسوره فحسب.

* نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد.
* الأسباب المزعومة لفشل المسلمين فِي معركة أحد.
* يجب اعتماد مصادر أهل البيت عليهم السلام فِي أسباب النزول.
* مُحكمات القُرآن والسنة العقل والوجدان يُعرض عَلَيْهَا متشابهات القُرآن والسنة والعقل والوجدان.
* مؤامرة اغتيال حمزة بن عبدالمطلب فِي معركة أُحد.
* أسباب النصر لا تعتمد عَلَى الجانب المادي، بَلْ والمعنوي وَالرُّوحي.
* امتحان القلب وما فِي الصدور هُوَ أعظم الامتحانات الإلهية.
* قَاعدِة قَاعدِة الشورى قَاعدِة فقهية وسياسيّة وعقائدية.
* فلسفة تشريع الجهاد الابتدائي.
* لَيْسَ كُلّ ملفات الحدث الأرضي حسيّة.
* فلسفة الجهاد لَيْسَ الإرغام عَلَى العقيدة الفردية أو الباطنة أو قتل الأسرى.
* شعار مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان.
* الحافظ لسنة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسيرته نصرةً ورعايةً لا يمكن إلَّا للوصي.
* ما هِيَ فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول.
* تشريعات وولاية وحاكمية الله عَلَى درجات.
* إنَّ حقيقة وحقائق القُرآن جُلّها مرتبط ببعد الولاية فِي النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بخلاف التنزيل فَإنَّ مشتمل عَلَى البعدين.

القاعدة الثامنة

أسباب النزول قاعدة تفسيرية

أم قاعدة معرفية ولائية؟

للتنزيل حقيقتان:

حقيقة كونه: نبوة وأنباء.

وحقيقة: حاكمية وولاية.

إنَّ تنزيل القُرآن لا يَتِمُّ بالنبوة والأنباء فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ حاكمية وولاية.

التنزيل للقُرْآن لا يَتِمُّ إلَّا بالولاية لا بانفراد النبوية.

البحث فِي هَذِهِ القَاعِدَة يقع فِي عِدَّة جهات:ـ

الجهة الأولى: البعد التأريخي فِي أسباب النزول وأصل توثيقه:

إنَّ البُعد التأريخي فِي أسباب النزول وأصل توثيقه وعدم أخذها إرسال المُسلمات مِنْ دون تمحيص وتحقيق روايات أسباب النزول يُشكِّل عاملاً مُهماً

فِي استظهار المفاد مِنْ آيات القُرآن الكريم **أوَّلاً**، وَمِنْ الدلالة فِي القُرآن **ثانياً**.

وقبل الخوض فِي بيان البُعد التأرخي لقاعدة أسباب النزول وما لأهميته منخطرة عَلَى تفسير القُرآن وَعَلَى الاستظهار مِنْ القُرآن حَتّى فِي آيات الأحكام فِي فقه فروع الدِّين، نذكر مُقدِّمة نتكلم فيها عَنْ أهمية قَاعِدة أسباب النزول.

أهمية قاعدة أسباب النزول:

إنَّ قَاعِدة أسباب النزول مِنْ القَوَاعِد المُهِمَّة والخطيرة ذَاتَ مسائل مُتعدّدة ومُتشعّبة بتشعبات كثيرة تُضفي بظلالها الأكيدعلى تفسير القُرآن وَعَلَى كون القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل فِي المعرفة الدّينية فِي العلوم الإسّلاميَّة، وأنّها مِنْ أوائل ما دُوِّنَ مِنْ علوم القُرآن، وَهَذَا ما أشار إليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام «**سلوني عَنْ كتاب الله فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آية إِلَّا وَقَدْ عرفت بليل نزلت أو نهار أم فِي سهل أم جبل**»[1].

وأخرج ابن سعد فِي الطَّبقات وغيره عَنْ أبي الطُفيل، قَالَ: قَالَ عليٌّ: «**سلوني عَنْ كتاب الله فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ آية إِلَّا وَقَدْ عرفت بليل نزلت أم بنهار أم فِي سهل أم فِي جبل**».

وأخرج ابن سعد أيضاً عَنْ ابن عباس عَنْهُ عليه السلام، قَالَ: «**والله ما نزلت آية إِلَّا وَقَدْ علمت فيمَ نزلت وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إِنَّ ربي وهب لي**

---

(١) طرائف في معرفة مذاهب الطوائف، السيد ابن طاووس: ص١٨٩ باب علم علي عليه السلام.

قلباً عقولاً ولساناً ناطِقاً»[١].

وَعَنْ ابن خالد الواسطي عَنْ زيد بن علي عليه السلام قِيلَ قَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: **«ما دخل رأسي نوم ولا غمض عَلَى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله حَتّى علمتُ مِنْ رسول الله ما نزل به جبرئيل فِي ذَلِكَ اليوم مِنْ حلال أو حرام أو سُنّة، أو أمر أو نهي وفيما نزلت وفيمن تنزل»**[٢].

وفي تفسير العيّاشي عَنْ الصادق عليه السلام: **«إنّا أهلُ بيتٍ لَمْ يزل الله يبعث فينا مَنْ يَعلم كتابه مِنْ أوله إلى آخره»**[٣].

وفي رواية: **«إنَّ مِنْ علمِ ما أوتينا تفسير القُرآن وأحكامه لو وجدنا أوعيةً أو مُستراحاً لَقُلْنا والله المُستعان»**[٤].

وفي كتاب بشارة المُصطفى بإسناده عَنْ الأصبغ بن نباتة، قَالَ: لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام بالخلافة خرج إلى المسجد، فَقَالَ: **«سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالله إنّي لأعلم بالقرآن وتأويله مِنْ كُلّ مُدّعٍ علمه، فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة لو سألتموني عَنْ آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيمَ نزلت»** الخبر[٥].

---

(١) الصواعق المُحرقة، ابن حجر العسقلاني: ص١٢٥ ـ ١٢٦؛ بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج٤٠، ص١٧٩.
(٢) بصائر الدّرجات: ص١٩٤ ب ٨، ح١.
(٣) تفسير البُرهان، هاشم البحراني، المقدمة: ص٢٧.
(٤) المصدر السابق: ص٢٧.
(٥) المصدر السابق: ص٢٧ ـ ٢٨.

وفي البصائر عَنْ الأصبغ، قَالَ: قَالَ عليٌّ عليه السلام: «**لو كُسِرت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوارتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم وأهل الزبور بزبورهم وأهل الفُرقان بفرقانهم بقضاء يصعد إلى الله يزهر، والله ما نزلت آية فِي كتاب الله فِي ليل أو نهار إلَّا وَقَدْ علمتُ فيمن نزلت، ولا أحد ممن مَرَّ عَلَى رأسه المواسي مِنْ قريش إلَّا وَقَدْ نزلت فيه آية وآيتان مِنْ كتاب الله تسوقه إلى الجنّة أو إلى النار**» الخبر[1] والمواسي جمع موسى وهو ما يحلق به الرأس.

إنَّ مفاد هَذِهِ الروايات وغيرها تُبيّن ما يلي:

١) أهمية قَاعِدَة أسباب النزول فِي تفسير القُرآن ودورها الخطير فِي استحصال ظهور الآيات.

٢) إنَّه يجب استقاء أسباب النزول مِنْ أهل البيت عليهم السلام.

٣) إنَّ غَيْر أهل البيت عليهم السلام لا يحيطون علماً بأسباب النزول لأسباب عديدة وكثيرة، إمَّا ترتبط بعظمة الوحي وغموضه وترجمانه، وَإمَّا ترتبط بعدم مواكبة وملازمة النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَإمَّا بسبب دواعي التعتيم والطمس وحرف الحقائق، أو لعدم قدرة البشر الإحاطة بالموضوعات والموارد الَّتِي هِيَ مورد نزول الآيات، وَهَذَا ما يُشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ

---

(١) المصدر السابق: ص٢٨.

لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾(١).

فالآية المُبَارَكَة تُبيِّن أنَّ الإحاطة بالموضوعات مُتعذرٌ، بَلْ مُمتنع عَلَى غَيْر المعصوم وأوصياؤه أُولي الأمر، وأنَّ الالتباس فِي الموضوعات شديدٌ جداً، وَمِنْهُ تكون منافذ تسويل الشيطان ووساوسه.

ومثال ذَلِكَ مورد نزول قوله تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾(٢).

فَقَدْ أشارت الروايات وأسباب النزول إلى أنَّ زيد بن حارثة رغم محبته لرسول الله صلى الله عليه وآله وإخلاصه لَهُ، إلَّا أَنَّهُ قَدْ اشتبه عَلَيْهِ الأمر فِي قول رسول الله صلى الله عليه وآله حول زوجته زينب بنت جحش، وكذلك أشتبه الحال عَلَى زينب بنت جحش، والظاهر أنه بقي الالتباسُ عليهما الى أنء تُوفيا، بينما يوضح الإمام الرضا عليه السلام ذلك الالتباس، فلاحظ مجموع الرّوايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في خصوص هذه الواقعة وذيل هذه الآية المباركة.

عن علي بن محمد بن الجهم، قال حضرت مجلس المأمون، وعنده الرضا عليه السلام علي بن موسى عليه السلام، فقال له المأمون: يا بن رسول الله، أليس من قولك «**إن الأنبياء معصومون**» قال: «بلى» فسأله المأمون عن آيات في

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

الأنبياء ... الى أنْ قال المأمون: فاخبرني عن قول الله تعالى ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ﴾ قال الرضاعليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قصد دار زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي في أمر أراده، فرأى امرأته تغتسل، فقال لها: سبحان الله الذي خَلَقَك، وإنما أراد بذلك تنزيه الله تعالى عن قول من زعم أن الملائكة بنات الله تعالى ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ ثمَّ أنَّ زيد ابن حارثة طلّقها، واعتدّت مِنْهُ فزوّجها الله تَعَالَى مِنْ نبيه مُحَمَّدصلى الله عليه وآله وأنزل بذلك قُرآناً، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا ...﴾ ثمَّ علم الله عَزَّ وَجَلَّ أنَّ المنافقين سيعيبونه بتزويجها، فأنزل الله تَعَالَى ﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾».

فَقَالَ المؤمون: لقد شفيت صدري ـ يا بن رسول الله ـ وأوضحت لي ما كَانَ مُلتبساً عليَّ، فجزاك الله تَعَالَى عَنْ أنبيائه وَعَنْ الإسلام خيراً[1].

وهكذا فِي ردّ الإمام الرضاعليه السلام عَلَى عليّ بن مُحَمَّد بن الجهم حينما قَالَ للإمامعليه السلام: يا بن رسول الله أتقول بعصمة الأنبياء؟ قَالَعليه السلام: «نعم» قَالَ فما تقول فِي قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ وفي قوله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا ﴾ وفي قوله تَعَالَى ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج١، ص١٨٠، ح١، عنه البُرهان في تفسير القرآن للسيد هاشم البحراني: مج٦ ص٢٨٨ ـ ٢٨٩ ح٢.

وَهَمَّ بِهَا﴾ فَقَالَ الرضاعليه السلام: «ويحك يا علي اتقّ الله ولا تَنْسِب إلى الأنبياء الفواحش ولا تتأول كتاب الله برأيك، فَإِنَّ الله تَعَالَى يقول: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ﴾» وذكرعليه السلام الجواب عَنْ الآيات إلى أَنْ قَالَ: «وأَمَّا مُحَمَّدصلى الله عليه وآله وقول الله تَعَالَى ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُۖ﴾ فَإِنَّ الله تَعَالَى عَرَّفَ نبيّهعليه السلام أسماء أزواجه فِي دار الدُّنْيَا، وأسماء أزواجه فِي دار الآخرة وأنهُنَّ أُمهات المؤمنين، وإحداهن مَنْ تسمّى لَهُ: زينب بنت جحش، وَهِيَ يؤمئذٍ تحت زيد بن حارثة، فأخفى رسول اللهصلى الله عليه وآله اسمها فِي نفسه وَلَمْ يُبده كي لا يقول أحد المنافقين إنَّهُ قَالَ فِي امرأة فِي بيت رجل إنَّها إحدى أزواجه مِنْ أُمهات المؤمنين ... وأنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ ما تولّى تزويج أحدٍ مِنْ خلقه إلَّا تزويج حَوّاء مِنْ آدمعليه السلام وزينب مِنْ رسول اللهصلى الله عليه وآله بقوله فلما قضى زيدٌ مِنْهَا وطراً زوجناكها الآية، وفاطمة مِنْ عليعليه السلام» قَالَ فبكى علي بن مُحَمَّد بن الجهم، وَقَالَ: يا بن رسول الله، أنا تائب إلى الله تَعَالَى مِنْ أَنْ أنطق فِي أنبيائهعليهم السلام بَعْدَ يومي هَذَا إلَّا بما ذكرته[1].

فضلاً عمّا سَطَّره مفسرو العامَّة وكتب السِيَر من قصص وأساطير.

---

(١) عيون أخبار الرضاعليه السلام: ج١، ص١٧٠ ح١ عنه البرهان في تفسير القرآن للبحراني: مج٦ ص٢٨٧ ـ ٢٨٨.

اندراج قاعدة أسباب النزول في نظام الاستعمال اللفظي:

وتندرج هَذِهِ القَاعِدَة فِي نظام الاستعمال اللّفظي للآيات والسّور، والذي تَقَدَّمَ بحث سبعة قَواعِد مُهمّة قبلها؛ لأنها بمثابة قرينة لفظية ومقاليّة، وأنَّ حقيقتها قرينة مقاميّة وقرينة حاليّة، وبالتّالي تُعَدّ هَذِهِ القرينة جزء الكلام، فمثلما هُنَاك تَحَفُّظ وتشدد عَلَى تواتر ألفاظ القُرآن الكريم كَذَلِكَ الحال وبنفس المستوى فِي أسباب النزول؛ لِأَنَّ أسباب النزول تعطي طابعاً لظهور الآيات ودلالتها سواء فِي آيات العقائد أو فقه الفروع، وَعَلَيْهِ فمثلما اللّفظ القُرآني عظيم ومقدّس، كَذَلِكَ أسباب النزول فَإِنَّها بمثابة قرينة لفظية ـ كَمَا مَرَّ ـ مؤثرة فِي ظهور الآيات، وَعَلَيْهِ لا يمكن التغاضي والتّهاون فِي قَاعِدَة أسباب النزول وأخذها واغترافها مِنْ كُلّ ما هبَّ ودَبَّ مِنْ المصادر، وكيف ما اتّفق! وبالتالي فيجب التثبت الشديد والتحفُّظ الأكيد عَلَى كيفية استقاء أسباب النزول مِنْ منهلها الوحياني، وَهُوَ منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لِإِنَّهُ أمرٌ خطيرٌ مدلهم، ولذا فَإِنَّ الغفلة والتسامح والتهاون ـ لا سامح الله ـ فِي توثيق أسباب النزول سوف يَكُون منشأ لانحرافات خطيرة فِي فَهُمْ القُرآن، وَالقُرآن كَمَا هُوَ معلوم المصدر الأوّل فِي معارف علوم الدِّين فإذا قُدِّر ـ أنْ يَكُون فَهُمْ القُرآن يتكئ عَلَى منشا مغلوط أو مُحرّف أو مدسوس ـ والعياذ بالله ـ فَإِنَّ النتيجة سوف تكون مقلوبة ومعكوسة.

علماً أنَّ بحث هَذِهِ القَاعِدَة أمرٌ لا يمكن التهاون والتسامح به فَهُوَ

لَيْسَ أمراً فنياً وترفاً فكرياً، بَلْ هُوَ أمر حقيقي علمي مؤثر عَلَى التفسير بقدر ما للقُرْآن الكريم مِنْ صدارة ومرجعية فِي المعرفة الدِّينية، وَقَدْ أَكَّدَ أمير المؤمنين عليه السلام فِي جملة الروايات الجوامع المأثورة عَنْهُ عليه السلام - وَعَنْ باقي الأئمة عليهم السلام عَلَى أنَّ الإلمام والإحاطة بأسباب النزول مؤثرٌ فِي تفسير القُرآن وفهم حقائقه.

عَنْ الأصبغ بن نباتة قَالَ لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام خرج إلى المسجد مُتعمماً بعمامة رسول الله صلى الله عليه وآله لابساً بردته ... **«يا معشر الناس سلوني قبل أنْ تفقدوني، وَهَذَا سفط العلم ... واهل القُرآن بقرآنهم حَتّى ينطق كُلّ كتاب مِنْ كتب الله فيقول: صَدَق عليٌّ لقد أفتاكم بما أنزل الله فيَّ، وأنتم تتلون القُرآن ليلاً ونهاراً فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه، لو لا آية فِي كتاب الله لأخبرتكم بما كَانَ وما يَكُون وما هُوَ كائن إلى يَوُم القيامة»** وَهِيَ هَذِهِ الآية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾﴾[1] ثمَّ قَالَ: **«سلوني قبل أنْ تفقدوني، فوالذي فلق الحبّة وبرئ النسمة، لو سألتموني عَنْ آية آية، فِي ليل نزلت أم فِي نهار نزلت مكيَّها ومدنيها، سفريها وحضريها، وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، وتأويلها وتنزيلها لأنبئتكم»**[2].

وسوف نبحث فِي هَذِهِ القَاعِدَة المُهِمَّة السبب الذي مِنْ أجله نزلت

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.

(٢) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٣١٢-٣١٣.

الآية الكريمة الفلانية أو السّورة المُبارَكَة حسب المنهاج الذي بيَّنته مدرسة أهل البيتعليهم السلام فِي أسباب النزول وكيف يتشعّب إلى مسائل مُتعدّدة، وما هِيَ طبيعة تأثير أسباب النزول عَلَى أحكام الفروع ـ الفِقْه ـ وكيفية بحث الفقيه فِي أبواب فروع الفِقْه عَنْ سبب نزول آيات الأحكام، وما هِيَ تأثيرها عَلَيْهِ، فكم مِنْ تحرير سبب نزول آيه مِنْ آيات القُرآن الكريم مثلاً يجعل بَعْض الفُقَهاء يستظهر مِنْ الآية الفُلانية الحكم الكذائي، بينما فقيه آخر يستظهر مِنْ سبب نزول آخر حُكماً آخراً فضلاً عَنْ العلوم الأُخْرَى كالعقائد والمعارف والتفسير ... الخ وبما أنَّ سبب النزول مُتّصل مِنْ بَعْض زواياه بالتاريخ، وتوثيق التأريخ قَدْ كُتِبَ وَتَمَّ تدوينه فِي ظل الحكومات المناوئة لأهل البيتعليهم السلام، كَمَا هُوَ معلوم وواضح وتوثيقه فِي ظل الحكومات والسلطات الجائرة الَّتِي مرَّت عهد الصدر الأوَّل للإسلام وما بعده فتوثيقها يحتاج إلى منهج تدقيقي وتمحيصي لغربلة وفرز ما هُوَ الصحيح عن غيره، كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ فِي الجهة الأُولى مِنْ هَذِهِ القَاعِدَة.

مسلسل سيرة النبيصلى الله عليه وآله

وتطابقها مع أسباب النزول:

تنبيه: ينبغي للباحث الكريم فِي قَاعِدَة أسباب النزول الالتفات إلى ما يلي:

أوَّلاً: ملاحظة كيفية نزول الوحي عَلَى النَّبِيّ الأكرمصلى الله عليه وآله فِي غار حرّاء،

وإنذار بني هاشم، وأوَّل خطوة فعلها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله يوم الدار.

ثانياً: ملاحظة كيفية بدء النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بِصْدع بما يُؤْمَر به، وكيفية الجهر بالرِّسالة فِي مَكَّة، وبدء الصَّلاة فِي مَكَّة ثمَّ ... وتتابع الأحداث الَّتِي حصلت فِي مَكَّة مِنْ وفاة أبي طالب عليه السلام وخديجة وتسمية ذَلِكَ العام بعام الحزن، ثمَّ الهجرة إلى المدينة ثمَّ الحروب والوقائع والغزوات ومنعطفات معراج النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي مَكَّة ثمَّ فِي المدينة، **وبعبارة أُخْرَى لابُدَّ** مِنْ تطابق وانطباق بين مسلسل موارد نزول الآيات مَعَ مواطن الأحداث فِي سيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو ضرورة التطابق ضابطة وآليّة تُقوّم الخلل فِي ضبط كُلّ مِنْ الجانبين، وَهَذَا ميزانٌ عظيمٌ فِي التوفيق والتحرّي لصحّة ما يُزعَمُ ويُدّعى مِنْ أسباب النزول وتمحيص صدقها، وَمِنْ ثمَّ صَحَّ أنْ يُقَال أنَّ أسباب النزول وكذا التنزيل لَيْسَ إلَّا تقصّي وسرد وقَصٌّ لسيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَهَذِهِ نقطة مُهمّة جدّاً فِي حقيقة أسباب النزول.

مميزات قاعدةِ أسباب النزول:

إنَّ بحث قَاعِدِة أسباب النزول تُعطي طابعاً خاصّاً ومُتميّزاً فِي الدلالة والتأثير عَلَى نمط تفسير المُفَسِّر بعدَّة مُميزات وتأثيرات:

الميزة الأُولى: إنَّ سَنَّ وبحث قَاعِدِة أسباب النزولُ يلَوِّن ويكوِّن ظهوراً مُتميّزاً للآيات والسّور فِي أغلب المناهج التفسيرية للمُفسرين، وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه القرينة الحالية أو المقامية الَّتِي تلوِّن الظهور، وَعَلَيْهِ

فَإِنَّ أسباب النزول وإنْ لَمْ تكن قرينة مقالية ولفظية، لكنّها مُهمّة وخطيرة مقامياً وحالياً.

وتشخيص هَذِهِ القرينة والتثبث مِنْهَا لدى جملة مِنْ المُفسّرين أمرٌ بالغ الأهمية والخطورة، ورُبَّما بَعْض المُفسّرين أولوها أهميّة مِنْ بَعْض الزوايا تفوق القرينة اللفظية والمقالية.

الميزة الثَّانية: إنَّها تطبيق وحيانيا ـ فضلاً عَنْ كونه تطبيقاً عملياً ـ لمفاد الآية أو السورة أو المعادلة القرآنية أو المعادلة الدِّينية، فَهِيَ مِنْ هَذَا الجانب، ربما يَكُون فيها توضيح لهذا المفاد أكثر مِنْ بَعْض الزوايا مِنْ جهة التنظير اللفظي، وإذا كَانَ النزول تطبيقاً وحيانياً فَمِنْهُ يظهر أنَّ التدقيق فِي روايات وأقوال النزول أمرٌ بالغ الأهمّيّة لِأَنَّهُ يَكُون مِنْ النسبة إلى الوحي وأفعال الوحي.

أسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقامية

والحال أنها مؤثر فِي الظهور

الميزة الثَّالثة: أحياناً وَمِنْ بَعْض الزوايا تكتسب قَاعِدَة أسباب النزول أهميّة أكثر مِنْ القرينة اللّفظية أو المقاميّة، كَمَا لو طُبّقت الآية أو السّورة المُعيّنة بحذافيرها عَلَى مورد مُعيّن، وأفادت قَاعِدَة أسباب النزول أنَّ الآية أو السُّورة لابُدَّ وأنْ يُركَّب مفادها وينتظم ويتطابق وينسجم مَعَ مورد التطبيق، وَهَذَا إلى حَدٍّ ما يشبه ما يذهب إليه بَعْض الفُقَهاء والأصوليين مِنْ أنَّ الشَّارع المُقدّس إذَا مارس تطبيق الكبرى الكلية فَإنَّ مصاديقها تكون أبين وأوضح ويُفهم المفاد بشكل أبين، وَعَلَيْهِ فأسباب النزول بمثابة القرينة اللفظية المقاميّة، وَأنَّها مؤثر فِي ظهور مفاد دلالة الآيات والسّور القرآنية فِي بَعْض زواياها، وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضروري التثبت مِنْ أسباب النزول كقرينة مُهمّة فِي استظهار دلالات الآيات الكريمة.

يجب بناء مبحث أسباب النزول بشكل مقاسات صحيحة عَلَى وفق رؤى مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولا يظن الباحث غيابه عَنْ محطّ نظر الروايات فيكلف لتشيده بالرجوع إلى مصادر مِنْ كتب السِّيرة والآثار أو

المختصّة بتدوين أسباب النزول وجعلها المدار الأصلي فِي ذَلِكَ. لا أَنَّهُ مبحث غَيْر موجود ويجب أنْ نكتشف قواعده وأُسسه وما هُوَ مبنى الرّواية حوله.

إنَّ مِنْ أهم أسباب دراسة أسباب النزول وتأكيد القُرآن وروايات أهل البيتعليهم السلام التحقيق والتدقيق فيها وأخذها مِنْ أهلها وفرز أسباب النزول المُلفّقة الواردة مِنْ الطرف الآخر أيّ عَنْ المخالفين عَنْ أسباب النزول الصحيحة الواردة عَنْ مدرسة أهل البيتعليهم السلام بَعْدَ تحقيقها وتدقيقها وبحثها بشكل تفصيلي يُشعرُنا كُلّ ذَلِكَ بمدى أهمية وخطورة دراسة أسباب النزول فِي الفِقْه والتفسير والعقائد والمعارف الدِّينية و ... الخ بسبب أنَّ القُرآن هُوَ المصدر الرئيسي والأول للتشريع وللمعرفة الدّينية، وَهُنَا تظهر ثمرة ما قاله الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وَأَكَّدَ عَلَيْهِ مِنْ قرن العترة الطاهرة بالقرآن الكريم، وبخلافه ستظهر إفرازات خاطئة فِي فَهْم القُرآن ـ وفعلاً ظهرت ـ كَمَا هُوَ عَلَيْهِ الآن بَعْض الحركات والاتّجاهات المحسوبة عَلَى الإسلام والإسلام مِنْهَا بُراء؛ لأنها أظهرته بصورة مشوّهة لا تتناسب وعظمة الإسلام وَالدِّين الخاتم للأديان السماوية.

ويعبارة إنَّ ما وَرَدَ مِنْ روايات أهل البيتعليهم السلام بمنزلة ميزان لتمحيص ما يُذكر مِنْ أسباب النزول فِي كتب السِيَر والآثار، وَهَذَا احد مواطن معيّة الكتاب والعترة، وَهَذَا ما سوف يتّضح كُلَّهُ مِنْ خلال البحث.

أيضاً سنُبيِّن أنَّ بحث الفتوحات الإسّلاميَّة إنْ كَانَ فيه جانب مُشرق

وفتح فَهُوَ يرجع إلى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام، إِلَّا أَنَّ هُنَاك جنبة مُظلمة سوداوية فِي الفتوحات الإسّلاميَّة سنُبيِّنها ـ مِنْ باب بيان واقع المطلب ـ حولت تلك الفتوحات إلى سدودات مَعَ إِنَّ الإسلام فتحٌ عظيم.

ولا يُفهم مِنْ ذكرنا لبيان هَذِهِ الجنبة أَنَّ فيها تحامل عَلَى أحد، أو إجحاف فِي حقّ الغير، وَإِنَّما غرضنا بيان حقائق بيّنها القُرآن الكريم وَأَنَّها مُرادة للباري تَعَالَى إِلَّا أنهم يحاولون إخفائها أو سدل الستار عَلَيْهَا، وطمس معالم وحقائق الدِّين الذي أراد الله تَعَالَى إظهاره عَلَى الدِّين كُلَّهُ وَعَلَى كُلّ أرجاء المعمورة مِنْ الكرة الأرضية ولو كره المشركون.

وَعَلَيْهِ فيجب إزالة كُلّ الموانع والسدود والممارسات الخاطئة لفهم معاني آيات القُرآن، وَالَّتِي حاول البعض أَنْ يختلقها ويجعلها سدّاً مانعاً أمام انتشار هَذَا الدِّين كُلَّهُ وَهَذَا النور القرآني والنبوي، وفعلاً كَانَتْ تلك السدود المُصطنعة مانعة مِنْ انتشار الإسلام والحدّ مِنْهُ وعدم نفوذه بالمستوى المطلوب مثل بلاد الصين وأوربا وأمريكا و ... الخ. ممّا أثّرتْ هَذِهِ التّصرفات السوداويّة سلباً مِنْ قبل مَنْ حُسبت تصرفاته عَلَى الإسلام عَلَى شعوب هَذِهِ البُلدان فاعتنقت النّصرانيّة ـ المسيحيّة ـ وَلَمْ تعتنق الإسلام.

كُلّ ذَلِكَ بسبب تصدّي مَنْ لَيْسَ لَهُ أهليّة القيادة للإسلام بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وحَمْلُه بأيدِ غَيْر أمينة، بَعْدَ إساءتهم للإسلام والمسلمين وعتّموا عَلَيْهِ مِنْ جميع الجهات الإعلامية مِنْهَا والسياسية والعسكرية والفكرية والاجتماعية والتربوية و ... الخ، وبالتالي كَانَتْ نظرة البعض مِنْ خلال أفعال وأقوال

هؤلاء المحسوبين عَلَى الإسلام نظرة سوداوية بدلاً أنْ تكون بيضاوية نقيّة، وَهَذِهِ بالتالي تُشكِّل طامّة كُبرى.

ولذا كَانَ سؤال الَّذِيْنَ جلبوا النظرة السّوداوية للإسلام هُوَ: لماذا تتحّسسون مِنْ الأفعال والأقوال والتّصرفات الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ سلطان بني أُميّة كيزيد بن معاوية؟

إنَّ سبب تحسّسنا مِنْهُ لَيْسَ فَقَطْ مِنْ جهة قتل سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام وحرمان البشرية مِنْ عطاءاته ونوره وهيهات وأنَّى لهم ذَلِكَ، بَلْ أنّهم أزالوا الوجه المُشرق فِي الإسلام بقتل الحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ الإسلام وَالدِّين لا يُشرِق نورُه إلَّا بهم، فبإزالتهم لأهل البيت عليهم السلام أزالوا نور الإسلام وإشراقه فشوّهوه بظُلمة واسوداد، وَإنَّما مِنْ جهات أُخرَى مِنْهَا أنَّ أمثال هؤلاء حاولوا تشكيل سدود بفعل تصرفاتهم غَيْر الإسّلاميَّة وظلمهم وتسلطهم عَلَى رقاب المسلمين واستبدادهم تمنع مِنْ انتشار نور القُرآن والنور المحمدي والنور العلوي والفاطمي والحسني والحسيني و ... الخ، وبذلهم قُصارى جهودهم لأجل الفصل بين الثقلين، وَهُمَا؛ الكتاب والعترة الَّتِي طالما أَكَّدَ رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى قرنهما، وبالتالي ليسوا فَقَطْ خسروا أتباع الثقل الثَّانِي وَهُمْ عترة الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته، بَلْ حَتّى ضيّعوا الثقل الأوَّل وَهُوَ القُرآن الصامت لأنَّهم لايمكننهم أنْ يفهموا معاني الآيات وَالسُّوَر إلَّا بواسطة العِدْل الثَّانِي آل الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، كَمَا صَرَّح بَعْض كبارهم ـ حَسْبُنا كتاب الله ـ وَهُوَ لا يفهم

ولا يعي مِنْ القُرآن آية بَلْ بَعْض آية.

وَالُمِهم الذي نُريد أنْ تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ: ـ أنَّ القُرآن الكريم هُوَ المصدر المعرفي العظيم للدين والبالغ الأهمية، فَلابُدَّ أنْ يَكُون منهاج وبرنامج فَهُمْ معاني وحقائق آياته سوره أساسي موزون لا يمكن لأي باحث ومُفسِّر الاستغناء عَنْهُ، وَمِنْهَا روايات قَاعِدَة أسباب النزول وَالَّتِي يجب فيها الرجوع إلى مُحكمات القُرآن الكريم الذي هُوَ حَكَمٌ عَدْلٌ وَإلى أهل البيت عليهم السلام؛ وَهُمَا الوحيدان اللّذان يُميزان ويَفصُلان بين الرّوايات المُلفقة والمُزيّفة وبين الصحيحة مِنْهَا فِي قَاعِدَة أساب النزول.

وَمِنْ الأُمُور الَّتِي نُبيّنها أيضاً مِنْ خلال بحث قَاعِدَة أسباب النزول هُوَ أهميّة القَاعِدَة وتأثيرها فِي يوميات استنباط الفِقْه وَالأُمُور العقائدية، وأنَّ أخذها أخذ المُسلّمات فادحةٌ عُظمى، فمثلاً مَعْنَى الجهاد فِي نظر مدرسة أهل البيت عليهم السلام غَيْر مَعْنَى الدفاع، وَبَعْدَ مُراجعة الرّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام لَمْ أقف عَلَى تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائي ودفاعي، وَإنَّما هَذَا التقسيم مِنْ اجتهادات مدرسة الطرف الآخر ـ أيّ المدرسة الأُخْرَى، وتَسَرَّب إلى كتب الخاصّة وعلينا تنقية بحوثنا الفقهيّة وتراثنا الفقهي مِنْ موروث مدرسة الرأي ونعكف عَلَى صفاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وَهَذَا مُؤشِّر واضح عَلَى كيفية تأثير أسباب النزول عَلَى المنهج التفسيري، وتأثير الأخير عَلَى أُسس الفِقْه والعقائد.

نعم، الوارد فِي الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام كَمَا فِي رواية

جعفر بن مُحَمَّد عَنْ أبي جعفر عليهما السلام أَنَّ الله تبَارَكَ وَتعَالَى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف فسيف عَلَى عَلَى مُشركي العرب، قَالَ الله جَلَّ وجهه: ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ (يعني فإنْ آمنوا ... فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ) لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام ولا يُسبى لهم ذريّة وماهم فيء)[1].

وَعَنْ حفص عَنْ أبي عبدالله عليه السلام، قَالَ: سأل رجل أبي عَنْ حروب أمير المؤمنين عليه السلام وَكَانَ السّائل مِنْ محبينا، فَقَالَ لَهُ أبو جعفر عليه السلام: **بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسباب: ثلاثة مِنْهَا شاهره فلا تغمد إلى أنْ تضع الحرب أوزارها، ولن تضع الحرب أوزارها حَتّى تطلع الشّمس مِنْ مغربها، فإذا طلعت الشّمس مِنْ مغربها آمن النّاس كلهم فِي ذَلِكَ اليوم ﴿لَا يَنفَعُ نَفۡسًا إِيمَٰنُهَا لَمۡ تَكُنۡ ءَامَنَتۡ مِن قَبۡلُ أَوۡ كَسَبَتۡ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيۡرٗاۗ﴾ وسيف مِنْهَا ملفوف، وسيف مِنْهَا مغمود سلّه إلى غيرنا وحكمه إلينا، فَأَمَّا السّيوف الثلاثة الشاهرة فسيف عَلَى مشركي العرب، قَالَ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ﴾ يعني آمنوا (فإخوانكم فِي الدِّين) فهؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام وأموالهم وذراريهم سبي عَلَى ما سبى رسول الله صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ سَبَى وعفا وقبل الفداء.**

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٧٥ تفسير سورة البقرة آية ١٩٤، عنه بحار الأنوار: ج٩٧ ب٦ من أبواب الجهاد ح٦ ص٥٣.

والسيف الثَّانِي عَلَى أهل الذِّمة، قَالَ اللهﷺ جَلَّ ثناؤه ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ نزلت فِي أهل الذّمّة ثُمَّ نسخها قوله ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فَمِنْ كَانَ مِنْهُ فِي دار الإسلام فلن يقبل مِنْهُ إِلَّا الجزية أو القتل وماهم وذراريهم سبيٌ فإذا قبلوا الجزية حَرُم علينا سبيهم ... الخ.

والسيف الثَّالِث عَلَى مُشركي العجم يعني التُرك والديلم والخزر، قَالَ الله جَلَّ ثناؤه فِي أَوَّل السُّورة الَّتِي يُذْكر فيها الَّذِيْنَ كفروا فَقَصَّ قصتهم قَالَ ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾ يعني بَعْدَ السبي منهم «وأَمَّا الفداء» يعني المفاداة بينهم وبين أهل الإسلام فهؤلاء لا يُقبل منهم إلَّا القتل أو الدخول فِي الإسلام ولا يَحِلُّ لنا نكاحهم ما داموا فِي الحرب.

وأَمَّا السيف الملفوف فسيف عَلَى أهل البغي والتأويل ... الخ.

وأَمَّا السيف المغمود فالسيف الذي يُقام به القصاص .... الخ.

فَهَذِهِ السيوف الخمسة الَّتِي بعث الله بها نبيهﷺ فَمَنْ جحدها أو جَحَدَ واحداً مِنْهَا أو شيئاً مِنْ سيرتها وأحكامها فَقَدْ كفر بما أنزل الله عَلَى

مُحَمَّد صلى الله عليه وآله[(١)].

بتقريب: إنَّ هاتين الروايتين وَرَدَ فيها ذكر أقسام الجهاد، وَلَمْ يُجْعَل الدفاع قسماً مِنْهَا مَعَ أنَّ هاتين الروايتين وغيرهما فِي صددالتحديد لماهيّة الجهاد وسبر أقسام.

إنَّ السيوف بمعنى الحرب، وَلَمْ يرد تعبير تقسيم الجهاد إلى ابتدائي ودفاعي، علماً أنَّ الدّفاع فِي مفهوم مدرسة أهل البيت عليهم السلام غَيْر الجهاد.

وسيتّضح لنا الأمر فِي أنَّ أغلب غزوات وحروب النَّبيّ صلى الله عليه وآله الـ (٨٠) غزوة وحرب كَانَتْ دفاعيّة إمَّا لأجل استعادة الحقوق والأموال المسلوبة أو لدرء خطر المُشركين وعُتاة قريش عَنْ أعراض وأوطان المسلمين ... الخ، وإنْ كَانَ بعضها ابتدائياً كَمَا فِي غزوة بدر فِي الاصطلاح الفقهي تُعَدُّ جهاداً ابتدائياً لِأنَّ نفس رسول الله صلى الله عليه وآله هيأ وجهّز الجيش والسلاح وكافة مُستلزمات المعركة إلَّا أنَّهُ لَيْسَ عدواناً ابتدائياً وَإنَّما كَانَتْ ذَاتَ غطاء دفاعي، إلَّا أنَّهُ وللأسف الشّديد عِنْدَمَا نرجع إلى روايات أسباب النزول المُلفقة فِي المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام نجد تلك الروايات قَدْ انقلبت رأساً عَلَى عقب فِي تبديل حقيقة مَعْنَى الجهاد عمّا هُوَ عَلَيْهِ فِي القُرآن الكريم، والنظر إلى الجهاد بنظرة سوداوية ودمويّة، وَنَحْنُ لا

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ص، ٦٤٠، الكافي للكليني: ج٥، كتاب الجهاد: ب٣ ح٢ الحديث المسلسل ٨٢١٨، ج ص١٠؛ عنه بحار الأنوار: ج٩٧ ص١٦ ب٢ من أقسام الجهاد وشرائطه وآدابه.

نُريد أنْ نُبرر هَذِهِ النظرات المُتحاملة عَلَى القُرآن، ولكن نُريد أنْ نقف عَلَى بَعْض أسبابها ولا نحصرها بالصليبية والصهيونيّة ... الخ وَإنَّما هدفنا إلفات النظر والفكر إلى أنْ أحد أسباب ما نَحْنُ فيه فِي مبحث أسباب النزول الملفقة الَّتِي وضعت رواياتها فِي المدارس الأُخْرَى تحت تأثير السّلطة الأمويّة أو العباسيّة، مِنْ أنَّ غاية الجهاد الابتدائي عندهم هُوَ الإرغام عَلَى العقيدة بخلاف ما أسست لَهُ مدرسة أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ الهدف مِنْ تشريع الجهاد الابتدائي لأجل نشر العدالة فِي الأرض واسترداد الحقوق المُغتصبة أو الدّفاع عَنْ المُسضعفين حَتّى غَيْر المسلمين ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ۝٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ۝٥٧ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ...﴾[1].

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآيات المُبَارَكَة تبيّن أنَّ غاية الحرب فِي بعضها، والعدوان وإنْ كَانَتْ هِيَ حرب ابتدائية استباقيّة، وَلَيْسَ المقصود مِنْ الجهاد هُوَ العدوانيّة والدمويّة والانتقام وفرض عقيدة مُعيّنة، فَإنَّ هَذَا منطق المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقوله تَعالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ...﴾ حاولت أسباب النزول الملفقة أنْ تجعلها منسوخة بقوله تَعالَى ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ﴾ لأنَّهم أرادوا أنْ يصوروا أنَّ فلسفة الجهاد فِي مدرسة الخلفاء هُوَ الإرغام

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٦ ـ ٥٨.

والإلجاء، علماً أنَّ هَذِهِ الآية غَيْر قابلة للتخصيص والنسخ، كَمَا سوف يأتي توضيح ذَلِكَ كُلَّهُ وتفصيله فِي مبحث قَاعِدَة الناسخ والمنسوخ إنَّ أعظم مشكلة فِي الباب هِيَ قَاعِدَة أسباب النزول الملفقة، وَعَلَيْهِ فكيف تُدعى أسباب النزول أنَّ مثل قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ۝٥٨﴾ إنَّها منسوخة، وهل أنَّ الله لا يحب الخائنين حسب ما جاء فِي آيات سورة الأنفال، وفي غزوة بدر وغيرها مِنْ سورة القُرآن والغزوات الأُخْرَى ـ والعياذ بالله ـ.

والخلاصة: هل إنَّ الله يحب الخائنين أم ماذا؟ فَعَلَى أصحاب أسباب النزول الملفقة أنْ يجيبوا عَنْ هَذَا التساؤل مِنْ أنَّ القُرآن يُسمّي المباغتة والحرب مَعَ مُعاهد وذمّي خيانة، فكيف يمكن أنْ تنسخ هَذِهِ الآية فَإِنَّ بَعْض الأحكام أبديّة مُعلّلة بعلّة أبدية غَيْر قابلة للنسخ.

إذَنْ إذَا كَانَتْ هُنَاك مُعاهدة ببنك وبين آخرين وغدر الآخرون بالمعاهدة فلا تغدر بهم وتبادرهم وتباغتهم بالحرب وَإِنَّما أنبذ إليهم عَلَى سواء أيّ مِنْ دون غيلة؛ لِأَنَّ الإسلام قيَّدَ الفتك، وَهَذَا ما جسّده أهل البيت عليهم السلام وخاصّة سيد الشهداء أبو عبدالله الحسين عليه السلام.

التسديد الإلهي واليد الغيبية لثورة الإمام الحسين عليه السلام:

إنَّ أهل البيت عليهم السلام سطّروا أروع وأسمى مَعْنَى للجهاد وَلَمْ يستعملوا الغيلة والاغتيال؛ لِإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ مبدأ الإسلام وأهل البيت عليهم السلام ذَلِكَ،

وَلَيْسَ مَعْنَى النصر عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام أَنَّ تسحق المبادئ مِنْ أجل النصر، وَإِنَّما النصر عندهم هُوَ أَنَّ تنهض لتثبيت المبادئ لا لطمسها أو التفريط بها، كَمَا صنع ذَلِكَ رسول الله صلى الله عليه وآله فِي غزواته وحروبه وهكذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين سيد شباب أهل الجنة ونهضة عاشوراء الحسينية لا لأجل التفريط بالمبادئ، وهكذا ما صنعه مسلم بن عقيل عليه السلام رسول الحسين إلى أهل الكوفة وقاد ثورة شعبية لشهور مِنْ الزمن مَعَ وجود حكومة ظالمة وَهِيَ حكومة معاوية بن أبي سفيان فِي نفس الكوفة والبصرة أيّ حكومتان فِي مدينة واحدة، وَلَمْ يصدر مِنْ هَذِهِ التيارات الشعبيّة الَّتِي تنضوي تحت راية مسلم بن عقيل عليه السلام أيّ خروقات تجاوزيّة، ولكن ما هِيَ العناية الإلهية الَّتِي جعلت مِنْ ثورة الحسين عليه السلام عدم حصول أيّ خَرْق وتجاوز عَلَى أيّ مُقرّر وحقوق للقاعدة الشعبية للطرف الآخر، وَهَذَا لَمْ يحصل حَتّى لسيّد الأنبياء مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وَهُوَ صلى الله عليه وآله جَدُّ الحسين وأفضلَ مِنْهُ، ولكن ما هِيَ تلك العناية الخاصّة بالحسين عليه السلام، فَإِنَّ للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا أراد أَنْ يدخل مَكَّة المكرمة أرسل جيشاً بقيادة خالد بن الوليد إِلّا أَنَّ خالداً صنع مجزرة ومقتلةً عظيمةً فِي بني جذيمة تبرّأ مِنْهُ الرسول صلى الله عليه وآله، وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أبرأ إليك مما فعله خالد بن الوليد إلى أَنْ أرسل صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام وصالح بن جذيمة وودي قتيلهم ورضّاهم إلى أَنْ رضوا عَنْ رسول الله عليه السلام، وَهَذَا معناه أَنَّهُ حصل خرق مِنْ قبل خالد بن الوليد، وَهُنَا تتجلّى الجنبات الغيبية فِي نهضة سيد الشهداء

الحسين ابن علي عليهما السلام المُتناغمة والمتسقة والمنتظمة مَعَ مبدأ القُرآن فِي عدم الخيانة وذمّها وعدم التجاوز عَلَى المبادئي ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ ﴾ فَإِنَّ مِنْ مبادئ القُرآن وَالدِّين الإسلامي الحنيف عدم الخيانة، وتطبيق مثل هكذا أمر لَيْسَ بالسّهل وَإِنَّما هُوَ مِنْ الصعوبة بمكان أنْ يقود القائد الميداني جيشه فِي الميدان وَلَمْ يستلزم حصول أيّ خرق ولا هدم ولا دم ولا ... الخ؛ ولذا خاطبهم الحسين عليه السلام يَوْم عاشوراء: «**أتطالبوني بدم سفكته منكم أو مال أجترحته أو ... الخ**» وَعَلَيْهِ كيف استطاع الإمام الحسين عليه السلام ومسلم بن عقيل عليهما السلام التحكّم بذلك مِنْ دون أيّ خرق شعبي فِي قَاعِدَة الطرف الآخر، وما هَذَا لو تأملت به إلَّا تسديد غيبي إلهي.

الخلاصة: فَإِنَّ مِنْ مبادئ الإسلام عدم الخيانة وتطبيق مثل هَذَا لَيْسَ بسهل تنفيذه لِكُلِّ أحد فَإِنَّ المحافظة عَلَى المبادئ والأُسس يُترك تنفيذها لأهلها أمثال سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والتسعة المعصومين مِنْ ذرية الحسين عليهم السلام لا لِـمَنْ هبَّ ودبَّ، وَعَلَيْهِ إِذَا أردت أنْ تبني الإسلام فَلابُدَّ مِنْ إظهار بنائه بصورة نيّرة ورائعة وجميلة تجذب بها قلوب الآخرين تلقائياً وتُحبّب لهم الإسلام، لا أنْ تبني الإسلام عَلَى أساس العنُف والقوّة والبطش بالآخرين والإرغام عَلَى فرض العقيدة والأحكام العرفية، والفرق واضح بين المسيرين مسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومسير مدرسة العامّة والخلفاء.

والحاصل: إنَّ أسباب النزول لها تأثير بالغ فِي استنباط أحكام الفروع وكمثال باب الجهاد وكنظام علاقة الدولة الإسّلاميَّة مَعَ الشعوب والدول الأُخْرَى، وَأَنَّهُ أمر حضاري ومصيري خطير وكبير.

إنَّ أحد أهم أسباب بحث قَاعِدَة روايات أسباب النزول لما لها تأثير خطير فِي القَوَاعِد الفقهية والتفسيرية والعقائدية وميادين أُخْرَى عديدة فِي علوم الدِّين، بَلْ وتؤثِّر حَتّى عَلَى مسيرة الدِّين؛ لِأنَّ الدِّين رهينٌ بأعمدة وأحد تلك الأعمدة الرئيسية والإساسية لَهُ هُوَ القُرآن الكريم، وَكُلّ ذَلِكَ لِأنَّ التمسّك بالقرآن الكريم وكيفية فهمه أمرٌ بالغ الخطورة.

إنَّ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُوَ تحريف فَهُمْ الآيات عَنْ طريق خلق روايات لأسباب النزول، والتحريف عبارة عَنْ إلقاء ستارٍ أمواج ضبابيّة عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن الكريم كي لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظم خطورته هُوَ لأننا نتعامل ونتعاطى مَعَ أعظم مصدر للمعرفة الإسّلاميَّة والدِّينيّة ألا وَهُوَ القُرآن الكريم، ومثل هكذا تحريف معناه المساعدة عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مُجهضة للعقل الإسلامي، ولعقل أجيال فاضلة علميّة للبشر، وَهَذَا ممّا يدعو ويُحفّز الأخوة الباحثين إلى مُضاعفة الجهود فِي سبيل كشف الحقائق وإزالة الستار والحجاب عمّا وحرِّف مِنْ دعاوى أو أقوال فِي أسباب النزول.

المعهود عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرين أنَّ دور موطن النزول هُوَ عبارة عَنْ موطن زماني ومكاني وحدث مُعيّن لإبلاغ آية مِنْ الآيات أيّ أنَّ الآية لها

موطن نزول جغرافي وزماني وإحداثي، إلَّا أَنَّهُ سيتّضح مِنْ خلال بحث مورد أسباب النزول أنَّ الأمر لَيسَ كَذَلِكَ، وأنَّ مورد النزول للآية وإنْ كَانَ لَهُ موطن خاص، إلَّا أنَّ لَهُ جهات وحقائق أُخْرَى مُهمّة مؤثرة وأنَّ نزول الآية فِي الموطن الخاص يعني فيما يعنيه أَنَّهُ إعمال لولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إدارة شؤون العباد وفي الجانب السياسي والعسكري والتجاري والاقتصادي و ... الخ، ولا تنحصر ولا تتقزّم الولاية أيّ ولاية الله تَعَالَى ثمَّ ولاية الرسولﷺ ثمَّ ولاية أهل بيت الرسولﷺ بالبُعد السياسي أو الاجتماعي أو ... الخ فَإنَّ أحد دعائم الولاية هُوَ الهداية ولا سيما الملكوتيّة مِنْهَا وَهُنَاك هداية إيصاليّة و ... الخ وَعَلَيْهِ فَإنَّ مقام الولاية لا ينحصر فِي مقام الحاكميّة السياسيّة ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾[1].

وَعَنْ بُريد بن معاوية العجلي، قَالَ: قلتُ لأبي جعفرعليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ٧﴾ فَقَالَ: المنذر و رسول اللهﷺ، وعليعليه السلام الهادي وفي كُلّ وقت وزمان إمام منّا يهديهم إلى ما جاء به رسول اللهﷺ[2].

إنَّ لأسباب النُّزول جُملة مِنْ المؤدّيات والمفادات فِي روايات أهل البيتعليهم السلام لَمْ يتعرّض إليها المُفَسِّرون وتعرّضوا لبعض المؤدّيات والمفادات العامّة كالنبوّة وحصر أسباب النزول بالزمان والمكان المعروف بموطن النزول وتبليغ النَّبِيّ الأكرمﷺ للآية والأحكام الواردة فيها، بينما هُنَاك

---

(١) سورة الرعد: الآية ٧.

(٢) كمال الدِّين وتمام النِّعمة للصدوق: ج٢، ص٦٠٥ ب٥٨ ح١٠.

مفادات وأبعاد أُخْرَى وَرَدَتْ فِي بيانات أهل البيتعليهم السلام كالولاية والحاكمية وأنَّ النزول والتنزّل نوع مِنْ أعمال الولاية الإلهية وتدبير شؤون البشر، وَهَذَا هُوَ المفاد العقيدي المُهم فِي القُرآن الكريم الذي غَفَلَتْ عَنْهُ المدارس والمذاهب الأُخْرَى، علماً أنَّ القُرآن الكريم قُرِنَ نزوله بكُلٍّ مِنْ النبوّة والولاية.

إنَّ منهجنا التفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن الكريم يُفسِّر لنا أسباب النُّزول بمعنى ولائي فضلاً عَنْ المعنى التّنظيري، وبعبارة أُخْرَى أنَّ كُلّ قَواعِد التفسير فِي نظام الاستعمال اللّفظي ونظام معاني القرآن ونظام الحقائق لابُدَّ أنْ تكون لها صبغة ولائية كَمَا لها صبغة نبويّة، فَإنَّ القرآن كتاب لا ينحصر بالنبوّات ـ أيّ لَيْسَ فَقَطْ كتاب نبوّة وتنظير ـ وَإنَّما يشمل كتاب الولاية أيّ كتاب فيه برنامج حكم وإدارة كونيّة، ولا يستطيع المُفَسِّر أنْ يقصتر عَلَى البُعد الأوَّل أيّ التنظيري أيّ بُعْدُ النبوّة، بَلْ لابُدَّ لَهُ مِنْ الخوض فِي البُعْد الثَّانِي.

تنبيهان

التنبيه الأوّل: إنَّ الرُّوايات المزعومة والمُلفّقة فِي أسباب النزول عِنْدَ الطرف الآخر هِيَ ليست منسوبة إلى النَّبِيّ الأكرمصلى الله عليه وآله ولا مُسْنَدَةً إليهصلى الله عليه وآله ولا إلى أحد أوصيائه المعصومين مِنْ أئمة أهل البيتعليهم السلام، وَإنَّما هِيَ منسوبة إلى جُملة مِنْ الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين؛ ولذا عِنْدَمَا نعبر بالرُّواية المقصود الرُّواية التأريخيّة وليست الرُّواية النبويّة ولو عندهم ـ

العامَّة ـ هَذَا هُوَ حال أسباب النزول المُلفّقة والمحرّفة وَمَعَ ذَلِكَ وللأسف حَتّى عِنْدَ بَعْض مُفسّري الخاصّة يعتمدها رغم أنّها ليست مُسندة إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أو أهل بيته عليهم السلام وَإنّما مُسندة إلى غَيْر مَنْ يؤثّق بحاله.

التنبيه الثّاني: مِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم يفصح عَنْ حقائق كثيرة بشرط أنْ لا تحجبنا أسباب النزول المُلفّقة والمزعومة والمُزيّفة لديهم مِنْ قبل أتباع السّلطة الأمويّة والعباسيّة ومدرسة الطرف الآخر عَنْ حقائق القُرآن ومفاهيمه النيّرة وَعَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيِّن، فاللّازم عدم التأثُّر وعدم الاحتجاب بها والتخلّص مِنْ تلاوينها المنعكسة عَلَى إطار ظهور الآيات وقوالب معانيها، كَمَا سوف يتّضح كُلّ ذَلِكَ مِنْ خلال الآيات والرّوايات، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكة تشير إلى حقائق خطيرة وتحاول أسباب النّزول المُلفّقة المزعومة فِي غزوة بدر مثلاً أنْ تُشير إلى أنَّ الذي يتّبع الدِّين هُوَ إنسانٌ بسيط ساذج، مَعَ العلم أنَّهُ اعتمد عَلَى أكبر وأضخم قوّة أزليّة وتوكّل عَلَى الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٩.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

بتقريب: أفهل مَنْ يتوكّل عَلَى الله يُنعت بالسّذاجة وما شاكلها، هَذَا ما نُريد أنْ نثبته فِي أسباب النّزول.

الجهة الثانية: ارتباط قاعدةِ أسباب النزول بترتيب القرآن آياتا وسورا:

بيان العلاقة الوطيدة بين قاعدةِ ترتيب سور القرآن وقاعدةِ النزول:

إنَّ منهاج مدرسة أهل البيتعليهم السلام مِنْ أتَمّ وأسدّ مناهج المدارس الإسلاميّة الأُخْرَى حقاً، وَعَلَى الإطلاق أحاطة بأسباب النّزول، إلّا أنَّهُ تواجهنا مشكلة فِي مبحث أسباب النّزول وَهِيَ:-

إنَّ هُنَاك جملة مِنْ أكابر المُفَسِّرين اعتمدوا واتّكلوا وللأسف فِي أسباب النّزول فِي موارد عديدة مِنْ الرُّواية أو القصّة المرويّة وغيرها عَلَى مصادر العامّة فِي أسباب النّزول وتركوا المنابع الغنيّة لأسباب النّزول الموجودة لدينا فِي مدرسة أهل البيتعليهم السلام، بَلْ وَقَدْ يتعدّى الأمر فِي بَعْض الحالات إلى اعتماد واتّكال كبار المُحققّين مَعَ جلالة قدرهم فَإِنَّهُ حصلت لديهم هَذِهِ الهفوة والزلّة أمثال علي بن إبراهيم القُمي صاحب تفسير القمي، فَإِنَّهُ فِي جُملة مِنْ الموارد أخذ أسباب نزول الآيات مِنْ أسباب النّزول المزعومة لدى العامّة، وإرسالها إرسال المُسلّمات مِنْ دون أنْ يسندها إلى روايات أهل البيتعليهم السلام فِي الفِقْه العقائدي وَالفِقْه السياسي، وفي بَعْض

الحالات حَتّى فِي فقه الفروع وغيره، وَهَذِهِ الرّوايات الَّتِي اعتمدها علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي مِنْ طرق العامّة لَمْ يقف عَلَيْهَا بنفسه، وَهَذَا يُشكِّل خَطَراً كبيراً عَلَى سير عمليّة الاستنباط بمختلف اتّجاهاتها، وَلَهُ تداعيات عديدة وخطيرة جدّاً فِي الفِقْه والعقائد والتفسير وغيرها؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أسباب النّزول ـ كَمَا مَرَّ ـ تُشكِّل قرينة دالَّة عَلَى الظهور، وَهَذِهِ الدلالة تكوِّن وتُملي ظهور الآية بمادّة سبب النّزول غَيْر الموثوق بها والملفّقة، وَهَذَا ما يُؤثِّر سلباً عَلَى النتيجة، وتكون النتيجة تابعة لهذا الخلل وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الاعتماد عَلَى مثل هكذا أسباب للنزول صناعياً وعلمياً قرينة دامغة حالية ومقاليّة لتكوين الظهور، ويرسوا عَلَى شاكلة مُعيَّنة، ويُقلب إلى قَالب آخر غَيْر ما هُوَ عَلَيْهِ فِي الواقع الخارجي.

وهكذا الحال فِي تفسير التبيان للشّيخ الطوسي فَإِنَّهُ اعتمد عَلَى جملة مِنْ أسباب النّزول مِنْ طُرق العامّة فِي تفسير وبيان جملة مِنْ الآيات، والحال أنَّ تلك الأسباب مزعومة ومُحرّفة ومغلوطة.

ونفس الكلام يأتي فِي تفسير البيان للطبرسي فَإِنَّهُ هُوَ الآخر اعتمد عَلَى جملة مِنْ أسباب النّزول المُلفّقة والمزعومة مِنْ طرق العامّة.

علماً أَنَّ هذين المصدرين ـ أعين التبيان للشيخ الطوسي، والبيان للطبرسي ـ مِنْ مفاخر كتب التفسير إلى يومنا الحاضر، بَلْ وَحَتّى مُعتمد عَلَيْهَا لدى المذاهب الإسّلاميَّة الأُخْرَى، فضلاً عَنْ أغلبية مراكز البحوث

فِي اللُّغَة العربية، بَلْ وَحَتّى فِي مبحث القراءات العشر ـ كَمَا سيأتي بحثها فِي محلها المُنَاسِب إنْ شاء الله ـ فَإِنَّ جملة مِنْ مفاخر رجال الإمامية أمثال حمران بن أعيَن، وأبان بن تغلب، وعاصم والكسائي والفرّاء وغيرهم بذلوا جهودهم فِي سبيل حفظ القراءات القُرآنية إلّا أنَّهُ وللأسف فِي نفس الوقت تسربت إلينا موارد كثيرة مِنْ الفرق الأُخْرَى إلى الوسط الداخلي.

وكفى به شاهداً ما قاله الذهبي وَهُوَ مِنْ عُلَمَاء ومفسري العامّة أنَّهُ لو حَذَفنا الأحاديث الَّتِي يرويها أبان بن تغلب وأضرابه مِنْ الشيعة الإمامية لاندرس واندثر جزءاً مُهماً مِنْ تراثنا[1] وسنُبيِّن شيئاً فشيئاً ـ إنَّ شاء الله تَعَالَى ـ كيف التلاعب والتحريف الذي دَبَّ إلى باب أسباب النّزول المزعومة لدى العامّة، وَهَذَا أمرٌ مهم جداً فِي منابع المعرفة الدِّينية وتقييمها، فَإِنَّهُ مِنْ الخطورة بمكان أنْ يقع جملة مِنْ الأعلام الكبار ـ رضوان الله تَعَالَى عليهم ـ فِي هَذِهِ الغفلة ويُرى منهم متابعة المدارس الأُخْرَى، وَلَيْسَ الغرض مِنْهُ المتابعة، أو النقد فَقَطْ بلا توثيق علمي صحيح، فَإِنَّ تثبيت مثل هكذا مطلب بلا مستند علمي أمرٌ غَيْر صحيح.

وبالتالي لا تأمنَنَّ ولا تطمننَّ أَيُّهَا الباحث الكريم فِي موارد أسباب النّزول المزعومة عِنْدَ الطرف الآخر ـ العامّة ـ ما لَمْ يُدقّق ويُحقّق فيها، فَإِنَّهُ إنْ لَمْ يكن فيه تلفيق وتزييف، فلا أقل فيها تعقيد وتعتيم، بأنْ ينقل لك

---

(١) ميزان الاعتدال: ج١.

سبب النّزول ويصوِّور بَعْض الحقيقة ويطمس كثير مِنْ الحقائق إلى حدِّ إرضاء السلطان الحاكم وإنْ كَلَّف الأمر قلب وعكس الحقيقة والواقعة.

قاعدةِ فرعية:

فِي تعدد أسباب النزول لأبعاض الآية الواحدة وآحاد كلماتها وتأثير ذلِك على تفسير الآية فضلا عن الآيات فِي السورة الواحدة:

تنبيه: سنُبيِّن فِي جهات بحث نظام أسباب النّزول عِنْدَ أهل البيتعليهم السلام ـ إنْ شاء الله تَعَالَى ـ إنَّهُ تختلف حقيقة سببيّة أسباب النّزول وحقيقة مورديّة مورد النّزول عِنْدَ مدرسة أهل البيتعليهم السلام عَنْ بقيّة المدارس والمذاهب الأُخْرَى، وَهَذَا مما يوجب لكثير مِنْ الباحثين الوقوع فِي الخلط إذَا مَزَج فِي الاعتماد بين ما وَرَدَ عِنْدَ العامّة، وما وَرَدَ فِي روايات أهل البيتعليهم السلام، وَلَيْسَ دائماً هَذَا التلفيق والتحريف عمديّاً فِي أسباب النزول، وَإنَّما فِي بَعْض الأحيان يَكُون سبب القصور هُوَ أنَّ الطرف الآخر غَيْر مُلم بحقيقة أسباب النُّزول نتيجة عدم وعيه بنظام أسباب النُّزول كَما تعيه إحاطة أئمة أهل البيتعليهم السلام؛ ولذا نُلاحظ انجرار بَعْض مُفسِّري الخاصّة وراء أو مَعَ أُفق أسباب النُّزول عِنْدَ الطرف الآخر نتيجة غفلته، أو ابتعاده عَنْ التعرُّف عَلَى نظام أسباب النُّزول عِنْدَ أهل البيتعليهم السلام.

ونتيجة هَذَا الابتعاد وَهَذِهِ الغفلة هُوَ أنَّهُ يتولَّد لديه توهمٌ أنَّ تفسير الآيات والسّياق فِي أسباب النُّزول واحدٌ وَهُوَ خطأٌ، وسيأتي فِي نظام

أسباب النُّزول عِنْدَ أهل البيتعليهم السلام أَنَّهُ لا وحدة أسباب ولا وحدة سياق وَأَنَّهُ يَقلُّ أنْ يَكُون فِي الآية والآيات وحدة سياق ووحدة سوق، نعم هُنَاك وحدة غرضٍ ووحدة هَدَفٍ مِنْ الآية الواحدة والسورة الواحدة، ووحدة الغرض، ووحدة الهدف تغاير وحدة السياق، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الآيات لها عِدَّة أسباب نزول بلحاظ صدرها ووسطها وذيلها، بَلْ فِي جملة مِنْ الموارد، الكلمة الواحِدَة مِنْ الجملة لها سبب نزول يختلف عَنْ بَقيَّة كلمات الجملة الواحِدة، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأُمُور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعمال التركيب القُرآني بحسب ما نبّه عَلَيْهِ أهل البيتعليهم السلام، وبيَّنوا أنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر فِي فَهْمْ كلام الله البناء عَلَى وحدة السياق أو وحدة الموضوع فِي الآية الواحِدة فضلاً عَنْ الآيات مَعَ كونه كلاماً مُتّصلاً[١].

روى العياشي بسنده عَنْ الباقرعليه السلام فِي قوله: «**إنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن بطن وَلَهُ ظهرٌ وللظهر ظهر ... وَلَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية لتكون أوّلها فِي شيء وآخرها فِي شيء وَهُوَ كلامٌ مُتَصِلٌ يتصرّف عَلَى وجوه**»[٢].

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله «**يا جابر أنَّ للقُرْآن بطناً وللبطن ظهر**» ثمَّ قَالَ: «**يا جابر، وَلَيْسَ شيءٌ أبعد مِنْ عقول**

(١) الاحتجاج للطبرسي، احتجاج الزنديق على أمير المؤمنين: ج١، ص٢٩٢ـ٣١٦.
(٢) العيّاشي: تفسير: ج١، ص٨٦.

الرجال مِنْهُ إنَّ الآية لينزل أولها فِي شيء وأوسطها فِي شيء وآخرها فِي شيء، وَهُوَ كلامٌ مُتصِلٌ يتصرف عَلَى وجوه ...»[(١)].

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام فِي احتجاجه عَلَى الزنديق ... وَمِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُون تأويله عَلَى غَيْر تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبّك بمثال لذلك تكتفي به إنْ شاء الله تَعَالَى، وَهُوَ حكاية الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهيم عليه السلام ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ فذهابه إلى ربه توجهه إليه فِي عبادته واجتهاده، ألا ترى أنَّ تأويله غَيْر تنزيله، وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنزاله ذَلِكَ: خلقه إياه.

وكذلك قوله: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ۝٨١﴾ أيّ الجاحدين والتأويل فِي هَذَا القول باطنه مضاد لظاهره.

وَمَعْنَى قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[(٢)]، فَإنَّما خاطب نبينا مُحَمَّد صلى الله عليه وآله هل ينتظر المنافقون والمُشركون إلَّا أنْ تأتيهم الملائكة فيعاينونهم، أو يأتي بَعْض آيات ربك يعني بذلك: أمر ربّك والآيات هِيَ العذاب فِي دار الدُّنْيا، كَما عَذَّب الأمم السالفة والقرون الخالية، وَقَالَ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ﴾ يعني بذلك ما يهلك مِنْ القرون فسمّاه إتياناً، وَقَالَ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ

---

(١) المصدر السابق: ج١، ص١٠، ح١، عنه البحار: ج٨٩ ص٩١.
(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

يُؤْفَكُونَ ﴾[1] أيّ لعنهم الله أنى يؤفكون، فسمّى اللعنة قتالاً، وكذلك قَالَ: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[2] أي لعن الإنسان، وَقَالَ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ فسَمَّى فعل النَّبيّ ﷺ فعلاً لَهُ، ألا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثل قوله: ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ فسمّى البعث: لقاءاً، وكذلك قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾ أيّ يوقنون أنَّهم مبعوثون، ومثله قوله: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾[3] أيّ لَيْسَ يوقنون أنَّهم مبعوثون، واللقاء عِنْدَ المؤمن: البعث، وَعِنْدَ الكافر: المعاينة والنظر.

وَقَدْ يَكُون بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾، أيّ تيقّنوا أنَّهم مواقعوها.

أمَّا قوله فِي المنافقين ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾[4]، فلَيْسَ ذَلِكَ بيقين، ولكنَّه شكّ، فاللّفظ واحدٌ فِي الظاهر، ومخالف فِي الباطن[5].

وروى العيّاشي عَنْ أبي جعفر عليه السلام، قَالَ: لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، أنَّ الآية ينزل أولها فِي شيء ووسطها فِي شيء

---

(١) سورة التوبة: الآية ٣٠.
(٢) سورة عَبَسَ: الآية ١٧.
(٣) سورة المطففين: الآية ٤ ـ ٥.
(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.
(٥) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٣٠٢ ـ ٣٠٣ في احتجاج أمير المؤمنين على الزنديق، وكذا المحاسن للبرقي: ص٣٠٠.

وآخرها فِي شيء، ثمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ مِنْ ميلاد الجاهليّة[١].

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألت أبا جعفر عليه السلام عَنْ شيء فِي تفسير القُرآن فأجابني، ثمَّ سألته ثانية فاجابني بجواب آخر، فقلت جُعِلْتَ فداك كنتَ قَدْ أجبتَ فِي هَذِهِ المسألة بجوابٍ آخر غَيْر هَذَا قبل اليوم، فَقَالَ لي يا جابر: ـ إنَّ للقُرْآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية لتكون أولها فِي شيء وآخرها فِي شيء وَهُوَ كلام مُتَّصِلٌ يتصرف عَلَى وجوه[٢].

---

(١) العيّاشي: ج١، ص٩٥، في منء فَسَّرَ القرآن برأيه: ج١.
(٢) العيّاشي: ج١، ص٨٧ ح٨ باب تفسير الناسخ والمنسوخ، والظاهر والباطن.

الوجوه البلاغية لاستعمال كل كلمة
بنحو مستقل فِي الآية الواحدة

مِنْ الجهات المُهِمَّة فِي قَاعدِة أسباب النُّزول جهة الوجوه البلاغيّة لاستعمال كُلّ كلمة بنحو مستقل فِي الآية الواحدة، ونذكر:-

أوَّلاً: روى العيّاشي عَنْ أبي عبدالرحمن السلمي: أنَّ علياً مَرَّ عَلَى قاضٍ، قَالَ: «**تعرف الناسخ والمنسوخ، فَقَالَ: لا، قَالَ: هلكتَ وأهلكتْ، تأويل كُلّ حرفٍ مِنْ القُرآن عَلَى وجوه**»[1].

ووجه دلالتها: هُوَ أنَّ المُرَاد مِنْ كُلّ حرفٍ مِنْ القُرآن أيّ كُلّ كلمةٍ مِنْهُ، وإنْ كَانَ الحرف قَدْ يُطلق عَلَى الجُملة أيضاً، وكذلك يُطلق عَلَى مجموع الآية، ولكنّه يُطلق بكثرة أيضاً عَلَى كُلّ كلمة، فإذا كَانَتْ كُلّ كلمة لها وجوه وتعاريف عديدة فَعَلَى ما تقدّمت الإشارة إليه مِنْ أنَّ كُلّ كلمةٍ فِي الآية قَدْ يَردُ فيها سبب للنُّزول يختلف عَنْ سبب النُّزول للكلمة الأُخْرَى سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابة الجملة أو لَمْ تلحظ.

---

(١) العيّاشي: ج١، ص٢٨٧ ح٩ باب الناسخ والمنسوخ.

وروى العيّاشي عَنْ الأصبغ بن نباتة، قَالَ: ـ وَقَالَ: لما قَدِمَ أمير المؤمنينعليه السلام فِي الكوفة صلّى بهم أربعين صباحاً يقرأ بهم ـ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ـ قَالَ: فَقَالَ«**المنافقون لا والله ما يحسن ابن أبي طالب أنْ يقرأ القُرآن، ولو أحسن أنْ يقرأ القُرآن لقرأ بنا غَيْر هَذِهِ السُّورة، قَالَ فبلغه ذات، فقال: ويلٌ لهم إنِّي لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ مُتشابهه وفصله مِنْ فصاله وحروفه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرفٍ نزل عَلَى مُحمَّد صلى الله عليه وآله إلّا أنّي لأعرف فيمَن أُنزِل وفي أيّ يَوم، وفي أيّ مَوْضِع**»[(١)].

بتقريب: أنَّهُعليه السلام فرَّق بين الحروف والمعاني ممّا يُشير إلى أنَّ كُلّ حرف أيّ لِكُلِّ كلمة جملة مِنْ المعاني.

روى العيّاشي عَنْ إبراهيم بن عمر، قَالَ: قَالَ أبو عبداللهعليه السلام: «**إنَّ فِي القُرآن ما مضى وما يَحْدُثُ وما هُوَ كائن، كَانَتْ فيه أسماء الرِّجال فأُلقيت، وَإنَّما الأسم الواحد مِنْهُ فِي وجوه لا نَحْصى، يَعْرِف ذَلِكَ الوصاة**»[(٢)].

بتقريب: فِي هَذِهِ كَما تَقدَّمَ، وأنَّ المُراد مِنْ الاسم الكلمة الواحدة، وَقَدْ قُيِّدَ بكونه الواحد إشارة إلى انفراد الكلمة، وأنَّ الكلمة الواحِدَة ذَاتَ وجوه فِي المعاني لا تُحصى؛ لأنَّها مُتكثِّرة فَقَطْ.

فَعَلَى ما تقدّمت الإشارة إليه مِنْ أنَّ كُلّ كلمة فِي الآية قَدْ يَردُ فيها

---

(١) المصدر السابق: ص٩١ باب علم الأئمةعليهم السلام بالتأويل ح١.

(٢) بصائر الدرجات، للصفّار: ص٢١٥/٦؛ العيّاشي: ج١، ص٨٨ باب تأويل كل حَرْفٍ من القرآن على وجوه: ح١.

سبب للنّزول يختلف عَنْ سبب النُّزول للكلمة الأُخْرَى، سواء لوحظت الكلمة بمفردها أم بمثابة الجملة.

ثانياً: كَما فِي الوجوه التالية:

الوجه الأوَّل: كَما هُوَ الحال فِي التأويل البلاغي.

الوجه الثَّانِي: أو لوحظت الكلمة ضمن مجموع بَعْض جُمَل الآية مَعَ عدم ضم الكلمة الأُخْرَى لذلك المجموع فيتعدّد المفاد والتركيب.

الوجه الثَّالِث: أو يُؤخذ مِنْ كُلّ كلمة أخذ تأويل معانيها ويُضَم إلى أحد معاني تأويل الكلمة الأُخْرَى، فتعدّد مناسبات المعاني المُتكثِّرة فِي كُلّ كلمة مَعَ ضريب تكثّر المعاين لِكُلِّ كلمة مِنْ الآية مَعَ تكثّر ضريب التناسب والمُناسبات فتتكثّر وجوه الآية عدد مِنْ المعاني لا تُحْصَى عدداً.

وَهَذِهِ الوجوه الثَّلاثة تقريبٌ لغويٌّ بلاغيٌّ لكيفية كون كُلّ كلمة فِي الآية لها سبب نزول يختلف عَنْ الكلمة الأُخْرَى فضلاً عَنْ تعدّد أسباب النُّزول للجُملة المُتعدّدة فِي الآية الواحِدَة، فَإِنَّهُ أسهلُ وضوحاً.

الوجه الرَّابع: وَهُوَ ما يُسمّى بقاعِدَة الالتفات فِي علم البديع مِنْ علم البلاغة، ولكن بنحو التّوسعة لقاعِدَة الالتفات أوسع ممّا ذكره عُلَماء البلاغة فَيَكُون المُتكلِّم يتحدّث عَنْ موضوع ما ثُمَّ يُحَوِّل خطابه أو حديثه إلى أو عَنْ موضوع أو شخص آخر، فَيُقَال لَهُ: ـ إِنَّهُ التفت فِي كلامه مِنْ موضوع إلى آخر، أو مِنْ شخص إلى آخر فكأَنَّه أدار وجهه أو كلامه مِنْ

جهة إلى أُخْرَى، وَمِنْ شخص إلى آخر، وَقَدْ بحثنا قَاعِدَة الالتفات فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى الُمحكمات فضلاً عَنْ الُمتشابهات فلاحظ ذَلِكَ.

ولا يخفى أنَّ أُسلوب الالتفات قَدْ يُرْتكب فِي أبعاض الجملة الواحِدَة فيُقصد مِنْ كلمة وَصْف شخص، ثمَّ يُقصدُ مِنْ كلمة الوصف الثَّانِي شخص آخر، وَمِنْ كلمة الوصف الثَّانِي شخص ثالث وهلم جرّا.

ولا يخفى أنَّ قَاعِدَة الالتفات نحو مِنْ أسلوب الإشارة والتلويح الخفي فِي البين، وَهَذَا ممّا ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ الُمفَسِّرين وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجودة عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام، وغابت عنهم، كُلّ ذَلِكَ بسبب اعتمادهم عَلَى روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَمْ يحققوها ويمحصوها بأنفسهم، كَمَا غابت الحقيقة عَنْ مُفسري الطرف الآخر.

والخلاصة: مِنْ كُلّ هَذَا سيتّضح جليّاً فِي أسباب النُّزول حسب منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ لا وحدة أسباب ولا وحدة سياق فِي البين، وَهَذَا مما ترك أثراً سلبياً عَلَى كثير مِنْ مُفسّري الخاصّة وضيَّعَ عليهم الكثير مِنْ حقائق التفسير الموجودة عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام.

الترتيب داخل الآية الواحدة

فضلا عن الآيات داخل السورة فضلا عن السورة فيما بينها ليس كما أنزل

برهان على عدم التعويل على وحدة سياق الآية الواحدة فضلا عن وحدة السياق في الآيات في السورة الواحدة

وَهَذَا أحد أسباب تعدّد أسباب نزول لأبعاض الآية الواحدة، وَقَاعِدَة ترتيب الآيات القرآنية، كَمَا سيأتي بحثها فِي محلّها المُناسِب فِي مبحث القراءات ـ إنْ شاء الله ـ إلَّا أَنَّهُ نشير وبوجازة لهذه القَاعِدَة لحاجتنا إليها فِي مقامنا فَإِنَّ الغفلة عَنْ بيان قَاعِدَة ترتيب السّور والآيات بَلْ الترتيب فِي الآية الواحد فِي القُرآن الكريم أوْقَعْت جُلَّ المُفَسِّرين وَمِنْ الفريقين، سواء فِي فقه الفروع ـ آيات الأحكام ـ أو فِي فقه العقائد أو التفسير أو غيرها فِي التباسات عديدة وشديدة، وَعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدَة أمر فِي غاية الأهميّة لأنَّها فِي التباسات عديدة وشديدة، وَعَلَيْهِ فبيان هَذِهِ القَاعِدَة أمر فِي غاية الأهميّة لأنَّها دخيلة فِي تركيب ظهور الآيات والسّور، فإنَّها بمثابة حلقات السلسلة والمسلسل فبدلاً أنْ تبدأ مِنْ حلقة رقم واحد ابتدأ مِنْ النّهاية إلى البداية ـ أيّ بالعكس ـ أو مِنْ الوسط إلى البداية، فحينئذٍ

إِذَا فُقِدَ الترتيب وَلَمْ تسلكه سوف تكون الصورة أمامك مرتبكة وفوضى فِي الملفات، فَإِنَّ سور القُرآن الكريم الـ «١١٤» سوره وآياتها أكثر مِنْ ستة آلاف آية إِذَا لَمْ ترتبها لا تستطيع أنْ تخرج ببناء سليم وقويم، وَعَلَيْهِ فالترتيب أمر خطير ومهم ولا يمكن التفريط والتّساهل به، وكأنَّما أصل الاستفادة مِنْ شيء مرهون بتركيبه وترتيبه الصحيح النظم والنظم فِي شيء أمر مهم.

إنَّ أحد أهم الأُمُور الأساسيّة فِي تركيب مشاهد القُرآن الكريم بترتيب آيات السُّور والسُّور فيما بينها هُوَ تاريخ أسباب النُّزول، وَهَذَا ممّا أكَّده أمير المؤمنينعليه السلام فِي حواريات عِدَّة مَعَ أصحابه وأطراف أُخْرَى يتحدون فِي معرفة أسباب النُّزول مَعَ جهلهم بها فيقول لهم أمير المؤمنينعليه السلام ما معناه ومضمونه «**إِذَا كنتم تجهلون أسباب النُّزول كيف يمكنكم معرفة ترتيب القُرآن وإذا كُنتم تجهلون ترتيب وتركيب القُرآن كيف يمكن أنْ تفهموا النّاسخ مِنْ المنسوخ والعام مِنْ الخاص وغيرها**».

وبعبارة أُخْرَى: كيف تصلون إلى معرفة أقسام الظهور؟ وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أحد المفاتيح الأساسية الأولى فِي أقسام بحوث الدلالة والظهور فِي القُرآن الكريم هِيَ مسألة ترتيب الآيات والسّور، وَهَذَا الترتيب للآيات والسور وليدٌ ومعلول لمعرفة تاريخ أسباب النُّزول.

ليس المراد من ترتيب السور ترتيبها حسب ما أنزل

هُنَاك أمرٌ مُتّفق عَلَيْهِ بين الفريقين مِنْ المسلمين، وَهَذَا الاتّفاق يعطينا دليل آخر عَلَى أهميّة البحث فِي تاريخ قَاعدِة أسباب النُّزول وتوثيقها وتريب آيات القُرآن ألا وَهُوَ أنْ ترتيب سور القُرآن لَيْسَ حسب ما أنزل، وَهَذَا ممّا لا يمكن أنْ ينكره مكابر؛ لأنّنا نلاحظ السُّور المدنية متقدِّمة فِي المصحف الشريف والسور المكيّة متأخّرة مَعَ أَنَّهُ بحسب أسباب النُّزول يُفترض أنْ يَكُون موقع السُّور المكيّة قبل السُّور المدنية، بَلْ حَتّى المدنية لَمْ ترتّب فِي المصحف الشريف حسب أسباب النُّزول، فمثلاً سورة المائدة هِيَ مِنْ أواخر السُّور نزولاً، بحسب ما رواه العيّاشي عَنْ أبي جعفر عليه السلام، قَالَ: «**قَالَ عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام نزلت سورة المائدة قبل أنْ يقبض النَّبيّ صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثة**»[1].

وسورة الأنفال مِنْ أوائل السُّور نزولاً تقريباً ـ لا أوّل السُّور ـ عِنْدَ أكثر المُفَسِّرين مَعَ أنَّ التّرتيب الذي عَلَيْهِ القُرآن هُوَ أنَّ سورة المائدة تسبق الأنفال، وهكذا الحال بين سورتي الأنفال والتوبة ـ الَّتِي تسمّى البراءة ـ

---

(١) تفسير العيّاشي: سورة المائدة.

وسيأتي فِي مبحث مُستقل أسماء السُّور أسماء السور وأنَّ السورة الواحدة لها أكثر مِنْ اسم، فَإِنَّهُ سورة التّوبة هِيَ مِنْ أواخر السور المدنيّة نزولاً، بينما سور الأنفال مِنْ أوائل السور المدنية نزولاً، ولو لاحظنا ترتيب سور المصحف لوجدنا أنَّ سورة التّوبة تعقب الأنفال مُبَاشَرَة مَعَ أنَّ الفاصل الزمني بين نزوليهما كبير.

وهكذا الحال بالنسبة للآيات الناسخة والمنسوخة فالمفروض وبحسب الترتيب وأسباب النُّزول تتقدم الآية المنسوخة عَلَى الآية النّاسخة، مَعَ أَنَّهُ نجد فِي كثير مِنْ السور. تَقَدَّمَ ذكر الآية النَّاسخة والمنسوخة، وَهَذَا يُخالف مورد نزولها، وبالتالي فَإِنَّ مِنْ عدم التّرتيب هَذَا بتقديم المُتأخّر نزولاً عَلَى المُتقدّم نزولاً تتشكل لدى الباحث فِي التفسير أو الفِقْه أو العقائد أو فِي أيّ مجال صوراً غَيْر واضحة فِي مادّة بحثه، وَعَلَيْهِ فكيف يتسنّى للباحث الكريم أنْ يقرأ سيرة النَّبيّ ﷺ وكيف تطوّرت وتدرّجت وتكاملت وتسلسلت وأنَّ هُنَاكَ آيات قُرآنية ناسخة ومنسوخة وعام وخاص ومُطلق ومُقيَّد ومبين ومجمل و... الخ.

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ للباحث الكريم مِنْ إحكام وضبط تأريخ أسباب النُّزول، وَإِلَّا لَمْ يضبط المُفَسِّر والباحث مفاد آيات وسور القُرآن الركيم وتفسيرها؛ ولذا إذَا أردت أنْ تجعل الصورة واضحة أمام القارئ الكريم للمصحف الشريف سواء مِنْ عامّة النَّاس أو كَانَ باحثاً فِي بَعْض المعارف فَلابُدَّ مِنْ الإتيان بحلقات الآيات والسور متتابعةً ومتسلسلةً حسب تاريخ

نزولها كي لا يحصل التشويش بالمشهد المعرفي القرآني، وَإلَّا كيف تكون الصورة واضحة أمام الباحث الكريم وَأَنْتَ تأتي بها مشوّشة وَلَمْ تلتزم بالإتيان بحلقات السلسلة متراتبة، فَإِنَّ المشروط وَهُوَ وضوح الصورة عَدَم عِنْدَ عدم شرطه وَهُوَ الإتيان بها متسلسلة ومتوالية حسب تاريخ نزولها.

وَعَلَى أيّ حال فإنْ ترتيب آيات القُرآن وسوره لَيْسَ حسب تاريخ نزولها لا ينكره أحدٌ ومُتّفق عَلَيْهِ مِنْ قبل المسلمين جميعاً مِنْ كلا الطرفين.

فَإِنَّهُ وَمِنْ دون معرفة التّرتيب بين أسباب نزول الآيات والسور لا تتشكل ظهورات كاملة وصحيحة لدى المُفَسِّر والباحث حَتّى يستطيع أنْ يقرا مِنْ خلالها الحدث والواقعة والموقف و ... الخ

فمثلاً لو أراد البَّاحث الكريم أنْ يخرج بصورة كاملة عَنْ موقف القُرآن الكريم عَنْ الشعوب الكافرة وسائر المجتمعات الأُخْرَى، وتحديد صورة النِّظام العالمي الموحَّد الذي يريد القُرآن أنْ يقيمه ويُظهره عَلَى الدِّين كُلِّهُ، هل هِيَ أسلمت النظام العالمي بالعدل وأسلمت الأنظمة السياسية بالعدل كَذَلِكَ، أم الغاية أسلمتْ عقيدةُ الأفراد، فهل يدعو القُرآن إلى سفك دمائهم حَتّى يقولوا لا إله إلَّا الله؟ أو أنَّ هُنَاكَ شيء آخر بأنْ يدعو إلى محاربة المُعتدي عَنْ طريق تشريع أُمُور للحدّ مِنْ تحركاته العدوانية وعتوّه تمدده كتشريع الجهاد الابتدائي الذي يعني الحرب الاستباقيّة لِـمَنْ هُوَ عدواني ويريد أنْ يَعُدَّ العُدَّة ويشنّ الحرب عَلَى البُلدان والمُجتمعات الإسّلاميَّة، لا بمعنى أنَّ الجهاد الابتدائي هُوَ قهر غَيْر المسلم حَتّى يقول لا

إله إلَّا الله مُحمَّد رسول الله ﷺ فَإنَّ مثل هَذَا قطعاً لَيْسَ مراداً للشّارع المُقدّس لِأنَّ هَذَا فيه إلجاء فِي العقيدة.

فنجد أنَّ الآيات الواردة فِي الجهاد مبثوثة ومتوزّعة فِي عِدَّة سور قرآنية إلَّا أنَّ الباحث الكريم لَمْ تكن لديه صورة واضحة حول آيات الجهاد الابتدائي أيُّهَا أولاً لها نزولها وأيها آخرها نزولاً، وكم يستعلم المُفَسِّر الكريم موقف القُرآن الكريم مِنْ حققة وغاية الجهاد الابتدائي أيّ حقيقة ما يرسمه ويبيّنه القُرآن الكريم مِنْ علاقة بين المسلمين والمُجتمعات الأُخْرَى.

ولذا أحد الأشياء الَّتِي حَذَّر مِنْهَا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وَالَّتِي تُسبب الضلال والإظلال والتيه والالتباس هُوَ التمسّك بالآيات القرآنية مِنْ دون معرفة تاريخ أسباب النُّزول أو أيُّهَا ناسخ وأيها منسوخ وأيها المتقدم وأيها المتأخر، وكيف تحدد مصير بشر يعيش عَلَى كوكب الأرض مِنْ خلال آيات القُرآن الكريم؛ وَذَلِكَ مِنْ خلال ما رواه النعماني فِي كتابه تفسير القُرآن .. عَنْ إسماعيل بن جابر، قَالَ سمعت أبا عبدالله جعفر بن مُحمَّد الصادق عليهما السلام: «**واعلموا رحمكم الله أَنَّهُ مَنْ لَمْ يعرف مِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ النّاسخ مِنْ المنسوخ والخاص مِنْ العام والمحكم مِنْ المتشابه والرخص مِنْ العزائم، والمكّي والمدني وأسباب التنزيل، والمبهم مِنْ القُرآن فِي ألفاظه المنقطعة والمؤلفة ... والتقديم والتأخير، والمبين والعميق والظاهر والباطنة ... وَمَعْنَى حلالِه وحرامه الذي هلك فيه الملحدون ... فَلَيْسَ عالم بالقرآن، ولا هُوَ مِنْ أهله، ومتى ادّعى معرفة هَذِهِ الأقسام مُدَّعٍ**

بغير دليل فَهوى ذب مرتاب مُفتَرٍ عَلَى الله الكذب ورسوله ومأواه جهنَّم وبئس المصير»[١].

وهكذا لا يمكنك أَيُّهَا الباحث وَالْمُفَسِّر الكريم معرفة نظام القُرآن الكريم تِّجاه العلاقة الدوليّة وكيفيّة تحديدها ولا يمكن التمسّك به مِنْ دون معرفة نظم وترتيب أسباب نزول الآيات القُرآنيّة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ ارتباط قَاعِدَة أسباب النُّزول بقاعدة ترتيب السور والآيات مصيريّةٌ فِي تفسير القُرآن فَإِنَّ الفقيه يترجل والْمُتكَلِّم يتبلبل إِذَا لَمْ يحلّ هَذِهِ المشكلة وَهُوَ معرفة ترتيب أسباب النُّزول، فمثلاً قوله تَعَالَى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨﴾[٢] أليس هُوَ مرتبط بقوله تَعَالَى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٣] كَمَا أَنَّهُ وَرَدَ أَنَّهُ كلا الآيتين نزلتا فِي شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ۝١١١﴾[٤] الذي احتجّ به الإمام الحسن بن علي عليه السلام عَلَى معاوية بن أبي سفيان ـ أيّ متعناهم سنين ، ﴿ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦﴾. ما أغنى عنهم ما

---

(١) عن تفسير النعماني المعروف بتفسير الشريف الرضي، وهو ليس كذلك؛ النعماني عنه؛ بحار الأنوار: ج٩٠، ص٤ ب١٢٨ من أبواب ما ورد في أصناف آيات للقرآن.

(٢) سورة الإنسان: الآية ٨.

(٣) سورة الحشر: الآية ٩.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١١.

كانوا يمنعون[١].

فمثلاً هُنَاك شبهات أخلاقية تثار فِي فلسفة القُرآن الكريم فمثلاً بَعْض آيات القُرآن، تقول: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ كيف نجمعها مَعَ الآية المُبارَكَة ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

وبالتالي كيف يمكن للباحث الكريم أنْ يحلّ المشاكل فِي الاستظهارات فِي النظام الأخلاقي فِي القُرآن، وَهَذَا الباحث الكريم فِي علم العرفان كيف يمكنه حلّ الاستظهارات العرفانية فِي القُرآن الكريم، وكذلك الفيلسوف بالنسبة إلى الاستظهارات الفلسفيّة مِنْ الآيات المرتبطة بها يتوخونه مِنْ أبحاث.

إنَّ السبيل الوحيد للتّخلص مِنْ كُلّ هَذِهِ المشاكل هُوَ معرفة قَاعِدَة الترتيب بين آيات وسور القُرآن وَقَاعِدَة تأريخ أسباب النُّزول، وبالتالي يتبيِّن العام مِنْ الخاص والناسخ مِنْ المنسوخ، والمطلق مِنْ المقيّد، والمجمل مِنْ المبين ... الخ.

تنبيه: سيأتي إنْ شاء الله تَعَالَى ـ فِي بحث قَاعِدَة القراءات القرآنية بحث قَاعِدَة حفظ وصيانة القُرآن عَنْ التحريف، وسنتطرق فِي كلتا القاعدتين إلى بحث ترتيب السور وتركيب آياتها وَهُوَ مِنْ المباحث الهامّة والخطيرة والحساسة جداً وَالَّتِي يغفل عنها وللأسف ـ الكثير مِنْ الْمُفَسِّرِين

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ج١، ص٤١٩.

لخطورة تأثير ترتيب السور وتركيب آياتها وفي هَذَا المجال أجمع مفسرو المسلمين مِنْ العامّة والخاصّة ـ السنة والشيعة ـ عَلَى أنَّ ترتيب السور وتركيب آياتها ليست مرتبة حسب تأريخ نزولها المكّيّة ثمَّ المدنيّة والأسبق فالأسبق، فمثلاً فِي سورة الأنفال ذكرت غزوة بدر، وَمِنْ المعلوم تأريخياً أنَّ غزوة بدر وقعت فِي أوائل هجرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي السنة الثَّانية للهجرة فِي المدينة، بينما لو رجعنا إلى ترتيب سور القُرآن الكريم لوجدنا سورة المائدة مثلاً فِي أواخر حياة النَّبيّ صلى الله عليه وآله عَلَى ما نقله العيّاشي رحمه الله بإسناده عَنْ الإمام الباقر قَالَ: «**قَالَ عليٌّ بن أبي طالب نزلت سورة المائدة قبل أنْ يُقبض النَّبيّ صلى الله عليه وآله بشهرين أو ثلاثة**»(١) مقدمةً عَلَى سورة الأنفال، وهكذا.

ولذا مبحث أسباب النُّزول ترتيبه مِنْ المباحث الخطيرة، فَإنَّ مَنْ يجهله لا يستطيع أنْ يقرأ بدقة ما فِي القُرآن مِنْ أحداث ووقائع مُتكاملة، بَلْ تبقى عنده الصُّورة فيها تشويش وضبابيّة، ولذا تحدّى أمير المؤمنين كُلّ المسلمين والصحابة أَنَّهُ لَيْسَ هُنَا مَنْ أعلم منّي بالقرآن فِي موارد مُتعدّدة مِنْ خطبة وأقواله مِنْهَا:ـ

عَنْ سليمان الأعمش عَنْ أبيه قَالَ عليٌّ ما نزلت آية إلّا وأنا علمتُ فيمن نزلت وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً طِلْقاً(٢).

---

(١) تفسير العيّاشي: سورة المائدة.

(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٢٨، ح٩؛ البرهان في تفسير القرآن هاشم البحراني: ج١، ص٤٢، ح٢٤.

وَعَنْ الأصبغ بن نُباتة، قَالَ: لما قدم أميرُ المؤمنين الكوفة ... فَقَالَ: **«ويل لهم إنِّي لأعرف ناسخه مِنْ منسوخه ومحكمه مِنْ متشابهه، وفَصْلَه مِنْ فصاله، وحروفَه مِنْ معانيه، والله ما مِنْ حرف نزل عَلَى مُحَمَّدﷺ إلَّا وأنا أعرف فيمن نزل، وفي أيّ يَوْم وفي أيّ موضع ... ويل لهم والله أنا الذي أنزل الله فيَّ ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ فَإنَّما كُنَّا عِنْدَ رسول اللهﷺ فيُخبِرنا بالوحي فأعيه أنا وَمَنْ يعيه، فإذا خرجنا قالوا: ماذا قَالَ آنفاً؟»**[1].

عَنْ سلم بن قيس الهلالي، قَالَ: سمعت أمير المؤمنينعليه السلام، يقول: **«ما نزلت آيةٌ عَلَى رسول اللهﷺ إلَّا أقرأنيها، وأملاها عليّ، فأكتبُها بخطي، وعلّمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لي أنْ يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيتُ آية مِنْ كتاب الله، ولا علماً أملاه عليَّ فكتبه مُنْذُ دعا لي بما دعا، وما ترك شيئاً علّمه الله مِنْ حلالٍ ولا حرامٍ، ولا أمر ولا نهيٍ كَانَ أو لا يَكُون، مِنْ طاعةٍ أو معصيةٍ، إلَّا علّمنيه وحفظته، فَلَمْ أنسَ مِنْهُ حرفاً واحداً، ثمَّ وضع يده عَلَى صدري، ودعا الله أنْ يملأ قلبي عِلْماً وفَهْماً وحكمةً ونوراً، وَلَمْ أنسَ شيئاً وَلَمْ يَفُتْني شيئاً لَمْ أكتبه فقلت يا رسول الله أَوَتخوَّفتَ عليَّ النسيان فيما بَعْدَ؟ فَقَالَ: لستُ أتخوف عليك نسياناً ولا جهلاً، وَقَدْ أخبرني ربّي أَنَّهُ قَدْ استجاب لي فيك، وفي شركائك الَّذِيْنَ يكونون بَعْدَك ... الخ»**[2].

---

(١) المصدر السابق: ص٩٠، ح١، باب علم الأئمةعليهم السلام بالتأويل عن بصائر الدرجات.

(٢) المصدر السابق: ص٩٢، ح٢.

التاريخ وطمس وتحريف الوقائع

وتأثيره فِي معرفة أسباب النزول وتفسير القرآن

إنَّ المشكلة الأساسيّة فِي المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيتعليهم السلام هِيَ أنَّها مدارس تابعة للسّلطة بَعْدَ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله إلى يومنا هَذَا ويعتبرون ويتعاملون مَعَ أسباب النُّزول أنَّها ذَاتَ طابع تأريخي، وإذا كَانَتْ تعامل معاملة التأريخ فينبغي توخّي أقصى درجات الحذر والانتباه فِي التعالم معها والأخذ عنها؛ لأنَّها بثمابة التعامل مَعَ مصادر التأريخ وموادّه لتيار السّلطة الحاكمة والدولة أثرها عَلَيْهِ دون المضطهدين والمستضعفين؛ وَذَلِكَ لِأنَّ السلطة الحاكمة فِي كُلّ زمان تحاول أنْ تكتب التأريخ بما يتلائم ومصلحة النظام الحاكم، وَمِنْ الواضح أنَّ مثل هكذا أمر فيه ما فيه مِنْ طمس للحقائق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ توخّي الحذر حين التعامل معه كَذَلِكَ إذَا صُبغت أسباب النُّزول بصبغة تأريخية يُخاف عَلَيْهَا ما يُخاف مِنْ التأريخ وما فيه مِنْ تزييف للحقائق عَلَى يَدِّ وعّاظ السلاطين ومفسريهم.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أننا نُريد أنْ نسلب التأريخية عَنْ أسباب النُّزول مِنْ جميع الزوايا كلا، فإنّنا لا ننكر الجنبة والزاوية التأريخية، فَهَذَا مِنْ زاوية

صحيح ويجب أنْ يَكُون التعاطي معها بموازين دقيقة، وفي نفس الوقت ينبغي الالتفات إلى أنَّ التعامل مَعَ أسباب النُّزول لَيْسَ كُلَّهُ مبنياً عَلَى أساس تأريخي وَإلَّا فَالقُرآن خالد بخلود البشر، بَلْ خالد بخلود عوالم خلقة الله عَزَّ وَجَلَّ حَتّى فِي عالم البرزخ والآخرة ... الخ.

وسبب التخوّف والحذر مِنْ التعامل مَعَ التأريخ يعود إلى أنَّ الكثير مِنْ الوقائع والحوادث التأريخية تُلوعب فيها إلى ما شاء الله وطُمِستْ أو حُرِّفت رغم أنَّها كَانَتْ بمشهد الألوف المُؤلّفة مِنْ البشر، فما ظنَّك بأحداث ووقائع وحقائق يُشكِّل التأريخُ بعضَ زواياها، وحدثت أمامَ قلائل مِنْ البشر وَلَمْ يشهدها الألوف ولا المئات ولا العشرات مِنْ البشر، كيف ترجو لتلك الأحداث أنْ تحفظ وتُصان، كَمَا فِي بَعْض حروب وغزوات ومعارك النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَالَّتِي هِيَ مثال حيٌّ فِي أسباب النُّزول.

تأثير أسباب النزول

على الآيات المتصلة بالعقيدة وغيرها:

إنَّ تأثير آيات النُّزول فِي تفسير الآيات المُتّصلة بالعقيدة وبأسس الفِقْه السياسي والاجتماعي والتربوي و .. الخ لها أثرها البالغ كَمَا فِي واقعة أُحُد الَّتِي نزلت فيها أكثر مِنْ أربعين آية فِي سورة آل عمران:

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ

ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾...﴾[1].

وما بعدها.

وهكذا غزوة بدر قبلها ـ أيّ قبل أحد ـ تعرَّض القُرآن فِي آيات عديدة فِي سور مُختَلِفَة مثل ما جاء فِي سور آل عمران، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[2] وقوله تعالَى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ ...﴾[3]، وقوله تعالَى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾[4].

وهكذا الآيات القرآنية النازلة فِي واقعة الخندق كقوله تعالَى: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٣٨ ـ ١٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣.

(٣) سورة الأنفال: الآية ٤٣.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٥ ـ ٨.

ٱلْحَنَاجِرَ...﴾[١].

وقوله تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا...﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ﴾[٣].

وغزوة تبوك إذْ نزل فيها آيات مِنْهَا: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾[٤].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا...﴾[٥].

وقوله تَعَالَى: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ﴾[٦].

وغيرها مِنْ الآيات الَّتِي نزلت فِي سائر فتوحات وغزوات النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين مِنْ فتح خيبر وَمَكَّة واليمن وغيرها.

كَمَا وأنَّ هُنَاكَ فتوحات حصلت فِي عهد الخليفة الأوَّل والثاني والثالث والمعروف نسبة تلك الفتوحات إليهم كُلٌّ فِي زمنه، بينما هُنَاكَ كلام لأمير

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ١٠.
(٢) سورة النور: الآية ٦٤.
(٣) سورة النور: الآية ٦٢.
(٤) سورة التوبة: الآية ٨١.
(٥) سورة التوبة: الآية ٤٩.
(٦) سورة التوبة: الآية ٦٥.

المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فِي نهج البلاغة يرويه ابن أبي الحديد المُعتزلي ـ وَهُوَ مِنْ كبار عُلَمَاء السُّنة فِي شرحه لنهج البلاغة «... **ثمَّ نسبت تلك الفتوح إلى آراء ولاتها وحُسْن تدبير الأمراء القائمين بها، فتأكَّد عِنْدَ الناس نباهة قوم وخمول آخرين فكنّا نَحْنُ ممّن خَمُلِ ذكرهُ وخبت نارُه وانقطع صوته وصيته حَتّى أكل الدهر علينا وشرب ومضت السنون والأحقاب بما فيها، ومات كثير ممّن يعرف ونشأ كثير ممّن لا يَعْرِف ... الخ**»[1].

وَقَدْ جاء عِدَّة نصوص تأريخية فِي ذَلِكَ:

مِنْهَا: ما قاله أبو بكر لعمر عِنْدَمَا فشل الجيش الذي بعثه أبو بكر لقتال كِندة وَلَمْ يفلح المدد أيضاً فاضطرب لذلك أبو بكر، وَقَالَ: «إنِّي عزمت عَلَى أنْ أوجّه إلى هؤلاء علي بن أبي طالب؛ فَإِنَّهُ عَدْلُ رضا عِنْدَ أكثر النَّاس لفضله وشجاعته وقرابته وعلمه وفهمه ورفقه بما يحاول مِنْ الأمور»[2].

بتقريب: إنَّ تلك التفوحات كُلَّهَا كَانَتْ إدارتها وتدبيرها بيد أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وسواء كَانَ هَذَا النصّ الذي ذكرنا قبل قليل فِي كلام ابي بكر أو عمر أو عثمان، فَإِنَّهُ بالتّالي يكشف النقاب عَنْ دور علي ومكانته فِي نفسية وقلوب المسلمين وسائر القبائل المُتمرّدة عَلَى استخلاف

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي، ج٢٠، ص٢٩٨ ـ ٢٩٩؛ غرر الحكم/ ٤١٤؛ وأيضاً عنه استشهد به الشيخ محمد السند في كتابه الصحابة بين العدالة والعصمة: ص٣٥٨ ـ ٣٧٥.

(٢) ذكره الشيخ محمد السند في كتابه الصحابة بين العدالة والعصمة: ص٣٧٧.

أبي بكر، كَمَا فِي إقرار واعتراف مِنْ نفس أبي بكر بالإحْكام فِي تدبير عليعليه السلام للأمور.

إنْ كُنّا لا ننسى العملاق الأكبر الذي بنى أصل صرح الدولة الإسّلاميَّة وَهُوَ رسول اللهصلى الله عليه وآله مَعَ يد وسيف عليعليه السلام لِأنَّ النَّبِيّ الأكرمصلى الله عليه وآله هُوَ الذي ربّى وبنى علياً، وبنى الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله بعلي الإسلام، وفي هَذَا الحديث كفاية وغنى عَنْ باقي الأحاديث والاستشهاد بكلام الصحابة وغيرهم فِي الاستنجاد بعلي ابن أبي طالبعليه السلام، وقت المُلمّات والمواقف المصيرية العَسِيرة، وَهُنَاك شواهد مِنْ كتب التأريخ وَالسِّيرة عِنْدَ جمهور العامّة تشتمل عَلَى قصاصات كثيرة شاهدة عَلَى ذَلِكَ، وَقَدْ جمعناها فِي كتابنا الصحابة بين العدالة والعصمة، وقام بجمع شواهد أُخْرَى بَعْض الباحثين أيضاً كَمَا أَنَّهُ وقفنا عَلَى كثير مِنْ الشواهد الأُخْرَى زيادةً عَلَى ذَلِكَ سواء فِي الفتوحات الإسّلاميَّة الَّتِي حدثت فِي زمن الخلفاء الثلاث أو فِي عهد بني أميّة وبني العباس مِنْ الأدوار الَّتِي قام بها بَقيَّة أئمة أهل البيتعليهم السلام.

ولذا مِنْ الخطأ أنْ يُقرأ التأريخ قراءة سطحيّة ساذجة بَلْ لأبُدَّ مِنْ قراءته بقراءة علميّة وبفن العلم والحس الأمني و الجنائي وعلم التحقيقات و ...الخ.

وسبب كُلّ هَذَا الفحص والتدقيق والتمحيص؛ لِأنَّ التأريخ اشتمل عَلَى مدلهمات وظلمات وشبكات تآمريّة ضدّ البشريّة جمعاء والإسلام والمسلمين خاصّة، وتكتلات لا تَرى إلَّا المصالح الكسبيّة والنفعيّة الخاصّة

بها ولا تنظر هَذِهِ التكتلات إلى التأريخ إلّا مِنْ طرف وجهة واحدة وَهُوَ ما يصبّ بخدمة ومصلحة النظام الطاغوتي الحاكم وإلقاء التعتيم الإعلامي عَلَى كُلّ مَنْ خالفهم، ولذا وجدنا كيف كُتِبَ التأريخ فِي العصر الاموي والمرواني والعباسي و ... الخ، ويذلوا الأموال الطائلة والهائلة فِي سبيل التعتيم الإعلامي والصحفي والكتبي عَلَى كُلّ منقبة قالها النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي حقّ عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام والتسعة المعصومين عليهم السلام.

ولذا أعطى وأولى القُرآن الكريم عنايةً خاصّة بحياة النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ووثّقها وأصّلها حَتّى لا تُغيّر ولا تُطمس، ولذا مِنْ الضروري جداً التعرُّف عَلَى المهام العظيمة فِي تفسير القُرآن الذي هُوَ المصدر الأوّل فِي المعرفة الدِّينيّة والتفقّه فِي الدِّين، فَإنَّ معرفة الآيات والسُّور النازلة والمرتبطة بغزوات وحروب النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ومشاهد أحداث سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لها بالغ الخطورة فِي فَهُمْ الإسلام وسيرة النَّبِيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتفسير آيات القُرآن.

ولذا لا نستطيع قراءة التأريخ بقراءة ساذجة بسيطة أنْ تفطن إلى كشف مثل هكذا أُمُور، بَلْ يفوتَ الكثير الكثير.

فها هُوَ التأريخ يحاول ـ وحاوَل أنْ يَطْمِس حقائق وقعت وأمام المئات أو الآلاف مِنْ البشر مثل حقيقة واقعة الغدير الَّتِي وقعت أمام مرأى ومسمع أكثر مِنْ (١٠٠) مئة ألف مسلم وَمَعَ ذَلِكَ عمدوا إلى التّحاكم بمبدأ نظريّة الشورى والمدرسة السقيفية وحاولوا خلط الأوراق وَلَمْ يفلحوا فِي ذَلِكَ.

وهكذا مواقف أمير المؤمنين عليه السلام فِي معركة أُحد وكيفية هزيمة المشركين، وتقدم ذكر الآيات الدَّالَّة عَلَيْهَا وَهِيَ أكثر مِنْ أربعين آية فِي سورة آل عمران تعرضت وبشكل تفصيلي إلى واقعة أُحُد، ولكن ـ وللأسف ـ انظر وقارن بين ما كُتِبَ فِي كتب تواريخهم ـ العامّة ـ وكيف صوروا الواقعة بشكل منكوس ومقلوب الحقيقة كَمَا فِي تاريخ الطبري وابن الأثير، والمغازي للواقدي، وكتب السِيَر وغيرها، وبين ما كشف القناع عَنْهُ أهل البيت عليهم السلام بشواهد وحقائق دامغة ستجد بوناً واسعاً وطمساً للوقائع والحقائق بحسب ما يتماشى ومصلحة النّظام المُتسلّط فِي وقته.

التحريف فِي واقعة أحد:

فمثلاً تسرد كتب العامّة التأريخية واقعة أُحُد مِنْ أَنَّها واقعة فِي بدايتها ظفر المسلمون بالمُشركين، إلَّا أنَّ المسلمين اشتغلوا بالغنائم وأنَّ الرُّماة عَلَى جبل أُحُد عصوا وخالفوا أمر الرَّسول صلى الله عليه وآله وَلَمْ يغادروا الجبل، فنزلوا للغنائم عدا رئيس الرُّماة وقلائل مِنْ المسلمين بقوا عَلَى طاعة الرسول وَلَمْ يُغادروا الجبل، فاستغل هَذَا الموقف خالد بن الوليد وأتى بكتيبة مدجّجة بالسّلاح وأغار عَلَى المسلمين مِنْ خلفهم وَمِنْ وراء الجبل وقتلهم ورشقوا النَّبِيّ صلى الله عليه وآله بالحجارة واثقلوه بالجراحات فشجّوا وجهه وكسروا رباعيته فانعكس الأمر مِنْ ظفر ونصر المسلمين إلى ظفر ونصر المشركين، وَهُنَا حصل ما حصل عِنْدَ بَعْض عليّة الصحابة المُجتمعين عِنْدَ صخرة الجبل وراودهم الرجوع إلى دين الأوائل وما كانوا عَلَيْهِ مِنْ الشّرك بالله العظيم وعبادة الأصنام والأوثان؛ ولذا وصفهم القُرآن الكريم بقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا

﴿مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾[١].

وهكذا تنقل مصادر العامّة التأريخية فِي واقعة أُحُد أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ لأحد المسلمين انظر إلى قريش فإنْ ركبوا الخفاف ـ يعني الجمال ـ فلن يغيروا عَلَى المدينة؛ لِأنَّ الجمال تركب لأجل السفر، وإنْ ركبوا الحوافر ـ يعني الخيل أيّ الفرس ـ فسيُغيرون عَلَى المدينة ينتهبونها ويسبون نساءها وأموالها، وجاء البشير إلى رسول الله ﷺ يُبشِّره بأنَّ قريشاً ركبت الخفاف، فَقَالَ رسول الله ﷺ إذَنْ لن يغيروا عَلَى المدينة وذهبوا و ... الخ.

هَذَا هُوَ تصوير تأريخ العامّة لواقعة أُحُد، وغيّبوا وحذفوا المشهد الأخير مِنْ واقعة أحد وعتموا عَلَيْهِ، وَهُوَ المشهد الذي تنقله مصادرنا وفيه موقف مُشرِّف لعلي بن أبي طالب عليه السلام وخزي وعار عَلَى بَعْض الصحابة الذي يعدّونه مِنْ عِليّة القوم ألا وَهُوَ الخليفة الثَّالِث الذي فرَّ وولّى هارباً مِنْ ساحة المعركة وذهب بها عريضة، وَلَمْ يرجع إلَّا بَعْدَ ثلاثة أيام وعيّروه بها وأنَّ كُلّ مَنْ فرَّ رجع بَعْدَ المعركة إلَّا أَنْتَ ... الخ.

ولذا تعمّدوا لطمس هَذَا المشهد الثَّالِث لِأنَّ فيه منقبة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، علماً أنَّ هَذَا المشهد وقع أمام أنظار المئات، بَلْ الآلاف مِنْ البشر، وَمَعَ ذَلِكَ بذلوا كُلّ ما بوسعهم لتغييبه عَنْ أصل واقعة أُحُد.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

تصوير المشهد الثالث من معركة أحد

في روايات أهل البيت عليهم السلام

إنَّ الآيات القُرآنيّة النَّازلة فِي غزوة أُحُد بِما يقرُب الـ (٦٠) ستين آية فِي سورة آل عمران[١] عدد لَيْسَ بالسهل فِي هكذا غزوة، وَهَذَا يُدَلل عَلَى أنَّها تَتَضَمَن الشيء الكثير مِنْ الدلالات والإشارات المُهِمَّة المطالب ترتبط بالمعارف وَمِنْهَا العقائد، والذي يهمنا الآن بحثه هُوَ ما يرتبط بمحل بحثنا ألا وَهُوَ مبحث أسباب النُّزول المرتبط بترتب الآيات وَأَنَّهُ كيف وقع التحريف والتزوير فِي أسباب النُّزول ممّا أدّى إلى الخروج باستنباطات واستظهارات ـ حَتّى لدى الخاصّة ـ فِي أبحاثهم التفسيريّة أو حَتّى فِي أبحاث الفِقْه السياسي أو الفِقْه الاعتقادي أو ... الخ مُلفَّقة يُزَرَّق ويُجَرَّع بها السذّج مِنْ الناس إلى أنْ قريشاً ربحت الغزوة وخرجت منتصرة، وأنَّ الْنَّبِيّ ﷺ خَسِرَ المعركة، وانكسر جيش المسلمين وظهرت شماتة اليهود حَتّى قالوا: «**لو كَانَ نبيّاً ما ظهروا عَلَيْهِ ولا أصيب مِنْهُ ما أُصيب حينما رَشِق العلو بالحجارة وجه رسول الله ﷺ فأثقلوه جُراحاً فشجّوا وجهه وكسروا رباعيته**» وأنَّ الرسول ﷺ كان

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢١ ـ ١٨٠.

يقول لأحد أصحابه بعدما انتصرت قريش، انظر: إنْ ركبت قريش الخف ـ يعني الجمال ـ فسيذهبون إلى مَكَّة، وإنْ ركبوا الحوافر فإنَّهم سوف يغزون المدينة فذهبَ وأتى بالبشارة وأنَّهم ركبوا الخِفَّ، ولولا أنَّ هُنَاكَ رجالاً مُخلصين نجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله، لقُضِيَ الأمر ولكنَّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كتب عَلَى نفسه نصر المؤمنين واعزاز رسول الله وتمكين دعوته، هكذا صوّر تأريخ العامّة غزوة أُحُد.

وأمَّا ما ذكرته روايات أهل البيت ـ عَلَى ما هُوَ الصحيح: أنَّ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وكذا أمير المؤمنين لَمْ يَفِرا مِنْ ساحة المعركة وأنَّهما صَمَدا مَعَ آحاد مِنْ خُلَّص أصحاب الرسول مِنْ دون أصحاب السقيفة، والرسول صلى الله عليه وآله مأمور بالثبات، وَلَمْ يَفِرّ صلى الله عليه وآله كَمَا فَرَّ الفارون، كيف وَالقُرآن يَذِم الَّذِيْنَ فرّوا وأنَّ الفرار مِنْ الزحف مِنْ الكبائر، وَعَلَيْهِ فكيف تدّعي مصادر العامّة أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله فرَّ وَهُوَ مأمور بالثبات بنصّ القُرآن حَتّى لو بقي وحده صلى الله عليه وآله واستشهد هُوَ وَمِنْ معه ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ٨٤﴾[1].

بتقريب: فِي رواية زيد الشَّحام عَنْ جعفر بن مُحَمَّد عليهما السلام، قَالَ: «... **وما لقي سَرِيّة مُذ نزلت ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ إلَّا ولي بنفسه**[2]» وأنَّ وظيفة رسول الله صلى الله عليه وآله تختلف عَنْ وظيفة باقي المسلمين فَهُوَ

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٤.

(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٢٣ ٤ ح٢١٤، عنه البحار: ج١٦ ص٣٤٠ ح٣٠.

مأمور بالجهاد والقتال حَتّى لو بقي وحده، وتحريض المؤمنين وحثّهم عَلَى القتال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1] حَيْثُ بلغ شهداء أُحُد (٤٩) تسعة وأربعون شهيداً بضمنهم عَمّ النَّبِيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ حمزة بن عبدالمطلب رضوان الله تَعَالَى عَلَيْهِ، وَلَمْ يبقَ فِي ساحة القتال إلّا النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وحوله أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي كَانَ قَدْ اختفى تحت فرسه وقريش المُدجّجة بالسلاح قَدْ أحاطت برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فاقتحمهم أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وعَمَد إلى رئيس الألوية وقدّه بالسيف نصفين فانفكت الحلقة الأُولى مِنْ مُسلحيّ قريش المُحيطة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذعراً وخوفاً، ولاحق أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أصحاب الأولوية واحداً تلو الآخر حَتّى قتلهم جميعاً وفرّت كُلّ قريش.

ولنا وقفة فيها عِدّة تساؤلات:

الأوّل: لو كَانَ ما تدّعيه المصادر التأريخية للعامّة مِنْ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فرَّ مِنْ ساحة القتال لما تَعَرَّضَ إليه مِنْ قبل عتاة قريش مِنْ الرمي بالحجارة وشجّوا وجهه وكسروا رباعيّته وَغَيْر ذَلِكَ مِنْ الأعمال الشنيعة، وَهَذَا دليل عَلَى بقائه هُوَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَعَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ وصمدوا إلى أنْ حققا النَّصر بإذن الله تَعَالَى.

---

(١) سورة الأنفال: الية ٦٥.

الثَّانِي: نسأل محقّقوا المصادر التأريخية للعامّة أين الفصل الثَّالِث ـ إنْ صَحَّ التعبير ـ مِنْ غزوة أُحُد وما هُوَ موقفكم مِنْهُ، وماذا جرى بَعْدَ هزيمة المسلمين، علماً أنَّ هَذَا الفصل قَدْ ذكرته وثبتته مصادر التأريخ الشيعية؟

الثَّالِث: بتغييبكم للفصل الثَّالِث مِنْ غزوة أُحُد ما الذي تريدون إيصاله إلى أجيال البشرية والمسلمين القادمة؟

الرَّابِع: لو تنزّلنا وسلّمنا أنَّ غزوة أُحُد حُسِمَت لصالح قريش، فلماذا.

أ) لَمْ يقوموا بغارة عَلَى أهل المدينة.

ب) لَمْ يسبوا نساءهم وذراريهم؛ لِأنَّ مِنْ عادة وطمع المنتصر وحرصه عَلَى أخذ الغنائم لا سيّما قريش، فهل اتّصفت ـ قريش بالنزاهة والمسامحة فِي هَذَا الموضع فَقَطْ، وَلَمْ يكن طبعهم ذاك المُتّصف بالغِلظة والسلب والنّهب والقتل؟

علماً أنَّ غزوة بدر لَمْ يَمْرُرْ عَلَيْهَا سوى سنة واحدة، وَالَّتِي انتصر فيها المسلمون عَلَى المشركين واستعادوا الحقوق المسلوبة، وَأيّ شبهة هَذِهِ عِنْدَ قريش، أو عِنْدَ الكفّار، أو عِنْدَ القبائل آنذاك فِي حروبها وغزواتها قبل الإسلام بأنَّ لا يسلبوا ولا يَسْبُوا النساء ولا يغنموا أصلاً؟! أم كَانَ واقعهم العكس وَهُوَ الصحيح، بأنْ كَانَ ديدنهم وَهُوَ الغنيمة بَعْدَ الظفر والسّلب والسّبي حَتّى بَعْدَ دخولهم الإسلام الحنيف، ويكفي شاهداً عَلَى ذَلِكَ ما فعلوه بكربلاء وبمعسكر الحسين عليه السلام مِنْ سلب الخيام وَمَنْ كَانَ فيها مِنْ

النِّسَاء والأطفال وحرقها، حَتّى عمدوا إلى سلب الخاتم الذي كَانَ بخنصر الحسين عليه السلام بَعْدَ استشهاده وَغَيْر ذَلِكَ، فكيف الآن بقريش بَعْدَمَا انتصرت انتصاراً صورياً مزعوماً وَلَمْ تسلب الأموال وَلَمْ تغنمها وَلَمْ تَسْب النساء، وَأَنَّها ترفَّعت شأناً!! كيف يُعقل كُلّ هَذَا وكيف ينطوي عَلَى ذوي الألباب والعقلاء.

جـ) ولو تنزّلنا وسلّمنا انتصار قريش وحسم المعركة لها كَمَا تذكرها مصادرهم ـ العامّة ـ التأريخيّة كتاب الطبري وسائر كتب السير عندهم، وأنَّ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله فرَّ فوق الجبل ـ والعياذ بالله ـ وهل هَذَا إلّا إزراءٌ برسول الله صلى الله عليه وآله؟!

وَمِنْ خلال الإجابة عَنْ هَذِهِ التساؤلات وغيرها يتّضح جليّاً أهميّة معرفة الباحث الكريم بأسباب النُّزول حلقة حلقة، وأنْ لا تفتقد حلقة واحدة مِنْهَا؛ لانه بفقدها واحدة مِنْهَا يحدث للباحث ما حدث فِي تدوين غزوة أُحُد كَمَا فعلت الأقلام المأجورة أتباع بني أميّة وبني العباس وغيرهما بتغييب وقطع هَذَا المقطع مِنْ مسلسل حلقات معركة أُحُد، لَيْسَ ذاك إلّا لأجل أنَّ فِيه منقبة بيان الدور الرئيسي والأساسي لرسول الله صلى الله عليه وآله ولأمير المؤمنين عليه السلام فِي حفظ الدِّين وحياة الرسالة دون الصحابة، وأنَّ النَّصر كَانَ معقوداً عَلَى ساعد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وَهَذَا شيءٌ لَمْ يُرق ذكره لهم حَتّى لو استلزم مِنْ حذف هَذَا المقطع نسبة الفرار مِنْ الزَّحف، وارتكاب الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله لكبيرة ـ وحاشاه صلى الله عليه وآله مِنْ ذَلِكَ ـ علماً أنَّ الواقعة نزل فيها قرآن، وَعَلَيْهِ فعدم تتبع ذاك يوقع الباحث الكريم والمتتبّع بمثل هكذا

نتائج سلبيّة.

وَالْنَّبِيّ الأكرمﷺ لما كَانَ يَوُم الغد مِنْ بَعْدَ معركة أُحُد خَرَجَ لطلب العدو واستنفرهم لمطاردة العدو عَلَى أنْ لا يخرج معهﷺ مِنْ المسلمين إلَّا مَنْ حَضَر واقعة أُحُد وجُرِحَ.

وفعلاً خَرَج الْنَّبِيّﷺ وخرج مَنْ معه وَعَلَى رأسهم أمير المؤمنين حَيْثُ بلغو حَمْراء الأُسْد ـ وَهُوَ مَوْضِع عَلَى ثَمانية أميال مِنْ المدينة المنوّرة ـ والمَعْرُوفة ببدر الصغرى، وأقام بها الْنَّبِيّﷺ ثلاثة أيام، وَكَانَ أبو سفيان وأصحابه بالرُّوحاء، وَمَرَّ بِهِم معبد الخزاعي وَكَانَ قَدْ مَرَّ بالنَّبيﷺ وَمَنْ مَعَه فسَأَلَ عَنْ شَأنهم فَقَالَ معبد: ـ إنَّ محمداًﷺ قَدْ خرج فِي أصحابه يطلبكم فِي جمع لَمْ أرَ مِثْلَه قَط يَتَحرّقون عليكم تَحرُّقاً و ... ولما سَمَعَ أبو سُفيان مَقَالة معبد خاف عَلَى نفسه وأصحابه فَرَجعوا إلى مَكَّة وَقَدْ خشوا أنْ يَكُون للنَّبيﷺ، وأصحابه قتالاً غَيْر الذي كَانَ فِي أُحُد.

فَإنَّ هَذَا المشهد الأخير أيّ الفصل الثَّالِث قَدْ غُيِّبَ مِنْ معركة أُحُد فِي مصادر العامّة التأريخية ـ كَما مَرَّ ـ علماً أَنَّهُ قَدْ حصل أمام أعيُن المئات، بَلْ الالاف مِنْ النَّاس آنذاك.

وهكذا الحال فِي غدير خم وتنصيب الرسولﷺ لأمير المؤمنين علي ابن أبي طالبعليه السلام خليفةً شرعياً عَلَى المسلمين أيضاً حاولوا أنْ يطمسوه ويُغيّبوه، وَهُمْ بأنفسهم نقلوه، وأنَّ عدد الرواة الَّذِيْنَ رووا حديث الغدير مِنْ طرق أهل السنة (١١٠) مئة وعشرة راوٍ مِنْ الصحابة و (٨٠) تابعياً و

(٣٦٠) مِنْ مشاهير عُلَماء المسلمين ومؤلفيهم.

وَهَذِهِ الأعداد تشكل تواتراً وَهِيَ تكفي لإثبات أيّ حديث يُراد إثباته، إلّا فيما إذا كَانَتْ فيه منقبة مقام وولاية فِي الدِّين لعليّ بن أبي طالب عليه السلام فالأمر مُخْتَلَفٌ فيه.

وَهُنَاك رواية يرويها الشَّيْخ المفيد رحمه الله فِي أماليه عَنْ أبي بكر مُحَمَّد بن عمر الجعابي عَنْ ابن عُقدة أحمد بن مُحَمَّد بن سعيد، قَالَ: حدّثنا علي بن الحسين بن فضال التيملي وجدتُ فِي كتابي أبي ـ أيّ الحسن بن فضّال ـ حدثنا مسلم الأشجعي عَنْ مُحَمَّد بن نوفل ابن عائذ الصيرفي، قَالَ: كنتُ عِنْدَ الهيثم بن حبيب الصيرفي فدخل علينا أبو حنيفة النُّعمان بن ثابت فذكرنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ودار بيننا كلامٌ فِي غدير خم، فَقَالَ أبو حنيفة: ـ قَدْ قلت لأصحابنا لا تُقِرّوا لهم بحديث غدير خم فيخصموكم، قَالَ فتغيَّر وجه الهيثم بن حبيب الصيرفي، وَقَالَ لَهُ ـ لأبي حنيفة ـ لِمَ لا يُقرّون به أما هُوَ عندك يا نعمان؟ قَالَ: بلى هُوَ عندي وَقَدْ رويته، قَالَ فَلِمَ لا يقرّون به وَقَدْ حدّثنا به حبيب بن أبي ثابت عَنْ أبي الطفيل عَنْ زيد بن أرقم أنَّ علياً نشد الله فِي الرحبة مَنْ تسمعه، فَقَالَ: أبو حنيفة أفلا ترون أنَّهُ قَدْ جرى فِي ذَلِكَ خوضٌ حَتّى نشد عليٌّ الناس فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ الهيثم، فَنَحْنُ نكذب علياً أو نَرّد قولَه؟ فَقَالَ أبو حنيفة ما نكذب علياً ولا نرد قولاً قَالَ: ولكنَّك تعلم أنَّ الناس قَدْ غلا منهم قومٌ، فَقَالَ الهيثم: يقوله رسول الله صلى الله عليه وآله ويخطب به ونُشْفق نَحْنُ مِنْهُ ونتقيه بغلو

غال أو بقول، قَالَ(١).

بتقريب: أَنَّهُ بمجرد فرض وجود فئة عَلَى أنهم غلات فهل هَذَا يعني أَنَّهُ يجب علينا أنْ نطمس الحقّ لئلا يغل غالٍ أو يقول قائل، فَهَذَا هُوَ قول وفكر أبي حنيفة فِي إنكار الحَقّ وطمس الحقائق، وَعَلَيْهِ إذَا سرّينا هَذِهِ القضية إلى كُلّ الحقائق الدِّينية والإلهيّة فحينئذٍ سوف تكون النتيجة: أنَّ كُلّ الحقائق قَدْ يغلو بها غالٍ أو يقول بها قائل حَتّى التوحيد حَيْثُ تَذَرَّعَ به أيّ بالتوحيد إبليس لجحد الانقياد لقيادة آدمعليه السلام الذي هُوَ مِنْ أوضح الواضحات قَدْ ينحرف به منحرفٌ.

علماً أنَّ أبا حنيفية لا يُؤمن بذلك ولا يراه قطعاً، وَإنَّما يؤمن بذلك فِي خصوص ما يرتبط بأمر الإمامة والإمام أمير المؤمنينعليه السلام وحديث غدير خم وما تلك إلَّا شنشنة أعرفها مِنْ أخزم.

وهكذا هُنَاك رواية يرويها العيّاشي فِي تفسيره عَنْ الإمام الصادقعليه السلام فِي بيان مظلومية أمير المؤمنينعليه السلام ما مضمونه: لو كَانَ لأحدكم دار وتخاصموا بها ... وترافعوا إلى الحاكم أفيكفي لإثبات حقّه اثنان، قَالَ: نعم، وأمير المؤمنينعليه السلام جاء بـ (١٢٠) ألف شاهد وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يتمكّن مِنْ إثبات حقّه.

وَمِنْ كُلّ هَذَا يُستفاد أنَّ:

(١) أمالي المفيد: ص٢٦ ح٩ من المجلس الثالث بتصرف.

التلاعب فِي تدوين النزول:

الحقائق عِنْدَ المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى والتلاعب بأسباب النُّزول ـ عدا خط مدرسة أهل البيتعليهم السلام ـ أمرٌ فِي غاية السهولة والكثرة إذْ هُمْ طمسوا أكبر الحقائق التأريخية المشهود كجموع جَمٍّ غفير فكيف لما دونها فِي المشهد والمرأى مِنْ قلة الرائين.

وَقَدْ نقل ابن أبي الحديث المعتزلي لكلام أمير المؤمنينعليه السلام علي بن طالبعليه السلام ص٢٤: «... **ومات كثير ممّن يعرف ونشا كثير ممّن لا يعرف ... الخ**» حَيْثُ يُبيّنعليه السلام ـ أنَّ الفتوحات الَّتِي جرت فِي عهد الثلاثة كُلَّهَا كَانَتْ بتدبير مِنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام إلَّا أنَّ ذَلِكَ الجيل المعاصر للفتوحات طمس هَذِهِ الحقيقة إمَّا بسبب العناد أو بسبب الخوف والرهبة مِنْ سلطان المستولين عَلَى الخلافة أو للتخاذل وذهب ذَلِكَ الجيل العارف للحقيقة ونشأ جيل مِنْ بعدهم لا يعرف حقيقة الأمر فنسب الفتوحات إلى المستولين الثلاثة عَلَى الخلافة.

وهكذا نشأت جملة غفيرة مِنْ حقائق التأريخ، ورغم هَذَا الطمس فَقَدْ بقيت قصاصات عديدة مِنْ الشّواهد الدَّالَّة عَلَى أنَّ تدبير الفتوحات كُلَّهَا كَانَتْ مِنْ نصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

وما هَذَا إلَّا الكشف عَنْ أنَّ هؤلاء سادرون وماضون فِي غيّهم، وَهُنَاكَ مشاهد عديدة فِي تأريخ الإسلام وسيرة النَّبِيّصلى الله عليه وآله والأئمة الأطهارعليهم السلام حضرها الألوف مِنْ النَّاس وَمَعَ ذَلِكَ طُمست لأسباب ودواعي مصلحيّة

خاصّة، فكيف بالأحداث والمشاهد الَّتِي حضرها عدد الأصابع أو العشرات أو المئات ولا تُطمَس؟ بَلْ هُنَاك مشاهد أُخْرَى كثيرة طمست وحُرِمت مِنْهَا الأجيال مِنْ الاطّلاع والوقوف عَلَيْهَا لأجل أنْ تستنتج موقفاً وصورة كاملة عَنْ الحدث، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الحال هكذا فَإنَّ تسالماتهم فِي التأريخ خطيرةٌ جدّاً لأنَّها تسالمات عَنْ غيٍّ وباطلٍ؛ ولذا كَانَ التّشديد مِنْ قبل مدرسة أهل البيتعليهم السلام عَلَى التدقيق فِي توثيق التأريخ وترتيب أسباب النُّزول بالشكل الذي لا يطمس الحقائق ويُضيّعها، وَهَذَا ما يُناغم عقول البشر خاصّة النُّخب العلمية مِنْهُ فِي زماننا بَعْدَ أنْ اتّضحت الحقائق وأُسدل الستار عَنْ كثير مِنْهَا أمام عقول البشر منقطعاً لو دار الأمر بين أنْ يُصغى إلى تدوين السّلطان والحكّام أو يصغى إلى تدوين الأقلام الحُرَّة المُستقلّة، بَعْدَ إدراك العقول السليمة والصحيحة لقبح الظلم وحُسْن العدل؟ فَإنَّ العقول السليمة تختار ما كتبته الأقلام الحُرَّة دون المُتحيّزة لفئة أو جهة لِأنَّ المتحيز لتلك الجهة أو السّلطة لا يكتب إلَّا لصالح سلطويّة تلك الجهة أو السلطة، فَمِنْ الغريب مَعَ كُلّ ما يُشاهَد مِنْ سعي حكومات الجور بَعْدَ السقيفة مِنْ طمس الحقائق سذاجة عِدَّة مِنْ الباحثين باسترسالهم لظاهر ما دُوِّنَ مِنْ التأريخ مِنْ دون يَقضّةٍ ونباهةٍ لتجميع القصاصات والتنقيب عَنْ تناثر الشّواهد لحقائق التأريخ المطموسة مما يتطلّبه البحث والتحقيق، نظير الباحث المُحقِّق فِي مجال الجنايات وعلم التحقيقات الجنائية، فَإنَّهُ لا يسترسل بظاهر الحال ولا يكتفي بالمُترائى السطحي بَلْ يدأبُ مُنِّقباً ويفحص مُتتبعاً

لِكُلِّ شاردة وورادة حَتّى يجتمع لديه قصاصات عَنْ أبعاد الحقيقة المطموسة.

فالباحث فِي أسباب النُّزول أو سيرة النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتاريخ الإسلام وسيرة أهل البيت عليهم السلام لا يتوهّم الأمانة مِنْ الكتب الَّتِي كُتبت بأقلام وعّاظ السلاطين والكتّاب المُقرّبين مِنْ حكومات الجور فَإِنَّ هَذَا أمرٌ مُحال بَلْ لابُدَّ عَلَيْهِ مِنْ التفتيش والتنقيب وشمشمة رائحة الحقيقة مِنْ عَلَى بُعْد مسافاتٍ مِنْ وراء طبقات الطمس والإخفاء.

وَعَلَيْهِ إِذَا كَانَ الكُتّاب لأسباب النُّزول أو الكُتّاب للتأريخ تحت رعاية هكذا سلطات ظالمة فرعونيّة فَإِنَّهُ لا يمكن التعويل عَلَى هكذا نمط من الكُتّاب للتأريخ ولأسباب النُّزول.

ولا يظنّن الباحث فِي علم التأريخ عِنْدَمَا يودعه المبطلون، هكذا روايات مُزيّفة أو مُحرّفة أنّها سوف تنطلي ولا تنكشف، هِيَ وإنْ لَمْ تنكشف فِي فترة معيّنة إِلَّا أَنَّ الأُمَّة مليئة بالشّخصيات العلمية والمحقّقين والمدققين وإنْ كَانَ بعضهم انضوى تحت مظلّة السّلطة الحاكمة، إِلَّا أَنَّ البعض الآخر بقي عَلَى ما هُوَ عَلَيْهِ مِنْ حريّة الفكر والقلم ويتمتع بقدرات علميّة واستراتيجية ضخمة وَلَهُ النقد البناء والعميق المُبتني عَلَى ضوابط وموازين وقوّة ودقّة تحليل يستطيع مِنْ خلالها أنْ يفطن إلى بَعْض حقائق التأريخ وفرز الغث مِنْهَا عَنْ السمين والمُحرَّف والمُزيّف عَنْ الصحيح؛ لِأَنَّ الخطورة فِي التأريخ تُضْفي وتُلْقي بظلالها عَلَى العقيدة والمعتقد الذي يعتقد به الباحث والكاتب وَعَلَى مصادر المعرفة الدِّينية وغيرها، وَعَلَيْهِ فلا يمكن التعاطي

مَعَ التأريخ بقدرات بسيطة ومتواضعة وساذجة، فَإِنَّ التأريخ لَيْسَ فَقَطْ عقيدة مُتجسّدة مُؤرّخة ومنبع ومدار ومستندات ووثائق دينيّة وحياتية مُهمّة كلا، وَإِنَّما الأمر أوسع واكبر مِنْ ذَلِكَ، ولذا اقتصرنا عَلَى ذكر أمثلة ترتبط ببدو تأريخ الإسلام لبيان أهميّة التحقيق فِي مصادر المعرفة الدّينية وَمِنْ أهمها وأمثلتها المُهِمَّة جدّاً البالغة الأهمية هِيَ أسباب النُّزول وتأثيره فِي تفسير القُرآن.

تنقيح حقائق تاريخ الإسلام والسيرة النبوية

في الوقوف على حقيقة الدين

أسباب النزول وخطورة التنقيب عن الحقائق المطموسة فِي السِّيرة

أسباب النزول لها بعدان:

تَحَصَّل ممّا سبق تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول لها بُعْدان:

البُعد الأوّل: تاريخي باعتبار أنَّ مورد نزول الآيات حَدَثٌ تأريخي.

البُعد الآخر: مرتبط بخلود القُرآن، ثَمَّة كَانَ أمر التدقيق والتّوثيق فِي التأريخ حساسٌ للغاية؛ لِأنَّ التّأريخ فِي الغالب كُتب بأقلام سلطويّة - كَمَا مَرَّ - وَهِيَ عادة تسمح لأقلام كُتّابها الكتابة بما يروق لهم ولمصالحهم، لا كتابة الحقائق كَمَا هِيَ والشواهد عَلَى مَرّ العصور كثيرةٌ، واقتصرنا عَلَى ذكر جانب مِنْهَا فيما يخصّ سيرة النّبِيّ الأكرم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأسباب النُّزول للقُرْآن الكريم وتاريخ الإسلام وسيرة المعصومين عليهم السلام، فَإِنَّ هَذَا التأريخ لَيْسَ لونه تأريخ فَقَطْ، وَإِنَّما عقيدة مُتأرخة فَإِنَّ هُنَاكَ تواتر نظري أيّ لا يمكن الوقوف عَلَى آحاد مفرداته وَالَّتِي تُشكِّل فِي النّهاية بتراكمها تواتر إلَّا بإعمال

النظر والبحث والتنقيب، يحتاج إلى مَلَكَةٍ ونظر فِي استنباطه، ويُفتش عَنْ موارد التّواتر الموزّعة والمغيبة وَالَّتِي طُمِست بأقلام السّلطات الأمويّة وغيرها حول شهادة الإمام الحسين عليه السلام أو سيرة المعصومين عليهم السلام وما جرى عليهم كَمَا هُوَ الآن فِي جُملة مِنْ الأماكن المُقدّسة كمكّة المُكرّمة والمدينة المُنورة وكربلاء والنجف والكاظمية وسامراء وخراسان و ... الخ فَإِنَّ مواطن المعصومين مقدّسة كَمَا يفصح القُرآن الكريم عنها وَأَنَّهَا عديدة فِي الأرض ﴿يَٰقَوۡمِ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَرۡتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدۡبَارِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ٢١﴾[1].

بتقريب: إنَّ الأراضي المُقدّسة عديدة ولها بُعْد جغرافي، إلَّا أنَّ هَذَا البُعْد لَهُ فيها مساس حقيقي بالعقيدة المُقدّسة، وَهَذَا أمر يجب أنْ يوضع بالحسبان وبنظر الاعتبار، ولذلك ـ وللأسف ـ أَنَّهُ قَدْ يحصل تهاون فِي ضبط الأجيال المُتأخّرة لمصادر سيرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَالَّتِي تمثّل جانب مهم مِنْ أسباب النُّزول فِي تفسير القُرآن الكريم، فَإِنَّ سيرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله نفسها منبع للشريعة وللعلوم والمعارف الدِّينية، وَعَلَيْهِ فكيف يتهاون فِي هَذَا المنبع مِنْ المصادر وتؤخذ الأُمُور عَلَى عواهنها، فَإِنَّ مثل هكذا أمر فِي غاية الخطورة، ولذا نحتاج إلى باحث لَهُ علم أمني وجنائي يعتمد عَلَيْهِ فِي استخراج هَذَا التواتر الذي حاولت السّلطات الظالمة التعتيم الكامل عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ تأريخنا كُلَّهُ مُنْهَتَك ومُنْتَهَك بالصراعات ولا يُفرَّط به ولو بمقدار قصاصة يسيرة

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢١.

مِنْهُ، فَإِنَّهَا تفتح الطريق أمامنا للوصول إلى مواد وقصاصات وشواهد أُخْرَى لأجل أنْ تساعد الباحث الكريم فِي هَذَا المضمار إلى ذَلِكَ التواتر النظري الاستنباطي.

وغرضنا مِنْ التشديد عَلَى هَذِهِ الجنبة؛ لِأَنَّ الكثير مِنْ الباحثين فضلاً عَنْ الْمُشرفين عَلَى الدراسات الأكاديمية العُليا وللأسف يستقون مباحث سيرة الْنَّبِيّ ﷺ مثلاً، أو روايات أسباب النُّزول أو تاريخ الإسلام مِنْ مصادر مُتَشَرِّقة ومُغَرِّبة وكأَنَّهم يَغفلون عَنْ الأقلام الَّتِي حاكت ونسجت الكثير مِنْ الزيف والتحريف كابن الأثير فِي الكامل أو ابن هشام فِي أَوَّل سيرته الَّتِي فيها عبارة «**لَمْ أذكر كثير مِنْ الأُمُور الموجودة فِي الأبحاث لأَنَّها لا يُرْضى بها كثير مِنْ النَّاس والسّلطة ... الخ**»[1].

وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه عمل المؤرخين والصحفيين أو الإعلاميين سواء المقروء مِنْهُ أو المسموع أو المرئي الموالي للسلطة الحاكمة الَّتِي لا تسمح بأنْ يكتبوا وينقلوا للأجيال المعاصرة أو الآتية كُلّ ما فِي الحقيقة إلَّا لما فيه ترويج لمصالحهم الشخصيّة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الحقيقة دائماً لن تنعكس مِنْ خلال ما يكتبه ويسطّره الباحثون ولا تظننَّ أَنَّ سماء التأريخ صافية وَلَمْ يكن فيها مُنْذُ القِدم صراع وإرهاب ورعب مِنْ حكّام الدولة إلى الرعيّة كدولة بني أميّة وبني العبّاس

---

(١) سيرة ابن هشام

و ... الخ، فَإِنَّ أقلام كُتّابهم تصفهم بوصفٍ ينطلي عَلَى كثير مِنْ الباحثين يأتيهم مِنْ الحُكّام والساسة المنصفين والمُهتمين بشؤون رعيتهم وذوو مرؤة وأنّهم كانوا يعيشون النظام الديمقراطي والحريّة ... الخ.

وَعَلَيْهِ لأجل أنْ نستخرج التواتر النظري فِي كثير مِنْ الأحداث فِي التأريخ الَّتِي عتّمت عَلَيْهَا سُلطات الظُلم والجور فنحتاج إلى باحث مُتتبع ومنتبه ويقظٍ ومُلتفت وفطن حَتّى يبين لنا بَعْض الشيء مِنْ الحقائق الَّتِي عُتِّمَ عَلَيْهَا مِنْ قبل الظالمين، كَذَلِكَ الحال بالنسبة إلى أسباب النُّزول وسيرة الْنَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَهُنَاك الكثير مِنْ الحقائق مغمورةٌ تحتاج إلى تنقيب، وَمِنْ الواضح لدى المُحقّقين والمُتتبعين فِي هَذَا المجال أنَّ التنقيب والتدقيق هُوَ سيد الموقف فِي القضايا العلميّة لا التطفّل عَلَى ما توصّل إليه الغير، أو الاعتماد فِي البحث عَلَى أصالة العدم، أيّ الأصل عدم وجود هكذا مباحث وَإِنَّمَا هِيَ مستحدثة و ... الخ فَهَذِهِ أُمُور ليست أصلية ولا يعني إهمالها بالمرّة، وَإِنَّمَا يستطيع الباحث أنْ ينظر إلى ما توصَّل إليه الغير كعامل مساعد إنْ كَانَ ما توصل إليه الغير صحيح وَعَلَى الضوابط والموازين العلميّة.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ هُوَ التلاعب بأسباب النُّزول، فَإِنَّ نتيجة عدم التنقيب والتدقيق والتمحيص والتحقيق فِي روايات أسباب النُّزول وللأسف حَتّى مِنْ كبار العُلَمَاء انطلت عليهم كثير مِنْ الحقائق وطمست، فَإِنَّ كثيراً مِنْ أسرار القُرآن الكريم طمست وغيبت بطمس أسباب النُّزول الحقيقية الصادقة، وخيرُ شاهدٍ ما حصل فِي غزوة تبوك فَإِنَّهُ لَمْ يحصل فِي

تبوك قتل ولا قتال عَلَى ما جاء فِي مصادرنا كَمَا ذكره الشَّيْخ المفيد فِي إرشاده «... كَانَ الله قَدْ أوصى إِلى نبيّه أنْ يسير إِلى تبوك وأعلمه أَنَّهُ لا يحتاج فيها إِلى حرب ولا يُمنى بقتال عدوٍّ ...»[١].

بتقريب: إنَّ النَّبِيّ الأكرمﷺ قاد جيشاً عربياً مِنْ المدينة المنوّرة إِلى منطقة تبوك بَعْدَ وصول أنباء إِلى رسول اللهﷺ عَنْ مجيء جيش الرُّوم لغزوا المسلمين والهيمنة عَلَى البلاد الخاضعة لحكم الإسلام بَعْدَمَا قويت الحكومة الإسّلاميَّة وَأنَّها قوّةٌ لا تُقهر، فقام النَّبِيّ الأكرمﷺ بعزم شامخ لتهيئة جيش قوي يغزو به الرُّوم ويكسر شوكتهم[٢] فلو لاحظنا المصادر التأريخيّة لِـمَنْ يُنَقِّب: ـ أَنَّهُ حصل فِي تبوك اصطدام عسكري مَعَ الروم فِي بداية الأمر وهُزِمَ المسلمون لِأنَّ علي بن أبي طالب لَمْ يكن فيهم، وَأَنَّهُ نَدَب النَّبِيّ الأكرمﷺ علياً بطريق المعجز بطي الأرض وجاء مِنْ المدينة وحَقَّقَ النصر لسيّد الأنبياءﷺ وللإسلام والمسلمين وعادَ عليٌّ بطريق المعجز فضلاً عَنْ المصادر التأريخية للعامّة الَّتِي ما أنْ سمعت بمنقبةٍ بعليٍّعليه السلام إِلَّا طمستها وإِنْ لَمْ تكن واقعاً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا الحدث شاهده وعاشه الآلاف مِنْ البشر مِنْ المسلمين وغيرهم، والمسافة بعيدة عَلَى ما تنقل المصادر التأريخية، وأَنَّ النَّبِيّﷺ انتهى إِلى تبوك يَوُم الثلاثاء ١٥/ شعبان/ ٩ تسعة للهجرة وَكَانَ

(١) الإرشاد للمفيد: ج١، ص١٥٤.
(٢) موسوعة سيرة أهل البيتعليهم السلام، باقر شريف القرشي: ج٢، ص٣٥١.

خروجه فِي ٢٥/ رجب/ ٩ هج[1] فَكَانَ سفر تبوك (٢٠) عشرين ليلةً، وأقام بهاعَلَيْهِوَآلِهِ عشرين ليلة، وهرقل يومئذٍ فِي حمص[2] وفترة مسيرة النَّبِيّ الأكرمعَلَيْهِوَآلِهِ إلى تبوك ليست باليسيرة والقصيرة حَتّى تُطمَس وتغيب، علماً أنَّ لها مصادرها وموادها وَمَعَ ذَلِكَ غيّبت وطُمِسَتْ تماماً، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ أنْ نتساءل لماذا تُغَيَّبُ الحوادث الواقعة وَمِنْهَا أسباب النُّزول.

لماذا تُغَيَّبُ أسباب النزول

إنَّ أحد أهم أسباب تغيّب أسباب النُّزول وغيره هُوَ لأجل أنْ لا تتّضح معاني الآيات لِأنَّ أسباب النُّزول تلعب دوراً فعالاً فِي توضيح وتفسير معاني الآيات، وَأنَّها فيمن نزلت وَعَلَى أيّ شيء اشتملت و ... الخ وببركة وجود أئمة أهل البيت حفظت تلك الحقائق ولولاهم لَغُيِّبتْ تلك الحقائق القرآنية الَّتِي بينتها أسباب النُّزول ووضّحت أسباب نزول كُلّ كلمة كلمة فِي آيات القُرآن الكريم لا سيّما فِي بَعْض الآيات القُرآنية الَّتِي لها أكثر مِنْ سبب للنزول لا سبباً واحداً، فمثلاً بَعْض الآيات القُرآنية لها سبب نزول بلحاظ صدر الآية والآخر بلحاظ وسطها والثالث بلحاظ ذيلها، كَمَا فِي قوله تَعالَى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج٢، ص٦٨، وأعلام الورى: ج١، ص٢٤٤.

(٢) المغازي للواقدي: ج٢، ص١٠١٥.

وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾[1].

بتقريب: إنَّ الآية المُبارَكَة انتقلت مِنْ ضمير التثنية إلى ضمير الجمع [... إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ] إلى [وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ] وَهَذَا تَقَدَّمَ فِي مبحث قَاعِدَة الالتفات[2]، والوجه فِي ذَلِكَ:ـ هُوَ أنَّ الحكم الذي حُكِم به، لَيْسَ الحاكم به هُوَ نبي الله داود عليه السلام و سليمان عليه السلام حَتّى يُثنى الضمير وَيَكُون تطابق بين [يَحۡكُمَانِ] و [لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ] كلا وَإنَّما الذي حكم هُنَا هُوَ عُلَماء اليهود الَّذِيْنَ كانوا مَعَ داود وسليمان عليهما السلام وتَسَرَّعَ عُلَماء اليهود فِي الحُكم فحكموا فقطعوا بذلك؛ ولذا صار الضمير جمعاً بِهَذَا اللّحاظ، وَعَلَيْهِ إذَا أخذ المُفَسِّر أسباب النُّزول مِنْ غَيْر أهل البيت عليهم السلام فسوف يقع فِي متاهات وغفلات واشتباهات لا تُؤَدِّي به إلى نتيجة علميّة مُرْضية.

ويبقى البحث ناقصاً، ولا تقتصر تداعيات ذَلِكَ عَلَى بحث أسباب النُّزول.

---

(١) سورة الأنبياء: ٧٨ـ ٧٩.

(٢) تفسير أمومة الولاية على المُحكمات فضلاً عن المُتشابهات في القرآن: ج١ للشيخ السّند.

كيف نقرأ السيرة النبوية والولوية والتأريخ

بالقراءة الصحيحة

لا يختص منهج أسباب النزول بآيات القرآن وسوره فحسب

إنَّ أحد أهم منهجيات تحقيق السّيرة النبويّة والولويَّة والتأريخ الصحيح والدقيق والمنقح، هُوَ أنْ تجعل العَرْض عَلَى نفس رواية القُرآن ومُحكمات روايات المعصومين أيّ تحكيم الثقلين مِنْ التأريخ، وَقَدْ يتساءل جملة مِنْ الباحثين عَنْ وجه الصّلة بين التأريخ والكتاب والعترة الطاهرة وَهُمْ الثقلين، فَإنَّ الدِّين كتشريع أيّ صلة لَهُ بالأحداث التأريخية الَّتِي وقعت وَكَانَتْ؟

والجواب: إنَّ البحث لَيْسَ فِي التأريخ بما هُوَ ترقيم وتوريخ وتأرُّخ أحداث، بَلْ البحث فِي التأريخ هُوَ نشاة الدِّين وترعرعه وبنائه وبما ينعكس كمصدر ومنبع ومستند ومدرك لاستنباط واستكشاف بُنية الدِّين؛ لِأنَّ المقصود هُوَ البحث عَنْ سيرة الوحي وَهُوَ النَّبِيّ ﷺ وتَنزُّل الوحي عَلَيْهِ فِي المواطن والأحداث المختلفة واستكشاف الصور الحقيقيّة لموقف الوحي فِي المواطن والموارد المختلفة وتوجيهها للأحداث لاستخراج صورة واقعيّة حقيقية لمنظومة الدِّين ولكن بمنهجية يقظة نبهة لا أنَّ تؤخذ السير مِنْ

الكتب القديمة والمشوشة أو الكتب الَّتِي كتبت بأقلام مأجورة تحت ظل السّلطات الظالمة والغاشمة كالسّلطة الأموية والمروانية والعباسيّة و ... الخ وتؤخذ عَنْ مثل هكذا مصادر أخذ المُسلّمات، علماً أنَّ هَذِهِ المصادر تعكس رأي السّلطات الحاكمة فَقَطْ ووجهة نظرها وما يصب بمصلحتها، ونترك ما يُسْنده لنا القُرآن الكريم مِنْ سيرة النَّبيّ ﷺ أو الأئمة وَهَذَا بالتالي يُشكل الأخذ بها طامة كبرى.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ قَاعدة أسباب النُّزول لا تختصّ بالتّالي ببيان واقع أسباب النُّزول لآيات القُرآن وسوره، بَلْ تتعدّى إلى السِّيرة النبوية، وسيرة أهل البيت وتاريخ مبدأ الإسلام، وَكُلّ الوقائع والحوادث الَّتِي وقعت وحدثت وَلَمْ يُشِر إليها القُرآن الكريم؛ لِأَنَّ هُنَاك بَعْض الوقائع لَمْ يتعرّض القُرآن لذكرها وَهِيَ بالتالي تُسَجل كحدث فِي تاريخ الإسلام، وَلَهُ موقعيّته وفهمه بالصورة الحقيقية مِنْ دون تلاعب به، وَهَذَا لَهُ أثره الكبير فِي تثبيت الحقائقن وسبب الاهتمام بِهَذَا التأريخ لِإِنَّهُ لَيْسَ موغل بالتأريخية المحضة وَإِنَّما هُوَ تأريخ عقيدة فَلابُدَّ مِنْ عرضه عَلَى مُحكمات الكتاب والسنّة والثقلين؛ لِأَنَّ هكذا تأريخ عقيدي يعكس بظلاله عَلَى فَهْمْ الدِّين، وَمِنْ الواضح إنَّ أيّ بحث يجري فيه معرفة الدِّين فَإِنَّ الميزان فيه هُوَ العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسنّة أيّ الثقلين ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ...﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وَعَلَيْهِ إِذَا صار الميزان هُوَ العرض عَلَى المُحكمات والرّاسخون فِي العلم وَهُمَا الثقلين فَإِنَّهُ يتسنى للمفُسرين والباحث الكريم أَنْ يُنقي التراث مِنْ شوائب ما كتبته أقلام السّلطة والحكّام عَنْ ما هُوَ حقيقة ببركة هَذَا المنهج والميزان أيّ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات ويحذر هَذَا المنهج مِنْ الابتعاد عَنْ تحكيم الكتاب والسنة في تدوين وتحقيق التأريخي الدّيني وَإِلَّا يقع الباحث فِي المعارف الَّتِي تخصّ العقيدة فِي تيه وضلال.

ولذا مِنْ دون الرجوع إلى ميزان العرض عَلَى الكتاب والسنة والثقلين وأمومة الولاية لا يمكن وعي حقائق التأريخ ؛ لِأَنَّ أيّ حدث يقع سواء كَانَ صغيراً أم كبيراً فلأجل الإحاطة بكُلِّ زواياه فَإِنَّهُ يحتاج إلى متابعة ومراقبة مِنْ عِدَّة جهات وزوايا ولا يمكن لمؤرخ أو باحث بجهود محدودة أنْ يحيط بذلك ما لَمْ يَتَّبع منهاج العرض عَلَى المُحكمات وأمومة ولاية أهل البيت عليهم السلام.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أَنَّهُ لأجل أنْ نقرأ سيرةً نبويةً أو ولوية أو تاريخية مضبوطة ومحققة ومدققة لأبُدَّ أنْ نقراها بعدسة التصوير القُرآني، وإنْ كُنّا لا ننكر أنَّ أحد أسباب الغفلة عَنْ العدسة التأريخية فِي القُرآن الكريم هُوَ إرباك تركيب وترتيب السور والآيات فِي القُرآن، وأحد أسباب الإرباك هَذَا هُوَ عدم جمع آيات وسور القُرآن الكريم حسب روايات أسباب النُّزول الصَّحيحة والواردة عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام إذْ لو اتُبعت لَكَانَتْ العدسة التأريخية كَمَا فِي المثل أوضح مِنْ شمس وأبين مِنْ

أمس، وَإِلَّا ما كَانَ هَذَا الالتباس الذي أوقع الأُمَّة الإسّلاميَّة فِي متاهات وظُلَل وطمس كثير مِنْ الحقائق تعتيمها، كُلّ ذَلِكَ كَانَ ضريبة عدم اتّباع المنهجة الصحيحة والحقّة ووقوع أو إيقاع الكثير مِنْ أفراد الأُمَّة الإسّلاميَّة فِي الزيغ والضلال، إذْ لو أتُبعت المنهجة الصحيحة فِي قَواعِد التفسير وأحدها واهمها ـ هُوَ أسباب النُّزول الَّتِي لها تأثير كبير عَلَى دلالة تفسير القُرآن لكشفت وفضحت زيغ الأقلام الَّتِي استؤجرت مِنْ قبل السّلطات الظالمة كالأموية والعباسية وغيرهما، إِلَّا أَنَّهُ وللأسف مَعَ هَذَا التزييف والتظليل؛ لذا نجد الأكثر وللأسف يأخذون بِهَذَا التأريخ أخذ المُسلّمات مِنْ دون تنقية وتمحيص لرواياته وطرقه اتّكالاً عَلَى تتبع الغير وتحقيقهم فِي ذَلِكَ، ولذا حدث ما حدث:

إِلَّا أَنَّهُ ولله الحمد بدأت عِنْدَ عِدَّة مِنْ المحققين الخاصة أخيراً بادرة جيدة وَهِيَ كيفية قراءة التأريخ مِنْ خلال عدسة القُرآن الكريم، وإنْ كَانَ هَذَا قَاعِدة أُخْرَى سنتعرض إليها مُستقلاً فِي البحوث اللاحقة إنْ شاء الله ـ وأحد الأُمُور المُهِمَّة فيها جداً هِيَ معرفة تاريخ النُّزول الذي سوف يطعلنا عَلَى مسلسل الحدث التأريخي والذي قَدْ يستعرضه القرآن فِي سورة واحدة، أو فِي سور متعدّدة وَهُوَ الأكثر وَهَذَا مما يجب الالتفات إليه ببركة المنهج التفسيري المُختار وَهُوَ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات فِي القُرآن، أيّ مُحكمات السنة النبوية وسنة المعصومين عليهم السلام.

الجهة الثالثة: فِي بحث قاعدةِ أسباب النزول:

ارتباط قاعدة أسباب النزول بقاعدة ترتيب آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة فضلاً عن سائر سوره

إنَّ أهم ما ينبغي ملاحظته ومتابعته للباحث الكريم فِي قَاعِدَة أسباب النُّزول جُملةٌ مِنْ الأُمُور مِنْهَا:

أوَّلاً: الإلمام بالحوادث الَّتِي وقعت فِي مَكَّة المكرَّمة مرتبة بحسب التعاقب الزّمني، وَالَّتِي نزلت فيها آياتٌ ينبغي المحافظة عَلَى ترتيب أسباب نزولها كَمَا هِيَ، ثمَّ ملاحظة سلسلة الأحداث الَّتِي وقعت فِي المدينة المنوّرة مُترتبة بحسب التعاقب الزمني مِنْ بدء الهجرة ونزول الآيات بشأن تلك الحوادث الَّتِي حدثت فِي المدينة مِنْ غزوات وحروب وفتوحات، وتشكيل النَّبِيّ الأكرمﷺ للحكومة والمجتمع الإسلامي الجديد وغيرها الكثير مِنْ الحوادث الَّتِي وقعت فِي حياة رسول اللهﷺ، وَالَّتِي تشكّل مُنعطفاً كبيراً وحسّاساً فِي حياتهﷺ، وَعَلَيْهِ فالإلمام بسيرتهﷺ شيء مهم للغاية؛ لِأنَّ سيرته المُبَارَكَةﷺ دين متجسِّم، وهكذا الإلمام بتأريخ الإسلام فَإنَّهُ عقيدة مُتجسّمة ومُؤثِّرة فِي معرفة أسباب النُّزول فِي القُرآن وترتيب آياته وسوره، وبالتالي نستطيع أنْ نقول أنَّ أمواج هَذَا البثّ الوحياي، لَهُ لاقطات ومحطّات أرضية راصِدَة لهذا الوحي وَهِيَ عبارة عَنْ سيرة النَّبِيّﷺ وسيرة الأئمةعليهم السلام وتاريخ صدر الإسلام وغيرها الَّتِي تشكّل بمجموعها أسباب النُّزول.

ثانياً: الإلمام بالسُّور والآيات الَّتِي تتعرّض إلى ذكر الاحداث، وَأَنَّهُ فِي أيّ سورة تعرّضت للحدث الفُلاني، وهل توجد سورة أُخْرَى تعرّضت لهذا الحدث أو لا؟ وَهَذَا بالتالي يُعطي فائدة علميّة مُهمّة جداً، وَهُوَ أَنْ يَكُون لدى الباحث الكريم ميزاناً إجمالياً عامّاً لتحديد الصحّة والخطأ فِي مباحث وأبحاث أسباب النُّزول.

ثالثاً: وَعَلَى ضوء هَذَا الميزان الإجمالي العام ـ المتقدم ـ تبيَّن مدى صحّة مرويات الرّاوي بَعْدَ خضوعها لهذا الميزان الخطير والحسّاس، وكأنه تحقيق جنائي، فمثلاً: مرويات أبي هريرة الَّتِي أعدادها بالآلاف إِذَا عرضت عَلَى هَذَا الميزان الإجمالي العام هل يتناسب هَذَا الكمّ الكبير مَعَ عمره ومُدَّة لقائه القصير بالرسول الأكرمﷺ سواء فِي مَكَّة أو المدينة مَعَ كونه إنساناً عادياً ويتلقّى الأحاديث بشكل طبيعي، فهل يتناسب هَذَا مَعَ ما يدّعيه ويرويه عَنْ النَّبِيّﷺ وعدد لقاءاته مَعَ النَّبِيّﷺ، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذِهِ الأحاديث توقِف الباحث الكريم عَلَى تحقيق نفيس وتدقيق وتمحيص للتُّراث، يستطيع المُدقِّق والمُحقِّق مِنْ خلال هَذَا فرز ما هُوَ صحيح عمّا هُوَ مُلفّق ولا واقع لَهُ.

ولذا نرى علمائنا الأبرار أمثال الشَّيْخ المفيد فِي كتابه الإرشاد، والشَّيْخ الطوسي فِي جُمَلِهِ وكتبه الأُخْرَى وغيرهما مِنْ الأعلام يتحدّثون كثيراً عَنْ كتب السِّيرة والآثار ومصادرها لأنها ـ السِّيرة ـ أصل التُّراث فَلابُدَّ أَنْ يُمحَّص؛ لذا فَإِنَّ أحد آليات قدرة المُفَسِّر عَلَى التفسير هُوَ إلمامه بسيرة النَّبِيّﷺ لما فِي

الإلمام الدقيق بسيرة الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْ دين وعقيدة مُتجسِّمة ومُؤثِّر فِي معرفة أسباب النُّزول فِي القُرآن الكريم، ولا ينحصر الأمر بالمُفسِّر بَلْ ويتعدّى إلى الفقيه أو الباحث فِي علم الأخلاق أو العلوم الأُخْرَى، فإذا أراد الباحث أنْ يستقي معرفته فِي مجاله مِنْ دون أنْ يُلِّم بسيرة الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَإنَّهُ سيكون بحثه تجريدي وسطحي وبعيد عَنْ كثير ممّن الحقائق والواقعيّات، وَهَذَا يكشف لنا أنَّ الإلمام بسيرة الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله خطوة خطوة مِنْ أفعاله وأقواله وتقريره حجّة وأمثولة يُحتذى بها، وكم بَيَّنَ أئمة أهل البيت عليهم السلام أنَّ الإنحراف فِي مذاهب العامّة فِي الأحكام وأبواب الفِقْه وَقَواعِد الدِّين فضلاً عَنْ المعارف والمعتقدات نشأ مِنْ عدم ضبط السِّيرة النبويّة وبسبب عدم الوقوف عَلَى حقائق وقائع السِّيرة النبويّة.

وكم مِنْ مُعتقدات اعتقدوا بها مغلوطة مُنعكسة عَلَى فَهم مغلوطٍ لمغزى سيرة أفعال الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وللجّهل بحقيقة تأويل كلمات الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي وقائع السِّيرة المُختلفة، حَتّى أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام بيَّنوا أنَّ بَعْض خُلَّص الصحابة ممّن لَمْ يكُن يَحمِل نفاقاً ولا عداوة للنبي صلى الله عليه وآله، بَلْ محَبَّة ونَصْرَة وولاء وتُوفِي شهيداً وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يكن يعي تأويل موقفٍ ومغزى كلامٍ للنبي صلى الله عليه وآله، وهيّأ ها الله سُبْحَانَهُ بنحو تكون عِبْرَة لِكُلِّ أجيال البشر، وَعَلَيْهِ فالإلمام بها أمرٌ فِي بالغ الأهمية.

التأريخ يحتاج إلى آلات متعددة لتمحيصه

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ يُعلْم أنَّ التأريخ لا يمكن تمحيصه بأدوات تأريخية بحتة فَقَطْ، وَإنَّما يحتاج إلى آلات مُتعدِّدة لتمحيصه وتنقيته، فيحتاج إلى علم عسكري فِي البحوث العسكرية، والتقنيّة العسكريّة، وَإلى علم أمني فِي البحوث الأمنية، وعلم استراتيجي فِي البحوث الاستراتيجية، وعلم سياسي فِي البحوث السياسية، واجتماعي فِي العلوم الاجتماعيّة، ونفسي فِي العلوم النفسانيّة، وَعَلَيْهِ فالتأريخ مُشتمل عَلَى مجالات وعلوم وميادين كثيرة.

وَذَلِكَ لارتباط التأريخي بموضوعات مِنْ أبواب وعلوم مُخْتَلِفَة ولا يمكن الإحاطة بحقيقة الوقائع التأريخية وَكُلّ واقعة واقعة إلَّا بالموضوع أو الموضوعات الَّتِي ترتبط بها تلك الواقعة، فَقَدْ يَكُون حدثاً عسكرياً وَقَدْ يَكُون حدثاً أمنياً، وَقَدْ يَكُون ظاهرة اجتماعيّة مُعيّنة، وَقَدْ يَكُون مناورة سياسيّة مُعيّنة، وَقَدْ يَكُون اضطراباً روحياً ونفسياً مُعيّناً، وَقَدْ يَكُون أزمة اقتصادية.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الحقول والبيئات المُختلفة الَّتِي تحيط بالمجتمع البشري، وَعَلَى ضوء ذَلِكَ فالواقعة المُعيّنة مِنْ التأريخ لا يَتِمُّ فحصها

وضبطها واتّقانها بمجرد الرُّواية التأريخية وسلسلة السند والطُّرق إلى تلك الواقعة نظراً لارتباط الإحاطة والإلمام بتلك الواقعة بقرائن وقصاصات وشواهد مُرتبطة بالعلم الباحث عَنْ تلك البيئة وَعَنْ ذَلِكَ الحقل المحتف بحياة المجتمع البشري، وأنّى لغير المطلع عَلَى ذَلِكَ العلم المرتبط بذلك الموضوع مِنْ الإلمام بحقيقة وحقائق تلك الواقعة، وَهَذَا ما يُلاحظ عَلَى كثير مِنْ الاعتراضات والتساؤلات والاستبعادات حول واقعة الطّف يَوُم عاشوراء، فَإنَّها تدور حول حقول وبيئات مُعيّنة لا يلم بها المُعترض أو المُستنكر لوقوعها؛ وَذَلِكَ لعدم إلمامه بالمُلابسات الموضوعيّة المأخوذة بعين الاعتبار فِي العلم الباحث فِي تلك البيئة وَذَلِكَ الحَقّ، وَمِنْ ثَمَّ أَنَّ التأريخ وإنْ كَانَ علماً لبقية العلوم إِلَّا أَنَّ حقائق التأريخ لا يمكن التوصّل إليها بمُجرَّد هَذَا العلم فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُشاركة جُملة مِنْ العلوم الأُخْرَى الباحثة عَنْ حقول وبيئات مرتبطة بوقائع ذَلِكَ التأريخ، وَهَذَا دور العقل التجريبي وعقل التجارب وعقل العلوم فِي قراءة التأريخ نظير ما مَرَّ مِنْ دور العلوم النقلية للوحي فِي قراءة حقائق التأريخ.

وبالتالي فَإنَّ علم التأريخ مُجرَّد ركام قصاصات ومواد خام يحتاج فِي استخراج معادن وجواهر حقائقه إلى علوم أُخْرَى عديدة، وَهَذَا ما أغفله عُلَماء التأريخ وما أغفله عُلَماء بَقيَّة العلوم الأُخْرَى فِي استنادهم إلى التأريخ ومروياتهم ورواياتهم فَإنَّ اللازم تمحيص وتنقيح وتنسيق تلك المواد للخروج بصفوة صافية شفافة مِنْ الدلائل الكاشفة عَنْ حقائق التأريخ.

نظرية الشورى وارتباطها بغزوة أحد

نبحث فِي هَذِهِ النَّظَرِيَّة كيفية التّحريف والتلفيق الحاصل فِي روايات أسباب النُّزول والذي انطلى عَلَى أكابر العُلَماء حَتّى عَلَى جملة مِنْ عُلَماء الخاصّة، وكيف أثَّرت تلك التلفيقات عَلَى الاستظهارات فِي الآيات القرآنية.

محرك النّظريّة: قوله تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ... وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ فَإِنَّ ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ أمر بنحو الإلزام والوجوب مِنْ الله تَعَالَى لنبيه صلى الله عليه وآله بالمشاورة لِـمَنْ لَهُ أهلية المشورة والرأي.

بيان معنى الشورى: ولأجل أنْ يتّضح المُراد مِنْ الشورى والمشاورة فِي الأمر، لابُدَّ مِنْ بيانها عَلَى وفق اتّجاهين:ـ

الاتجاه الأول: مِنْ الأساس التّشريعي الثّابت هُوَ المشاركة وَهُوَ المعروف بقاعدة الشّورى لا بالمعنى الذي انتهج فِي السّقيفة ومذاهب أهل السنة، بَلْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

بالمعنى المُتبنّى عِنْدَ مذهب الإماميّة، فَإنَّ موادّها تحكيم الحقيقة والوصول إليها عَلَى الطريق المُدَلّل والمُبرهن عَلَيْهِ، وَهُوَ الذي يُحَكَّم عَلَى الآراء سواء كَانَتْ أكثريّة أو أقليّة فقَاعدِة الشُّورى فِي مذهب الإماميّة: هِيَ حاكميّة العلم والفحص عَنْ المعلومات عَلَى الآراء والميول والأهواء وحاكمية العقل كَذَلِكَ وَهُوَ عين مفاد الحديث الشّريف «**أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله**» وَهُوَ شعار آخر الحضارات الَّتِي توصَّلت إليها البشريّة والنمط التمدّني الذي انتهى إليه حضارة المعلومات والعلم الجمعي والعقل الجمعي لا الاهواء والميول الجمعيّة والنّزعات الهيجانيّة النفسيّة الجمعيّة، بَلْ المدار عَلَى العلم والعقل المتوزّع فِي المجموع وَهَذَا المفاد لقاعدة الشورى فِي مذهب الإماميّة يُطابق قَاعدِة أُخْرَى لديهم وَهِيَ:

الحسن والقبح العقليان الذاتيان للأشياء:

حَيْثُ إنَّ مُؤدّى هَذِهِ القَاعِدَة الثانيّة هُوَ الحُسْن للواقعيات أو القُبح لا يتأثر بالآراء، والأهواء والميول وَلَيْسَ هُما أمران تُصَادِق عليهما الأكثريّة، ولا يتولّد مِنْ تباني الأكثريّة عليهما، بَلْ هُمَا ينبعان مِنْ حاقّ الواقع، فمثلاً النّظام المالي العادل حَسَنٌ وإنْ صَوَّبت الأكثرية بما يخالِفه، وكذلك فِي مثل النّظام النقدي والقضائي والحقوقي، فعدالة الأشياء لا ترتهن برأي ولا بإدراك الأكثرية ولا الأقليّة، بَلْ بحسب الواقع الخارجي للحقائق، وَمِنْ ثمَّ اعترف الغرب فِي الأزمة الاقتصادية الَّتِي عصفت بهم طوال عشرات السنين ولا زالت مستمرة تلك الأزمة الَّتِي بركنت وزلزلت أعمدة الاقتصاد

لديهم هِيَ تراكم أنظمة خاطئة عديدة فِي الاقتصاد سواء فِي نظام النقد المالي واكتشف أَنَّهُ غَيْر عادل، أو النّظام المصرفي، أو نظام الضريبة الكمركي أو نظام التّجارة أو غيرها.

وخطأ هَذِهِ الأنظمة أنّها غَيْر عادلة ومُجحفةٍ، وهادمة للطّاقة المالية مَعَ أنّها قَدْ صُوِّبت بأكثريّة الآراء ومالوا إليها واستهوتهم.

وَيَتِمُّ اكتشاف الواقع والواقعيات مِنْ خلال إجراء تحقيق عبر اتّخاذ هياكل وقنوات وآليات مُتناسبة مَعَ كُلّ عصر ومكاد وبلاد[١].

وَعَلَيْهِ فَإنَّ اتّجاه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ونظرية الإمامية فِي نظرية الشورى تقوم عَلَى دعائم مِنْهَا:ـ

أوَّلاً: لَيْسَ المُرَاد مِنْ **الشورى** بمعنى حاكمية وسلطة الأكثرية، وَإنَّما بمعنى العقل الجمعي والانفتاح أمام المعلومات انفتاحاً واسعاً ورجباً، وانطلاقاً مما وَرَدَ فِي الرّوايات: «**أعقل النَّاس مَنْ جمع عقول النَّاس إلى عقله، واعلم النَّاس مَنْ عَلِمَ باختلاف النَّاس**».

---

(١) أسس النظام السياسي عند الإمامية للشّيخ محمد السند: ج١، ص٣٤.
وقد بسط شيخنا الأستاذ محمد السند ـ حفظه الله ـ في كتاب الإمامة الإلهية: ج١، ص١١١ الفصل الثاني في مبحث نظرية الحكم على ضوء الإمامة الإلهية في المبحث الثاني: ص١١٩ ـ ١٨٩ والكلام حول النظريات المختلفة في إدارة شؤون الحكم ودور الشورى، وكذلك بشكل أكثر تبسيطاً في النظام السياسي.
وكذا في كتاب الحاكميّة بين النصّ والديمقراطية للشيخ النسد ـ حفظه الله ـ ج٢، الفصل الأول: ص٤٠ ـ ١١٩ ومنء أراد الإحاطة بالموضوع أكثر ومزيد البسط والتفصيل وبرأي شيخنا السند حفظه الله، مراجعة المصدرين المذكورين.

ثانياً: إنَّ مَعْنَى **الشورى** هِيَ مراقبة الأمَّة لِكُلِّ نظام الحكم مِنْ رأسه إلى طبقاته المُتوسّطة إلى تفرّعات قاعدته وشُعُبها أيّ حس المسؤوليّة تجّاه الشأن العام، حَيْثُ نجد هَذَا التّشريع مُتأصّلاً فِي النهج الديني بدءاً بأولى خطواته، فَإنَّ الاعتقاد بالنبوّة والإمامة والمُتابعة والإنقياد لهذين الأصلين المُقدّسين مشروط بإحراز الأُمَّة لمواصفات النَّبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عِبر المعجزة والدليل العلمي واتّصافهما بهذين العنوانين فضلاً عَنْ بَقيَّة مراحل النهج الديني.

نماذج مِن أنحاء مراقبة الأمة:

ومما يُشير إلى هَذِهِ الصلاحيّة للأُمَّة ما قُرِّرَ فِي مباحث المعارف الدِّينية مِنْ حجيّة العقل ولو بنحو محدود ومُفيد باليقينيّات، فَإنَّ ذَلِكَ يُعطي مُؤدّى نحو مشاركة للأُمَّة بما هم مِنْ عقل فِي النظام بما لهم مِنْ عقل فِي النظام الديني عَلَى صعيد التنظير والتطبيق.

وَمِنْ النماذج الأولى لمشاركة ومحاسبتها ومُتابعتها لمسيرة الحكم، هِيَ ما صرَّحت به الآية الكريمة ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[1].

بتقريب: ـ إنَّ الآية المُبارَكَة فيها إشارة إلى عموم ولاية النَّاس، لا إعطاء الحاكم الولاية؛ فَإنَّ ولاية الحاكم بمقتضى الآيات العديدة لله ولرسوله والأُولي الأمر مِنْ ذي القُربى، بَلْ ولا يتّهم فِي المراقبة والمحاسبة

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

والنظارة عَلَى مسير الحكم، وَهُوَ ما قَدْ يُعبَّر عَنْهُ بالنّصيحة ... ولا ريب أنَّ شَكلَ وأدوات وآليات المُراقبة هِيَ خاضعة للعقل التّجريبي والخبروي الَّتِي تتبادلها المُجتمعات البشريّة فِي ما بين بعضها مَعَ البعض الآخر، واستخدام الآليات المُناسبة العصريّة هُوَ الجانب المُتغيّر فِي مقام الأداء لما هُوَ الثّابت الدِّيني[١].

وَعَلَيْهِ فَإنَّ اتّخاذ الآليات مِنْ تجارب العقلاء والأُمم، سواء عَلَى صعيد الحكم، أو صعيد آليات المُراقبة والنّظارة؛ ما دامت الثوابت الدِّينية قابلة للانحفاظ فِي شكل تلك الآليات.

الشورى عِندَ أهل البيت عليهم السلام:

إذَنْ الشورى حسب فكر ومنهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام معناها عدم الاستبداد بالرأي النابع مِنْ ضيق المعلومات الفرديّة، وتقوقع النفس فِي معلوماتها فَقَطْ وحدود القدرة العقلية للباحث الكريم، بَلْ تَحُثّ عَلَى جمع وضمّ العقول المُختلفة إلى عقلك بضوابط وموازين علميّة، وَهَذَا البحث غَيْر بحث حاكميّة الأكثرية، وَإنَّما هُوَ بحث كيفي ويدعو إلى جمع المعلومات الدقيقة وَالَّتِي فيها جنبة شموليّة، ولذلك نرى بوضوح تأثير جانب الخبرة والخبروية والنخبة والنخبوية عَلَى هَذِهِ المدرسة الشّريفة، فالعالم فيها لَيْسَ الكمّي وَإنَّما المنظور العامل الكيفي، ولا يعني هَذَا إهمال العامل الكمّي،

---

(١) أسس النظام السياسي: ج١، ص٣٧ ـ ٣٨ الشيخ محمد السند.

وَإِنَّما يُنظر العامل الكمّي مِنْ جهة توسعة الأفق لا مِنْ جهة أنَّ الكمّ بما هُوَ كمٌّ لَهُ دورٌ، وَإِنَّما مِنْ جانب الانفتاح عَلَى أكبر قدر مِنْ المعلومات وَمِنْ التّجارب، هكذا يَكُون الفضاء رحبٌ وسيعٌ لنظريّة الشورى فِي نظر مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا حَتّى لو نظرنا إلى شعار الحضارات الحديثة المُعبَّر عنها بثورة المعلومات تارةً، وبوسائل شبكة الاتّصال الجّمعي لتبادل المعلومات تارةً أُخْرَى، وإنْ كَانَتْ شعاراتهم السَّابقة الديمقراطية والأكثرية إلّا أنَّهم عدلوا عنها ورفعوا مكانها شعار آخر، وَهُوَ تحكيم ثورة المعلومات والدلائل وإنْ كَانَ هُنَاك جدلاً يجري الآن حَتّى فِي شعار الديمقراطية وَأَنَّهُ هل المُحكَّم هُوَ الكمّ ـ أيّ صفوة الأكثرية، أو آراء الأكثريّة، أو الرأي العلمي الذي يستند إلى معلومات ودلائل، وَعَلَيْهِ بالتّالي هُنَاك فرق بين حقوق الأكثر، وآراء الأكثريّة والرأي العلمي.

فَإِنَّ المُحكم هُوَ الرأي العلمي والنخب العلميّة، ويشهد لَهُ أَنَّهُ إلى الآن حَتّى النّظام الانتخابي الرّئاسي العالمي فِي الدُّول الكُبرى لا يقوم عَلَى أكثريّة الأصوات بقدر ما يقوم عَلَى انتخاب النخب العلميّة الَّتِي هِيَ صمّام الأمان فِي انتخاب الأكفأ والأصلح ... الخ وبالتالي حَتّى أصحاب المدرسة الأُخْرَى بَلْ والمدارس القديمة أو الجديدة الديمقراطيّة لَمْ يكن لهم بُدٌّ مِنْ تحكيم نظرية ومنهاج واتّجاه أهل البيت عليهم السلام فِي نظريّة الشّورى وَهُوَ تحكيم جانب الخبروية والنخبوية.

الاتجاه الثّاني: اتّجاه مدرسة أهل سنة الخلاف فِي نظريّة الشّورى

القائلة بأنَّ **«السلطان ظل الله فِي الأرض»**[1] ولا يصحّ التمرُّد عَلَيْهِ إلَّا أنْ يُعلِن المباح، وأنَّ الأكثريّة هِيَ الحاكمة وإذا اختارت الأكثريّة للحاكم فَهُوَ يمثِّل ظل الله فِي أرضه، وَهَذَا بخلاف ما تذهب إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ كَمَا مَرَّ بيانه فِي الاتّجاه الأوَّل ـ وأنَّ مِنْ عناصره أنْ تراقب الأُمَّة أعضاء حكومتها انطلاقاً مِنْ حديث النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: **«كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عَنْ رعيته»**[2].

بتقريب: أنَّ الحديث الشّريف يُؤكِّد عَلَى تحمّل الجميع مسؤوليّة الحدث دون أنْ تُحَمَّل جهة مُعيَّنة مسؤولية ذَلِكَ الحدث، وَعَلَيْهِ إذَا حُمِّلَ بعضٌ مسؤوليّة ذَلِكَ الحدث لوحده، فَهَذَا تبرير خاطئ حسب منطق النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَمِنْ قبله القُرآن الكريم.

أَمَّا أنَّ درجات تحمّلُ المسؤولية تختلف مِنْ زمان ومكان إلى آخر فذاكَ بحث آخر، وأنَّ مسؤوليّة الرقابة مفتوحٌ للجميع.

عودة إلى صلب الموضوع، وربط وصياغة أسباب النُّزول وفق المعتقد فِي الشورى.

وَهُوَ أنَّ الآيات النازلة فِي غزوة أُحُد لُفِقت لها أسباب النُّزول ودُوِّنت بنمط يُثبت الشورى بالمعنى والاتّجاه الثَّانِي لا بالاتّجاه الأوَّل،

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي: ٨/ ١٦ أمالي الطّوسي.

(٢) عوالي اللئالي ابن أبي جمهور الأحسائي: ج١ ص١٢٩؛ بحار الأنوار، للمجلسي: ج٧٢ ص٣٨.

ولكن وللأسف انطلى هَذَا التزوير عَلَى كبار مِنْ مُحققي الخاصّة، وأنَّ أسباب النُّزول الَّتِي زُوِّرت حسب الروايات المزعومة والمكذوبة والمُختلقة الَّتِي صورت أنَّ رأي النَّبِيّ الأكرمﷺ هُوَ أنَّ يمكث ويلبد فِي المدينة، وَأنَّهُﷺ لَمْ تكن عنده همّة للخروج ومقاتلة الكفّار مِنْ قريش، وَإنَّما يُحارب قريش داخل المدينة وفي سككها وبيوتها وشوارعها هَذَا مِنْ جهة، وَمِنْ جهة أُخْرَى كَانَ رأي عبدالله بن أُبي بن أبي سلول رأس المُنافقين عَلَى عدم الخروج وأنَّ النَّبِيّﷺ إذَا لَمْ يخرج سوف يَكُون النصر حليفهم، وأنَّ ذَلِكَ هُوَ رأي عِلية الصحابة، ولكن الذي أكره الرسولﷺ عَلَى الخروج هُوَ رأي الأكثريّة المُتمثّلة بالشباب المُتحمِّس والمندفع إلى الخروج ومقاتلة قريش، وأنَّهم لا يتهيبون الموت إلَّا أنَّهم قليلو الحنكة، وَكَانَ سبب اندفاع الشّباب هُوَ بسبب عدم توفيقهم للشّهادة فِي بدر لعدم مشاركتهم فيها ورأوا مديح القُرآن وتعظيمه لمكانة مَنْ استشهد فأرادوا أنْ يندفعوا إلى الشهادة واستجاب النَّبِيّﷺ لرأي الأكثريّة ولبس لامته إلَّا أنَّهم اعتذروا ـ الشباب ـ لرسول اللهﷺ وَأنَّهُ لَعَلَّنا أكرهناك يا رسول اللهﷺ عَلَى الخروج، فقَالَﷺ: **«لِأنَّهُ لا يَنْبَغِي للنبي ولا للوصي إذَا لبس لامته وقصد لعدوه وقصد لعدوّه أنْ يرجع أو يثني حَتّى يُقتل أو يفتح الله له »**[1] وكذا ما وَرَدَ فِي مناقب آل أبي طالب: **«وَكَانَ إذَا لبس لامته لَمْ ينزعها حَتّى يُقاتل، ولا يرجع إذَا خرج، ولا ينهزم إذَا لقى العدوّ وإنْ كثروا عَلَيْهِ، وَأنَّهُ أفرس**

---

(١) كتاب سُليم بن قيس الهلالي: ص٢١٨.

العالمين وخُصَّ بالحِمَى»[1] وَهُوَ حكم خاص بالأنبياء.

وأمَّا أهل الحَجا والحنكة فأشاروا عَلَى النَّبيّ ﷺ بالمكث فِي المدينة؛ لِإنَّهُ فِي الحروب السّابقة فِي المدينة لَمْ ينهزم لِأنَّ النّساء والولدان تساعد الجيش والمقاتلين برمي الحجارة ومشاعل القصب و ... الخ وَنَحْنُ نحتمي بالسكك والبيوت ولا يستطيع العدو آنذاك أنْ يظفر بنا، هكذا مذكور فِي الروايات العامة الزاعمة لذلك إلَّا أنَّهم تحيّروا بَعْدَ ذَلِكَ فِي كيفية هيكلة ما ذكروه مَعَ ما يتناسب ومبدأ الشورى فِي الاتّجاه الثّانِي.

الأكثرية لها موضوعية فِي مبدأ نظرية الشورى

فِي مدرسة الخلافة:

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ رأي مدرسة الخلاف فِي مبدأ نظريّة الشُّورى هِيَ تحكيم رأي الأكثرية وأنَّ الأكثريّة لها موضوعيّة، وأنَّ رأي الأكثر هُوَ المُحكَّم وَهُوَ المنبع فإذا اتّفق راي الأكثريّة عَلَى شيء فَإنَّ ذَلِكَ الشيء هُوَ المُتَّبع وإنْ كَانَ مُخالفاً لراي رسول الله ﷺ، إلَّا أنَّ هَذَا مُجرَّد ادّعاء ـ ودعوى ـ يحتاج إلى مثبت.

وفي مقابل هَذِهِ الدّعوى ـ وَهُوَ الصحيح ـ هُوَ أنَّ رأي رسول الله ﷺ كَانَ عَلَى الخروج مِنْ أوَّل الأمر وسنذكر لَهُ عِدَّة شواهد قُرآنيّة وروائيّة، نعم رأي كبار الصّحابة كَانَ مُنعقداً عَلَى خلاف رأي رسول الله ﷺ وَهُوَ

---

(١) مناقب آل أبي طالب بن شهرآشوب: ج١، ص١٢٤ ـ ١٢٥.

عدم الخروج مِنْ المدينة، وَكَانَ نظر هؤلاء الكبار مِنْ الصّحابة مُنصبّاً وتابعاً إلى رأي رأس المُنافقين عبدالله بن أُبي بن أبي السلول لا رأي رسول الله ﷺ.

سؤال: ما هُوَ السبب الرئيسي فِي هزيمة المسلمين فِي وسط معركة أُحُد؟

الجواب: إنَّ الاتّباع لغير رأي رسول الله ﷺ والتمرّد وعصيان أمر الرسول ﷺ وعدم اتّباع خطّته العسكرية بتجافي الرُّماة عَنْ مواقعهم هُوَ السبب الرئيسي فِي هزيمة المسلمين فِي وسط غزوة أُحُد، مُضَافاً إلى فرار كُلّ صحابة رسول الله ﷺ عَدَا علي بن أبي طالب عليه السلام وعكاشة ونفر واحد مِنْ الصّحابة ثبتوا مَعَ رسول الله ﷺ وَإلّا فالصّحابة فرّوا أو بَعْض وَلّى مُدْبراً وذهب بها عريضة و ... الخ.

الأسباب المزعومة لفشل المسلمين وسط معركة أحد:

إنَّ التوثيق والتثبت مِنْ أسباب النُّزول أمرٌ بالغ الأهميّة والخطورة فِي تفسير القُرآن، ولربما الفقيه أو المُتكَلِّم فِي علم الفِقْه أو العقائد أو فِي أيّ علم مِنْ علوم المعرفة الدِّينية يَضِل عَنْ الحقيقة فِي البحث إذَا اعتمد عَلَى أسباب نزول مُحرَّفة؛ ولذا نذكر بَعْض أهم الأسباب الَّتِي ادُّعيت وزُعمت ولا مثبت لها، وسنذكر بَعْدَ ذَلِكَ بَعْض النماذج القُرآنيّة عَلَى العكس مِنْ ذَلِكَ وتدحضها.

وَمِنْ بَعْض أهم تلك الأسباب المزعومة لفشل المسلمين وسط

معركة أُحد وهزيمة وتضعضع جيش المسلمين بأمور تشبثوا فيها مِنْهَا.

السبب الأول: استجابة الْنَّبِيّ الأكرمﷺ لرأي الأكثريّة وَهُمْ الشّباب المُتحمّس، أيّ اُدّعي أنَّ الْنَّبِيّﷺ كَانَ رأيه الشّريف عَلَى البقاء والمكث فِي المدينة المنوّرة فِي معركة أُحُد، بينما كَانَ رأي أكثريّة الأنصار عَلَى الذّهاب خارج المدينة للدفاع عنها ومقاتلة كفّار قريش، ورغم ذَلِكَ تَنَزَّل سيد الأنبياءﷺ عِنْدَ رأي الأكثريّة، وَأَنَّهُ دالٌّ عَلَى أنَّ رأي الأكثر مُلْزِمٌ للأخذ به.

وفيه:

أوَّلاً: إنَّ هَذَا الرأي غيرُ حصيفٍ ولا سديد للتشبث به فِي مَعْنَى الشّورى بالمعنى الثَّانِي، فَإِنَّهُ مُجَرَّد دعوى ولا مثبت لها، بَلْ لدينا شواهِدَ قُرآنيّة وغيرها ـ ستأتي بَعْدَ قليل ذكرها ـ تثبت وتدلّ عَلَى العكس.

ثانياً: إنَّ مثل هكذا قرائن كالأكثريّة وغيرها لا تصلح لتثبيت اتّجاه أو منهاج مدرسة وغيرها؛ ولذا كَانَ مِنْ الضروري جدّاً بيان الآيات والرّوايات الَّتِي تفنّد نظرية الشّورى بالمعنى الثَّانِي.

السبب الثانِي: عدم تكامُل ونضوج الخطّة العسكرية المرسومة فِي المعركة.

وفيه: أنَّ الْنَّبِيّﷺ كَانَتْ خطته مُحُكَمة إلَّا أَنَّهُ تخاذَل بَعْضُ المسلمين وعدم الاستجابة لأوامر الْنَّبِيّﷺ أدّى إلى الانهزام فِي وسط المعركة.

السبب الثالث: عدم استجابة الْنَّبِيّﷺ لرأي واقتراح عِلْية الصّحابة الذي كَانَ يدعو إلى عدم خروج الْنَّبِيّﷺ والمكث فِي المدينة ويُحارب كفّار

قريش فِي سكك وطرق المدينة، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله إذَا بقي فِي المدينة كَانَ النَصْرُ حليفه، وَكَانَ هَذَا الرأي أيضاً يذهب إليه رأس المنافقين عبدالله بن أُبي بن أبي سلول، وَقَدْ استجاب لرأي هَذَا ا لمنافق ما يقرب مِنْ ثلث جيش المسلمين فِي المدينة.

وفيه:

أوّلاً: إنَّ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله عِنْدَمَا خرج مَعَ الجيش لمقاتلة الكفّار خارج المدينة لأجل أنْ يُجنّب المدينة وأهلها الَّذِيْنَ فيهم الشَّيْخ الكبير والمرأة الكبيرة والطفل الصَّغير والمريض وذي الأعذار وغيرهم، ضرر الحرب داخل المدينة؛ لِأَنَّ الحرب داخل المدينة تُؤدِّي إلى أضرار بليغة بالْمُمتلكات وبغير المقاتلين فأراد الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله أنْ يجنبهم كُلّ ذَلِكَ.

ثانياً: إنَّهُ لو بقي الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وسمح لكفّار قريش بالدّخول إلى المدينة، فَلَعَلَّ الأَضْرار تكون أبلغ وأكثر، وتحصّن الكفّار وترسهم بالمسلمين، وَقَدْ يجد الكفّار مِنْ قريش أنصاراً لهم فِي المدينة؛ لِأَنَّ المدينة كَانَتْ حديثة عَهْدٍ بالنبي صلى الله عليه وآله وَلَمْ تكن كُلَّهَا تابعة لَهُ صلى الله عليه وآله ففيها اليّهود والنصارى وطوائف وأديان مُخْتَلِفَة، وَلَعَلَّهُ وجدت جيوب معارضة للنبي صلى الله عليه وآله لَمْ يُحْسَم معهم الأمر بَعْدُ، فَلَعَلَّ هؤلاء إذَا دَخَل جيش الكفّار إلى المدينة تواطئوا وتعاونوا معهم، وآنذاك يصعب الظفر بالنصر.

السبب الرابع: تمرُّد وعصيان الصّحابة لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا أميرَ المؤمنين عليه السلام ومعه نفرٌ قليل جدّاً مِنْ الصحابة ثبتوا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمَّا

باقي الصحابة اتّبعوا رأي رأس المُنافقين عبدالله بن أُبي بن أبي السلول حَتّى أنَّ بَعْض كبار أصحاب النَّبِيّ ﷺ ذهب بها عريضة وانهزم.

وَعَلَيْهِ فما تشبثوا به لترسيخ مبدأ الشّورى بمعنى تحكيم رأي الأكثريّة عَلَى حساب ترسيخ هَذَا المبدأ بالمعنى الثَّانِي، تَحمَّل الرسول ﷺ الضربة الكبيرة لانكسار وانهزام عسكر المسلمين وسط معركة أُحُد، وَهَذَا يُدلِّل عَلَى أنَّ مبدأ الشّورى بالمعنى الثَّانِي كم هُوَ غَيْر مُتأصِّلٌ وخطير حَتّى لو أدّى إلى مثل هكذا زعم خطير.

تطبيق عملي للجهة الأولى مِن قاعدةِ أسباب النزول:

الشواهد والنماذج القرآنية التِي تفند أسباب النزول المزعومة:

وغرضنا الأساسي مِنْ استعراض هَذِهِ الشّواهد القّرآنية هُوَ بالحقيقة تطبيق عملي للجهة الأُولى مِنْ قَاعِدَة أسباب النُّزول، ورغم ما مَرَّ مِنْ تأكيد عَلَى أهميتها إلَّا أنَّ أهميّة الإحساس العملي التطبيقي كُلّما كَانَتْ أكثر كُلّما كَانَ يَشْعُرُ الإنسان بمدى خطورة هَذِهِ الخطوة وكثرة الابتلاء بهذه الجهة فِي أسباب النُّزول، وَهِيَ الروايات المُزيّفة، ولا يَظُنُّ أحدٌ أنَّ الروايات المُزيّفة قليلة بَلْ هِيَ كثيرةٌ وجُلُّها مِنْ مدرسة الطرف الآخر.

نعم، قَدْ يحصل فِي بَعْض الأحيان تطابق بين روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام مَعَ روايات الطرف الآخر المُزَيَّفة تقيَّة، إلَّا أَنَّهُ تخفى فِي أغلب الأحيان عَلَى كثيرمن الباحثين ما لَمْ يتقيّد الباحث الكريم

بمنهج تحكيم مفاد مجموع الآيات والسور والروايات ويخرج بنتيجة قَدْ تُطابق الطرف الآخر أو تخالفه ولا نقصد بأسباب النُّزول الملفّقة والمُزيّفة أنّها كَذَلِكَ مِنْ جميع الجّوانب والزوايا، فإنّها مِنْ بَعْض الجهات ليست مُزيَّفة، إلَّا إنَّهُ بحسب الممارسة والتتبع الدقيقين لسور وآيات عديدة فِي القُرآن حول عرض مسلسل أحداث سيرة النَّبِيّ الأكرمﷺ وأحداث صدر الإسلام، فَمِنْ النَّادر جدّاً أنْ تقف عَلَى موردٍ مِنْ موارد روايات أسباب النُّزول للطرف الآخر وَلَيْسَ فيها تزييف ولو مِنْ زاوية، ولا أقل فإنّهم يُحاولون عدم إظهار بَعْض الملفات الَّتِي لا يروق لهم الإفصاح عنها ويُفتضحون بعرض تلك الملفات؛ لان كُلّ روايات أسباب النُّزول كَانَتْ مرتبطة ولا تزال بكُتل بشريّة فِي عهد الرسولﷺ؛ ولذا مِنْ الصعوبة بمكان نشرها.

ولذا سوف نخرج بنتيجة نَحْنُ عَلَى قناعة تامّةٍ بها ـ إنْ شاء الله ـ هُوَ أَنَّهُ: لا تأمننَّ ولا تطمئنّ فِي كُلّ مورد تكون فيه روايات أسباب النُّزول مِنْ الطّرف الآخر هِيَ صادقة ومطابقة وسليمة تماماً، فَإِنَّ مَنْ يعتقد بصحّتها ويطمئن بها عنده نَوع مِنْ الغفلة.

أمثلة وشواهد قرآنية

على دحض نماذج من أسباب النزول الملفقة

وسنذكر عَلَى الترتيب الَّتِي بيّنت نماذجاً مِنْ سورة آل عمران بما يتعلّق بمعركة أُحُد، وَمِنْ سورة الأنفال ما يتعلّق بمعركة بدر، وَمِنْ سورة براءة ما يتعلّق باعتراض عمر عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

أولا: نماذج مِن سورة آل عمران ما يتعلق بمعركة أحد:

إنَّ مفاد الآيات القرآنيَّة الَّتِي بيَّنت غزوة أُحُد فيها وعدٌ إلهي بالنصر، إلَّا أنَّ هَذَا النصر الإلهي لَمْ يستمر إلى آخر الغزوة، وَإِنَّما إلى وسطها وانقطع ثمَّ عاد هَذَا النصر الإلهي فِي آخر المعركة، وَهَذَا لَيْسَ خلفٌ مِنْ الله لوعده ـ حاشاه لله ـ وَإِنَّما فرَّط به بَعْض المسلمين وتمرَّدوا وعصوا الله ورسوله صلى الله عليه وآله؛ ولذا هُزموا وسط المعركة بسبب ذَلِكَ العصيان والتمرُّد وعدم إطاعة أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وعدم انصياعهم لوصاياه العسكرية، فالسبب فِي الهزيمة كَمَا تُبيِّنه الآيات لَيْسَ هُوَ الخروج مِنْ المدينة، بَلْ الخروج مِنْ المدينة هُوَ سبب لنصرهم فِي أوَّل المعركة، وَإِنَّما تُعزى الآيات سبب الهزيمة إلى تفريط بَعْض

المسلمين وَهُمْ الرُّماة حَيْثُ غادروا مواقعهم مِنْ فوق الجبل وطمعوا فِي الغنائم، وَهَذَا داحضٌ لما زعموه مِنْ أسباب النُّزول فِي آيتي الشورى كَمَا سيأتي.

وَبَعْدَ معرفة هَذَا فكيف يدّعون فِي أسباب النُّزول ـ بحسب طرق العامّة ـ أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله انصاع لرأي الأكثرية، وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله خرج مُكرَهاً عَلَى خلاف رأيه صلى الله عليه وآله والذي كَانَ عَلَى عدم الخروج مِنْ المدينة، وما هَذَا إلَّا تناقض وتدافع فِي أسباب النُّزول مَعَ مفاد الآيات.

النموذج الأوّل:

قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ القُرآن يمدح الخروج إلى خارج المدينة ويصف النعمة الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا المسلمون وَهِيَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ (يبَوِّئ) أيّ ينشر الجيش فِي ساحة المعركة خارج المدينة، أو لا أقل فِي ضواحي المدينة لمواجهة المشركين، وَعَلَيْهِ فَهَذِهِ نعمة لا نكسة، وكيف تدّعي روايات العامّة فِي أسباب النُّزول خلاف ما جاء فِي القُرآن وتناقض وتدافع القُرآن فِي ذَلِكَ.

ويستمر القُرآن فِي تصوير الحدث ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾[2].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢١.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٢.

بتقريب: إنَّ أسباب النُّزول فِي القُرآن الكريم بيَّنت سبب الفشل ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يتنازع جماعة عبدالله بن أُبي بن أبي سلول وسط الطريق ورجوعهم إلى المدينة وإصرارهم عَلَى القتال داخل المدينة. وخذلانهم جيش النَّبيّ ﷺ قبل المعركة؛ ولذا ذَمَّ القُرآن فِعْلَ عبدالله بن أُبي بن أبي سلول بقوله تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ ...﴾، وبقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾[1].

هَذِهِ الآيات القرآنية الكريمة وغيرها فِي النموذج الأوَّل تُفنِّد أسباب النُّزول المزعومة والمُلفَّقة مِنْ قبل العامّة، وَعَلَيْهِ فالهزيمة ليست بالخروج خارج المدينة والجانب الجغرافي كَمَا يُدَّعى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة المزعومة.

وأمَّا مسألة النَّصر فَهُمْ موعودون بها مِنْ قِبَل السَّماء، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ سبب الهزيمة شيء آخر غَيْر ما لُفِّقَ فِي أسباب النُّزول لتحريف معاني الآيات القرآنية الكريمة، وَهَذَا أمرٌ بالغ الخطورة فِي أسباب النُّزول فينبغي أخذ الحذر ومتابعته بدقّة.

التمييز بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام والمدارس الأخرى فِي مبدأ الشورى على مستوى الفقه السياسي والاقتصادي والعقائدي:

إنَّ مِنْ أهم الفوارق بين نظرية الشورى فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين نظرية الشورى فِي مدرسة السّقيفة يتلخّص بما يلي:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٦.

أنَّ طابع الشورى فِي مدرسة أهل البيتعليهم السلام هُوَ طابع علميٌّ وفكريٌّ، بينما طابع الشّورى فِي الطرف الآخر، أو مدرسة السقيفة هُوَ طابع الغلبة والقهر والقوَّة؛ وَذَلِكَ لِأنَّ عنوان الشّورى والمشاورة حسب النَّظَرِيَّة الأُولى ـ عِنْدَ مدرسة أهل البيتعليهم السلام ـ مأخوذة مادّة ومفهوماً مِنْ مداولة الآراء والانفتاح عَلَى التّجارب والعقول كبنك معلومات، وكدعاء تجتمع فيه روافد المعلومات وَقَواعِد البيانات بغية الوصول إلى الصورة الواسعة عَنْ الحقيقة والواقعية المتّسعة، وَمِنْ الواضح أنَّ النظر فِي هَذَا القالب لا ينظر إلى الأكثرية كعامل كمّي دخيل فِي القوّة والقهر والغلبة، بَلْ ينظر إلى العامل الكمّي كنظرته إلى العامل الكيفي بُغية تحصيل أكبر عدد مِنْ المعلومات والخبرات والتّجارب وطرق الاستكشاف الواقعيَّة والحقيقة.

نعم، النَّظَرِيَّة الأولى ـ عَلَى منهج مدرسة أهل البيتعليهم السلام ـ يُلاحظ فيها بُعدٌ آخر للأكثرية وَهِيَ حقوق واستحقاقات الأكثرية وَهُوَ مِنْ ضمن الحقيقة والواقعية، بينما فِي النَّظَرِيَّة الثَّانية ـ عَلَى منهج السّقيفة ـ تلاحظ الاكثرية لا مِنْ حَيْثُ البُعد الحقوقي، بَلْ مِنْ بُعد الغلبة والقوّة والقهر، ويترتّب عَلَى هَذَا الفارق جملة مِنْ الفوارق الكثيرة مِنْهَا:ـ

أوَّلاً: إنَّ القوّة والقهر والغلبة هُوَ الأصل فِي مشروعية الشورى فِي النَّظَرِيَّة الثَّانية ـ نظرية السّقيفة ـ بينما فِي النَّظَرِيَّة الأولى ـ منهج مدرسة أهل البيتعليهم السلام ـ لا يُنظر إلى الأكثرية مِنْ جهة القوّة والغلبة والقهر، بَلْ ينظر إليهم مِنْ أبعاد أُخْرَى ترتبط بإدراك الواقعية والحقيقة، أيّ أنَّ الأصل فِي

مشروعية الشّورى الذي تعتمد عَلَيْهِ نظرية أهل البيت عليهم السلام هُوَ العلم والمعلوم.

ثانياً: إنَّه فِي نظرية الشّورى عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام يُنظر إلى الأكثرية إمَّا مِنْ جهة رعاية حقوق الأكثريّة، وَحَيْثُ إنَّ النّظر إلى الأكثرية مِنْ جهة حقوقية لا مِنْ جهة الكثرة والقهر والغلبة، فيُراعى نحو توازن بين حقوق الأكثر وحقوق الأقليات بنحو عادل ومتوازن، وَهُوَ غَيْر مرعي فِي نظرية الشّورى عِنْدَ مدرسة السّقيفة.

وَإمَّا مِنْ جهة كثرة التّجارب عِنْدَ الأكثرية وكثرة الخزائن العقلية، وَمِنْ ثَمَّ يُراعى فِي ذَلِكَ أيضاً الجانب والعامل الكيفي مِنْ الخبروية والنخبوية والأعلمية أو مِنْ جهات أُخْرَى ستأتي ـ إنْ شاء الله تَعَالَى ـ .

ثالثاً: إنَّهُ بمقتضى أساس القوّة والغلبة فَإنَّهُ يشرعَن كُلَّ آليةٍ وأسلوبٍ يُحقِق القوَّة والغلبة والقهر، وَمِنْ ثَمَّ ذهبوا إلى مشروعيّة المتغلّب بالسيف، وَمِنْ ثَمَّ أنَّ طابع القدرة والغلبة والقهر هُوَ طابعٌ مشروع فِي تلك النَّظرية ـ أيّ نظرية السّقيفة ـ بخلاف نظرية أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ طابع الاستحقاق مِنْ الخبروية والكمال هُوَ الأصل فِي المشروعيّة.

وَعَلَيْهِ فَمِنْ الضروري جداً تسليط الأضواء عَلَى التّمايز بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وبين المدارس الأُخْرَى عَلَى المستوى النظري والعملي فِي مبدأ الشّورى، علماً أنَّ بينهما بوناً كبيراً يتّضح هَذَا الفرق الشاسع بين النهجين فِي أحد الفوارق المتقدِّمة وفي مثل فرق أسباب النُّزول فِي الآيات النازلة فِي غزوة أُحُد، كَمَا فِي سورة آل عمران إذْ لَفَّقت وزوَّرتْ مدرسةُ

الطرف الآخر ـ مدرسة السقيفة ـ أسباب النُّزول بما يتماشى ويتلائم مَعَ تثبيت مبدأ نظرية الشّورى لديهم الذي انطلى هَذَا وللأسف حَتّى عَلَى كبار مُفسّري الخاصَّة أمثال علي بن إبراهيم بن هاشم القمّي صاحب التفسير المعروف، والشَّيْخ الطّوسي فِي التبيان، والشَّيْخ الطبرسي صابح تفسير مجمع البيان وغيرهم، وما ارتضوه مِنْ أقوال العامّة فِي النُّزول وأخذهم منهم أخذ المُسلّمات، فَإنَّ هَذَا يحتاج إلى تحقيق وفرز الأسباب النُّزول للآيات الوارة فِي الحوادث والوقائع كغزوة أُحُد الَّتِي لفقت أسباب النُّزول العامّة مبدأ نظرية الشّورى بما يتلائم ومبدأ الأكثرية ويتماشى مَعَ مقولتهم القائلة: ـ بأنَّ الحاكم ظلّ الله فِي أرضه و ... وتحقيق كُلّ هَذَا موكول إلى الأخوة الباحثين فِي هَذَا المجال فِي فرز ما وَرَدَ عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ الصحيح دون ما وَرَدَ عَنْ غيرهم.

فمثلاً مَعْنَى مبدأ نظرية الشّورى عِنْدَ أهل البيت عليهم السلام: ـ إنَّهُ يجب عَلَى كُلّ المسلمين أنْ يتحمّلوا ويساهموا فِي مسؤوليّة الرقابة وَأَنَّهُ يجب عَلَى الكل أنْ يكونوا مطلعين ومرتبطين بمصير الأُمَّة وَالدِّين، فَهَذِهِ هِيَ الشورى الَّتِي أوجدها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وربّى الأُمَّة عَلَيْهَا، وكذلك مِنْ بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين عليهم السلام، حَتّى وصل الأمر ذَاتَ يَوُم بمعاوية أنْ قَالَ لامرأة «**تجرأتِ وانتقدتِ أداء أعمال وسياسة معاوية وعمّاله اللاأخلاقية والدمويّة وأنَّ الذي جرّأكم عَلَى الولاة وانتقاد أدائهم هُوَ علي بن أبي طالب عليه السلام وَهَذِهِ حقيقة وينبغي تسليط الأضواء عَلَيْهَا وَهِيَ: ـ تربية النَّبِيّ صلى الله عليه وآله للأُمة فِي مُحاسبة ومُراقبة الولاة**».

النبي الأكرمﷺ ربى الأمة على الجرأة

في محاسبة ومراقبة الولاة(١):

هُنَاك حقيقة لابُدَّ مِنْ تسليط الأضواء عَلَيْهَا ألا وَهِيَ تعليم وتدريب الأُمَّة عَلَى انتخاب الأصلح والأكفأ والذي يهتم بشأن الرعيّة وانطلاقاً مِنْ قولهﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عَنْ رعيته**»(٢). وأنَّ الْنَّبيّﷺ هُوَ الرّاعي والمعلِّم الأوَّل لأمته، وَمِنْ بعده أمير المؤمنينعليه السلام علي بن أبي طالب والأئمةعليهم السلام مِنْ أهل البيت الْنَّبِيّﷺ فَإنَّ منهجهمعليهم السلام قائمٌ عَلَى تجذير مبدأ نظرية الشّورى عَلَى رقابة الأُمَّة، وَهَذَا مما يُزيل ويُقوِّض بناء حكومة بين أمية والعباس وغيرهما مِنْ جذورها شيئاً فشيئاً.

ومّما يُؤكِّد هَذَا المعنى ما قاله الإمام الرضاعليه السلام بسنده عَنْ جده الْنَّبِيّ الأكرمﷺ: «**مَنْ اغتصب أمر الخلافة فاقتلوه**»(٣).

بتقريب: إنَّ مَنْ يلجي الأُمَّة عَلَى شيء ويكرها عَلَيْهِ، فَإنَّ مثل هَذَا الفرض لَيْسَ مشروعاً باعتبار أنَّ الأُمَّة لابُدَّ لها مِنْ المساهمة فِي أمر الخلافة لا التسلّط عَلَيْهَا بالاستبداد والانفراد دونها بالدكتاتورية، إلَّا أنَّهُ لابُدَّ مِنْ التمييز بين أمرين مهمّين:

---

(١) وإن كان التعبير بالجرأة لعلّه يتبادر منه المعنى السلبي، إلا أنَّ المراد به هنا تربية الأمة على محاسبة ومراقبة الحاكم والذي لا يقوم بأداء مسؤوليته بالوجه الصحيح والمطلوب.

(٢) قد فصل شيخنا الأستاذ السند حفظه الله ذلك في الإمامة الإلهية ج١، الفصل الثاني نظرية الحكم على ضوء الإمامة الإلهية: ص١١٣ ط الثّانية.

(٣) المصدر السابق: ص١٧٢.

الأمر الأوَّل: مساهمة الأُمَّة ودخالتها فِي مراقبة ومحاسبة الحاكم إذَا قَصَّرَ فِي واجباته.

الأمر الثَّانِي: حقوق الأكثر.

وخلاصة ذَلِكَ إنَّ الواجب عَلَى الأُمَّة تمكين الواجد المتوفر عَلَى شرائط وصفات الحاكم الأصلح وَهُوَ المنصوص عَلَيْهِ مِنْ قبل السَّماء بتوفر صفات الكمال اللازمة للقائم والحاكم والوالي لا سيما إذَا اتّسعت صلاحيته وارتفقت وتصاعدت رتبة ولايته وَهُوَ مَنْ يَكُون إماماً للمسلمين وإماماً للأُمة فَإنَّ خطورة المسؤولية والصّلاحية تقتضي عقلاً وكتاباً وسنة ووجداناً توفر الحاكم والوالي عَلَى صفات وأهليّة وكفاءة وإمانة عالية جداً، تفوق ما عِنْدَ الجميع، وَإنَّما يَتِمُّ الكشف عَنْ توفر الشخص مِنْ خلال وبواسطة الوحي، وَهَذَا هُوَ فحوى نظرية النّص والإمامة الإلهية، فاللازم عَلَى الأُمَّة تمكين مَنْ نصَّت عَلَيْهِ السَّماء والمساهمة فِي إقامة المشروع الإلهي والممانعة عَنْ تصدي العتاة والمُستأثرين والفاقدين للكفاءة والأهلية لَيْسَ عَلَى صعيد القمّة والرأس فحسب، بَلْ كَذَلِكَ الحال فِي بَقيَّة المواضع والمراتب الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ مِنْ مواقع الصلاحيات والدرجات المتوسطة الكثيرة، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى النّصيحة لإمام المسلمين العادل أيّ جهاز الدول، فَالأُمَّة واجبها تمكين الأصلح والممانعة عَنْ تسلّط العتاة والظلمة وإزالتهم فِي حالة تسلّطهم عَلَى مقاليد الأُمُور، وَهَذِهِ أحد المسؤوليات العظيمة الملقات عَلَى عاتق الامة، سواءٌ فِي أصل التولية للولاة،

أو ممانعة غَيْر المُؤهلين وإزاحتهم عَنْ مواقعهم، أو مراقبة سير أعمالهم، هَذَا كُلَّهُ بلحاظ مساهمة الأُمَّة ودخالتها فِي مراقبة ومحاسبة الحاكم إِذَا قَصَّر فِي واجباته.

وأمَّا بلحاظ حقوق الأكثرية فاللازم مراعاة التّوازن بين حقوق الأكثرية سواء بلحاظ الحَقّ العام أو بلحاظ حق الأكثرية وحق الأقلية، أو حق الفرد مَعَ الحَقّ العام، فَإِنَّ هُنَاك معادلة توازن لا يُحيف فيها الطرف الآخر.

وَهَذَا بخلاف مَعْنَى مبدأ نظرية الشّورى الجديد فِي مدرسة الخلفاء ـ مدرسة الطرف الآخر ـ أو الديمقراطية الغربية القائلة: ـ بأَنَّ الأصل المتجذِّر عندهم هُوَ عدم الاعتراض عَلَى الحاكم بشيء ومماشاته؛ لِأَنَّ الحاكم ظل الله فِي أرضه، هَذَا حسب ما تعتقده مدرسة الطرف الآخر.

خطورة كتب السير والتاريخ ...

أسباب النزول على الاستنباط فِي العلوم الدينية:

يجب اعتماد مصادر مدرسة أهل البيت ﷺ

فِي أسباب النزول:

نلاحظ كثيراً مِنْ الدراسات فِي الفِقْه السياسي أو الاقتصادي، بَلْ حَتّى العقائدي للحكومة الإسّلاميَّة صدرت استناداً إِلى أسباب النُّزول ورواياتها الملفَّقة الموضوعة والمدسوسة، وَقَدْ غفل عَنْ ذَلِكَ جملة مِنْ كبار

المحققين ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ منهم امثال صاحب تفسير القمّي علي ابن إبراهيم بن هاشم القمّين والشَّيْخ الطّوسي فِي تبيانه، والشَّيْخ الطّبرسي فِي بيانه و ... الخ أخذوا واعتمدوا بَعْض أسباب النُّزول عَلَى ما ذكرته مصادر العامّة أخذ المُسلّمات؛ ولذا يحتاج هَذَا التُّراث لمزيد مِنْ التحقيق والتصفية لأسباب النُّزول وغيرها المأخوذ مِنْ مصادر العامّة، وَلَيْسَ بالأمر الهين وَإِنَّمَا يحتاج إلى تظافر جهود المحققين فِي هَذَا المجال؛ ولذا مَنْ أخذ مِنْ مصادر العامّة تَحَيَّرَ فِي كيفية هيكلة مبدأ الشّورى وأنَّ النَّبِيّ الأكرمﷺ كَانَ مأموراً مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ بأخذ رأي الأكثرية وملزماً به بدليل ما وجدناه فِي أسباب النُّزول للآيات الخاصة بغزوة أُحُد كَمَا فِي سورة آل عمران، وإنْ كَانَ الرسولﷺ قَدْ خولف رأيه الصائب الذي كَانَ يقول بالمكث بالمدينة وعدم الخروج لمقاتلة كفّار قريش خارج المدينة المنوّرة، وذكرت مصادر العامّة أنَّ هَذَا الذي كَانَتْ عَلَيْهِ كبار الصحابة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أعمدة بناء أسباب النُّزول فِي منهج التفسير يجب بناؤه عَلَى وفق الحقائق القرآنية ومصادر مدرسة أهل البيتعليهم السلام لا عَلَى مصادر غيرهم، فَإِنَّ هَذِهِ المصادر موجودة فِي تراث أهل البيتعليهم السلام إِلَّا أَنَّهَا تحتاج إلى بذل المزيد مِنْ الجهود وتظافرها فِي سبيل استكشاف هَذِهِ الحقائق لا أَنَّهَا غَيْر موجودة أصلاً؛ ولذا كَانَ الاعتماد عَلَى أسباب النُّزول الواردة مِنْ جهة العامّة وإرسالها إرسال المُسلّمات فِي بَعْض الآيات أحد أسباب تغييب جملة مِنْ الحقائق الثابتة عَلَى أرض الواقع ممّا تَقَدَّمَ ذكره فِي غزوة أُحُد وتغييب

بَعْض مقاطعها الحيوية خاصّة المقطع الأخير الذي كَانَ فيه منقبة لعلي بن أبي طالبعليه السلام، بَلْ كَانَ ذَلِكَ سبب فِي تغيب كثير مِنْ الحقائق فِي تاريخ صدر الإسلام وسيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ومشاهد الأحداث، وَمِنْ ثمَّ تغييب الحقائق.

وأحد الشواهد عَلَى ذَلِكَ ما نقرأه فِي زيارة الإمام الهاديعليه السلام يَوُم الغدير «... **يَوُم أُحُد إذْ يصعدون ولا يلوون عَلَى أُحُد والرسول يدعوهم فِي أخراهم وانت تذود بهم المشركين عَنْ النَّبِيّ ذَاتَ اليمين وَذَاتَ الشمال حَتّى ردّهم الله عنكما خافين ونصر بك الخاذلين ...**»[١].

بتقريب: إنَّ الضَّمير المُنفصل (أَنْتَ) المُرَاد به أمير المؤمنين علي بن أبيعليه السلام، والضّمير (عنكما) أيّ رسول الله وأمير المؤمنين ووصي رسول ربّ العالمين، ونصر (بك) أيّ ونصر الله بك يا علي الخاذلين.

و «... **شهدت مَعَ النَّبِيّ جميع حروبه ومغازيه تَحْمِل الراية أمامه تضرب بالسّيف قدّامه ثمَّ لحزمك المشهور وبصيرتك فِي الأُمُور أمّرَك فِي المواطن وَلَمْ يكن عليك أمير وكم مِنْ أمرٍ صَدَّك عَنْ إمضاء عَزْمك فيه التُقى واتّبع غيرك فِي مثله الهوى، فظنَّ الجاهلون أَنَّكَ عجزت عما إليه انتهى، ضَلَّ والله الظان لذلك وما اهتدى، ولقد أوضحت ما أشكل مِنْ ذَلِكَ لِـمَنْ تَوهَّم وامترى بقولك صلى الله عليك قَدْ يرى الحُوَّلُ والقُلَّب وجه الحيلة ودونها حاجزٌ مِنْ تقوى الله فيدعها رأي العين وينتهز فرصتها**

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٤٤٢.

مَنْ لا حريجة لَهُ فِي الدِّين صَدَقْتَ وخَسِرَ المُبلطون ...»(١).

بتقريب: إنَّنا نجد هَذِهِ الزيارة المُبَارَكَة اشتملت عَلَى بيان جملة مِنْ أسرار التأريخ المطموسة والممحيّة وأنَّ أحد الأُمُور الَّتِي أقدم عليها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وأوَّل شيء خطط لَهُ عسكرياً فِي معركة أُحُد هُوَ مواجهة الفارّين مِنْ المعركة قبل مواجهة قريش: «... **والله لأنتم أحقّ بالقتل مِنْ كُفّار قُريش**»

وَقَدْ بَيَّن لنا القُرآن الكريم أسباب الهزيمة **أوَّلاً**، ثمَّ أسباب النَّصر الذي تحقّق بَعْدَ الهزيمة وبذلك يُلاحظ كيفية التلفيق لأسباب النُّزول هَذِهِ، ولوقوع التلفيق والتحريف والتزييف وقلب الحقائق وغربلة روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ قبل مدرسة السقيفة وبنو أميّة وبنو العباس يَكُون التدبّر فِي دلالة الآيات والروايات الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام ميزاناً بالغ الأهميّة فِي اكتشاف خيوط التلفيق والتحريف، وَمِنْ ثمَّ الوصول إلى خيوط وقصاصات الحقيقة.

والحاصل: إنَّ غربلة وتنقية كتب السِيَر والتأريخ بما فِي ذَلِكَ تاريخ أسباب النُّزول بالغ الخطورة والتأثير عَلَى استظهارات الفقيه فِي الفِقْه السياسي وَالفِقْه القضائي والاجتماعي فضلاً عَنْ الفِقْه الفردي، وكذلك مؤثر عَلَى استظهارات المُتكَلِّم وما يستنتجه.

---

(١) المصدر السابق.

وكذلك فِي ما يكتبه الُمفَسِّر مِنْ تفسير للآيات والسُّور، وكذلك فِي استظهارات عَلَى الأخلاق والآداب وغيرهم مِنْ عُلَماء العلوم الدِّينية.

والطّامَّة الخطيرة استرسال كثير مِنْ الباحثين سواء فِي الأوساط العلميّة الدِّينية أو الأكاديمية مَعَ تلك المصادر وأخذها إرسال الُمسلّمات مِنْ دون وقفة تمحيص وتدقيق وبحث وتنقيب جنائي، وتمحيص مختبري للقصاصات والشواهد والبصمات وكيفية تناسقها وتناسبها، فاليقظة والانتباه والاستطلاع والتنقيب مِنْ الضرورة بمكانٍ.

وَعَلَيْهِ لأجل التغلُّب عَلَى هكذا ظاهرة ـ أيّ ظاهرة طمس الحقائق وتثبيت ما هُوَ الحَقّ مِنْهَا والواقع فعلاً ـ لابُدَّ مِنْ اتّباع شرائط خاصة فِي تمحيص وتنقية أسباب النُّزول، وَهَذَا ما ستعرَّض لَهُ فِي العنوان التالي.

منهج أمومة ولاية أهل البيت عليهم السلامَ علَى المحكمات فضلا عن المتشابهات فِي القرآن هوَ المحور لِكل قواعِدِ التفسير، ومِنها أسباب النزول:

[يُشترط فِي تحقيق وتنقية أسباب النُّزول]:

إنَّ مِنْ أهم الأُمُور الَّتِي ينبغي مُراعاتها فِي تحقيق وتمحيص منهج أسباب النُّزول ما يلي:

الأمر الأوَّل: العرض عَلَى آيات الكتاب الكريم:

إنَّ مِنْ أهم شرائط التحقيق لروايات أسباب النُّزول هُوَ عرضها عَلَى

نفس آيات القُرآن الكريم، وإنْ كَانَ لَعَلَّهُ لأوَّل وهلة قَدْ يُتسائل أنَّهُ كيف تعرض روايات أسباب النُّزول عَلَى آيات القُرآن مِنْ دون لزوم محذور الدُّور، والحال أنَّ دلالة الآيات إنَّما تستحصل الاستعانة بقرائن أسباب النُّزول، بَعْدَ اعترافنا أنَّ أسباب النُّزول لها تأثيرها الفاعل فِي تفسير آيات القُرآن الكريم، فكيف الآن نجعل العرض عَلَى آيات القُرآن شرطاً فِي تنقية أسباب النُّزول مِنْ دون الاصطدام بمحذور الدور؟ وَهَذَا إلى حدٍّ ما يشبه عرض الآيات عَلَى السنة النبويّة الشريفة وروايات سنة المعصومين عليهم السلام أو عرض السنة النبوية وروايات المعصومين عليهم السلام عَلَى القُرآن الكريم مِنْ دون حصول تدافع، بدليل أنَّ نفس القُرآن يقول: ﴿...وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧﴾[1].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يدعوالى عرض تأويل المُتشابه مِنْ آيات القُرآن عَلَى الرّاسخين فِي العلم وَهُمْ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

وَهَذَا أيضاً ما أراد إثباته أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فِي معركة صفّين وأنّكم لا تستطيعون تفسير مُتشابه القُرآن لوحدكم والاستغناء عَنْ العَرْض عَلَى المعصوم فَإنَّ المُعَلِّم الإلهي الوحيد الذي يستطيع أنْ يحلّ متشابهات القُرآن وإرجاعها إلى المُحْكَمات أو يخصّص العمومات أو يُقيّد

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

المُطلقات أو ... فِي القُرآن هُمْ النَّبيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ عرض الآيات فِي القُرآن الصّامت عَلَى القُرآن النّاطق المُتمثّل بالمعصوم عليه السلام.

محكمات القرآن والسنة والعقل والوجدان

يعرض عليها متشابهات القرآن والسنة والعقل والوجدان

ولأجل رفع غائلة الدور إنْ كَانَ نذكر أُمُور لرفعه.

أوّلاً: إنَّ حديث النَّبيّ ﷺ والرّوايات الواردة عَنْ الأئمة المعصومين عليهم السلام بطرق قصيرة هُمَا كَذَلِكَ يُعْرضان عَلَى كتاب الله فَإنَّ كتاب الله نورٌ وبيانٌ وهدىً، فإذا كَانَ هُنَاك تدافع فِي الأحاديث والرّوايات فَعِنْدَ عرضها عَلَى كتاب الله فَإنَّهُ سوف يُدْفع ويرفع ذَلِكَ التّدافع مِنْ خلال عرض مجموع مُتشابهات القُرآن والسّنة عَلَى مجموع محكمات القُرآن والسنة.

ولا يستطيع أحدٌ أنْ يقوم بِهَذَا العرض الذي وصفه القُرآن الكريم إلّا بالاستعانة بالراسخين فِي العلم وَهُمْ النَّبيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[1] و ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾[2] هَذَا النسبة إلى عرض متشابه الكتاب والسنة عَلَى مُحْكَم الكتاب والسُّنة.

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٣.

كَذَلِكَ النسبة إلى مُتشابهات العقل والوجدان فَإِنَّ العقل والوجدان كَذَلِكَ فيها مُتشابهات مُتمثِّلة بالظّنيات وَالأُمُور النَّظَرِيَّة الَّتِي هِيَ غَيْر البديهيّة، ومثل هَذِهِ عادةً يحصل فيها اختلاف؛ ولذا المرجع الوحيد لحلّ كُلّ مُتشابهات العقل هُوَ الرجوع إلى مُحكمات القُرآن والسنة.

ثانياً: لو تنزّلنا وسلّمنا بوجود محذور الدور والتّدافع بين الأحاديث والرّوايات والآيات القُرآن، فَإِنَّهُ عِندنا طريق آخر لرفع التّهافت والتّدافع مِنْ خلال وجود نافذة أُخْرَى مِنْ نوافذ العلم غَيْر الوحي الإلهي والعقل ألا وَهِيَ بديهيات الوجدان، فَإِنَّ نافذة المشاهدات والمُكاشفات هِيَ أيضاً فيها بديهيات وفيها مُتشابهات، أما الوجدانيات الضرورية هِيَ المُحكمات الَّتِي تجدها فِي نفسك وممّا يقضي بها قلبك فَإِنَّهُ بديهي عِنْدَ الكُل، وَهَذَا ممّا وصفه القُرآن بالفطرة ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[1].

ثالثاً: اكتشاف وَحْدَة النُّظم ووحدة الاتّساع فَإِنَّ الحاكم والقانون القاهر فِي التكوين هُوَ وحدة النُّظم ووحدة الاتّساق فالتناقض والتّهافت والتّدافع لا يمكن افتراضه بخلاف الاتّساق والنّسق والوحدة فِي تأليف وتوليف القصاصات والشواهد لترتسم صورة كاملة واضحة لا يتخلّلها بقع وفراغات مُبهمة.

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

الأمر الثَّانِي: عرض أسباب النُّزول عَلَى روايات أهل البيت عليهم السلام المُعتبرة والمُستفيضة، بَلْ والطرق الضعيفة لتلك الرّوايات، فَإِنَّ استعراض الروايات لأسباب النُّزول للآيات لا يقتصر عَلَى ذكر الرّوايات الواردة فِي ذيل الآيات أيّ المُتضمِّنة للتعرض لألفاظ الآيات بَلْ إنَّ فِي كثير مِنْ الرّوايات التعرّض إلى أحداث تاريخ الإسلام وسيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله والمُتقدّمين مِنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام مِنْ دون التعرّض إلى ألفاظ الآيات، بَلْ قَدْ لا تتعرّض إلى العناوين والأحداث الكبيرة للحدث، لكنَّها تتعرّض إلى فصول أو زوايا هِيَ مِنْ أبعاض وَبَعْض ذَلِكَ الحدث، وَمِنْ تجميعها يتمكّن مِنْ لململة مجموع فقرات الحدث، ولربّما يَستْغرب الباحث عِنْدَمَا نشير إلى أنَّ الكُتب الأربعة فضلاً عَنْ غيرها رغم أنَّ المعروف عنها كتب الحديث فِي فقه الفروع إلَّا أنَّها تشتمل عَلَى الكثير الكثير مِنْ بحوث السِّيرة النبوية وسيرة حياة المعصومين، بَلْ الكثير الكثير مِنْ أبواب المعرفة رغم أنَّ اسئلة الرّواة فِي تلك الرّوايات متّجهة ابتداءاً إلى أسئلة فِي فقه الفروع، هَذَا فضلاً عمّا فِي بَعْض مجلّداتها مِنْ أبواب وفصول فِي السّيرة وأحداث المكي والمدني مِنْ تاريخ الإسلام.

الأمر الثَّالِث: العرض عَلَى بديهيات العقل لا نظرياته فَإنَّها ـ النظريات ـ استبعادات ظنيّة لا قيمة علميّة لها، وَهَذَا التفصيل ضابطة مُهمّة فِي التمييز بين القراءة الَّتِي هِيَ عَلَى طبق الاستذواق الظنّي القاصر لإدراكات العقل، فَإِنَّ الكثير مِنْ الأحكام الَّتِي تُطلق عِنْدَ مَنْ يتمشدق بعنوان البحث العلمي

هِيَ أحكام مبنيّةٌ عَلَى قصور علمي عَنْ الإحاطة بأبواب أو فصول أو مسائل مِنْ علوم مُخْتَلِفَة ذَاتَ صلة بقراءة ذَلِكَ الحدث، ولقلَّة بضاعة ذَلِكَ الباحث المتقحّم عَنْ الإطلاع عَلَى تلك المسائل مِنْ تلك العلوم تراه يبني تصوراته وأحكامه عَلَى مجهولات كثيرة لديه، بَلْ يُرى هَذَا الحال حَتّى بالنسبة إلى العلوم الحديثة العصرية فلا يواكب المستجدات مِنْ النظريات والاكتشافات العلميّة فيها ويبقى يشتر معلومات ثقافية سالفة فِي تحصيله العلمي مِنْ دون أنْ يجدد تلك المعلومات، فضلاً عَنْ عدم الاطّلاع عَلَى العلوم النقليّة، وكم غفلةٍ تقع عِنْدَ جملةٍ مِنْ الباحثين مِنْ التفرقة بين ما هُوَ حقيقة علميّة وبين ما هُوَ نظريّة وبين ما هُوَ فرضيّة علميّة، وبين ما هُوَ خيال علمي.

مؤامرة واغتيال حمزة بن عبدالمطلب

فِي معركة أحد:

إنَّ هُنَاك جملة مِنْ التساؤلات الَّتِي تسترعي انتباه ذهن الباحث عِنْدَمَا يقف عَلَى حادثة استشهاد حمزة بن عبدالمطلب عليه السلام وتقوده هَذِهِ التساؤلات إلى نظرية القول بأنْ استشهاد حمزة لَمْ يكن يَتِمُّ بفعل المقاتل وحشي ورميه لَهُ بالحربة فَقَطْ، بَلْ إنَّ هُنَاك تواطئ مِنْ المُنافقين فِي معسكر النَّبيّ صلى الله عليه وآله تَمَّ التنسيق والتواطئ معهم وبني أميّة للقيام بعملية اغتيال حمزة أثناء المعركة.

أوَّلاً: إنَّهُ كيف تَمَّ اختراق وحشي لصوف المسلمين ورمي حمزة

بحربته مِنْ الجانب فِي بدايات المعركة قبل أنْ ينتصر المسلمون فِي البداية، فَإنَّ جيش المسلمين فِي البداية لَمْ يكن منهزماً، لا سيما وَأنَّهُ كَانَ فِي عنفوان قوته، وَقَدْ حقّق النصر أوّلاً بَعْدَ استشهاد حمزة فكيف يتعقّل اختراقه فِي بدايات المعركة مِنْ قبل العدو.

ثانياً: إنَّ القُرآن الكريم فضلاًعن مصارد السير ومصادر الحديث يشير إلى أنَّ ثلث جيش رسول الله صلى الله عليه وآله رجعوا تخاذلاً عَنْ المعركة قبل وقوعها بَعْدَ خروجهم مِنْ المدينة المنوَّرة معه صلى الله عليه وآله واتّبعوا ابن أبي سلول وغيره مِنْ رؤوساء المنافقين.

ثالثاً: إنَّهُ قَدْ وقع قتل أحد المسلمين غيلةً فِي جيش رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ منافق كَمَا ذكرته فصادر العامّة كنقل الواقدي فِي تفصيل قصة قتل المجذر بن ذياد لسويد بن الصامت، قَالَ: ـ جاء خُضَير الكتائب إلى أبي لُبابة ابن عبدالمنذر وخوّات بن جُبير وسويد الصامت بن الصّامت، فَقَالَ لهم تزوروني فأنحر لكم وأسقيكم وتقيمون أياماً، فقالوا: نأتيك يَوُم كذا وكذا فلما كَانَ ذَلِكَ اليوم جازوه فنحر لهم جزوراً فأقاموا عنده ثلاثة أيام حَتّى تغيّر اللحم، فقالوا لنرجع إلى أهلنا، وَكَانَ سويداً شيخاً كبيراً، وَكَانَ خُضير قَدْ سقاهم خَمراً مخرج أبو لُبابة وخوّات يحملان سويداً مِنْ الثمل حَتّى كانوا قريباً مِنْ بني عصبته تجّاه بني سالم فجلس سويد يبول، وَهُوَ سكران فبصر به إنسان مِنْ الخزرج فذهب إلى المجذر بن ذياد، وَقَالَ لَهُ هَذَا سويد ثمل أعزل لا سلاح لَهُ وَكَانَ سويد قَدْ قتل معاذ بن عفراء فخرج

مجذر مُصلتاً سيفه، فلما رآه أبو لُبابة وخوّات وَهُمَا أعزلان لا سلاح معهما فانصرفا سريعين وثبت سويد لا حَرَاك به فوقف عَلَيْهِ المجذر، وَقَالَ: قَدْ أمكن الله منك! فَقَالَ ما تُريد منّي؟ قَالَ أقتلك فقتله، فكَانَ قَتْله هُوَ الذي هَيَّجَ وقعة بُعات، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة أسلم المجذّر والحارث بن سويد وشهدا بدراً، وجعل الحارث يطلب مجذراً ليقتله فَلَمْ يقدر عَلَيْهِ يومئذٍ.

فلما جاء يَوُم أُحُد وجال المسلمون تلك الجولة أتاه الحارث مِنْ خلفه فضرب عنقه ونظر إليه حُبيب بن يساف فجاء إلى الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله فأخبره، فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ حمراء الأسد أتاه جبرائيل فأخبره بأنَّ الحارث بن سويد قتل مجذراً غيلة وأمره بقتله، وَكَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله يأتي قباء كُلّ يَوُم سبتٍ واثنين،، وركب إليه فِي اليوم الذي أخبره جبرئيل ـ وَكَانَ يوماً حارّاً لا يُذهب فيه إلى قباء ـ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وآله مسجد قباء صلّى فيه وسمعت الأنصار فجاءت تسلّم عَلَيْهِ فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله يتحدّث ويتصفّح النَّاس حَتّى طلع الحارث بن سويد فِي ملحفةٍ مُورَّسة (أيّ مصبوغة بالورس، وَهَذَا هُوَ نبات أصفر كَانَ يُصْبغُ به) فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عويم بن ساعدة، فَقَالَ لَهُ: قَدِّم الحارث ابن سويد إلى باب المسجد فاضرب عنقه بمجذّر بن ذياد فَإِنَّهُ قتله يَوُم أحد، فأخذه عويم، فَقَالَ الحارث، دعني أُكَلِّم رسول الله صلى الله عليه وآله ونهض رسول الله صلى الله عليه وآله يُريد أنْ يركب ودعا بحجارة فجعل الحارث يقول: قَدْ والله قتله يا رسول الله والله

ما كَانَ قتلي أيّاه رجوعاً عَنْ الإسلام ولا ارتياباً فيه، ولكنّه حميّة الشّيطان وأمرٌ وكلتُ فيه إلى نفسي وَإنِّي عدي وردّ الرسول فيه عَلَيْهِ فيجبر بِهَذَا كسره بذلك، وَلَعَلَّهُ يُدرك كَذَلِكَ فضل ما وُسِمَ به الرسولﷺ عَمَل ابن عدي.

رابعاً: إنَّ حمزة بن عبدالمطلب لَمْ تكن جثّته مضروبة بحربة وحش، بَلْ كَانَ عَلَى جسمه جراحات وضربات عديدة مما يُدلِّل عَلَى أنَّ هُنَاك جماعة اشتركوا فِي قتله وَلَمْ يكن وحشي بحربته فَقَطْ.

خامساً: أنَّ القتل فِي المعسكر الواحد لَيْسَ بالغريب، بَلْ معهود فِي الحروب العسكرية كَمَا حصل فِي معركة الجمل مِنْ قتل مروان بن الحكم لطلحة بن عبيدالله.

سادساً: إنَّ الرُّماة الَّذِيْنَ أوصاهم رسول اللهﷺ وَهُمْ فوق الجبل كانوا حماية قبل نزولهم وَلَمْ يكن فِي بداية المعركة قَدْ نزلوا عَنْ مواقعهم فكيف تَمَّ الاختراق.

سابعاً: إنَّهُ قَدْ عرفت أنَّ فِي معركة أُحُد طُمِسَتْ حقيقة نهاية المعركة مِنْ انتصار المسلمين بأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وَكَانَ ذَلِكَ بمرأى المئات والفئام ورغم ذَلِكَ طمسوا هَذِهِ الحقيقة فما بالك باغتيال حمزة سيد الشُّهداء لا سيما فِي اشتباك المعركة تختلط الأوراق وتلتبس الحقيقة.

وبالتالي فَإِنَّ كُلّ هَذِهِ القرائن وغيرها تؤشّر بمجموعها أَنَّ تواطئاً حصل بين المنافقين فِي جيش رسول اللهﷺ مَعَ بني أُميّة فِي جيش الكُفّار، وَقَدْ تَمَّ تدبيره، وَهَذِهِ مِنْ الملفات الَّتِي طُمست حقيقتها فِي طيّات التعتيم والإخفاء لحقائق الأحداث، وكم مِنْ حقيقة طُمست فِي أحداث صدر الإسلام وغيَّب أصحابُ السقيفة وبنو أُميّة صفحاتها وخيوطها.

الأمر الرَّابع: العرض أو موافقة مُحكمات الوجدان أيّ بديهيات وضروريات الوجدان ولا يُخفى أنَّ هُنَاك عناصر مؤثِّرة فِي تحليل الأحداث والوصول إلى ما وراءها تتوقَّف عَلَى شعور وجداني يقرأ الكثير مِنْ الأُمُور غَيْر المرئية ممّا هِيَ مؤثِّرة فِي فَهْمْ صورة حقيقة الحدث فَإِنَّ الجانب غَيْر المرئي فِي الأحداث غيرُ مُبصَر ولا مسموع لكنَّه داخل فِي عمق الحدث والغفلة عَنْهُ قراءة سطحيةٌ قِشريّةٌ مِنْ دون إلمام بروح الحدث، ولك أنْ تقول أنَّ الاقتصار عَلَى الجانب المرئي مِنْ الحدث مِنْ قبيل الاقتصار عَلَى بَدَن الحدث مِنْ دون الإدراك لروح الحدث وحقيقته وكم يعتلج مِنْ أُمورٍ فِي الرُّوح والمشاعِر والقِوى ما لا يطفح عَلَى سطح البدن.

وَعَلَيْهِ فيصبح مجموع المصادر الَّتِي يُعرْض عَلَيْهَا مُتشابهات الكتاب والسنة والعقل والوجدان أربعٌ وَهِيَ: ـ مُحكمات الكتاب والسنة والعقل والوجدان، هكذا حُرِّرَ فِي مصادر المعرفة الدِّينية أخيراً.

كَذَلِكَ فِي محل بحثنا فِي قَاعِدة أسباب النُّزول، فَإِنَّها تُؤثِّر فِي تفسير القُرآن، فَإِنَّ التثبت مِنْ أسباب النُّزول الصحيحة المُحكمة وفرزها عَنْ

أسباب النُّزول الكاذبة والمُتشابهة لها تأثيرها الفعّال فِي صحة تفسير القُرآن الكريم؛ فَإِنَّ بَعْض أسباب النُّزول نريد أنْ نُفسِّرها عَلَى ضوء أسباب النُّزول بمقدار مِنْ الظهور تكون دلالته صريحة وواضحة ونصيّة، وبعضها الآخر دلالته خفيّة أو مُتشابهة، فَإِنَّ المُتشابه فيها يُعرَضُ عَلَى المُحكم لكي تمَحَص وتدقق وتُنَقَّى مِنْ دون زيغ المُتشابه والموضوع؛ ولذا يعتمد فِي أسباب النُّزول عَلَى المصدر الأوَّل ذو الدلالة الصَّريحة والبيّنة للآيات وَالَّتِي مِنْ خلالها تُمحَّص صحة ووثوق أسباب النُّزول مِنْ خطأها، ومنهج العرض هَذَا مِنْ التحقيق والتدقيق لَيْسَ مختصاً بأسباب النُّزول، وَإِنَّما يشمل هَذَا المنهج تمحيص التأريخ مِنْ جديد لا بمجرَّد تلفيق التأريخ كلا وَإِنَّما المُراد مِنْ تحقيق التأريخ وفق هَذَا المنهج هُوَ لأجل اكتشاف المغيَّب مِنْ الحقائق الضروريّة الصحيحة.

وَعَلَيْهِ لو اعتمدنا هَذِهِ المنهجية فِي تحقيق أسباب النُّزول سوف ترى كيف تكشف لنا زيغ وتلفيق ما حاولته الأقلام المأجورة فِي أسباب النُّزول المزعومة مِنْ تغييب مقطع رئيسي ثالث فِي معركة أُحُد مِنْ أنَّ المسلمين كيف خسروا المعركة، إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ تمحيص أسباب النُّزول نجد أنَّ ما ذكرته آيات سورة آل عمران فِي خصوص معركة أُحُد أنَّ الصحيح هُوَ أنَّ رأي رسول الله ﷺ كَانَ عَلَى الخروج مِنْ المدينة للحرب لا عَلَى المكث فِي المدينة المنوّرة، هَذَا ما حاولت الأقلام المأجورة إبرازه فِي أسباب النُّزول، وَقَدْ نال رأي رسول الله ﷺ وَهُوَ الصحيح موافقة الشباب المُتحمّس فِي المدينة

المنوّرة ورجالات المدينة الكبار المخلصين لرسول الله صلى الله عليه وآله ورأي جمهور الأنصار كَذَلِكَ المُمَثَل بالسعدين: سعد بن عُبادة، وسعد بن معاذ و ... الخ، الَّذِيْنَ قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله: «**اخرُج نخرج معك كيف كُنّا فِي الجاهلية لا نحارب فِي عُقرِ دارنا، ولا فِي بساتيننا، بَلْ نخرج إليهم ولا نجعلهم يصلون إلى ضواحي المدينة، هَذَا فِي الجاهليّة فكيف الآن وَقَدْ أعزّنا الله بك وبالإسلام** وَقَالَ إياس بن أوس بن عتيك: يا رسول الله، نَحْنُ بنو عبدالأشهل مِنْ البقر المذبح، نرجو يا رسول الله أنْ نذبح فِي القوم ويذبح فينا، فنصير إلى الجنّة، ويصيرون إلى النار، مَعَ إنِّي يا رسول الله لا أحب أنْ ترجع قريش إلى قومها، فتقول حصرنا مُحَمَّد فِي صياصي يثرب وأطامها، فتكون هَذِهِ جرأة لقريش، وَقَدْ وطّنوا سعفنا، فإذا لَمْ نذب عَنْ عرضنا، فَلَمْ ندرع وَقَدْ كُنَّا يا رسول الله فِي جاهليتنا، والعرب يأتوننا، فلا يطمعون بِهَذَا منّا حَتّى نخرج إليهم بأسيافنا فنذبّهم عنّا، فَنَحْنُ اليوم أحقّ إذْ أمدنا الله بك، وعرفنا مصيرنا، لا نحصر أنفسنا فِي بيوتنا.

فقام سعد بن معلّا وغيره مِنْ الأوس فقالوا يا رسول الله ما طمع فينا أحد مِنْ العرب وَنَحْنُ مُشركون نعبد الأصنام فكيف يطمعون فينا وَأَنْتَ فينا، لا، حَتّى نخرج إليهم فنقاتلهم فَمَنْ قتل منا كَانَ شهيداً وَمَنْ نجى منّا كَانَ قَدْ جاهد فِي سبيل الله، فقبل رسول الله قوله وخرج مَعَ نفر مِنْ اصحابه يبتغون موضع القتال، كَمَا قَالَ الله: «**وَإذْ غدوت مِنْ أهلك تبوء المؤمنين إلى قوله ـ إذْ همَّت طائفتان منكم أنْ تفشلا**» يعني عبدالله بن

أبي وأصحابه، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله معسكره ممّا يلي مِنْ طريق العراق، وقعد عبدالله بن أبي وقومه مِنْ الخزرج اتّبعوا رأيه، ووافت قريش إلى أحد، وَكَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله عد أصحابه وكانوا سبعمائه رجلاً، فوضع عبدالله بن جبير فِي خمسين مِنْ الرُّماة عَلَى باب الشَّعب وأشفق أنْ يأتي كمينهم فِي ذَلِكَ المكان، فَقَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله لعبدالله ابن جبير وأصحابه أنْ رأيتمونا قَدْ هزمناهم حَتّى أدخلناهم مَكَّة فلا تخرجوا مِنْ هَذَا المكان وإنْ رأيتموهم قَدْ هزمونا حَتّى أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم، ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد فِي مائتي فارس كميناً، وَقَالَ لهم إذَا رأيتمونا قَدْ اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم مِنْ هَذَا الشَّعب حَتّى تكونوا مِنْ ورائهم فلما أقبلت الخيل واصطّفوا وعبأ رسول الله صلى الله عليه وآله أصحابه دفع الراية إلى أمير المؤمنين فحملت الأنصار عَلَى مشركي قريش فانهزموا هزيمة قبيحة ووقع أصحاب رسول الله فِي سوادهم وانحطّ خالد بن الوليد فِي مأتي فارس، فلقي عبدالله بن جبير فاستقبلوهم بالسِّهام فرجعوا ونظر أصحاب عبدالله بن جبير إلى أصحاب رسول الله ينهبون سواد القوم، قالوا لعبدالله بن جبير تقيمنا ههنا وَقَدْ غنم أصحابنا ونبقى نَحْنُ بلا غنيمة، فَقَالَ لهم عبدالله اتّقوا الله فَإِنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله قَدْ تَقَدَّمَ إلينا أنْ لا نبرح، فَلَمْ يقبلوا مِنْهُ وأقبل ينسل رجل فرجل حَتّى أخلوا مِنْ مركزهم وبقي عبدالله بن جبير فِي اثني عشر رجلاً، وَقَدْ كَانَتْ راية قريش مَعَ طلحة بن أبي طلحة العدوي مِنْ بني عبدالدار فبرز ونادى يا مُحَمَّد! تزعمون أنكم تجهزونا بأسيافكم إلى النَّار

ونجهزكم بأسيافنا إلى الجنَّة فَمَنْ شاء أنْ يلحق بجنته فليبرز إليَّ، فبرز إليه أمير المؤمنين يقول:

يا طلح إنْ كُنْت كَمَا تقول ... لنا خيول ولكم نصول

فاثبت لننظر أيّنا المقتول ... وأيّنا أولى بما تقول

فَقَدْ أتاك الأسد الصؤل ... بصارم لَيْسَ به فلول

بنصرة القاهر والرسول»[(١)]

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا الكلام موجود فِي كلام أصحاب رسول الله ﷺ إِلَّا أَنَّهُ مُبعثَرٌ فِي المصادر سواء مصادر العامّة أو الخاصّة، فيحتاج إلى جمع وتنقية وتدقيق حَتّى تخرج الصورة مُتكاملة الجوانب، فمثلاً فِي معركة أُحُد إظهار المقطع المُغيَّب وَهُوَ المقطع الأخير مِنْ المعركة الذي حذفته أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة وَهُوَ كيف كَانَتْ نتيجة معركة أُحُد هُوَ انتصار المسلمين بإرسال رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب وجماعة لمتابعة هؤلاء المُشركين المنهزمين الفارّين مِنْ أرض المعركة وقتل ما قُتِل منهم وفرار ما فَرَّ منهم.

وَمِنْ خلال بيان هَذَا المقطع المُغيّب مِنْ معركة أُحُد يتّضح أنَّ سبب هزيمة المسلمين وسوط المعركة ـ كَمَا بيّنا سابقاً ـ هُوَ لَيْسَ الخروج مِنْ المدينة كَمَا حاول البعض إظهاره وبيانه وإعطائه الصخب الإعلامي المزوَّق، لَيْسَ الأمر كَذَلِكَ وَإِنَّمَا سبب الهزيمة أشياء أُخْرَى مثل:

---

(١) تفسير القمّي، علي بن إبراهيم القمّي: ١/ ١١٢.

أوَّلاً عصيان أوامر رسول الله ﷺ مِنْ قبل الرُّماة فوق الجبل.

ثانياً: وعدم اتّباع الخطّة الحربية والعسكرية الَّتِي وضعها رسول الله ﷺ.

ثالثاً: وأمورٍ أُخْرَى عصوا وتمرّدوا فيها عَلَى رسول الله ﷺ.

المنهج الأسلم

الذي يستعان به لتمحيص أسباب النزول:

وَمِنْ خلال هَذَا كُلِّهُ تبيَّن:

أوَّلاً: أنَّ المنهج الأسلم الذي يُستعان به للتمحيص وتدقيق أسباب النُّزول ـ وَالَّتِي هِيَ ذَاتَ خطورة وتأثير عَلَى تفسير القُرآن ـ هُوَ التقيّد بمُحكمات دلالة الآيات والرّوايات وحينئذٍ لا يلزم مِنْ هَذَا تدافعٌ ولا دورٌ فِي مساحة دلالة الآيات المُحكمة فَإنَّها بيِّنة.

ثانياً: وَبِهَذَا تبيَّن اختلاف تأثير منطقة دلالة الآيات الَّتِي يُستعان بها عَلَى تمحيص أسباب النُّزول وبين قسم آخر مِنْ دلالة الآيات الَّتِي تتأثَّر لدلالته بأسباب النُّزول.

ثالثاً: وتبيَّن أيضاً أَنَّهُ لَيْسَ قسماً واحداً فِي البين حَتّى يَكُون هُنَاك تدافعاً أو دوراً.

ولذا لاحظنا ولله الحمد أنَّ الإطار العام لمنهجنا التفسيري المُختار ـ منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم

ـ يُضفي بظلاله عَلَى كُلّ قَاعدَة مِنْ قَواعِد التفسير ويترك بصمته وتأشيره عَلَيْهَا، وَمِنْ ضمن تلك القَوَاعِد قَاعدَة أسباب النُّزول.

أسباب النصر لا تقتصر على الجانب المادي

بل المعنوي والروحي

تَقَدَّمَ أنَّ رأي رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركة أُحُد كَانَ عَلَى الخروج خارج المدينة والدِّفاع عنها ومقالتة كفّار قريش، وأنَّ رأيه صلى الله عليه وآله كَانَ مُطابقاً لرأي الأكثرية مِنْ كبار الصّحابة وفيهم بَعْض عُمَد السَّقيفة ودُعاتها، وهكذا رأي السعدين: سعد بن معاذ، وسعد بن عُبادة، بَلْ ثلثي جيش الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله عَلَى ذَلِكَ ويواصل استمرار القتال مَعَ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله خارج المدينة وواعدهم الله بالنصر باستجابة أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله وتنفيذ خطّته العسكرية فِي يَوْم أُحُد ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾[1].

وَهَذَا يصلُح شاهداً إضافياً عَلَى عكس ما ادّعوه مِنْ أنَّ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله أراد المكث فِي المدينة، بَلْ الأمر بالعكس خرج الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله ومعه الأكثرية وقاتل وامتدحهم القُرآن عَلَى ذَلِكَ.

مُضافاً إلى ما ذكره القُرآن فِي معركة بدر عَلَى ما سيأتي فِي محله ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾[2].

---

(١) سورة محمد: الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٣ .

فَإِنَّ القوّة العسكرية الَّتِي كَانَ يمتلكها النَّبِيّ ﷺ فِي معركة بدر كَانَتْ أشدّ ضعفاً مِنْ أُحُد حسب الصورة العسكرية الظاهرية.

والشيء المُهم الذي نُريد التوصّل إليه هُوَ أَنَّ النّصر لَيْسَ وليد الأسباب المادّية فَقَطْ مِنْ ناحية ملاحظة الكثرة أو القِلَّة كَمَا يدّعوه فِي أسباب النُّزول، وَإِنَّما أراد القُرآن أَنْ يخبرهم أَنَّ أسباب النصر والهزيمة أشياء أخر غَيْر الأُمُور المادية، كالأُمُور المعنويّة والروحيّة، وَحَتّى فِي العلوم الحديثة قُرِّر بأَنَّ ما يقرب مِنْ الـ ٨٠٪ فِي النّصر والهزيمة يرجع إلى الحرب النفسيّة المتقدِّمة بالإعلام والدّعاية وصلابة الإرادة وضعضعتها، وأَمَّا الجانب المادّي والآلي واللوجستي كَمَا يُعبِّر عَنْ ذَلِكَ فِي مصطلح علم الاستراتيجيات لَهُ تأثير بنسبة ٢٠٪ وَعَلَيْهِ ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ أسباب الهزيمة والنّصر فِي أُحُد لَيْسَ راجعاً إلى جانب القلَّة والكثرة فَقَطْ، بَلْ عَلَى العكس فِي بدر كَانَ المسلمون قِلَّةً ونصرهم الله وَإِنَّما أسباب الهزيمة والنّصر ليست مادّية فَقَطْ كَمَا يدّعونه فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة تماماً، بدليل أَنَّ آيات القُرآن الَّتِي نزلت فِي معركة بدر ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾﴾[1]، و ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾[2].

بتقريب: إنَّ المدد الإلهي تلقائياً موجود بشرط أَنْ تكون هُنَاك صلابة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٢٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٢٥.

وإرادة ويقين وهمّة عالية فإنْ منظومة الكون الإلهي مرتبة عَلَى هَذَا النّمط بأنْ تكون هُنَاك ملائكة منزلين وملائكة مسومين ففي بدر ثلاثة آلاف مِنْ الملائكة وفي أُحُد خمسة الآلاف و ... هَذِهِ وغيرها مِنْ المعادلات الكونيّة لا نعلم أسرارها لكنَّها رهينة اليقين بالطّاعة والإرادة والتسليم لأمر الله بأنَّ النَصْرَ مِنْ الله وحدَّه.

وَعَلَيْهِ فالمدد الإلهي موجود وبشرط صلاحيّة الإرادة والهمة واليقين ـ فَإنَّ المدد الإلهي ـ يَكُون ملائماً ومتناسباً مَعَ المنظومة الكونيّة القائمة عَلَى هَذَا التّرتيب مِنْ أنَّ الطّاعة والامتثال للأوامر الإلهيّة حليفها النّصر عاجلاً أم آجلاً، لا كَمَا صورته مدرسة الطرف الآخر ـ العامّة ـ مِنْ أسباب النُّزول أنَّ الهزيمة كَانَتْ معلولة لخروج الْنَّبيّ ﷺ كَانَتْ مِنْ المدينة المنوّرة لمقاتلة قريش كيف وَقَدْ تحقق النصر أوّلاً والاهتمام بالجانب الجغرافي واللوجستي والعِدَّة والعدد و ... الخ فَإنَّ مثل هَذِهِ الأسباب ليست صحيحة، بَلْ مُلفِّقة، وَعَلَيْهِ فأصل النَّصر كَانَ المسلمون موعدين به، وأنَّ سبب الانهزام وسط المعركة بسبب عدم الإطاعة والتّخلف عَنْ أوامر النبي ﷺ العسكرية، وَهَذَا غَيْر ما لَفَّقَ لَهُ فِي أسباب النُّزول لتحريف معاني آيات القُرآن.

الميزان والمدار فِي نجاح الخطاب القرآني

ليس على النصر والهزيمة العسكرية وإنما على إظهار الحق والحقيقة والإيمان

النموذج الثانِي: قوله تَعَالَى: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّكم أيُّهَا المُسلمون إنْ كنتم جزعتم لمصابكم بالهزيمة، وسط معركة أُحُد أو أصابكم قرحٌ بمعنى خسرتم شُهداء مِنْ صفوفكم فَإِنَّهُ قَدْ أصاب الكافرين قتلى مِنْ قريش، فَإِنَّ عدد الشُّهداء مِنْ المسلمين فِي أُحُد بعدد قتلى الكُفّار مِنْ قريش فِي بدر ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ﴾[2]، وَعَلَيْهِ فلماذا هَذَا الجزع أيُّهَا المُسلمون ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾[3].

بتقريب: إنَّ طبيعة الأيام هِيَ تدويل - مِنْ الأدالة وَهِيَ مصدر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

أدال، أدال يُديل فَهُوَ مديل والمفعول مُدال، وأدالَ بشيء: جعله مداولة أيّ تارة لهؤلاء وتارةً للآخرين[1] ـ تارة للمؤمنين عَلَى الكافرين وَأُخْرَى بالعكس إلَّا أنَّ هَذِهِ ليست علامة عَلَى الغلبة والنّصر، فَإِنَّ منطق القُرآن يُنادي بأعلى صوته: ـ إنَّ الغلبة العسكرية أو المادّية فِي الدُّنْيَا ليست دليلاً عَلَى الحَقّ، فَإِنَّهُ لو لاحظنا عَلَى مَرَّ العصور كَانَت الغلبة العسكرية والمادّية لأعداء الله عَلَى أولياء الله، فَإِنَّ هزيمة المؤمنين مِنْ الكافرين ليست دليلاً عَلَى بُطلان مسار المؤمنين أو أنَّ نفس خروجهم مِنْ المدينة إلى خارجها لَيْسَ أمارة عَلَى الانهزام، ولا ننسى أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت أنْ تكون الدُّنْيَا دار ابتلاء وامتحان حسب التعبير القرآني كقوله تَعَالَى: ﴿وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[2] و ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾[3] ليستخرج الله مَنْ آمن ممّن كفر وأنَّ الظالمين وإنْ انتصروا بحسب الحسابات المادّية ولكنَّهم ليسوا عَلَى قُرب ورضى ومحبة مِنْ الله ممقوتون، وأمَّا المؤمنون فَهُمْ وإنْ ظُلموا فإنَّهم محبوبون عِنْدَ الله تَعَالَى.

وَمِمَّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ المدرا لَيْسَ عَلَى النَّصر والهزيمة وَإِنَّما فِي النجاح والفلاح، حسب المفهوم القرآني، وَيَكُون الميزان والمدار عَلَى إظهار الحَقّ والحقيقة والإيمان والكفر، وَمِنْ هَذَا القبيل قوله تَعَالَى فِي صلح الحديبية

---

(١) معجم المعاني الجامع.
(٢) سورة الأعراف: الآية ١٤١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٠.

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ①﴾[1].

بتقريب: إنَّهُ تَعَالَى وصف الصلح بأنه فتح مُبين مَعَ أَنَّهُ لَمْ يحصل فيه نصرٌ ولا حسم عسكري، بَلْ ظاهره استجابة مِنْ الرسول ﷺ لممانعة قريش حَتّى اعترض الثَّانِي ـ عمر بن الخطّاب ـ وألَّب بقيَّة الصحابة عَلَى الصلح، وكانوا يظنونه انكساراً وفشلاً مَعَ أنَّ الله تَعَالَى يصفه بالفتح، بَلْ والمبين، بَلْ أَكَّدَ ذَلِكَ وكَرَّرَ مادّة الفتح ـ فحتنا لك فتحاً مبيناً، فِي حين أنَّ القُرآن الكريم لَمْ يصف فتح مكّة بالفتح المبين وَلَمْ يُؤكِّد عَلَى كونه فتحاً بَلْ سمّاه نصراً وفتحاً وَلَمْ يُسَمِّه بالمبين، ولا بالفتح المؤكَّد، وَهَذَا صريحٌ فِي أنَّ منطق الفتح فِي القُرآن مُغاير مِنْ النصر وأعظم مِنْهُ، وأنَّ العُمْدَة فِي الإنجاز هُوَ الفتح والنَّصر مُقَدِّمَة وآلية لَهُ وعبر مقدمة حصريّة، بَلْ للفتح آليات عديدة، وفي الصحيح إلى ابن محبوب عَنْ عمّار بن أبي الأخوص، قَالَ: قُلتُ لأبي عبدالله عليه السلام ... فَقَالَ: «... **أما علمت أنَّ أمارة بني أُميّة بالسيف والفسق والجور، وأنَّ إمامتنا ـ أمارتنا ـ بالرفق والتآلف والوقار والتقيّة وحسن الخِلْقة والورع والاجتهاد فرغِّبوا النَّاس فِي دينكم وفي ما أنتم فيه**»[2].

بتقريب: حَيْثُ يُشير الإمام إلى أنَّ دولتهم وإمارتهم تنتشر بما يُعْرف بالعصر الحديث بالقوَّة الناعمة مِنْ قبيل الرّفق والمرونة والليونة والسياسة الأخلاقية والوقار ومتانة السلوك والوعي الأمني وحَسْن التعامل

---

(١) سورة الفتح: الآية ١.

(٢) الوسائل، أبواب الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر: ب١٤، ح٩.

والمصداقية البالغة فِي التّقوى وتجسيدها فِي الذّات وَأنّهُ عبر الترغيب لا الترهيب.

العلاقة التِي يذكرها القرآن للتمييز بين الحق والباطل:

إن مِنْ أهم العلامات الَّتِي يُركِّز القُرآن الكريم عَلَى ذكرها للتمييز بين الحقّ والباطل، هُوَ أنَّ المُتيقّن دائماً مستضعفون، والمُتقون دائماً تكون لهم النهاية الحسنة وعاقبة الأُمُور الحسنى، وأنّهم لا يكسبون الجولة لا فِي البداية ولا فِي الوسط، وَإنّما يكسبون العاقبة وَالأُمُور بخواتيمها ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1].

وَعَلَى المؤمنين أنْ يصبروا ويُرابطوا إنَّ اُضطُهدوا ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾[2].

وقوله تَعالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾[3].

وقوله تَعالَى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾[4].

بتقريب: أوليس تتمنون الشّهادة فلماذا تجزعون؟! ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا

---

(١) سورة القصص: الآية ٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤١.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٣.
(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ﴾[1].

عدم إيمان بعض البدريين:

حال المسلمين في غزوة أحد:

إنَّ العدسة القُرآنية استعرضت فِي آيات مُتعدِّدة مِنْ سورٍ مُتعدِّدة مواقف بعض صحابة النَّبيّ ﷺ فِي مختلف حروبه وغزواته وفتوحاته و ... وقَسَّمتهم إلى أصنافٍ وطبقاتٍ، فمثلاً ما جاء فِي سورة الأنفال مِنْ آية ٤١ ـ ٤٤ ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ ... ﴾ ﴿إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ ...﴾ وَالَّتِي سبقت هَذِهِ الآيات نبأ عظيم وإفصاح خطير، هُوَ أنَّ مَنْ كَانَ فِي ركب النَّبيّ ﷺ فِي غزوة بدر وأثناء القتال كانوا عَلَى ثلاث فئاتٍ.

١ ـ فئة مؤمنة. ٢ ـ وفئة مُنافقة. ٣ ـ وفئة الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرضٌ.

كَمَا وصفهم القُرآن ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾[2].

بتقريب: أنَّ عدسة القُرآن تشير بوضوح إلى وجود فئتين ملعونتين مذمومتين متخفيتين فِي الصحابة البدريين، ولا يتوهّم أحدٌ أنَّ المُرَاد مِنْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

المُنافقين بالآية المُباركة هُمْ فَقَطْ كفّار قُريش المُتجاهرون بالكُفر فِي صفوف البدريين، وَلَيْسَ فَقَطْ منافقوا المدينة المنوَّرة، بَلْ المُرَاد مِنْ المنافقين أيّ الحاضرون منهم فِي أرض بدر، ومشهد معركة بدر، وَكَانَ منطق الفئتين ـ أيّ هؤلاء المُنافقون، وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ تجاه الفِرْقة الأُولى المُؤمنة الثابتة أنْ قالتا لمّا رأتا حشد مُشركي قريش وبطرهم وخيلاءهم فِي غزوة بدر، أنَّ الفئة الأولى مغرورة بسبب دينهم وَهُوَ دين الإسلام، فَلَمْ ينسبوا أنفسهم إلى الدِّين الإسلامي، وَإنَّما جعلوا أنفسهم بذلك عَلَى دين المُشركين!.

وإفصاح هَذِهِ السورة المُبارَكَة عَنْ انقاسم جيش المسلمين الَّذِيْنَ كانوا مَعَ النَّبيّ ﷺ إلى ثلاثة أقسام أو فئات يُبطِلُ كُلّ الرّوايات الَّتِي يرويها العامّة حول قدسيّة البدريين وأنَّ الله قَدْ غَفَر لهم وإنْ عملوا ما عملوا، فضلاً عَنْ كون ذَلِكَ مناقض للآيات والسور العديدة المُشترطة للوفاء حَتّى حلول الأجل والثبات عَلَى الإيمان والعمل الصالح، كَمَا يُبطل مقولة كُلّ بدري أو إحدى فَهُوَ مؤمن وممدوح ومرضي حاله عِنْدَ الله تَعَالَى.

وهكذا ما ذكرته الآيات المُباركات مِنْ نفس سورة الأنفال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

(١) سورة الأنفال: الآية ٢٤ ـ ٢٧.

بتقريب: ذكر ابن كثير فِي تفسيره عَنْ السدّي: نزلت هَذِهِ الآيات فِي أهل بدر خاصّة فأصابتهم يَوُم الجمل فاقتتلوا[١].

وفي هَذِهِ الآيات إشارة واضحة إلى أنَّ المسلمين البدريين سيُفتنون بفتنةٍ تصيبُ الجميع، وأنَّهم سيمتحنون بها وفيهم الظالمون، وأنَّ مَنْ يخون الله ورسوله والأمانات المأخوذة عليهم فَإنَّ الله شديد العقاب، وَهَذِهِ الآيات الكريمة هِيَ كَذَلِكَ صريحة فِي تقسيم وتمييز مَنْ صَحِبَ النَّبيّ ﷺ فِي بدر وفي أوائل الهجرة إلى المدينة، وأنَّهم يفتنون وَيَكُون بعضهم ظالما، ويخون الله ورسوله والأمانات المأخوذة عليهم هَذَا حال بَعْض البدريين.

وأمَّا حال المسلمين فِي أحد: ـ فَقَدْ رسمت وقَسَّمتْ آياتُ سور آل عمران فِي مواضِعَ مُتعدِّدة حالهم ووضعهم: ـ مِنْهَا: ـ

قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾[٢].

بتقريب: إنَّ الآية المُبَارَكَة بيَّنت طائفة ثالثة فِي معركة أحد وَهُمْ «**قَدْ أهمّتهم أنفسهم ومحورهم ذواتهم**» وهكذا الحال فِي باقي معارك وفتوحات وغزوات النَّبيّ ﷺ.

---

(١) تفسير ابن كثير: ج٢، ص٢٨٦.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٣ ـ ١٥٤.

ضوابط القرآن فِي تقسيم أصحاب النبيﷺ واحدة:

إنَّ ضوابط القُرآن فِي تقسيم أصحاب النَّبيّﷺ كافة هِيَ واحِدَة، فَإنَّ قسماً منهم مدحهم القُرآن سواء كانوا بدريين أو أُحديين أو حنيين أو ... الخ.

وقسماً آخر يعاتبهم القُرآن ويُحاسبهم ويُندد بهم، وبالتالي فَهَذَا الصّحابي وإنْ كَانَ قَدْ شارك مَعَ رسول الله فِي غزواته وحروبه إلّا أنَّهُ بالتالي فِي أيّ قسم يدرج هل فِي قسم الممدوحين أم المذمومين، إلّا أنَّ أسباب النُّزول المُحَرَّفة تحاول أنْ تُغطّي ولا تُظهِر هَذَا التقسيم، وأنَّ كُلّ مَنْ شارك مِنْ الصّحابة مَعَ رسول الله فَلَهُ الأجر والثواب وَأنَّهُ ممتدح، إلّا أنَّ هَذَا لَيْسَ بصحيح، وَإنَّما الصحيح هُوَ أسباب النُّزول ما بيّناه مِنْ أنَّ صريح القُرآن يقسمهم فِي مواضع مُتعدَّدة إلى أقسام عديدة: ـ

منهم: مَنْ يُريد الدُّنْيَا، ومنهم: ـ مَنْ يُريد الأخرة، ومنهم: مَنْ همّته نَفْسُه ومنهم و ... الخ، فَإنَّ جمهور العامّة إلى الآن لا يَعُون هَذَا المعنى.

وَمِنْ خلال هَذَا تبيَّن أنَّ القُرآن الكريم يستعرض هَذَا الحكم ويُبيِّن الواقع الصحيح الذي لا يأتيه الباطل لا ما كتبه المُؤرّخون أو أصحاب السير تحت ظل حكومات مُعيَّنة. وَعَلَيْهِ فوقوع الفرار فِي صفوف كثير مِنْ المسلمين بَعْدَمَا شاهدوا النّصر باستزلال الشّيطان لهم كُلّ ذَلِكَ كَانَ بسبب بَعْض الاعمال السّيئة السّابقة، وأنَّ طائفة منهم كانوا يظنّون بالله ظنَّ الجاهلية ويُخفون كُلّ ذَلِكَ فِي قلوبهم، وَهَذَا دليل بَيِّن عَلَى أنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبيّﷺ فِي القتال منهم الطيّب ومنهم الخبيث وأنَّ واقعة أُحُد كَانَتْ

للتمييز بين الطيب والخبيث، وَهَذَا ما صَرَّحت به الآيات الكريمة مِنْهَا:

قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ ...﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾[2].

وقوله تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ ...﴾[3].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ...﴾[4].

هَذِهِ الآيات المُبَارَكَة وغيرها كشفت زيغ مَنْ يدّعي التعميم والمساوات والعدل لِكُلِّ مَنْ صَحِبَ ولازم النَّبِيّ صلى الله عليه وآله مَعَ أَنَّ التمييز واقع فِي مَنْ كَانَ مِنْ المسلمين سواءٌ أكان أُحُديّاً أو بدرياً أو خيبرياً أو ... الخ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٩.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

نعم وصف الشّخص بكونه بدريّاً أو أُحُديّاً أو خيبريّاً أو ... إنَّما يَكُون ذا منقبة ويمتدح فيما إذا كَانَ مِنْ فئة المؤمنين، لا ما إذَا كَانَ مِنْ الفئات الأُخْرَى الَّتِي ذمّها القُرآن بفعل ما صدر منهم سابقاً وفي زمان صحبة النَّبِيّ ﷺ كُلّ ذَلِكَ ما بيّنته أسباب النُّزول فِي سورتي الأنفال وآل عمران كَمَا تَقَدَّمَ[١].

ثمَّ إنَّ الآية المُبَارَكَة ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ...﴾ حَذَّرَتْ مِنْ وقوع انقلاب فِي صفوف المسلمين عَلَى الأعقاب برحيل رسول الله ﷺ، وَقَدْ ذكرت بَعْض كتب السير أنَّ جماعةً مِنْ المسلمين لما شاهدوا الهزيمة وظنّوا أنَّ الرسول ﷺ قَدْ قُتِل لاذوا بالفرار وصعدوا الجبل واجتمعوا حول صَخْرَة ـ عُرِفوا بَعْدَ ذَلِكَ بجماعة الصَخْرَة ـ وقالوا: ـ «إنّا عَلَى دين الآباء»[٢] كي يَكُون ذَلِكَ شافعاً لهم عِنْدَ قريش وفي ما سُطِّر فِي السير ما يلوح أنَّهم ممّن يُعَدّون مِنْ أعيان القوم ووجوههم.

والمُتأمّل فِي السُّور الحاكية لغزوات النَّبِيّ ﷺ كَمَا فِي سورة الأحزاب عَنْ غزوة الخندق وفي سورة التّوبة عَنْ غزوة تبوك، وحُنين وغيرها، يجدها ناطقةً بلسانِ التّمييز والتقسيم والتصنيف لِـمَنْ صحب النَّبِيّ ﷺ وشارك فِي القتال، منهم الفئة الصّالحة الثابتة والمُؤمنة بدين النَّبِيّ ﷺ، ومنهم الفئة

---

(١) الصحابة بين العدالة والعصمة/ الشيخ محمد السند: ص٩٠ ـ ١١٤.
(٢) السيرة الحلبية: ج٢، ص٥٠٤، السيرة النبوية لابن كثير: ج٣، ص٤٤.

الطّالحة وأصناف أهل النِّفاق ومُحترفيه الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ[١].

وببركة إعمال موازين التّحقيق والتّدقيق فِي أسباب النُّزول بيَّنت لنا كيف حاولت الأقلام المأجورة والمسمومة مِنْ طمس الحقائق إلَّا أنَّهم ما استطاعوا ولن يستطيعوا ببركة اتّباع المنهج الذي رسمه لنا النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام الَّذِيْنَ هُمْ المعلّمون الإلهيون، وإعمال موازين التحقيق هَذِهِ لا يُقتصر فيه عَلَى أسباب النُّزول لنفس آيات القُرآن، بَلْ يُتعدّى بإعمالها إلى سيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، بَلْ وتاريخ الإسلام ولا يمكن الأخذ به عَلَى عواهنه، بَلْ حَتّى الحديث النبوي الشّريف الذي يُنسب لرسول الله صلى الله عليه وآله نُحكِّم فيه مُحكمات القُرآن، فإذا جاءنا الحديث النبوي الشّريف الذي يقول مضمونه كيف يُطابق القُرآن الذي فيه آيات مُحكمات تذمّ جماعة بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك و ... الخ وأنَّ بعضهم انقلب عَلَى عقبيه وتصوير القُرآن لهم دقيق ويصوّر الخفايا الَّتِي يعجز البشر عَنْ رصدها، وَالقُرآن يرصد ويُراقب حَتّى النّوايا ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾[٢] مَعَ أنهم مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله.

والذي نُريد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أنَّ عدسة القُرآن عظيمة ودقيقة جداً لا يمكن التفريط بها بحال مِنْ الأحوال، حَتّى فِي تمحيص التأريخ وَمِنْهُ أسباب النُّزول.

---

(١) الصحابة بين العدالة والعصمة للشيخ السند: ص٩٠ ـ ١١٤ بتصرف.

(٢) سورة طه: الآية ٧.

دعوى ارتداد وانقلاب أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله:

ليس ممتنعة:

والمتحصل مما تقدم: أنَّ مسألة انقلاب أو ارتداد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله سواء كانوا بدريين أو أُحديين أو حُنينيين أو تبوكيين أو ... الخ ليست بممتنعة بَعْدَ تصريح القُرآن لها، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[1].

وَهَذَا ما أكَّدته الزهراء عليها السلام أيضاً فِي خطبتها المعروفة: «**وما هِيَ إلَّا بنازلةٍ أنبأكم الله بها وما مُحمَّد إلَّا رسول قَدْ خلت مِنْ قبله الرسل ...**»[2].

وَكَمَا هُوَ الحال فِي شأن جملة مِنْ الصحابة فِي نفس بدر وأُحُد وتبوك وحُنين الَّتِي نَصَّ القُرآن عَلَى فعالهم.

دخالة الحالة النفسية والمعنوية

فِي الانتصار والهزيمة:

ذكر الخُبراء والمختصون فِي مراكز الدراسات الأوليّة حول الحرب العسكريّة والسياسيّة فِي هَذَا المجال أنَّ نسبة ٨٠٪ مِنْ النَّصر أو الهزيمة فِي المعركة يعود إلى الجانب النفسي والحالات المعنوية الَّتِي يتحلّى بها المقاتل

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) خطبة الزهراء:

والشخص المُنتخب للقيادة، فَإِنَّ القيادة الَّتِي ليست لها استعداداً للتّضحية هِيَ قيادة غَيْر مسؤولة وَغَيْر مأمونة عَلَى قيادة أيّ أُمَّة مِنْ الأُمم لا سيما الأُمَّة الإسّلاميَّة، وقيادة الدِّين، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الذي يفرُّ فِي غزوات وحروب مُتتالية وعديدة كيف يَكُون مأموناً، عَلَى مُقدّرات الدِّين والإسلام كَمَا حصل فِي حروب الرسولﷺ وغزواته كَمَا فِي غزوة بدر وأُحُد وحُنين والخندق وتبوك وغيرها.

فمثلاً ما حصل فِي بداية معركة أُحُد مِنْ هزيمة ليست سببه كَمَا لُفِّقَ لَهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة مِنْ طرق العامّة مِنْ أنَّ سبب الهزيمة هُوَ الخروج مِنْ المدينة، كلا وَإِنَّما كَانَ السبب هُوَ الضعف النفسي والمعنوي لنفوس الصّحابة عدا أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام بَعْدَ رسول اللهﷺ إذْ كَانَعليه السلام ذا إيمانٍ راسخٍ وَلَمْ يُصِبْه جَزَعٌ أو هَلَعٌ أو قلقٌ، ولا يُفهم مِنْ هَذَا إنَّا نُريد أنْ نُترجم شجاعة علي بالإيمان الرّاسخ والثبات فِي تحمُّل المسؤولية لقوّة القدرة فِي تدبير معالجة الأزمات مَعَ جرأة الخوض فِي غمرات مخاطر الاحتمالات، فَإِنَّ تفسير الشّجاعة بلغة العلم بالمسؤولية والقُدرة عَلَى القيام بها، وبلغة الشّجاعة فِي موضع القيادة والإدارة وقوّة الرُّوح وقوة الإيمان المُنفتح عَلَى مفاجئات الغيب يرتبط وينصب بالإمامة وكفاءة القيادة والخلافة؛ فَإِنَّ عموم الفضائل ترتبط بالإيمان وَالرُّوح، وَعَلَيْهِ فلا يُعْزَى النَّصر إلى الأسباب المادّيّة مِنْ تهيئة العِدَّة والعَدد وغيرها، فَإِنَّ هَذَا لوحده لا يكفي، بَلْ لابُدَّ أنْ يمتلك المقاتل استعداداً نفسياً

وروحياً وإيمانياً عالياً، وَهَذَا ما أشارت إليه الآية ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ...﴾(١).

فإذا ملك المقاتل تلك المقوِّمات استطاع تحقيق النَّصر، وَهَذَا الاستعداد النفسي والرُّوحي والإيماني ما رَبَّى عَلَيْهِ النَّبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه المسلمين، وَإلَّا لما استطاعوا أنْ يفتحوا البُلدان، أو يواجهوا جيوش كسرى أو جيوش قيصر الرُّوم.

وهكذا برنامج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي رَبَّى عَلَيْهِ الثِّلّة الصالحة مِنْ أصحابه وحواريه كمالك الأشتر وعمّار بن ياسر وحُذيفة اليماني والأصبغ بن نُباتة وغيرهم هؤلاء الَّذِيْنَ ربّاهم أمير المؤمنين علي عليه السلام تلك التّربية الرُّوحيّة الإيمانية العالية وزرع فِي نفوسهم الثّقة وكيفية مواجهة الأعداء والصّمود بوجههم وعدم الانهزام والفِرار؛ لذا كَانَ هؤلاء يُطْلَبون مِنْ قبل الخلفاء كقيادات عسكرية وَعَلَى رأس التنظيم العسكري لجيس المسلمين فِي المواجهات العسكريّة، وشعار تلك التربيّة الَّتِي ربّاها عليهم أمير المؤمنين عليه السلام وزرعها فِي نفوسهم هِيَ التكبير بصوت عالٍ بوجه العدو عِنْدَ مواجهته.

وَهَذَا مما يجعل الأعداء يشعرون كأنّما الأرض تتزلزل مِنْ تحت أقدامهم كَمَا شهدت لذلك معركة اليرموك بَعْدَمَا أخفق قادة العسكر

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

أمثال: ـ خالد بن الوليد وعبيد بن الجرّاح وغيرهما حسب ماذكرته كتب التأريخ إلى أنْ استنجدوا بشمل علي بن أبي طالب عليه السلام مالك الأشتر رضي الله عنه فانبرى إليهم بإدارة عسكرية وإيمانية وروحيّة عاليّة فكُتِبَ لهم النَّصر كُلّ ذَلِكَ ببركة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهكذا الأمر فِي أكبر وأضخم معركتين مَعَ كسرى خاضها المسلمون وكُلِّلَتْ بالنَّصر وَهُمَا معركة القادسية ومعركة نهاوند ببركة الخطط والبرامج الَّتِي وضعها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وَذَلِكَ الرِّباط الرُّوحي الذي أوجده عليه السلام مَعَ الله عَزَّ وَجَلَّ، هكذا ينبغي للمُسلم أنْ يتوكَّل عَلَى الله ويتسلَّح بقوة معرفيّة بالله؛ ولذا فَإنَّ مِنْ أحد صفات الصّحابي الممدوح هُوَ التمتع بعلو معرفته بالله عَزَّ وَجَلَّ.

وَعَلَى الإنسان إذَا واجه الضعف والانهزام فِي أيّ أمر مِنْ الأُمُور عَلَيْهِ أنْ لا يُرْبكه الضّعف والاضطراب ولا يَكُون هلوعاً جزوعاً ولا يتوجّه إلى نفسه فإنَّها مُضطربة ومُرتبكة، بَلْ عَلَيْهِ أنْ يتوجّه إلى قدرة الله وقضائه وليطمئن بقدرة الله تَعَالَى الذي لا يَغْنَى ولا يفوته شيء لا فِي السَّماء ولا فِي الأرض ولا ... الخ ﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾﴾[1].

ويُطْمِئِنُ نَفْسَه بذلك ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾[2].

---

(١) سورة مريم: الآية ٩٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٤٥.

ولذا فَإنَّ عدسة القُرآن تابعت الاضطراب الذي حصل فِي نفوس المسلمين فِي معركة أُحُد ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ﴾[1].

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قوّة النّفس وشجاعتها وسُؤددها لا تترجم فَقَطْ بجانب الكرم الفردي والفروسيّة والعضلات فِي القيادة والإمامة وغيرها، وَإنَّما يُشترط انضمام شرط وَمَعْنَى آخر وَهُوَ تحمّل المسؤوليّة إلى آخر المطاف ولو قطّع صاحبها إرباً إرباً، ومثل هكذا شخص قَدْ يتمتع بمثل هَذِهِ الصِّفات فَإنَّهُ يستطيع أنْ يتحمَّل أعباء المسؤولية، ويُؤتمن عَلَى دين الأُمَّة ومقدراتها ويصلح أنْ يَكُون خليفة، وما توفّرت هَذِهِ الأوصاف فِي شخص بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلَّا فِي شخص وصيّه وخليفته بالحقّ علي بن أبي طالب عليه السلام، فَإنَّهُ الكرّار غَيْر الفرّار أيّ أَنَّهُ رجل لمواجهة الأزمات قويّ فِي تدبير حلها ومُعالجتها خبير وطبين فِي تدبير حلحلة عُقْدَتها، بخلاف الآخرين فَإنَّ الفِرار بسبب العجز والتخاذل والهزيمة تشهد لهم فِي كُلّ حربٍ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فَإنَّ مثل هؤلاء لا يمكنهم تسلُّم زِمام قيادة المسلمين لضعف نفوسهم وعدم صلاحيتها وتأهلها وتردّي الحالة المعنويّة لهم فِي ذَلِكَ الأمر.

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ اتّضح الفرق بين ما يعزونه العامّة فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي غزوة أُحُد إلى الأسباب المادّية، وبين الصحيح الذي عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت عليهم السلام فِي أسباب النُّزول الَّتِي يذكرها القُرآن الكريم وإنْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

كَانَ لا يُنكر الأسباب المادّية، ولكن مِنْ جهة أُخْرَى تركِّز عدسة القُرآن عَلَى الجانب المعنوي والرُّوحي وَهُوَ الأهم ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[1].

أسباب النزول الصحيحة ـ مدرسة أهل البيت عليهم السلام

وعن العامة التحاكم إلى القرآن:

وفي أسباب النُّزول المُلفَّقة لَمْ تُسلَّط الأضواء عَلَى تتمّة الآية المُباركة ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ﴾[2].

بتقريب: أنَّ بَعْض أصحاب الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله اتّهموا الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله بالخيانة فِي الغنائم، ووجّهوا الطعون إلى السّاحة المُطهّرة والمُقدّسة لسيد الأنبياء صلى الله عليه وآله ويدّعون أنَّ هَذِهِ هِيَ أحد أسباب الهزيمة فِي معركة أُحُد، وَلَمْ يخوضوا فِي التّفاصيل الخطيرة وحاولوا تغييبها؛ ولذا دَعَتْ أسباب النُّزول الصحيحة العامّة التحاكم إلى القُرآن؛ فَإِنَّ القُرآن ميزان عظيم فِي البحث التّأريخي؛ ولذا إِذَا أراد الباحث أنْ يبحث فِي سيرة الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله فَعَلَيْهِ بالقرآن العظيم وبقطعيات السنة النبويّة وسنة أهل البيت عليهم السلام فَإِنَّها مُحكمة حَتّى تفضح ما حاولته أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة ـ للعامة ـ أنْ تُغْفِل الذهن البشري والإسلامي عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ وللأسف قليل مِنْ المسلمين مَنْ يقرأ القُرآن قراءة تأريخية وبلغة سياسيّة ـ وإنْ كَانَ منهج قراءة القُرآن الكريم يقع عَلَى وتائر

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

وطُرق مُختلفة ستتعرض لها إنْ شاء الله فِي قَواعِد لاحقة، فَإنَّ هُنَاك مَنْ يقرأ القُرآن بلغة أمنية، وآخر بلغة إداريّة وثالث بلغة عسكريّة ورابع بلغة اقتصاديّة وخامسة سياسية وسادس باجتماعية وسابع بأخلاقية وثامن بتاريخية وغيرها، فَإنَّ هَذِهِ العلوم وغيرها موجودة فِي القُرآن الكريم وحيتئذٍ نستطيع وَمِنْ المُمكن أنْ ننهل مِنْ عذب ماء القُرآن الكريم.

إعادة قراءة جملة مِن العلوم الإنسانية والاجتماعية:

كالتأريخ وغيره مِن خلال القرآن:

تنبيه: إنَّ تغييب مثل هكذا ثقافة إسلاميّة وقرآنيّة كقراءة التأريخ وغيره مِنْ خلال القُرآن أمرٌ خطير فِي الثقافة القرآنية، وَعَلَيْهِ فلأجل أنْ نفتح أبواب البصائر مِنْ جديد فَمِنْ الضروري أنْ نُعيد قراءة التأريخ مِنْ خلال القُرآن أيّ نقرأ التأريخ بلغة قرآنية، فَإنَّ هَذَا حياةٌ وإحياءٌ للقُرْآن الكريم، بخلاف العزوف ـ لا سامح الله ـ عَنْ ذَلِكَ فَإنَّهُ فيه إماتة للقُرْآن وَالدِّين ـ والعياذ بالله .

لا سيّما بَعْدَ تقرّر قَاعِدَة أنَّ القُرآن فيه تبيان لِكُلِّ شيء ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

وإنَّ ما مِنْ غائبة فِي السّماء ولا فِي الأرض إلَّا فِي كتاب مُبين، وأنَّ الوحي لَمْ يقتصر عَلَى التّشريع والتهذيب والإيمان بحقائق الغيب، وإنْ

---

(١) سورة النحل: الآية ٨٩.

كَانَتْ هَذِهِ الأُمُور هِيَ الأصل وما بقي هُوَ فضل كَمَا فِي الحديث النبوي: **«العلم كُلُّهُ فضل إلَّا ثلاثة: آية مُحكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة»** إلَّا أَنَّهُ رغم ذَلِكَ فَإِنَّ وقوله تَعَالَى ﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٥٩﴾[2] وقوله تَعَالَى ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَـٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَـٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾[3] وقوله تَعَالَى ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ۝١٠٩﴾[4]، وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾[5].

بتقريب: إنَّ كُلّ ما فِي لوح القضاء والقدر يتنزّل بتوسّط طبقات ومقامات ومنازل القُرآن، كَمَا فِي الآية ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾[6].

والقضاء والقدر يعمُّ كُلّ شيءٍ.

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٣) سورة لُقمان: الآية ٢٧.
(٤) سورة الكهف: الآية ١٠٩.
(٥) سورة الدّخان: الآية ١.
(٦) سورة القدر: الآية ١ ـ ٣.

نعم هَذِهِ العُلوم جُلّها هِيَ فِي باطن وبطون القُرآن ولا يُهْتدى إليها عَبر ظاهره إلّا عَنْ طريق الرّاسخين فِي العلم وَهُمْ الأئمة والمعصومين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ وَمِنْ ثمَّ تَعَرَّضَ القُرآن الكريم لأُسس كثير مِنْ حقائق العُلوم الطبيعية وغيرها كَمَا استعرضت ذَلِكَ جملة مِنْ كتب التفسير.

أحد أسباب هزيمة المسلمين فِي وسط المعركة هوَ الوهن والضعف النفسي لبعض الصحابة:

النموذج الرابع: قوله تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾[1].

بتقريب: بيَّنت الآية المُبارَكَة إنَّ أحد أسباب الهزيمة فِي وسط معركة أُحُد وعدم الثبات مِنْ أوَّل الأمر هُوَ بسبب الضعف والوهن النفسي والاستكانة الَّتِي أصابت نفوس بَعْض الصّحابة، وَهَذَا هُوَ الصحيح فِي أسباب النُّزول وَهُوَ ما عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا كَمَا صوّره فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة، وأنَّ سبب الهزيمة كَانَ عَلَى أنَّ رأي أكثر الصّحابة هُوَ المكث ورأي رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى الخروج خارج المدينة مثل ما مَرَّ بيانه سابقاً.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٦.

بِإِذْنِهِۦٓ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ... ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ﴾[1].

الشجاعة أحد صفات الإمامة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ أحد شرائط الأصل الثَّالِث فِي أصول الإسلام والأول مِنْ أصول الإيمان هُوَ الإمامة فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنْ يَكُون الإمام شجاعاً بنصّ القُرآن الكريم كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ﴾[2].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ﴾[3].

هَذَا مُضَافاً للرُّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام عَلَى تأكيد شرط الشّجاعة فِي الإمامة، كَمَا فِي زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... **أشهد أَنَّكَ لَمْ تَهِنْ وَلَمْ تنكُل وَأَنَّكَ مضيت عَلَى ما مضى عَلَيْهِ البدريّون**».

وأنَّ الإمام لأبُدَّ وأنْ يتمتّع بنفس وهمّة عالية وليست واهنة او موهنة للآخرين ولا تضعضع تلك الشّجاعة بخطورة تحمل ثقل المسؤولية ومعرفة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢ ـ ١٥٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.

كيفية إدارة الأُمُور فِي الأزمات، وكيفية حلّها «**وأشهد أَنَّكَ لَمْ تجبن والذي لا يجبن وصف لِـمَنْ لا يرتبك فِي معركة مخرج التدبير**» وحَلِّ الأزمة، وَمِنْ الواضح أنَّ سبب الجُبن فِي الأزمات هُوَ الإرباك والإرتباك الذي يقع فِي تدبير الإدارة ومُعالجة الخلل؛ ولذا يقع مَنْ لا خِبْرَة لَهُ فِي الأُمُور ولا قدرة لَهُ عَلَى تحمُّل المسؤوليّة ما فِي التّهور أو الجُبْن إذَا ما عالج الموقف بالإجراءات الصّحيحة والمُنضبطة، وَعَلَيْهِ فالجبان هُوَ مَنْ لا قدرة لَهُ عَلَى تحمُّل المسؤولية، وأمَّا الشّجاعة بالأصل الَّتِي هِيَ اتّقان لتدبير ومعالجة الأُمُور بما يُناسبها بحكمة، فالغُلظة فِي موضع الغلظة واللين فِي موضع اللين، وَهَذَا هُوَ المُرَاد مِنْ الشّجاعة فِي الإمامة الَّتِي تعني القيادة.

ولذا عُدَّت الشّجاعة شرطاً فِي الإمامة وأنَّ الشّجاع هُوَ مَنْ يُتقِن الإدارة فِي الأزَمات؛ ولذا قَالَ المُستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة عِنْدَمَا أطلق هَذِهِ المقولة المشهورة والمعروفة والمليئة بها مصادر المسلمين، كَمَا ذكر ذَلِكَ ابن سعد فِي طبقاته: «... **لا أبقاني الله لمعضلة لَيْسَ لها أبو الحسن**»[١].

أو بتعبير آخر: «.... **لا أبقاني الله فِي أرض ليست بها أبا الحسن**»[٢].

وَقَدْ فصَّلنا ذَلِكَ كُلَّهُ فِي كتابنا الصحابة بين العدالة والعصمة[٣].

---

(١) طبقات بن سعد، والترغيب في فضائل الأعمال وثوابها لابن شاهين: ج١، ص١٠٢، ح٣٣٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الصحابة بين العدالة والعصمة للشيخ محمد السند: ص٣٤٥ محطة الفتوحات.

وإطلاق هكذا عبائر مِنْ المستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة ليست اعتباطاً بَعْدَمَا وجد الحاجة المُلحّة فِي قيام الإسلام بتدبير علي عليه السلام، وعندها يقف المُحلِّلون ملياً لأنها صادرة مِنْ شخص يدّعي أَنَّهُ خليفة للمسلمين، فيتبيَّن أنَّ السبب الرئيسي الذي دعاه إلى إطلاق هكذا عبائر فِي حقِّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هُوَ لِإِنَّهُ ما يمتلكه عليه السلام مِنْ قدرة اتّقان إدارة الأزمات وحلّ المشكلات الَّتِي تعصف بالإسلام والمسلمين وكيفية مُعالجتها وتدبير الخروج مِنْهَا بانتصار ونجاح لا بهزيمة وفِرار، وَهَذِهِ هِيَ مُؤهلات القيادة والكفاءة والإمامة؛ ولذا يصف القُرآن مثل هكذا أمر بقوله تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ﴾[1].

والفرق اللّغوي بين المُفردات الثلاثة:ـ

الوهن: ضَعُفَ، وَيُقَال: وَهَن الرَّجُل أيّ دخل فِي الوهن مِنْ الليل[2] وَالمُرَاد به الضعف النفسي.

الاستكانة: وَهِيَ مِنْ (استكن) إذَا خضع وذَلَّ، وتُزاد الألف، فيُقَال: استكان إذَا خضع[3] وَالمُرَاد بها عدم الحركة والفتور والجمود.

الضّعف: والضَّعْفُ خلاف القوَّة، وَقِيلَ الضُّعْفُ بالضّم فِي الجسد والقوى المادّية، والفتح، الضَّعف فِي الرأي والعقل، وَقِيلَ جائزان فِي كُلّ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٧.

(٢) أقرب الموارد، مادَّة وَهَنَ.

(٣) الفيومي، مادَّة السكين، ولسان العرب، مادَّة سكن.

وجه[١].

وَمِنْ الواضح أنَّ لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْ المُفردات الثّلاثة مَعْنَى يختلف عَنْ الآخر.

وهكذا قوله تَعالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾[٢].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم وصف الربيين بأنه يستحثّون هممهم ويشحذون إرادتهم عَبْر الشّعور بالتّقصير لئلا يصيبهم الغرور والعُجب بما قاموا به مِنْ جهود وجهاد، كَما أنّهم يتصلّبون فِي إرادتهم بالدُّعاء والإصرار عَلَى الثبات والسّعي إلى النّصر عَلَى العدو.

النموذج الخامس: قوله تَعالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾[٣].

بتقريب: إنَّ الآية المُبارَكَة فيها تعريض لبعض الصّحابة الَّذِيْنَ قالوا سنطيع أهلنا وعشيرتنا وقومنا مِنْ قريش فِي ملتهم بَعْدَمَا سمعوا ما أُشيع مِنْ نبأ كاذب، وَهُوَ مقتل رسول الله ﷺ، وَهَذَا الموقف يُدينه القُرآن فِي قوله تَعالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ

---

(١) لسان العرب لابن منظور، مادّة ضَعُفَ.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٧ ـ ١٤٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٩.

ٱللَّهُ ﴾[١].

وقوله تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ ﴾[٣].

ولذا عُرفوا أمثال هؤلاء الصّحابة الَّذِيْنَ قالوا مثل هَذَا القول باسم أصحاب الصخرة، علماً أنَّ هؤلاء الصّحابة هُمْ مِنْ عليّة القوم وأسماءهم لامعة، وَهَذَا مُؤشِّر قُرآني عَلَى أنَّ هؤلاء غَيْر مُبتدئين بالمشروع الإلهي وَأَنَّهُ يحيطونه ما دام لَهُم طمعٌ دنيوي مِنْ رئاسة وجاه وغنائم، فما أنْ تنقطع الأطماع ينكصون عَلَى الأعقاب وينقلبون عَنْ دينهم.

فأسباب النُّزول المُلفَّقة تُؤكِّد أنَّ سبب الهزيمة لجيش المسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينة لمقاتلة كفّار قريش، عَلَى عكس ما يذكره القُرآن الكريم مِنْ سبب للهزيمة وَهُوَ الفرار و الوهن والضعف النفسي.

وَهَذَا مما يُؤسف لَهُ فَإِنَّهُ مصادرة للمعرفة الإسّلاميَّة وَالدِّينية عِبر المعرفة القرآنية وعِبْرَ عدم التوّثق والتثبّث مِنْ أسباب النُّزول المُلفَّقة الَّتِي يتلقاها كَما هِيَ، وللأسف المُفَسِّر أو الباحث ويبني عَلَى صحّتها وَأَنَّها موثوق بها،

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٠.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥١.

ويأخذ بها أخذ المُسلّمات، وَأَنَّها لَيْسَ فيها أيّ تلاعب، وَهَذَا يُشكّل خطراً كبيراً عَلَى المعنى التفسيري للآية والسورة القرآنية، وَعَلَيْهِ فكيف تُريد منّا أنْ نبتعد عَنْ ذَلِكَ الصّوت المدوّي، ألا وَهُوَ صوت القُرآن الكريم الذي يسرد لنا الحقائق ونتركه ولا نأخذ بمفاد الآيات والأخذ بهكذا أسباب للنُّزول غَيْر معلومة الوثاقة، وأجعلها هِيَ الحاكمة عَلَى المفادات الواضحة لا سيّما مَعَ تنبيه روايات أهل البيت عليهم السلام عَلَى ما فِي القُرآن مِنْ بيانات، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مثل هَذَا يُعتبر غلو وإسراف فِي أسباب النُّزول غَيْر المُوثَّقة، ولكن وللأسف وقع فيها الكثير مِنْ مُفسّريّ الفريقين.

ثُمَّ تذكر الآية: ﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم﴾[1].

بتقريب: إنَّ المسلمين كانوا عَلَى موعِدٍ بالنّصر مِنْ الله بالخروج مِنْ المدينة وَقَدْ أوفاهم الله ذَلِكَ النّصر وَكَانَ النَّصر حليفهم مِنْ بداية معركة أحد، فكيف يدعى الخروج سبب للهزيمة إذْ تحسونهم كَمَا يُحسّ المَرَق ولا تبقون لهم شيئاً إِلَّا أنَّ هَذَا مشروط بشرائط تَقَدَّمَ ذكرها وَبَعْدَ كُلّ هَذَا كيف تقلب الحقيقة فِي أسباب النُّزول المُحَرَّفة والمأجورة وصوَّرت تلك الأسباب المُحَرَّفة والمُدلّسة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله انثنى وتنازل عَنْ رايه لرأي الشّورى الذي يرى أنَّ البقاء فِي المدينة هُوَ أكثر ثباتاً ونصراً، وَهَذِهِ كُلّهَا تلفيقات تحتاج إلى تنقيةٍ وغربلة وعرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسُّنة الشريفة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

ثمَّ تقول الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم﴾[(١)].

بتقريب: أنَّ لاآية المُبارَكَة بيَّنت أنَّ سبب نزول الآية حول بيان موضوع سبب فشل وهزيمة المسلمين فِي معركة أُحُد هُوَ عصيان الرُّماة الذي أوقفهم رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى جبل أُحُد لأمر رسول الله صلى الله عليه وآله، ونزل أكثرهم مِنْ الجبل لأجل الغنائم فهؤلاء أسماء لامعة فِي صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وأُحُديين وَمَعَ ذَلِكَ استهوتهم الدُّنْيَا كَمَا أشارت إليه الآيات القرآنية السّابقة مِنْ سورة آل عمران، وَهَذَا امتحان إلهي وَهُوَ لَيْسَ بالامر السّهل، نسأله تَعَالَى العافية فِي الدُّنْيَا والآخرة.

ثمَّ قالت الآية: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ﴾[(٢)].

بتقريب: أنَّ حرف الجر (مِنْ) يُفيد التبعيض فِي قوله تَعَالَى: ﴿مِنكُم﴾ أيّ مِنْ بَعْض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله الأُحُديين، بوصف القُرآن لهم منهم ـ بعضهم ـ يريد الدُّنْيَا، ومنهم مَنْ يُريد الآخرة ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢﴾[(٣)] أيّ حَقَّق لكم النّصر وَلَمْ يستولِ كفّار قريش عليكم وأعاد الله لكم النَّصر وعفا عَنْ الفرار والهزيمة الَّتِي وقعت مِنْ أسماء لامعة وَمِنْ عليّة الأصحاب ﴿إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

(٣) المصدر السابق.

أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمَّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾[١].

بتقريب: إذْ تصعدون وتركبون الجبال وأعالي الأودية فارّين ولا تلوون: أيّ لا تواجهون أحداً ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى أين تفرّون؟ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾[٢].

إِلَّا أنَّ هَذَا المقطع الأخير مِنْ معركة أُحُد مُغيَّب تماماً وَلَمْ تُسلَّط عَلَيْهِ الأضواء أسباب النُّزول المُحَرَّفة والمُلفَّقة، وَهَذِهِ الآية ترسم بوضوح أنَّ الصّحابة فرّوا ولاذوا بالفرار، وأنَّ الرسولﷺ ثبت فِي الميدان وَلَمْ يصعد الجبل وَلَمْ يهرب وَلَمْ يفرّﷺ كَمَا ادعي فِي أسباب النُّزول المُلفَّقَة الَّتِي تُريد أنْ تُبرِّر لأصحاب السقيفة هروبهم وفِرارهم وخذلانهم لرسول اللهﷺ وفعلتهم الشَّوهاء.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ مسألة عرض أسباب النُّزول عَلَى القُرآن والسنة القطعية لا السُّنّة الظنيّة مسألة لابُدَّ مِنْهَا ولها تأثيرها عَلَى بيان الحقائق والوقائع؛ ولذا محاولة بَعْض أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ قبل بَعْض الأقلام المأجورة لوعّاظ السّلاطين باءت بالفشل فِي تغييب بَعْض الحقائق ببركة العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسنة، وإنْ كَانَ قَدْ خفي عَلَى الكثير مِنْ المُفَسِّرين حَتّى مِنْ الخاصّة وأخذ البعض منهم بأسباب النُّزول المُلفَّقة أخذ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٢.

المُسلّمات، وَبَعْدَ العرض عَلَى مُحكمات الكتاب والسُّنة تبيَّن ما غُيِّب مِنْ وقائع وأحداث مُهمّة وخطيرة ولله الحمد.

وَمِنْ هَذَا يعلم أَنَّهُ لا يمكن للمُفسِّر والباحث فِي المعرفة الدِّينية بَلْ وغيرها الاستغناء بحال مِنْ الأحوال عَنْ مسألة عرض أسباب النُّزول عَلَى مُحكمات الكتاب والسنة لأجل التوصل إلى حقائق كثيرة قَدْ خُفيت عَلَى غَيْر أهل العلم فضلاً عَنْ أهله، وبإظهار تلك الحقيقة سوف تتّضح الصورة وَيَتِمُّ المطلب.

تقسيم القرآن لفئات صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله:

النموذج السادس: قوله تَعالَى: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾[1]. قسَّم القُرآن الكريم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الَّذِيْنَ خرجوا معه فِي حروبه وغزواته وفتوحاته إلى عِدَّة فئات، والغرض مِنْ ذكر هَذَا التقسيم فِي هَذَا الشّاهد وإنْ كَانَ تَقَدَّمَ فحواه وروحه ـ هُوَ لبيان أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة حاولت التقسيم ـ مَعَ المحافظة عَلَى منظار القداسة لأصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عَلَى أساس أنَّ كُلّ صحابي لمجرد الصحبة يغتفر لَهُ فعل ما فعل، إلّا أَنَّهُ وللأسف هَذَا المعنى أخذه البعض حَتّى مِنْ الخاصّة فضلاً عَنْ العامّة أخذ المُسلّمات، إلّا أنَّ الواقع الصحيح فِي أسباب النُّزول الصحيحة وفق منهجنا المُختار أمومة

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

الولاية عَلَى المُحكمات هُوَ أنَّ القُرآن الكريم يقسِّم الصحابة إلى عِدَّة فئات، كَمَا تقدّمت الشواهد القُرآنية عَلَى ذكر فئتين وَهُمَا:

الفئة الأولى: تُريد عَرَض الحياة الدُّنْيَا.

الفئة الثانية: تُريد عَرَض الحياة الآخِرَة.

والآن فِي هَذَا الشّاهد تسلّط الآية القرآنية الأضواء عَلَى الفئة الثالثة: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾.

بتقريب: أنَّ هَذِهِ الفئة مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محورهم أنفسهم، وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم ذَمَّ عِدَّة فئات مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فئة مِنْ البدريين وفئة مِنْ والأُحُديين وفئة مِنْ الحُنينيين و ... الخ.

وينبغي أنَّ نأخُذ بنظر الاعتبار أنَّ الذَّمَّ لَمْ يكُن وارداً فِي كتاب عادي بَلْ فِي أعظم الكُتب ألا وَهُوَ القُرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل وَأَنَّهُ كتاب يُتلى إلى يَوُم القيامة، وَهُنَا يُريد القُرآن التأسيس والتأكيد عَلَى مسالة بالغة الخطورة والأهمّيّة وَهِيَ:ـ

«أنَّ الميزان ولاضابط فِي الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله لَيْسَ مُجُرَّد صِرْف الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله فَقَطْ، والعيش معه صلى الله عليه وآله؛ فَإنَّ مثل هَذِهِ الصحبة ليست كافية للنجاة».

ولذا جعل القُرآن بَعْض آياته الَّتِي يتلوها كُلّ مسلم فِي أنَّ هُنَاك طائفة مِنْ أصحب رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ

﴿ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ و ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾[(١)] أيّ لَيْسَ بيدنا شيء إلّا أنَّ القُرآن الكريم يُجيبهم ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[(٢)].

بتقريب: ـ إنَّ النَّصر والهزيمة أو كُلّ تدبير فَهُوَ كُلَّهُ بيد الله عَزَّ وَجَلَّ.

وصف القرآن لنيات وخواطر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

وصف آخر لبعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله:

تترصَّد العدسة القرآنية لنيّات وخواطر فئة مِنْ أصحاب رسول الله مِنْ الأُحُديين وتصفهم بوصف آخر وَهُوَ: ـ حالة النِّفاق الَّتِي كَانَ عَلَيْها البعض: ﴿يُخْفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾[(٣)].

ولذا عِنْدَمَا أمرنا أئمة أهل البيت عليهم السلام بالرّجوع إلى القُرآن فِي كُلّ شيء؛ لِأَنَّهُ كتاب هداية فَإِنَّهُ لا أحد يستطيع أنْ يرصد حالة النيّات والخواطر إلّا الخالق عَزَّ وَجَلَّ.

فالحكم العدل الوحيد والميزان القويم فِي تحقيق وتمحيص التأريخ وسيرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَمَنْ كَانَ معه صلى الله عليه وآله مِنْ الأصحاب هُوَ الرجوع إلى مُحكمات القُرآن ولا أحقّ مِنْ القُرآن والرّاسخين أنَّ يُبين الحقائق.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

وقوله تعالَى: ﴿... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾[1].

بتقريب: تَقَدَّمَ ذكر شواهد عديدة عَلَى أنَّ سبب هزيمة المسلمين فِي أُحُد أُمُور أُخْرَى غَيْر الهزيمة العسكرية والمادّيّة وَإِنَّمَا هِيَ ضعف نفوس الصّحابة وعصيانهم للرسول صلى الله عليه وآله ورغبتهم فِي الدُّنْيَا، وفِي هَذِهِ الآية المُبَارَكَة توجد مقابلة بين القتال الذي هُوَ خارج المدينة الذي هُوَ سبب للهزيمة وبين البقاء داخل المدينة والتحصّن ببيوتها لكان أقوى لنا ولا يحدث القتل وندفع الخسارة المادّيّة والمعنويّة، هكذا صوّرته أسباب النُّزول المزعومة والمُلفَّقة بينها القُرآن الكريم فَنَّدَ ذَلِكَ وأنَّ سبب الانهزام فِي وسط المعركة ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ هُوَ التمرُّد وعصيان أوامر الرسول صلى الله عليه وآله وضعف النفوس و ...الخ.

وهكذا الآية الأُخْرَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾[2].

هَذَا شاهد آخر يُبيِّن أسباب النُّزول المُلفَّقة وأنَّ رأي رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى البقاء فِي المدينة وأنَّ رأي الأكثريّة كَانَ عَلَى الخروج والرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.

تسلَّم آخر الأمر لرأي الأكثر وخرج، وَهَذَا يُفنّده القُرآن إذْ لو كَانَ رأي رسول اللهﷺ هُوَ البقاء فِي المدينة كيف يُفنّده القُرآن.

امتحان القلب ومافي الصدور هوَ أعظم الامتحانات الإلهية:

الامتحانات والابتلاءات الإلهية

يوم القيامة قبل عالم الجنة والنار:

هُنَاك جُملة مِنْ الآيات القُرآنية تُبيِّن أنَّ أحد حِكَم الامتحانات والابتلاءات الإلهية يَوُم القيامة الذي هُوَ عالم قبل عالم الجنّة وعالم النّار هُوَ حكمة إخراج ما فِي الصدور مِنْ نوايا وخواطر، وَهَذَا الأمر لا أحد يستطيع استخراجه وكشفه والاطّلاع عَلَيْهِ إلَّا الله ربَّ العالمين؛ ولذا فحريّ بالإنسان أنَّ لايستسهل بقوى الخاطر والنية ويتحمّل المسؤولية تّجاه الخواطر والنيّات، وَهَذَا موضوع مهم وخطير، فَإنَّهُ حسب ما وَرَدَ «**إنَّما الأعمالُ بالنيّات وَلِكُلِّ امرءٍ ما نوى**»[1] فإنْ أضمر المرء نيّة الخير أظهرها الله لَهُ، وإنْ أضمرها شرّاً أظهرها لَهُ كَذَلِكَ، عَنْ أبي عروة السّلمي، عَنْ أبي عبداللهعليه السلام، قَالَ: «**إنَّ الله يحشر النَّاس عَلَى نيّاتهم يَوُم القيامة**»[2]؛ ولذا فِي منطق القُرآن الكريم: إنَّ أعظم امتحانات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى للإنسان هُوَ امتحان القلب وامتحان ما فِي الصدور، وتمام الكلام موكول إلى بحث العقائد.

---

(١) الوسائل: ج١، أبواب مُقدِّمات العبادات: ب٥، ح١٠.

(٢) المصدر السابق: ح٥.

والخلاصة: مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ القُرآن الكريم يُبيّن لنا فِي هَذِهِ الآية المُبَارَكَة أنَّ فئةً مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ الأُحُديين لَمْ يكونوا بالمستوى المطلوب، بَلْ كانوا بالمستوى المُتردّي وأنهم شريحة موهنة ضعيفة، وَمَعَ هَذَا البيان الواضح للآية تحاول بَعْض الأقلام المأجورة فِي أسباب النُّزول تغطية الملفات الَّتِي فيها فضائح ومساوئ، وعدم ملاحظة هَذَا مِنْ قبل المُفَسِّر لَهُ تأثيره الفاعل عَلَى المعنى التفسيري للآية، فَإِنَّ لَهُ أهميّة فِي كشف خريطة الأحداث وواقع الأطراف مِنْ حَيْثُ مساهمتها سلباً أو إيجاباً.

فرار العلية المزعومة للقوم:

النموذج السابع: قوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ ... الخ﴾[1].

بتقريب: أنَّ الشّيطان لَهُ القّدرة عَلَى أنْ يستزلّ العباد إذَا ارتكبوا المعاصي ومهّدوا الطرق فِي نفوسهم وقلوبهم لدخول الشّيطان ويستنزل ويسيطر، وصريح القُرآن يقول: ﴿ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[2] وقوله تَعَالَى: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥ ـ ١٥٦.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٩.

عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[1] وفعلاً استزلّ الشّيطان جمعاً مِنْ العليّة المزعومة مِنْ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركة أُحُد بسبب ما ارتكبوه سابقاً مِنْ المعاصي، فَإِنَّ ارتكاب الذُّنوب لَهُ آثاره الوضعيّة الَّتِي تنعكس عَلَى مُرتكبها بأَنَّ تورثه القساوة والعصيان والتمرُّد عَلَى المولى ـ والعياذ بالله ـ ولذا يعزوا القُرآن الكريم أسباب هزيمة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركة أُحُد عصيانهم أوامر الرسول صلى الله عليه وآله والتمرُّد عَلَيْهِ، إِلَّا أَنَّ حصر الأسباب بالأسباب لَيْسَ صحيحاً.

ولذا بيَّنت بَعْض الأحاديث النبويّة أَنَّهُ لو يفتح باب الشّيطان معناه الاعتراض عَلَى قضاء الله وقدره وما شابه ذَلِكَ هُوَ فتح لباب الشّيطان ﴿ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾[2] أَمَّا أَنَّهُ تُعْزَى النتائج والمُسببات وحصرها فَقَطْ بالأسباب المادّية أو الأساب الكونيّة، فَهَذَا معناه خروج وإنكار لوجود قدرة مُهيمنة وراء الأسباب ومُحيطة بها، ومنطق ورؤية القُرآن لا يريد التنكّر للأسباب إِلَّا أَنَّ حصر الأسباب بالأسباب المادّية والحسّيّة الكونيّة فَقَطْ لَيْسَ بالصحيح.

وَهَذَا أحد فلسفات عظمة الاعتقاد بالبداء.

عقيدة البداء فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام:

إِنَّ كثيراً مِنْ الأُخوة الباحثين والمفسرين وغيرهم مِنْ المذاهب الأُخْرَى لعلّهم لَمْ يفهموا عقيدة البداء فِي منظور مدرسة أهل البيت عليهم السلام وَلَمْ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٦٥.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

يفطنوا إليه ولو باختصار فَإِنَّهُ: ـ عبارة عَنْ الاعتقاد والإذعان بأنَّ قدرة الله وراء الأسباب، وذكرنا فِي كتابينا: خلاصة معرفية وكتاب رؤى جهادية فِي مشهد الطّف[1] كلاماً حول البداء ما **حاصله:** إنَّ البداء هُوَ المحو والتغيير فِي التقدير والقضاء الإلهي لا عَنْ جهل مِنْهُ تَعَالَى بخواتم الأُمُور ومحكمات التدبير، بَلْ هُوَ مِنْ إطلاق قدرته تَعَالَى المُستعلية عَلَى كافة الأسباب التكوينية حَتّى الملكوتية مِنْهَا والغيبيّة والإبداعية فضلاً عما دونها مِنْ العوالِمِ التكوينية؛ إذْ كُلّ الأُمُور المخلوقة مُنقادة لمشيئته فلا يُحتم ظرف تكويني عَلَى الله بَلْ لله المشيئة والله يحكم عَلَى كُلّ شيء **لا جبر ولا تفويض أمر بين أمرين،** وليست الأُمُور والأحداث كُلَّهَا مفوّضة إلى الأسباب والجعل فَإِنَّ مَنْ تَوَّهم ذَلِكَ فَقَدْ أخطأ.

فَإِنَّ حلَّ الفلاسفة أو المُتكلمين أو ... قَدْ حصروا قَاعِدَة الاختيار «**لا جبر ولا تفويض**» بالأفعال الاختيارية دون الأسباب التكوينية، وَهَذَا خطأ، فَإِنَّ هَذِهِ قَاعِدَة شريفة عامّة كونيّة خطيرة مُهمّة استفيدت مِنْ بركات كنوز مدرسة أهل البيتعليهم السلام وَهَذِهِ القَاعِدَة الكونيّة العامّة الرابطة بين الخالق والمخلوق وَلَيْسَ فَقَطْ كَمَا توهّمه بعضٌ بأنّها رابطة بين الخالق وبين أفعال الإنسان الاختياريّة فَقَطْ، بَلْ رابطة بين الخالق وبين كُلّ جوهر وعرض مِنْ المخلوقات، بَلْ ويتعدّى حَتّى إلى مبحث القضاء والقدر، وأنَّ مَعْنَى القضاء والقدر لَيْسَ هُوَ مِنْ فعل الإنسان فَإِنَّهُ لا جبر ولا نفي ولا

---

(١) خلاصة معرفية للشيخ محمد السند: ج٢، ص١٩٧، ورؤى جهاديّة من مشهد الطّف للشيخ السند: ص١١ ـ ١٩ بتصرُّف.

حصر، فَإِنَّ الله تَعَالَى أبى إِلَّا أنْ يُجري الأُمُور بأسبابها، فَإِنَّ هَذَا صحيح والله مِنْ وراءهم محيط.

هَذَا كُلَّهُ عَلَى خلاف مقالة اليهود الَّتِي يستعرضها القُرآن الكريم حَيْثُ قالوا إِنَّ القلم واللوح بما كَانَ وَيَكُون ولا يجري فيه التبديل وَعَلَيْهِ فلا يستطيع الباري تغيير المقادير عما هِيَ عَلَيْهِ ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾[١].

فبقدرته عَلَى تغيير القضاء والقدر يَتِمُّ الاعتقاد بأَنَّ الله تَعَالَى عَلَى كُلّ شيء قدير وينفتح بابا الأمل أمام العبد تّجاه ربه ويتوكّل عَلَيْهِ ولا يلتجئ إِلَّا لله ويفوِّض أمره إليه تَعَالَى، وَمِنْ ثمَّ قَدْ وَرَدَ عَنْ أهل البيت عليهم السلام كَمَا فِي صحيح زرارة عَنْ أحدهما عليهما السلام: «**ما عُبد بشيء مثل البداء**»[٢].

وفي صحيح هشام بن سالم عَنْ أبي عبدالله عليه السلام: «**ما عُظِّم الله بمثل البداء**»[٣].

فَإِنَّ بين الحتميّة الجبريّة مِنْ جهة والتفويضيّة مِنْ جهة أُخْرَى هُنَاك حقيقة ونظرية ثالثة، وَهِيَ حتميّة البداء وبدائيّة الحتم.

وَهُنَا نكتة لطيفة ينبغي الالتفات إليها وَهِيَ: ـ أَنَّ حتميّة البداء لا تُرى حتماً وحسماً فِي شيء، إِلَّا للبداء فَيَكُون كُلّ شيء خاضع لحتميّة البداء

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.
(٢) الكافي، للكليني محمد بن يعقوب: ج١، ص١٤٦؛ التوحيد للصدوق: ص٣٣٢.
(٣) الكافي: ج١، ص١٤٦.

فلا حتميّة إلَّا لَهُ أو **بعبارة أخرى:** إنَّ الحتميات الصُغرى تنصهر فِي الحتميّة الكبرى وَهِيَ حتميّة البداء؛ ولذا فَإنَّ الله تَبَارَكَ يَعلَمُ بسجود الملائكة وامتناع إبليس ولكن لا قصاص قبل الجريمة، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ـ لَمْ ولن يطرد إبليس مِنْ رحمته قبل صدور المعصية، وإنْ كَانَ الله يعلم بصدور العصيان، وَهَذَا أصل عظيم وَقَاعِدَة أساسية وَمِنْ مُحكمات المنظومة الخلقية التأديبيّة الإلهيّة فِي تكامل البعض مَعَ البعض الآخر، فَإنَّها مؤسسة عَلَى أساس عقيدة البدار، بَلْ وَحَتّى هَذِهِ التقيّة مِنْ الإمام‏عجل الله تعالى فرجه الشريف وأصحابه والبرنامج الأمني المُكثّف لَيْسَ تشكيكاً فِي وعد الله المحتوم بالنَّصر ـ والعياذ بالله ـ ولا تشكيكاً فِي قدرة الله، بَلْ هُوَ عَلَى العكس تماماً زيادة فِي الإيمان بمدى سعة القدرة والمشيئة الإلهية وزيادة فِي المعرفة بمشيئة الله وسعة قدرته الَّتِي هِيَ البداء.

ولذا المُخلصون عَلَى خطر عظيم ووجل كبير لتهيبهم مِنْ سعة المشيئة والعلم القدرة والبداء فبقدر ما لديهم مِنْ رجاء ومعرفة بالجمال لديهم خوف ومعرفة بالجلال، وَهَذَا ما أشار إليه سيد الشُّهداءعليه السلام فِي دعاء عرفة: «**إلهي إنَّ اختلاف تدابيرك وسرعة طواء مقادير منعا عبادك العارفين بك عَنْ السكون إلى عطاء واليأس منك فِي بلاء**»[1].

ولذا لَمْ يبعث الله نبياً إلَّا وَقَدْ أخذ عَلَيْهِ الإيمان بالبداء، وَقَدْ وَرَدَ فِي طرق كُلّ مِنْ العامّة والخاصّة، أنَّ الدُّعاء يحجُب القضاء المُبرم، وَمِنْ هَذَا

---

(١) دعاء عرفة، الإقبال: ج٢، ص٣٢٩ ـ ٣٥٠؛ عنه البحار للمجلسي: ج٩٥/ ٢٢٥.

اتّضح أنَّ البداء لَيْسَ بمعنى أَنَّهُ يبدر لله تَعَالَى شيء لَمْ يكُن يعلم به، بَلْ هُوَ إظهار وإبداء الله تَعَالَى لخلقه وأوليائه شيئاً لَمْ يكونوا يعلمون به فيبقى الأمر كُلَّهُ بيده تعَالَى ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾[1].

والخلاصة: القُرآن يُنادي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[2].

بتقريب: هُنَاك إعجاب مِنْ خطاب القُرآن للمؤمنين وَهُمْ عَلَى درجات عالية مِنْ الإيمان مَعَ ذَلِكَ يخاطبهم القُرآن ويقول لهم: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وَعَلَيْهِ فالمؤمنون والمُخلصون عَلَى خطر، فيا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمنوا لا تكونوا كَالَّذِيْنَ كفروا بأنْ تكونوا مِثْل الكافرين مادّيين أو محصورة رؤيتهم فِي الأسباب الكونيّة دون ما وراءها، بيما الإيمان هُوَ ما وَرَدَ فِي الدُّعاء الشريف: «**يا مُسبب الأسباب دلَّت عَلَى قدرتك الصعاب ويا مَنْ يفتأ به حدّ الشدائد**»، وَإِنَّما هُنَاكَ قدرة وراء الكون والأكوان تلك القدرة هِيَ: ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾﴾[3].

وَهَذَا تحذير لِلَّذِيْنَ تلاعبوا بأسباب النُّزول ولفّقوها وحَرَّفوها عَنْ مواضعها مِنْ أنَّ محاسبتكم المادّية ومعادلاتكم الَّتِي برمجتموها حسب ما تريده السَّلطة الحاكمة مقابل ثمن وأجر فِي أسباب النُّزول لا تحصروها بأسباب كونيّة أو ماديّة أو ... الخ وكذلك لا تحصروا الأسباب بالأسباب

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٦.
(٣) سورة البروج: الآية ٢٠.

والدعاء فَقَطْ ولا بالعمل فَقَطْ وَإِنَّما أمرٌ بين أمرين والله تَعَالَى علَّة العلل وسبب الأسباب والله مِنْ وراءهم محيط.

ولذا ما ذكره المُلفِّقون فِي أسباب النُّزول فِي معركة أُحُد لَمْ يكن بالصّواب وَالقُرآن الكريم يُؤنبهم عَلَى هَذَا الجزء، فَالَّذِيْنَ استُشهدوا فِي معركة أُحُد لَمْ ولن يخسروا وَإِنَّما حصلوا عَلَى غنيمة أخروية وربحوا إحدى الحُسنيين ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ١٥٨﴾[1].

بتقريب: إنَّ أعظم غنيمة هِيَ لقاء الله، لذا تأنيب القُرآن عَلَى ما حدث مِنْ هزيمة لبعضٍ الأصحاب عظيمٌ، وَلَيْسَ هَذَا التأنيب مِنْ القُرآن عَلَى خروج الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله مِنْ المدينة إلى ضواحيها ـ كَمَا ادّعي فِي تلفيق أسباب النُّزول وَلَيْسَ عَلَى فشل الخطّة العسكرية الَّتِي رسمها الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله حسب ما يزعم فِي أسباب النُّزول المزعومة، وَإِنَّما ركَّزَ القُرآن عَلَى تأنيب بَعْض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الَّذِيْنَ اشتركوا فِي معركة أُحُد لإيمانهم بعقائد خاطئة انطوت عَلَيْهِ سرائرهم وعدم تهذيب السلوك لديهم، هَذَا بحسب بيان منطق القُرآن، وَبَعْدَ هَذِهِ الشواهد القُرآنيّة لا يبقى مجالٌ لأحدٍ للتشبث بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي مصادر العامَّة أنْ يقول أنَّ أسباب النُّزول بِهَذَا أو بذاك المعنى ذُكرت فِي المصدر الفُلاني، فلا كلام بَعْدَ كلام الله عَزَّ وَجَلَّ.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

متى يسيطر الشيطان على الإنسان:

لا يُسيطر الشّيطان عَلَى الإنسان ولا يقوى عَلَى نفس الإنسان إلَّا إذَا ارتكب المعصية ـ والعياذ بالله ـ ولذا هُنَاك جملة مِنْ الأمراض النفسيّة والروحيّة الَّتِي يُصاب بها الإنسان وتترك أثرها السّلبي عَلَيْهِ نتيجة ارتكاب مخالفات شرعية فيسيطر الشيطان عَلَيْهِ نتيجة هَذِهِ المُخالفات، ويُبتلى بأنواع الأمراض النفسية والرّوحية، فمثلاً السِّحر ومسّ الشيطان والصرع و ... الخ.

وإنْ كُنّا لا نريد الخوض فيها تفصيلاص لأنَّها ليست محل بحثنا وَإنَّما نذكرها استطراداً وبوجازة ـ والتفصيل موكول إلى محلّه المُنَاسِب ـ وأنَّ أحد العلاجات الناجحة لمُعالجة هكذا أمراض روحيّة ونفسيّة هُوَ إقلاع المصاب عَنْ تلك المعاصي الَّتِي ارتكبها وإنْ كَانَ الإنسان مُبتلى بمعاصي كثيرة، ولا يدري كيف يشخِّص المعصية الَّتِي بسببها ابتلى بِهَذَا المرض، فَإنَّ مثل هَذَا يحتاج إلى عناية الله وتوفيقه فِي تشخيصها لِأنَّ الله تَعَالَى أخفى غضبه فِي معصيته ولا ندري أيّ معصية تُغْضِب الله تَعَالَى.

قاعدة الشورى قاعدة فقهية وسياسية وعقائدية

معنى الشورى فِي أسباب النزول الملفقة:

حاول المُلفِّقون لأسباب النُّزول إعطاء الشورى مَعْنَى عقائدي وقواعدي فِي الفِقْه السياسي عَلَى غَيْر ما يريده القُرآن وَغَيْر ما تُريدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام[1].

وتقدم أنَّ هؤلاء المُحَرِّفون لأسباب النُّزول حرَّفوا مَعْنَى الشّورى فِي معركة أُحُد وَهُوَ أنَّ رأي الأكثرية كَانَ عَلَى الخروج ورأي رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ عَلَى المكث فِي المدينة، ولكنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله نزل إلزاماً منهم عَلَى رأي الأكثرية حسب زعمهم وترك رأيه صلى الله عليه وآله وقال صلى الله عليه وآله يعلم أنَّ سبب الهزيمة سيكون بالخروج مِنْ المدينة، وفيه مخاطر وأضرار تلحق بالمسلمين إلَّا أَنَّهُ لقدسيّة قَاعِدَة الشورى ورأي الأكثرية أُلْزِم الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله بذلك مهما كَانَتْ الضريبة ـ حسب زعمهم ـ أيّ فِي أسباب النُّزول المُحرَّفة فَهُمْ يرون أنَّ الشّورى أكثرية تُلزِم وتُرْغِمُ رسول الله صلى الله عليه وآله برأي الأكثرية وإنْ كَانَ رأي الأكثرية مخالفاً للوحي وللرسول صلى الله عليه وآله.

---

(1) ذكر الشَّيخ محمد السَّند في كتابه الإمامة الإلهية: ج١، ص١١٩ في المبحث الثاني والثالث كلاماً مُفصلاً حول النّظريات في إدارة شؤون الحكم ودور الشّورى فيها ـ فراجع.

ولاية الشورى بنظر أسباب النزول المحرفة

فوق الوحي الإلهي وفوق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله:

وَهَذَا معناه أَنَّهُ يُعطي مدلولاً التزامياً خطيراً للشّورى عندهم ألا وَهُوَ جعل ولاية الشّورى فوق ولاية الوحي الإلهي وفوق ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وإنَّ الشّورى مُلزمة للرسول فضلاً عَنْ أنَّ الحاكم غَيْر رسول الله صلى الله عليه وآله، وَهَذَا ما سطّروه فِي كتب أصول الفِقْه وكُتب مُتكلميهم ـ العامّة ـ وَعَلَيْهِ فأين هُمْ مِنْ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾[1]. فهل يا تُرى أنَّ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله مُختصّة ومُنحصرة بتبليغ الوحي، وَهُنَاك فَقَطْ معصوم وما عداه فِي مثل شؤون التّدبير والإدارة و ... الخ، فَلَيْسَ بمعصوم وَلَيْسَ لَهُ ولاية ـ والعياذ بالله مِنْ هَذَا المقال ـ هكذا زعموا، فانظر إلى تسلسل التداعيات الباطلة المُترتّبة عَلَى تلفيق أسباب النُّزول إلَّا أنَّ الصحيح والحقيقة غَيْر ما ذُكِر فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة وَذَلِكَ ببيان.

الأول: إنَّ الصَّحيح كَانَ عَلَى أنَّ رأي رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى الخروج خارج المدينة لمقاتلة المُشركين وكفّار قريش وعتاتها، وَلَيْسَ رأي رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى البقاء والمكث بالمدينة، وَهَذَا معناه أنَّ رأي الأكثرية كَانَ مُطابقاً لرأي رسول الله صلى الله عليه وآله، وَأنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ هُوَ السَّابق فِي طرح مسألة الخروج مِنْ المدينة وقتال المُشرين هُنَاك.

---

(١) سورة النور: الآية ٥٤.

وَهَذَا معناه أنَّ رسول اللهﷺ هُوَ الذي أعدَّ وهيّأ الأرضية المُناسبة لتوعية الأكثريّة، فاستجابت الأكثرية لرأي الرسولﷺ وتفاعلت معه، وَهَذَا مما يُدلِّل تأثير رأي القائد فِي قاعدته وتفاعلهم معه.

الثانِي: استجابة وتفاعل الأكثريّة مَعَ رأي رسول اللهﷺ عَلَى الخروج خارج المدينة يُدلِّل عَلَى عدم تأثّر الرسولﷺ برأي الأكثرية وبقائهﷺ مُتمسكاً برايه لا مِنْ باب التعصُّب والاستبداد بالرأي كلا، وَإِنَّما كَانَ رسول اللهﷺ أعرف النّاس بمواضع المصلحة مِنْ رأي الأكثريّة؛ ولذا كم وكم مِنْ المواقف الَّتِي واجهها رسول اللهﷺ فِي حياته وَكَانَتْ الأكثرية مخالفة، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ ولن يتأثّر ولن يتراجع الرسولﷺ عَنْ رأيه، فمثلاً فِي بدر، أيضاً كَانَ بَعْض الصّحابة يقول لرسول اللهﷺ أترك منازلة قريش فَإِنَّ قريشاً معروفةٌ بخُيلائها ومكرها وَأَنَّها ما ذلَّتْ مُذْ أنْ عَزَّت و ... الخ وأيّده الأكثر؛ إلَّا ان رسول اللهﷺ لَمْ يصغِ لمثل هَذَا الكلام وَلَمْ يتأثّر به طرفة عين أبداً، وَإِلّا فَإِنَّ رسول اللهﷺ يعلم بالحقيقة؛ ولذا فَإِنَّ القُرآن يُبيّن لنا مثلاً فِي بَعْض معارك الرسولﷺ الجنبة الأخلاقية والتربويّة مِنْ القائد إلى القَاعِدَة ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾[1].

بتقريب: إنَّ وجودك يا رسول اللهﷺ بينهم هُوَ موضع نزول الرّحمة الإلهية وتَحَمُّلك لأخلاقهم الخشنة وعاداتهم الجاهلية بسعة قلبك يا رسول

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

الله صلى الله عليه وآله إذ لو كُنْت فضّ القلب وخشن الأخلاق معهم لتفرّقوا مِنْ حولك؛ لِأنَّ «آل الرياسة سعة الصَّدر»[(١)] لا ضيقه.

ثمَّ إنَّهُ وَرَدَ فِي الآية المُبَارَكَة ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ وفيها أكثر مِنْ وجه:

الوجه الأول: فإذا فُسِّرَ مَعْنَى الشّورى بالأكثرية حسب أسباب النُّزول الملفَّقة فَإِنَّهُ سوف يصبح تدافع بين تفسير مَعْنَى الشّورى بالأكثرية وبين ذمّ القُرآن لوصف الأكثريّة، فَإِنَّ هُنَاك مواطن كثيرة وعديدة فِي القُرآن ذَمَّ فيها الأكثرية فِي الأُمَّة وَأنَّها قَدْ تكون مصدراً للخطأ والخطيئة فلا يمكن الاعتماد عَلَيْهَا، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٢)] و ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(٣)] و ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[(٤)].

وَبَعْدَ اتّضاح هَذَا فكيف يُحَكّم راي الأكثرية حسب أسباب النُّزول لدى العامّة؟ إلَّا اللَّهُمَّ نقول أنَّ الشّورى لها مَعْنَى آخر، وَهُوَ أنَّ المعنى الذي اتّخذته مدرسة أهل البيت عليهم السلام بمعنى تمحيص الرأي والتنقيب عَنْ الحقيقة والواقعيّة الذي هُوَ شعار الحضارة الحديثة، وَلَيْسَ مقصودنا مِنْ الحضارة الحديثة الَّتِي وصل إليها العلم الحديث مِنْ حضارة التكنلوجيا وحضارة العالم النووي أو البايلوجي أو الالكتروني وَإِنَّما المقصود هُوَ حضارة الاتّصالات والارتّباطات أيّ حضارة ثورة المعلومات.

---

(١) تحف العقول: ٢٢٤.
(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٧.
(٣) سورة المائدة: الآية ١٠٧.
(٤) سورة البقرة: الآية ١٠٠.

ما المرَاد مِن ثورة المعلومات:

هُنَاك ضابط قَدْ بيّنته روايات أهل البيت عليهم السلام: **«عَنْ الحسين بن يزيد النوفلي، عَنْ علي بن سيف رفعه، قَالَ: سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام مَنْ أعلم النَّاس؛ قَالَ: مَنْ جَمَعَ علم النَّاس إلى علمه»**[١]، **«وإنَّ أعقل النَّاس مَنْ جمع عقل النَّاس إلى عقله»**[٢].

بتقريب: أنَّ مَنْ عنده تحقيق وتتبع واقعي فِي بناء مراكز الدّراسات ومراكز الاستشاريات ومراكز التحقيق والتنقيب العلمي مَعَ غضّ النَّظر عَنْ كونه أكثريّة أو أقليّة، وسواء كَانَ مِنْ نخبة واحدة أو مِنْ نخب النخب، والنخب هِيَ الأُخْرَى عَلَى درجات فِي التنقيب عَنْ الحقيقة والواقع.

الوجه الثاني: وأمَّا إذَا فُسِّرت لفظة «وشاورهم» الواردة فِي الآية المُبارَكَة هِيَ فِي سياق عناية ورعاية القائد والقيادة للقاعدة لا العكس [بأنْ تكون: ـ القيادة مقودة ومنصاعة للقاعدة].

وفي هَذَا مطلب تربوي وأخلاقي، كَمَا ينقل الشَّيْخ الطبرسي صاحب تفسير مجمع البيان عَنْ الشَّيْخ المفيد رحمه الله فوائد فِي تفسير الآية المُبارَكَة ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[٣] بأنه لا علاقة للشّورى أصلاً برأي الأكثريّة، وَإِنَّمَا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بمشاوَرَة أصحابه هُوَ لأجل أنْ يمتحن مَنْ كَانَ حوله مِنْ أفراد

---

(١) المحاسن لأحمد بن مُحَمَّد بن خالد البرقي: ج١، ص٢٣٠.
(٢) المصدر السابق.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

الصّحابة، ويُبْصر أصحابهﷺ الَّذِيْنَ حوله مَنْ كَانَ فيهم ضعيف الهمّة وَمَنْ كَانَ قويّها، وتفعيل مشاركتهم فِي تحمُّل المسؤولية العامّة.

ثمَّ قالت الآية ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ﴾[1]، **بتقريب:** أيّ إذَا عزمت أَنْتَ يا رسول اللهﷺ وَلَيْسَ عزيمة الأكثريّة، وَعَلَيْهِ فَلَيْسَ المُراد عزموا عليك يا رسول الله ـ والعياذ بالله ـ وَأَنَّكَ مُلْزَم برأي الأكثرية، وَأَنَّهُ صارﷺ تابعاً للقاعدة وَهُمْ الأكثرية فتكون القَاعِدَة هُمْ المتّبوعون، وَعَلَى هَذَا يَكُون المُنَاسِب فِي تعبير الآية [فإذا عزموا عليك فاتبعهم] بينما جاء التعبير القرآني بالعكس ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ أيّ أَنْتَ يا رسول الله إذَا عزمت والعَزم بيدك، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الشّورى الذي أسسته مدرسة أهل البيتعليهم السلام وأنَّ الذي يُصَمِم ويَعْزِم هُوَ مَنْ أوتي سَدَّة الحاكميّة والولاية بكفاءة، وَلَهُ أنْ يُمحّص ويُدقّق الآراء بكفاءة علميّة وَيَكُون هَذَا فاضلاً وَلَيْسَ بمفضول.

ثمَّ قالت الآية ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ أيّ حَتّى لو خالفوك وعصوك وتمرّدوا عليك يا رسول اللهﷺ فظهيرك وتوكلك عَلَى الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾[2].

ثمَّ قالت الآية: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[3].

بتقريب: إذَا كَانَ هُنَاكَ أمر مِنْ الله إلى المربي والهادي الأوّل وَهُوَ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٩.

رسول الله ﷺ الرأي يصفه القُرآن الكريم بأنه ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ بالعفو فهَذَا معناه أنَّ هُنَاك خطأ صدر مِنْ الأكثريّة، وَالقَاعِدَة تجّاه رسول الله ﷺ والله عَزَّ وَجَلَّ يأمر الرسول بالعفو ، وَهَذَا يدلّل عَلَى أنَّ الأكثرية وَالأُمَّة يمكن أنْ تكون مصدراً للخطأ وَلَيْسَ بالضرورة أنَّ الأكثرية وَالأُمَّة لابُدَّ أنْ يَكُون رايها مُلازم للصواب، بَلْ فِي أكثره مُجانب للحقيقة وللصواب بدليل أنَّ القُرآن الكريم وصف حال الأكثريّة بقوله ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾﴾[1] و ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[2] و ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[3].

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ القُرآن يصف الأكثرية بهكذا وصف، وَمِنْ جهة أُخرَى يحثّ عَلَى نظريّة ومبدأ الشّورى، فلو نتماشى مَعَ أسباب النُّزول المُحرَّفة والمُلفَّقة لأصبح هُنَاك تدافع بين وصف القُرآن للأكثرية وبين ما يُريده القُرآن مِنْ مَعْنَى الشّورى حَتّى فِي آية الشورى فَإنَّ القُرآن يُفنِّد راي الأكثرية إذَا كَانَ مَعْنَى الشُّورى هُوَ رأي الأكثريَّة حسب ما تدّعيه أسباب النُّزول المُحرَّفة بقوله تَعَالَى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[4]أيّ استغفر للأكثرية لأنها عَلَى خطأ.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١٠٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وَعَلَيْهِ فكيف تحكّمون رأي الأكثريّة ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾﴾[1].

وبالتالي فَإِنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة تدحض مَعْنَى الشّورى الخاطئ الذي فسّرته مدرسة العامّة، وكذلك تدحض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة.

القرآن يصف رأي الرسول صلى الله عليه وآله بالفتح المبين:

الوجه الثالث: مِنْ شواهد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله لرأي الأكثرية هُوَ ما حصل فِي صلح الحديبية فَإِنَّ عدد الصّحابة الَّذِيْنَ كانوا حاضريّ الصّلح ما يقرب عددهم مِنْ (١٥٠٠) ألف وخمسمائة صحابي، وفيهم كبار الصحابة فَإِنَّ الأكثر كَانَ رأيه عَلَى خلاف رأي رسول الله صلى الله عليه وآله عدا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فِي عقد صلح الحُديبيّة، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَنزِّل الرسول صلى الله عليه وآله لراي الأكثرية الخاطئ، بَلْ القُرآن وصف رأي رسول الله صلى الله عليه وآله بالفتح المبين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾[2].

بتقريب: إنَّ رأي الأكثرية وإنْ كَانَ عَلَى خلاف رأي رسول الله صلى الله عليه وآله إِلَّا أنّهم عَلَى خطأ ولا يعلمون ولا يبصرون واقعيات اللعبة السياسيّة والعسكريّة فضلاً عَنْ الاستراتيجية والحضارية، وَمِنْ الواضح هُنَا فرق بين الفتح وبين النَّصر.

إنَّ الفتح: هُوَ ظَفَرٌ طويل الأمد، والنصر: ظفر قصير الأمد ومؤقت.

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥.

(٢) سورة الفتح: الآية ١.

ولذا وصف القُرآن صلح النَّبيّ ﷺ الذي عقده فِي الحديبية كَانَ فتحاً مبيناً لِإِنَّهُ ببركة هَذَا الصّلح مِنْ آثاره أنَّ قريشاً اعترفت بدين الإسلام وركَّزتْ لَبَنات الإسلام الأساسيّة، وأنَّ شجرة الإسلام زُرعت فِي أرض الجزيرة العربيّة وأنَّ ما كَانَتْ تُدين به قُريش لَيْسَ ديناً بَعْدَ ما اعترفت بدين الإسلام، وَعَلَيْهِ فصار دين الإسلام أمرٌ واقعي حقيقي، وَهَذَا فتحٌ مُبين.

القرآن يحث على حصر الأمر فِي القائد والقيادة المعصومة فِي جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار:

الوجه الرابع: قوله تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾[1].

بتقريب: أنَّ رسول الله ﷺ لو كَانَ يُطيع راي الأكثريّة المُخالفة لَهُ فِي حياته السياسيّة والعسكريّة والتدبيريّة لوقعتم فِي المشقّة والحرج والخطأ؛ ولذا لَمْ ينصاع إليهم رسول الله ﷺ ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾ باتّباع رسول الله ﷺ الذي هُوَ الإيمان، وَعَلَيْهِ لو كَانَ المُحّكم فِي الساحة هُوَ رأي الأكثرية، فلماذا يصف القُرآن بأنَّ مَنْ يخالف رسول الله ﷺ يقع فِي المشقّة والحرج والخطأ؟ ولماذا يحثّهم القُرآن عَلَى اتّباع رأي رسول الله ﷺ؟

وَهَذَا يُستفاد مِنْهُ حصر الأمر فِي القائد والقيادة المعصومة فِي جانب تمحيص الرأي لاتخاذ القرار وأهميّة رأي نُخب النُّخب الَّتِي لديها رؤية كافية حول الموضوع؛ ولذا لَمْ تُعطَ الأكثريّة حقّ المشاركة فِي الإرادة والعزم

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٧.

عَلَى الامور، نعم لا بأس بمشاركة الأكثريّة فِي الجانب العملي وجانب مُراقبة المسؤول.

كَمَا فِي آية الشّورى وقوله تَعَالَى ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾(١).

وكقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾(٢).

وكقوله تَعَالَى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٣).

وكقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ...﴾(٤).

القرآن يذم التنازع

ولا ينهى عن التعدد فِي الآراء والأنظار:

الوجه الخامس: قوله تَعَالَى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ...﴾(٥)، وقوله فِي آيات واقعة بدر ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٦.

(٣) سورة الرُّوم: الآية ٣٠.

(٤) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٥) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

فَنَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[1].

بتقريب: أنَّ القُرآن دائماً يدعوى إلى تعدُّد الرُؤى والأنظار وينهى عَنْ التنازع والتناحر والتنازع غَيْر تعدّد وجهات النظر.

فَإنَّ التّنازع معناه وجود مُصادمات سواء عَلَى صعيد المُجتمع أو عَلَى صعيد الأُسرة أو عَلَى صعيد مجموعة أصدقاء، فَهَذَا الالتحام والمصارعة والمجابهة هِيَ تنازع ذمّهُ القُرآن بخلاف تعدُّد وجهات النظر فَإنَّهُ غَيْر مذموم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓۚ﴾[2] أيّ يتّبعون مُطلق جنس القول، بَلْ بالعكس تعدّد وجهات النظر هُوَ مبدأ الشّورى الذي هُوَ مبدأ قرآني إسلامي فَإنَّ مبدأ الشّورى فِي القُرآن يرتكز عَلَى تعدّد وجهات النظر.

مبدأ الشورى فِي القرآن يرتكز على تعدد وجهات النظر:

إنَّ مبدأ الشّورى فِي القُرآن عَلَى تفسير مدرسة أهل البيتعليهم السلام عبارة عَنْ انفتاح الإنسان أو انفتاح الحاكم عَلَى وجهات نظر مُخْتَلِفَة كي يستقرئ المعلومة الصائبة والسديدة.

وَهَذَا المعنى ما أكّدته روايات أهل البيتعليهم السلام: **«ما حَارَ مَنْ استخار ولا نَدِم مَنْ استشار»**[3] أو **«البركة فِي الاستشارة»**.

بتقريب: إنَّ انفتاح الإنسان عَلَى آراء ومعلومات الآخرين فيه تكامل

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة الزمر: الآية ١٨.

(٣) تحف العقول عَنْ آل الرسولصلى الله عليه وآله، ابن شعبة الحرّاني: ص٢٠٧.

ولا مانع مِنْهُ وفيه تلاقح للآراء وتكامل للرُّؤى، بخلاف التّنازع والاشتباك فَإِنَّ التعادي والعدوان مذمومٌ بين بَعْض الفئات وبين البعض الآخر.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نتيجة التّنازع هُوَ الإخفاق والضعف وعدم الوصول إلى الغايات والنتائج المرجوّة.

أحد مناشيء النزاع هو تعدد وجهات النظر:

إِنَّ مبدأ تعدّد وجهات النظر لا ينهى عَنْهُ القُرآن، بَلْ نظرتُه إليه بكُلِّ شفافيّة وحياديّة وعدم تعصب، وَهَذَا لَيْسَ فيه شيء لِإِنَّهُ يُعَبِّر عَنْ وجهة نظر صاحبه ما لَمْ تكن مخالفة للثوابت القُرآنية والشّريعة الإسّلاميَّة ومُرتكزات العُقلاء، وَإِنَّما ينهى القُرآن ويذم النّزاع الذي قَدْ يتولّد مِنْ الإصرار عَلَى وجهات النظر.

ولذا فَإِنَّ مبدأ الشّورى حسب تفسير مدرسة أهل البيت عليهم السلام تعني الشّفافية والحياديّة وَمِنْ دون تعصب وَمِنْ دون النظر إلى قضية الأكثريّة والأقليّة، فَإِنَّ قضية الأكثريّة والأقليّة هِيَ تحكيم الإرادة، وصراع الإرادات دائماً مآلها إلى الفشل والتعطيل والضعف.

بخلاف الحوار بلا تعصّب فَإِنَّهُ يقود إلى الوحدة والقوّة؛ لذا هُنَاك فرق جوهري وسنخي فِي مَعْنَى الشّورى عِنْدَ مدرسة أهل البيت عليهم السلام عَنْهُ فِي المدارس الأُخْرَى كمدرسة أو نهج العامّة ـ فَإِنَّ مبدأ الشّورى عِنْدَ العامّة لسانه تحكيم القوَّة والسيف والقدرة والبطش لِـمَنْ يُبايع و ... الخ، وَهَذَا ما حَذَّرت مِنْهُ الآية المُبَارَكَة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ

وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾[١].

بينما حقيقة الشّورى فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام هِيَ مشاورة ومحاورة وانفتاح عَلَى الآراء والحقائق بحياديّة وبلا إصرار وتعصُّب، وتجريد العلم عَنْ لسان القوَّة والقدرة و ... الخ، هَذِهِ هِيَ الشّورى الحقيقيّة الَّتِي باتت اليوم أنشودة تُنشَد نَسْمعها فَقَدْ ولا تعيشها البشريّة إلَّا فِي ظل حكم أهل البيت عليهم السلام؛ ولذا نلاحظ أنَّ حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وحكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، والأئمة عليهم السلام ليست حكومة إرغام وتهديد، بَلْ كُلَّهَا حكومة تعليم لأجل أنْ يعيش النَّاس الحقيقة وينساقون إليها تلقائياً ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ۝٢١ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ۝٢٢﴾[٣].

فَهَذِهِ طبيعة علاقة الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام مَعَ النَّاس باختلاف مذاهبهم سواء المسلمين أو غيرهم هِيَ علاقة ذكر وتذكير ولين، لا علاقة تهديد وإرهاب وبطش ورشوة وإغراء وحمل للدُّرّة الَّتِي كَانَ يحملها بَعْض عِلْيَة صحابة الرسول صلى الله عليه وآله أيام خلافته يضرب بها النَّاس: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[٤].

---

(١) سورة الانفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٣) سورة الغاشية: الآية ٢٢.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾(١).

فَهَذَا هُوَ مبدأ الشّورى فِي رؤية مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكيف تُرسِّخ آلة الرياسة الَّتِي هِيَ سعة الصدر، بمعنى أَنَّهُ لابُدَّ للمسؤول والحاكم أنْ يفتح قلبه وذهنه أمام آراء الآخرين بلا لجاج وتعصّب بَلْ بحياديّة بخلاف مبدأ الشّورى عِنْدَ الطرف الآخر الذي مبدأهم تحكم صراع الإرادات وفرض قوّة وإرغام، وبالتالي الإكراه والقوّة لا تدوم، بَلْ وَحَتّى الهدف العسكري للدولة الإسّلاميَّة والحاكم الإسلامي لَيْسَ هُوَ الطغيان والغطرسة وإرعاب وإرهاب الآخرين، كَمَا يصف القُرآن الكريم جبابرة قريش الكافرة عِنْدَمَا خرجوا مِنْ مَكَّة مُتجبّرين متعنتين متغطرسين يردّدون كلمات طغيان وتكبّر ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٞ ٤٧﴾(٢).

فَإِنَّ الوسط الإعلامي والدّعاية الإعلاميّة لها دورها المُؤثِّر، وَلَيْسَ غرضهم إقامة العدل وطريق الله.

الوجه السادس: إذَا كَانَ رأي الأكثرية هُوَ المُحَكَّم بحسب ما تذكره أسباب النُّزول المُحرَّفة فكيف يُفسّرون قوله تَعَالَى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾(٣) بإلزام النَّبيّ صلى الله عليه وآله ـ أيّ القائد ـ برأي القَاعِدَة علماً أنَّ القُرآن يصف النَّبيّ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٧.

(٣) سورة آل عمران: لآية ١٥٩.

الأكرمﷺ: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ ﴾[(١)] **بتقريب:** أنَّ العصمة والتدبير فِي هَذِهِ الآية المُبارَكَة وغيرها مُنحصرة بالنبيﷺ - أيّ بالقائد - لا بالقاعدة وَهِيَ الأكثريّة، وَهَذَا شاهدٌ عَلَى عكس المفهوم المقلوب للشّورى الذي ذُكِر معناه فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة.

وهكذا قوله تَعالَى الآخر فِي الرّجوع إلى النَّبيّﷺ: ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[(٢)].

بتقريب: إنَّهُ إِذَا جاءهم أمر مرتبط بالوضع العام السّياسي أو العسكري أو الأمني سواء الأمن الاقتصادي أو الأمن الأخلاقي أو الأمن السياسي أو الأمن الاجتماعي أو ... الخ أو ما يرتبط بالخوف سواء الخوف الأمني أو الخوف الأخلاقي أو الخوف الاقتصادي أو الخوف العسكري أو الخوف الفكري أو ... الخ، فَإنَّ القُرآن الكريم يُؤكِّد عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ حقّ أحد أنْ يتفوّه بتفسيره أو تأويله أو يُروِّج لَهُ أو يُذيعه إلَّا عَنْ طريق مَنْ وصفهم القُرآن بالمُطهّرين ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩ ﴾[(٣)]. والعلماء الراسخون فِي العلم ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾[(٤)].

والخلاصة: أنَّ مبدأ الشّورى الذي يدعو إليه القُرآن الكريم لا مبدأ

---

(١) سورة النجم: الآية ٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٣.

الأكثريّة وتحكيم عموم النَّاس، وَكَمَا ينبغي الالتفات إلى التفكيك والتّفرقة بين تحكيم الأكثريّة وعموم النَّاس وَالأُمَّة وبين منظومة حقوق الأكثريّة، وَهُنَا لابُدَّ مِنْ التّمييز بينهما وأنَّ الأكثريّة لها حقّ غَيْر حقّ الأقليّة أو حقّ عامّة النَّاس، وهكذا غَيْر تحمّل عامّة النَّاس مسؤوليتهم فِي الرقابة، فَإِنَّ لِكُلِّ واحد مِنْ هَذِهِ وغيرها هُوَ مطلب وحقٌّ مستقل برأسه، وَإِنَّما بحثنا فِي استصواب الرأي، ومثل هَذَا لا يعتمد عَلَى قِلَّة أو كثرة وَإِنَّما يعتمد عَلَى كيفية دراسة آليات الإحاطة بالواقع.

وَعَلَيْهِ فقوله تَعَالَى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ صريحٌ فِي دحض روايات أسباب النُّزول الَّتِي لُفِّقت عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله ارتأى رأياً غَيْر رأي الأكثريّة، ثمَّ بَعْدَ ذَلِكَ نزل النَّبيّ صلى الله عليه وآله عِنْدَ رأي الأكثريّة مَعَ أَنَّهُ صلى الله عليه وآله يعلم بأنَّ رأي الأكثريّة فاسدٌ وكاسِدٌ وحاشا رسول الله صلى الله عليه وآله مِنْ ذَلِكَ.

الوجه السابع: قوله تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾[1].

بتقريب: أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله مأمورٌ بتنفيذ برنامج إلهي يقوم به ولو منفرداً فِي حالة مخالفة عموم الأكثريّة وَالأُمَّة الإسّلاميَّة، وَعَلَيْهِ فأين تحكيم رأي الأكثريّة؟

وَقَدْ واجه النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي حروبه وغزواته مواقف عديدة، فمثلاً فِي غزوة الأحزاب أكثر صحابة الرسول صلى الله عليه وآله أشاروا عَلَيْهِ صلى الله عليه وآله بشيء، بينما مثل

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٤.

الصحابي الجليل سلمان المحمدي قَالَ برأي آخر غَيْر رأي الأكثر للنبي ﷺ مَعَ أنَّ سلمان رضي الله عنه مِنْ الأقليّة، وأخذ النَّبيّ ﷺ برأيه ومشورته، علماً أنَّ النَّبيّ ﷺ غَيْر محتاج إلى الرأي ولا يعير أهميّة لمثل هَذِهِ الأُمُور إلَّا أنَّ النَّبيّ ﷺ أراد أنْ يُبيّن أنَّ الحَري والأحق اتّباعه والأخذ به هُوَ الصّواب الصائب لا الرأي الفاسد ولو كَانَ رأي الأكثريّة.

الوجه الثامن: قوله تَعَالَى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ منطق القُرآن الكريم فِي بيان المواجهة العسكريّة والحربيّة والسياسيّة و ... الخ يُؤكّد عَلَى مبدأ مهم جداً ألا وَهُوَ مبدأ الارتباط الرّوحي بالله تَعَالَى **لا جبر ولا تفويض أمرٌ بين أمرين**، فمنطق القُرآن هُوَ التوكُّل عَلَى الله لا التواكل عَلَى الله، فَإنَّ مَعْنَى التواكل عَلَى الله هُوَ ترك الأسباب المادّية وَالقُرآن الكريم يُؤكّد وبإصرار عَلَى عدم ترك الأسباب المادّية ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ...﴾[2] وفي نفس الوقت يُوصي القُرآن الكريم بعدم الاغترار بالأسباب المادّية والتغافل عَنْ التوكُّل عَلَى الله تَعَالَى فَإنَّ الارتباط الرُّوحي مَعَ الله مما لابُدَّ مِنْهُ وَأَنَّهُ مهما كَانَ عندكم مِنْ قوّة وعِدَّة وعدد فَلَيْسَ هُوَ سبب النَّصر، وَإنَّما سبب النّصر الذي يُبيّنه القُرآن الكريم

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٠.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

شيء آخر ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[١] تَقَدَّمَ سابقاً ـ أَنَّهُ فِي تقرير بَعْض مراكز الدراسات الدوليّة حول الحرب العسكريّة والحرب السياسيّة، يعترف الباحثون والمُتخصّصون بأنَّ ما يقرب مِنْ الـ ٨٠٪ مِنْ الحرب العسكريّة والسياسيّة هِيَ حربٌ نفسيةٌ أيّ حربٌ روحيّة قبل أنْ تكون حرب مادّيّة، فبقدر ما عندك مِنْ يقين وثبات عَلَى المبدأ يَكُون انتصارك بقدره، ولا يستطيع العدو أنْ يُزلزل ذَلِكَ اليقين الرَّاسخ عَلَى المبدأ، فالمُسلم يتوكَّل عَلَى الله ويتسلّح بقوَّة معرفته بالله، وَهَذَا بحدّ نفسه يصلح أنْ يَكُون بُرهاناً عَلَى ضرورة الإمامة والعصمة، فَإِنَّ الصحابي الممدوح لابُدَّ وأنْ يتمتع بعلوّ معرفته بالله تَعَالَى وعلوّ إيمانه وصدقه وإخلاصه ونبله وطهارته وشجاعته، فَإِنَّ الجبان يَكُون ضعيفاً ولا يمتلك قُوَّة إيمان تؤهله إلى أنْ يَكُون بمرتبة صحابي لرسول الله ﷺ، فَإِنَّ غَيْر المؤمن يَكُون فرّاراً خائفاً هابط الإيمان فكيف يصبح رائداً وقائداً ومؤتمناً عَلَى قيادات الأُمَّة وَالدِّين؟

فَإِنَّ أدنى زلزلة وهِزَّة تهزّه يسقط ما بيده مِنْ الأمر، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى تفسير الشّجاعة بلغة روحيّة إيمانيّة لا بدنيّة مادّيّة، وَهَذَا ما أكَّدته سورة هود ﴿فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾﴾[٢].

الوجه التاسع: قوله تَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ

---

(١) سورة التوبة: الآية ٢٥.

(٢) سورة هود الآية ١٧.

﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾[١] وقوله تعالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾[٢].

بتقريب: إنَّ وجود رسول الله صلى الله عليه وآله وبعثته هِيَ مِنَّة عُظمى مِنْ الله تَعالَى عَلَى المؤمنين، وَهَذَا المعنى قريب أو شبيه مما تَقَدَّمَ مِنْ قوله تعالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[٣].

فَإِنَّ هَذَا يدحض دعوى مبدأ الشّورى بالمعنى المقلوب فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي المدارس الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وَعَلَيْهِ فمُراد الشّورى فِي مدرسة أهل البيت كَمَا تَقَدَّمَ لَيْسَ هُوَ رأي الأكثريّة عَلَى حساب نخبة النُّخب سيّما إذَا كَانَتْ النُّخبة البهيّة تلك النُّخبة الَّتِي اصُطفيت مِنْ الله تَعالَى، مُضَافاً إلى أنَّ الآية ذكرت أنَّ مجموع الأُمَّة برُمّتها مُحتاجة إلى تزكية سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ فكيف يَكُون سيد الأنبياء مُلزم وتابع للأكثريّة حسب ما صوّرته أسباب النُّزول المُحرَّفة والمُلفّقة، بَلْ عَلَى العكس كَانَ الرسول صلى الله عليه وآله هُوَ المتبوع وَالأُمَّة والأكثريّة هِيَ التّابعة لَهُ صلى الله عليه وآله.

ثمَّ ذكرت الآية المُبارَكَة إنَّ أحد أهم وظائف النَّبيّ صلى الله عليه وآله كحاكم وداعية سماوي إلى النَّاس عَلَى مختلف الأصعدة والنُّظم سواء نظام أو عالم الدِّين أو

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٢.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٤.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٧.

المرجعية أو أيّ موقع مِنْ مواقع تحمُّل المسؤولية الأولى ألا وَهِيَ التّربية والتعليم ﴿يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾[1] أيّ تعليم ابتدائي أيّ مبسط ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾، أيّ يربيهم فَإِنَّ مُهمّة التّربية والتّعليم حاكمة حَتّى عَلَى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[2].

فَإِنَّ هَذَا خطابٌ موجّه لربِّ الأُسرة سواء كَانَ عَلَى مستوى الأُسرة العائلية الصغيرة أو عَلَى مستوى الأُسرة الكبيرة أيّ أسرة المجتمع، ثمَّ بَعْدَ التّربية والتّعليم يأتي دور تعليم الكتاب والحكمة وَهَذَا التّعليم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾[3] وَهَذَا التّعليم أوغل مِنْ التعليم الأوّل فَإِنَّ الحكمة فيها تدبير نظام سياسي ونظام أُسري ومجتمعي و ... الخ، وتعليم الكتاب غَيْر تعليم الحكمة.

ويتلخّص مِنْ هَذَا أَنَّ هُنَاك مراحل استراتيجية أربعة يرسمها لنا القُرآن الكريم:ـ

المرحلة الأولى: تعليم عام مُبسط.

المرحلة الثانية: تربية.

المرحلة الثالثة: تعليم كلي أعمق مِنْ السابق.

---

(١) سورة الجمعة: الآية ٢.

(٢) سورة التحريم: الآية ٦.

(٣) سورة الجمعة: الآية ٢.

المرحلة الرابعة: الحكمة أيّ مرحلة الإدارة والتدبير.

وَقَدْ كرر القُرآن الكريم هَذِهِ المراحل فِي عِدَّة مواضع مِنْ القُرآن مِنْهَا سورة البقرة وَمِنْهَا فِي سورة الجمعة وغيرها.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مسؤولية النَّبِيّ صلى الله عليه وآله الاستراتيجية فِي هَذِهِ المراحل الأربعة فِي الحضارة الإلهية لها دورها الرئيسي لكي ينعم المسلمون بالكمال والسّعادة فِي ظل تربية المعلم الإلهي رسول الله صلى الله عليه وآله، وَعَلَيْهِ إذَا كَانَتْ أحد مقامات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ مُربي ومُعلم بتعليم خفيف وابتدائي ثمَّ بتعليم أعمق ثمَّ سائس ومُدبِّر، وَهَذِهِ هِيَ اصطلاحات القُرآن فِي وصف مقامات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله.

وَعَلَيْهِ وَبَعْدَ كُلّ هَذِهِ الأوصاف فِي القُرآن لمقامات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كيف يَكُون محكوماً مِنْ قبل الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حسب منطق القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة، بَلْ بالعكس فَإِنَّ الرسول صلى الله عليه وآله حسب منطق القُرآن هُوَ الحاكم عَلَى الأُمَّة والأكثرية حسب أسباب النُّزول الصحيحة، وفي هَذَا دحضٌ لأسباب النُّزول المُلفَّقة فِي مَعْنَى الشورى المقلوبة.

الوجه العاشر: قوله تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥﴾[1].

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية صريحة جداً وواضحة فِي دحض أسباب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٥.

النُّزول المزعومة، إذْ تبيَّن أسباب النُّزول المزعومة سبب هزيمة المسلمين فِي وسط معركة أُحُد هُوَ انصياع النَّبِيّ ﷺ لرأي الأكثريّة، وخرج ﷺ لقتال المُشركين خارج المدينة، هكذا ادّعى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة.

والآية المُبارَكَة دحضت ذَلِكَ وبيَّنت ـ كَمَا ذكرنا سابقاً ـ أنَّ سبب الهزيمة والتّراجع فِي وسط معركة أُحُد كَانَ بسبب الخوار والضعف النفسي، وضعضعة النفس وحب الدُّنْيَا عِنْدَ بَعْض الصّحابة وظنّهم بالله سوءاً، كَمَا وصف كُلّ ذَلِكَ القُرآن ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٦٥ وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٦٦ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ ... ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾[1].

بتقريب: أنَّ هؤلاء المُنافقين ثبت قربهم النسبي للإيمان ولكن هُمْ أقرب للكفر يومئذٍ منهم للإيمان، وَهَذِهِ الآية المُبارَكَة وغيرها صريحة فِي أنَّ سبب القتل والهزيمة لَيْسَ هُوَ الخروج للقتال خارج المدينة فِي معركة أُحُد، ورغم هَذِهِ الصّراحة إلَّا ان الكثير مِنْ المُفسرين وَمِنْ الفريقين غفلوا عَنْ هَذِهِ البيانات القُرآنية الَّتِي أشارت إليها روايات أهل البيت عليهم السلام كَانَتْ هَذِهِ الغفلة الخطيرة عَنْ عدم الاخذ بروايات أهل البيت عليهم السلام واتّباعهم سبباً فِي وقوع أكثر المُفَسِّرين فِي هَذِهِ الأخطاء باتّباعهم أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ الطرف الآخر وبنوا عَلَيْهَا مفاد الآيات فِي مختلف السُّور، فمثلاً ما وَرَدَ فِي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٥ ـ ١٦٨.

سورة آل عمران الَّتِي كَانَتْ بَعْض آياتها ترتبط بالعقائد ومقامات سيد الأنبياء، وبعضها كَانَ يرتبط بقاعدة الفِقْه السياسي أيّ قَاعِدَة الشّورى و ... الخ.

وَلَمْ يرجعوا إلى نفس آيات القُرآن الكريم، والرُّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وَهَذَا يُدلّل عَلَى أَنَّهُ مِنْ الآليات المُهِمَّة لتمحيص أسباب النُّزول هُوَ مُراجعة نفس الآيات بأنها هل تتناغم مَعَ الرُّوايات الواردة فِي أسباب النُّزول أو تتناقض وتتعارض معها فتطرح الرّوايات المعارضة لمفاد الآيات ولا سيما هِيَ مِنْ مصدر الطرف الآخر.

بَلْ عَلَى العكس تقول الآية: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ﴾[1].

بتقريب: أنَّ رأي بَعْض كبار صحابة الرسول صلى الله عليه وآله كَما هُوَ مذكور فِي كتبهم التأريخيّة كالطبري وابن الأثير و ... الخ كَانَ عَلَى البقاء فِي المدينة إلَّا أنَّ القُرآن يُدْحض ذَلِكَ ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾[2].

ولذا تتواصل الآيات فِي مدح ومجازات مَنْ أصابه جرحٌ أو قرحٌ مِنْ الصحابة سواء أكان فِي معركة بدر أو أُحُد أو حُنين أو تبوك أو ... الخ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦٨.

فمثلاً فئة الصّحابة الَّذِيْنَ امتدحهم القُرآن نتيجة ثباتهم عَلَى المبدأ وشاركوا فِي معركة بدرهم أنفسهم امتدحهم القُرآن فِي موضع آخر نتيجة ثباتهم وعدم تزلزلهم فِي أُحُد وغيرها وواعدهم القُرآن بالثّواب والحُسْنى والجنَّة نتيجة تضحيتهم واستشهادهم بقوله تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾[1].

وَهُنَاك طائفة أُخْرَى لَمْ يستشهدوا وَإِنَّما أصابهم الجرّح أو القرح ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ﴾[2].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم لا يمتدح الكُلّ وَإِنَّما يمتدح فَقَطْ الَّذِيْنَ استشهدوا وأمَّا الَّذِيْنَ جُرحوا ثمَّ أصابهم قرحٌ وَلَمْ يُغْزَوا ووصفهم ومدحهم القُرآن بشكل آخر حَتّى يتبيَّن حالهم فَإِنَّ حال بعضهم لَمْ يستقم عَلَى الحُسنى أو التّقوى فمثل هؤلاء لَمْ يمدحهم القُرآن إِلّا أَنَّهم بَدَّلوا بَدَّل الله معهم فلا يُغيّر الله حَتّى يُغيِّروا.

وَلَيْسَ شرط المدح فِي منطق القُرآن مُجرَّد أَنَّ الممدوح مِنْ صرف السّابقين والمُشاركين كلا وَإِنَّما القُرآن يمدح مَنْ ينال درجة الشّهادة ويُختم لَهُ بالعاقبة الحسنة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٦٩ ـ ١٧٠.
(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٢.

تقنين القرآن عام لِكل البشر:

والأمر المهم الذي يزيد تسليط الأضواء عَلَيْهِ هُوَ أنَّ منطق القُرآن ينصب عَلَى تقنين قانون لِكُلِّ البشر بما فيهم الصّحابة وَلِكُلِّ الأزمنة والأمكنة ألا وَهُوَ التركيز عَلَى خواتيم الأُمُور وعاقبتها مِنْ منطلق إنَّما الأُمُور بخواتيمها لا بمباديها[١].

فلربما إنسان تكون بدايته حسنة وموفقة للطاعة إلَّا أَنَّهُ سرعان ما يختم لنفسه بالعاقبة السيئة ـ أعاذنا الله جميعاً ـ وَيكُون فِي نهاية أمره مِنْ المِبدِّلين أو المُحْدثين؛ ولذا يُركِّز القُرآن وَيُؤكِّد عَلَى ذكر بَعْض المواقف والحالات الَّتِي حصلت لبعضهم ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٢].

بتقريب: أنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ شاركوا مَعَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي معركة بدر وأُحُد رُخِّصَ لهم بمعركة ثالثة وَهِيَ معركة بدر الصُّغرى فِي حمراء الأسد موضع قريب مِنْ المدينة بموضع أبعد مِنْ موضع معركة أُحُد، عِنْدَمَا

---

(١) تَقَدَّمَ بحث هَذِهِ القَاعِدَة فِي تفسير أمومة الولاية: ج٢، للشيخ مُحَمَّد السَّند (الألفاظ وضعت للغايات لا للمبادئ)، وكذا تَقَدَّمَ بحثها فِي القَاعِدَة الخامسة الجري والتطبيق تحت عنوان القَاعِدَة الأولى.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٧٢ ـ ١٧٣.

هدّدت قريش بالهجوم والغارة عَلَى المدينة، وَكَانَ ذَلِكَ التوصيف لرسول الله ﷺ بمعركة ثالثة بامر مِنْ السّماء، إذْ هبط الأمين جبرئيل عليه السلام عَلَى النَّبيّ ﷺ فَقَالَ: يا مُحمَّد إنَّ الله يأمرك أنْ تَخْرُج فِي أثر القوم ولا يخرج معك إلَّا مَنْ به جُراحة، فأمر النَّبيّ ﷺ مُناديه أنْ يُنادي بذلك[١].

وفي خبر الطبرسي عَنْ كتاب أبان البجلي الكوفي، قَالَ: فلما كَانَ الغد مِنْ يَوُم أُحُد نادى مُنادي رسول الله ﷺ فِي المسلمين أنْ يخرجوا عَلَى عِلَّتهم وما أصابهم مِنْ القرح والجُرْح.

وفي خبر آخر للطبرسي: ألا لا يخرجنَّ أحدٌ إلَّا مَنْ حضر يومنا بالأمس، فانتدبت عصابة منهم مَعَ ما بهم مِنْ القُراح والجراح الَّذِيْنَ أصابهم يَوُم أُحُد وقُدِّم عَليٌّ براية المُهاجرين حَتّى انتهوا إلى صحراء الأسد وَهِيَ مِنْ المدينة عَلَى ثمانية أميال، وأقام بها النَّبيّ ﷺ ثلاثة أيام يَوُم الاثنين والثلاثاء والأربعاء، وَكَانَ النَّبيّ ﷺ قَدْ استخلف عَلَى المدينة ابن أم مكتوم[٢].

﴿فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[٣] فبدل أنْ يتضعضعوا وتضعف همّتهم باعتبارهم الآن خرجوا مِنْ حرب ومعركة ثمَّ تفصل ساعات عَنْ المعركة الثالثة، بَلْ ازداد إيمانهم واشتدَّ إصرارهم واستقامتهم.

---

(١) تفسير القمّي: ج١، ص١٢٥ وعنه البحار: ج٢، ص٦٤.
(٢) إعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٨٤.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٣.

ويتلخص ممّا تَقَدَّمَ أَنَّهُ إِذَا كَانَتْ غزوة واحدة مِنْ غزوات النَّبِيّ ﷺ كغزوة أُحُد مثلاً حدث فيها هكذا تعتيم وتزوير وتلفيق وحُذفت الحقائق وأُبعدت حسبَ أسباب النُّزول المُلفَّقة فكيف يطمئن بَعْدَ هَذَا والأخذ بها وإرسالها إرسال المُسلّمات وَهِيَ واضحة البُطلان والكذب والتدليس وطمس الحقائق وحَذَفت مقطعاً كاملاً مِنْ غزوة أُحُد وانتهت المعركة بزعم أسباب النُّزول المُلفَّقة بانتصار قريش.

إِلَّا أَنَّهُ وبالتحقيق يُقال لهؤلاء لماذا عادت قريش بمعركة ثالثة فصلتها ساعات عَنْ معركة أُحُد ألا وَهِيَ معركة بدر الصّغرى، فإذا كَانَ قريش قَدْ انتصرت فِي معركة أُحُد فعلامَ المعاودّة؟

وَهَذَا ما بيّنته أسباب النُّزول الصحيحة والواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام أنَّ قُريشاً ما كَانَتْ منتصِرَةً فِي معركة أُحُد؛ ولذا أرادت قريش الإغارة عَلَى المدينة نتيجة خُسرانهم وهزيمتهم فِي معركة أُحُد وانتصار المسلمين فِي نهاية المعركة؛ ولأجل أنْ تَرُدَّ قريش ماء وجهها الذي سلبه المسلمون مِنْهَا فِي معركة أُحُد، بينما ما ذكرته كتب التأريخ كابن الأثير والطبري والسيرة لابن هشام و ... الخ أنَّ قريش عادت إلى المدينة بَعْدَ معركة أُحُد لأجل أنْ تصفح وتعفوا بَعْدَمَا هُزِم المسلمون وفرَّ النَّبِيّ ﷺ إلى الجبل ـ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ ـ وَكُلّ ما ذكرته مصادر العامّة فِي هَذَا المجال هُوَ عارٍ عَنْ الصّحة تماماً، إنَّما الصحيح هُوَ تحقّق النصر مَرَّةً أُخْرَى عَلَى يد رسول الله ﷺ ويد سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام مَعَ ثُلّةٍ قليلة جداً بعضهم نال الشّهادة وبعضهم جُرِحَ وثالث بقي

ثابتاً مَعَ النَّبِيّ ﷺ ولذا فرَّت قريش وتراجعت وابتعدت عَنْ المدينة وغنائمها.

وَمِنْ خلال هَذَا يتّضح أنَّ مُلابسات الحدث كُلَّهَا تدحض ما رُقِّم وسُطِّر وكُتِبَ فِي التأريخ مِنْ عبث وتلاعب فِي الحقائق، ولذا لَمْ يُرَّخص القُرآن الكريم لكبار الصّحابة فِي الجّهاد فِي معركة بدر الصّغرى وَهِيَ المعركة الثّالثة بسبب انهزامهم وَلَمْ يُحْضوا بوسام الثبات والتّضحية الحقيقية للإسلام والمسلمين، بخلاف هؤلاء الحماسيون الَّذِيْنَ ازداد إيمانهم وشرَّفهم القُرآن الكريم بالشّهادة والإيمان ورباطة الجأش، وَهَذَا التخصيص والتشريف الذي خصّه القُرآن بهؤلاء لَمْ يعطه لكبار الصّحابة الَّذِيْنَ أشاروا عَلَى النَّبِيّ ﷺ بالبقاء فِي المدينة قُبيل غزوة أُحُد.

ثمَّ إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ رُخِّصَ لهم بالخروج إلى حمراء الأسد وصابر ورابطوا فِي معركة أُحُد ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾ أيّ غنائم ﴿لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ لِأنَّ قريشاً خشيت منهم كَمَا فِي رواية علي بن إبراهيم القمّي فِي تفسيره: **«فوافاهم رجلٌ خرج مِنْ المدينة فسألوه الخبر، فَقَالَ: تركتُ محمداً وأصحابه بحمراء الأسد يطلبونكم جدَّ الطل»**[١].

وفي خبر الطبرسي: «... **وَقَدْ والله تركت محمداً وأصحابه وَهُمْ يُحَرِّقون عليكم، وَهَذَا علي بن أبي طالب قَدْ أقبل عَلَى مقدمته فِي النَّاس ...**»[٢].

فلو كَانَتْ قريش هِيَ المتصرة والغالبة فِي نهاية المطاف فكيف تخشى مِنْ

---

(١) تفسير علي بن إبراهيم القمّي: ج١، ص١٢٥.
(٢) إعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٨٤.

المسلمين والمؤمنين عَلَى قِلَّة عددهم فَإِنَّهُ حسب الرُّواية الواردة فِي هَذَا المجال بأنَّ النبي ﷺ خرج بـ (٧٠) سبعين مقاتلاً، وَلَمْ يأذن النَّبِيّ ﷺ فِي معركة حمراء الأسد أنْ يخرج كُلّ مَنْ شارك فِي أُحُد، وَإِنَّما أذِن لِلَّذِيْنَ جُرِحوا وثبتوا وَلَمْ ينهزموا ويفرّوا ، وَمَعَ ذَلِكَ خشيت وخافت قريش مِنْ المواجهة ثانية مَعَ المسلمين فانهزمت وفرَّت إذْ لو كَانَ منتصرةً لما انهزمت وولّت.

ثمَّ قالت الآية ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾[1].

بتقريب: أنَّ طبيعة عمل الشَّيطان يُخَوِّفُ أولياؤه مِنْ حَيْثُ يشعروا أو لا يشعروا بَعْدَ أنْ يضلهم ويمنيهم، فإذا صبر العبد وأذاق الشّيطان مرارة تحمّل الصبر فَإِنَّهُ سوف ينهزم الشّيطان وييأس ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2] و ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾[3].

وَهُنَاكَ رواية كشاهد فِي المقام مُحَمَّد بن عمر بن عبدالعزيز الكشّي فِي كتاب (الرجال) قَالَ: وجدتُ فِي بَعْض كتبي عَنْ مُحَمَّد بن عيسى، عَنْ عثمان ابن عيسى عَنْ ابن مسكان، عَنْ ابن أبي يعفور، قَالَ: كَانَ إذَا أصابته هَذِهِ الأوجاع فإذا اشتدّت به شرب الحسو مِنْ النبيذ فتسكن عَنْهُ، فدخل عَلَى أبي

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٧.
(٢) سورة الحِجْر: الآية ٤٢.
(٣) سورة النحل: الآية ٩٩.

عبدالله عليه السلام إلى أنْ قَالَ: فأخبره بوجعه وشربه النبيذ، فَقَالَ لَهُ: يا ابن أبي يعفور! لا تشربه فَإِنَّهُ حرام إِنَّما هَذَا شيطان موكل بك فلو قَدْ يئس منك ذهب، فلما رجع إلى الكوفة هاج به وجع أشدّ ممّا كَانَ فأقبل أهله عَلَيْهِ، فَقَالَ: لا والله لا أذوقنّ مِنْهُ قطرة فيئسوا مِنْهُ وأشتدّ به الوجع أيّاماً ثُمَّ أذهب الله عَنْهُ فما عادَ إليه حَتّى مات(١).

أمَّا أنَّ الشّيطان كيف يستطيع أنْ يصوِّر ويخيل للإنسان حجم الدّاء بأشد وأعظم حالاً مما هُوَ عَلَيْهِ ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾(٢).

بتقريب: أنَّ الشّيطان بطبيعة عمله لا يَكُون أنيساً للصّابرين، وَإِنَّما يَكُون أنيساً للعجولين؛ ولذا كَانَتْ العجلة مِنْ الشّيطان؛ لِأنَّ طبيعة الشّياطين أنَّهم غَيْر صبورين وطبيعتهم الحِدَّة والسّرعة وعدم الصبر.

وَمِنْ باب الكلام يجبر الكلام نذكر ما يَكُون مُؤيِّداً هُوَ أنَّ هُنَاك بَعْض المُصابين بحسد العين أو السِّحر أو المس أو ... الخ فَإِنَّ وصفه الصبر لهؤلاء دواءٌ عظيم، فَإِنَّ الشّيطان عَوَّدَ أتْباعه وأوليائه عَلَى عدم الصبر وَعَلَى الحِدَّة والجزع و ... الخ، فإذا صَبَرَ المُصاب بالمسّ أو السّحر أو العين أو ... الخ معناه أنَّ هَذَا المُصاب قَوَّى جانب التوكُّل عَلَى الله، وإذاتوكَّل عَلَى الله معناه قوّى عنده جانب الطمأنينة بالله وعدم الخوف مِنْ غَيْر الله تَعَالَى فسرعان ما يتشافى بإذن الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ

---

(١) رجال الكشّي، بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج٥٩، ص٥٨؛ وسائل الشيعة للحر العاملي: ج٢٥ ص٣٤٧، ب ٢٠ مِنْ أبواب الأشربة المُحرَّمة: ح١١.

(٢) سورة طه: الآية ٦٦.

يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ بَعْض مَنْ كَانَ مَعَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله مِنْ المؤمنين والمُسلمين سرعان ما ارتدّوا عَنْ الإيمان فِي معركة أُحُد وإنْ لَمْ يرتدوا عَنْ الإسلام، وَهُنا القُرآن يشهد عَلَى أنَّ جماعة مِنْ صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أصابتهم ردّةٌ عَنْ الإيمان وَلَمْ يستقر الإيمان فِي قلوبهم وَإنّما كانوا عَلَى ظاهر الإسلام.

وما كَانَ مِنهُ عَلَى اللسان، ثمَّ انقلبوا عَلَى أعقابهم ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[2].

وقوله تَعالَى: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ﴾[3]، **بتقريب:** أنَّ بَعْض هؤلاء الَّذِيْنَ كانوا مَعَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله مُجرَّد أنْ سمعوا دعاية نبأ مقتل رسول الله صلى الله عليه وآله فِي معركة أُحُد سارعوا فِي الكفر ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا﴾[4].

الفرق بين الردة فِي الإيمان والردة عن ظاهر الإسلام:

وَهَذِهِ الآية المُبارَكَة تدحض وتُفنِّدَ ما روي مِنْ روايات يُدَّعى فيها:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٧٦.

أنَّ الله تَعَالَى اطّلع عَلَى أهل بدر، وَقَالَ: ـ لن أعاقبكم أبداً، فَإِنَّ كثيراً وللأسف لَمْ يُفرِّقوا بين الردَّة والارتداد عَنْ الإيمان وبين الردَّة والارتداد عَنْ ظاهر الإسلام، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الآيات القرآنية تذكر هَذَا الوصف كقوله تَعَالَى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ثُمَّ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ ﴾[١].

عَنْ يونس بن عبدالرحمن عَنْ عبدالله بن سنان، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام: «**ستصيبكم شبهةٌ فتبقون بلا علم يُرَى، ولا إمام هدى ولا ينجو مِنْهَا إِلَّا مَنْ دعا بدعاء الغريق، قلتُ: كيف دعاء الغريق؟ قَالَ: يقول: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي عَلَى دينك**» فقلتُ: يا الله يا رحمن يا رحيم يا مُقلِّب القلوب والأبصار ثبِّت قلبي عَلَى دينك، قَالَ: «**إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ مُقلِّب القلوب والأبصار، ولكن قُلْ كَمَا أَقُول لك: يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي عَلَى دينك**»[٢].

كُلّ ذَلِكَ بلحاظ القلب وأمره العجيب لِإِنَّهُ عَلَى تَقَلُّب دائم سُمّي بذلك لتقلبه «**يا مُقلِّب القلوب ثبت قلوبنا عَلَى دينك**».

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾[٣].

بتقريب: إِنَّ بَعْض الصّحابة كَانَ مؤمناً والآن كَفَرَ فِي قلبه ويمتحن

---

(١) سورة النساء: الآية ١٣٧.
(٢) كمال الدِّين وتمام النِّعمة، الشَّيْخ الصَّدوق: ص٣٥١ ـ ٣٥٢.
(٣) سورة آل عمران: الآية ١٧٨ ـ ١٧٩.

الله هؤلاء الَّذِيْنَ كانوا مَعَ رسول اللهﷺ فمنهم مَنْ يُبْدِّلُ ويحدث تغيير ومنهم مَنْ ثبت وَلَمْ يُحدِّث تغييراً فِي نفسه ودينه ومعتقده وَلَمْ يتزلزل.

تحكيم محكمات الكتاب

والسنة النبوية القطعية وأهل البيت عليهم السلام:

والنتيجة بَعْدَ ذكر هَذِهِ النماذج والشّواهد القُرآنية عَلَى دحض أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُحرَّفة وفي تحقيق المنهج التأريخي وغيره هُوَ الخروج بقاعدة عظيمة ألا وَهِيَ «**تحكيم محكمات القُرآن والسنة النبويّة القطعية وأهل البيت عليهم السلام**».

فَإِنَّ هَذِهِ القَاعِدَة تُعَدُّ ميزاناً لتحقيق وتنقيح التأريخ خاصة التأريخ الذي لَهُ صِلَة بسيد الأنبياء مُحَمَّدﷺ وبالقرآن وتاريخ نزوله وبالإسلام، فَإِنَّ هَذَا أمر بالغ الأهميّة.

ومثل هَذِهِ الشواهد المُحرَّفة والمُلفَّقة لأسباب النُّزول تُدِلُّ الباحث الكريم عَلَى كيفية انقلاب التأريخ وكشف عبث الأقلام المأجورة عَلَى يد السّلطة الأموية والعباسيّة أو الطرف الآخر عبثاً صَوَّرت به انتهاء المسلمين بالهزيمة والخسارة فَقَطْ فِي معركة أحد، والواقع الصحيح الذي عَلَيْهِ المسلمون فِي معركة أُحُد عَلَى العكس تماماً، نعم لا ننكر حصول إخفاق وهزيمة للمسلمين فِي وسط معركة أُحُد إِلَّا أَنَّ المعركة انتهت بانتصار المسلمين وهزيمة قريش؛ ولذا فَأَنَّ معركة أُحُد حصل فيها انهزام لكلا

الطرفين المسلمون أَوَّلاً ثمَّ المشركون ثانياً فِي نهاية معركة أُحُد فِي حمراء الأسد أو ما تُسَمّى بدر الصغرى.

هَذَا كُلَّهُ بلحاظ ما ذُكِرَ مِنْ شواهد قرآنيّة لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي غزوة أُحُد.

ثانيا: نماذج مِن سورة الأنفال لدحض أسباب النزول الملفقة بما يتعلق بمعركة بدر[١]:

الشواهد القرآنية لدحض أسباب النزول الملفقة:

وقبل ذكر الشواهد القرآنية حول غزوة بدر نذكر:

أَوَّلاً:

مقدمة: استعراض القُرآن الكريم وفي مواضع عِدَّة جهات وملاحِم ومباحث كثيرة نتعرَّض إليها بشكل مقتضب مَعَ الاختصار، وتسليط الأضواء فيها عَلَى موضوع بحثنا وَهُوَ أسباب النُّزول ونُبيِّن كيفية رسوخ عقيدة مدرسة أهل البيت عليهم السلام تجاه جملة مِنْ القضايا، مِنْ تلك المواضع القرآنية كسورة الأنفال واستعراض آياتها لُمسلسل معركة بدر ـ فَإِنَّها انفردت مِنْ بين سور القُرآن الكريم لعرض وبيان أحداث معركة بدر، بَلْ

---

(١) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّل لدحض أسباب النُّزول المُلَفَّقة مِنْ سورة آل عمران بما يتعلّق بمعركة أُحُد.

أنْ شئت سَمَّها بسورة بدر، لما روى مُحمَّد بن مسلم، قَالَ: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «فِي سورة الأنفال جَدْع الأنوف»[١].

كَمَا فِي وينبغي التنبيه عَلَى أنَّ الآيات المُبَارَكَة الَّتِي هِيَ محل الشّاهد فِي سورة الأنفال حول غزوة بدر والمُرتبطة بمحل البحث فِي أسباب النُّزول تبتدأ مِنْ آية ٦٧ ـ ٧٠ مِنْ سورة الأنفال، إلَّا أنَّهُ مِنْ باب مناسبة تعرّض بداية سورة الأنفال إلى بيان أسباب غزوة بدر وإجمالاً ادّعي فِي روايات أسباب النُّزول المُلَفَّقة، أنَّ الخليفة الثَّانِي عمر بن الخطاب اعترض عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله اعتراضاً شديداً، واقترح عَلَيْهِ أنَّ يقتل أسرى معركة بدر إلَّا أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَمْ يستجب لَهُ حسب هَذِهِ الروايات المزعومة، ثمَّ نزلت آيات قرآنيّة تعاتب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله عتاباً إلهياً شديداً ـ والعياذ بالله ـ حسب زعمهم ـ أو تصوب موقف عمر بن الخطاب وتخطئ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَعَلَى مثل هكذا أسباب نزول مُلَفَّقة بنى المتكلمون فِي مدرسة الخلاف قَواعِد اعتقاديّة فِي مَعْنَى عصمة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وأنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله هل لَهُ عصمة أو لا؟ وإذا كَانَتْ لَهُ عصمة، فهل عصمتُه نسبيّة أو مُحَدّدة، هَذَا مُضَافَاً إلى ذَلِكَ يُضَمُّ إليه ما هُوَ الأخطر فِي منظومة الجهاد او المواجهة العسكرية فِي فقه مدرسة السقيفة، وَهَذَا يغاير وسيتبيَّن أنَّ قَواعِد الجهاد فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام تغاير ما عِنْدَ مدرسة السّقيفة والعامّة مِنْ غايات وهويَّة وأحكام الجهاد.

ولذا فَإنَّ ما ظهر فِي الآونة الأخيرة مِنْ حركات وعصابات وَقَواعِد

---

(١) تفسير العيّاشي: ج٢، ص٥١، ح١.

عسكرية لسانها القتل والتهجير والإقصاء والتهميش ما هُوَ إِلَّا إفرازات لنفس فكر مدرسة الخلفاء، بينما التّعايش السّلمي ولغة الحورا والبيان لأتباع أهل البيت عليهم السلام مَعَ كُلّ مِلَّةٍ ونِحْلَةٍ وَهَذَا لَمْ يأتِ مِنْ باب الصّدفة وَإِنَّما جاء مِنْ حَثّ أهل البيت عليهم السلام وتأكيدهم عَلَى هَذَا المنهج السّلمي مِراراً مِنْ خلال بياناتهم وحثّهم عَلَى ذَلِكَ فِي بيان فلسفة الجهاد وفلسفة الدعوة إلى الدِّين.

ولذا كَانَ لدراسة أسباب النُّزول بدقّةٍ وتحقيقٍ وفرز الصحيح مِنْهَا عَنْ المُلفق والمزعوم ذا أثرٍ بالغ الأهميّة والخطورة عَلَى الدِّين؛ لِأَنَّ عدم فرزها والأخذ بما هُوَ موجود مِنْ أسباب النُّزول المُلَفَّقة يجُرُّ إلى الوقوع فِي الكارثة فِي الدِّين، بخلاف ما إِذَا بُيّنت أسباب النُّزول عَلَى التحقيق والتدقيق والرجوع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام، فَإِنَّهُ سوف يجعل الدِّين وأهله يعيشون النعيم.

وسبب تأكيد القُرآن الكريم والرُّوايات الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام عَلَى الاهتمام بأسباب النُّزول بشكل دقيق يُشْعِرُنا بمدى أهميتها وخطورتها فِي جملة علوم كالفقه والكلام والتفسير والتأريخ وغيرها.

مُضَافَاً إلى أنْ القُرآن هُوَ المصدر الأوَّل العظيم فِي مصادر التّشريع والمعرفة الدِّينية وصمّام أمان لها، وَعَلَيْهِ فإذا اختلفت روايات أسباب النُّزول فَإِنَّهُ سوف يصبح اختلاف فِي المسار المعرفي الدّيني.

وَهُنَا تظهر أهميّة تأكيد النَّبِيّ صلى الله عليه وآله على اقتران العترة بالكتاب لِأَنَّ عدم قَرْن العترة بالكتاب تنتج إفرازات خاطئة، كَمَا هِيَ عَلَيْهِ اليوم مِنْ ظهور بَعْض الحركات المشبوهة المحسوبة عَلَى الإسلام وَهِيَ قَدْ شوهته وأظهرته بالمظهر

غَيْر اللائق بالإسلام.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المزعومة تحاول أنْ تثبت مطلباً عقائدياً خطير يمسّ العقيدة ومقام النبوّة السّامي كَمَا مَرَّ فِي غزوةِ أُحُد فِي آيات مِنْ سورة آل عمران، كَذَلِكَ فِي آيات سورة الأنفال تحاول أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيفة والمزعومة أنْ تساوي بين مقام النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وغيره وتخطئة كَمَا يخطأه الآخرون، وأنَّ سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله لَيْسَ فِي كُلّ أفعاله وحي منزل، وَإنَّما يجتهد يخطي ويصيب كبقيّة المجتهدين.

وتذكر أسباب النُّزول المُحرَّفة والمزعومة أنَّهُ توجد روايات مِنْ طرقهم تذكر أنَّ عمر بن الخطّاب قَدْ أشار عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله يقتل أُسارى بدر الكُبرى بَعْدَ انتهاء المعركة وأنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَمْ يستجب لمشورته ولن يقتلهم وناداهم ـ بأنَّ دفع ذويهم فدية لأنقاذهم مِنْ الأسر ـ ثمَّ تذكر بحسب ما يدّعى بهذه الرّوايات المزعومة أنَّ الآيات المُبَارَكَة نزلت تُعاتب رسول الله صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ وتخطيء موقف النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وتعاتبه وتصحح موقف عمر بن الخطاب.

وَالرُّواية مِنْ طرقهم ـ العامّة ـ عَنْ عبدالله، قَالَ: لما كَانَ يَوُم بَدْر وجيء بالأسرى، قَالَ رسول الله صلى الله عليه وآله: ـ ما تقولون فِي هؤلاء الأسرى؟ فَقَالَ أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك، فاستَبْقِهم لَعَلَّ الله أنْ يتوب عليهم، قَالَ عمر: يا رسول الله؛ كذَّبوك وأخرجوك قدَّمهم واضرب أعناقهم ... ومَثَلُكَ يا عمر مِثْل نوح إذْ قَالَ ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾[1].

---

(١) سورة نوح: الآية ٢٦.

ومثل موسى إِذْ قَالَ: ﴿رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ ...﴾[1][2]، وغيرها مِنْ مصادرهم الَّتِي ذكرت هَذِهِ الرُّواية وغيرها المزعومة لديهم.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ الطرف الآخر غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام مِنْ خلال هَذَا الموقف يشكلون رؤية عقائدية وَهِيَ أَنَّ سيد الأنبياء لَيْسَ بمعصوم ومسدد مِنْ الوحي فِي تدبيره السّياسي أو الحكومي أو ما شبه ذَلِكَ.

وَعَلَى ضوء هَذِهِ الرّوايات المزعومة يحاولون فتح ملف خطير جدّاً يمسّ العقيدة بالنبوة ومقام سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ يخطئ كبقيّة المُجتهدين.

والنتيجة: إِذَا كَانَ تعاملهم مَعَ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله هكذا فكيف مَعَ سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام ومدرسة الإمامة، وأنّكم تزعمون وتتشدّقون بأَنَّ هُنَاكَ بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله فردٌ بشريّ يُعْصَم فِي كُلّ حاله وترحاله، فَهَذَا سيد الأنبياء بزعمهم يعاتب فِي القُرآن ويُخطّأ فِي تدبيره السياسي وحكومته السياسية، فكيف بغير رسول الله صلى الله عليه وآله إِذَا كَانَ الردّ عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ لَيْسَ خطأً فِي قِبال الوحي.

وتدّعي أسباب النُّزول المزعومة أَنَّهُ توجد أربع مواضع مُدّعاة فِي تخطئة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأَنَّ واحدة مِنْهَا أَيّدت الخليفة الثَّانِي تصويباً لَهُ، وثلاث مِنْهَا خطّأت النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأيّدت الخليفة الثَّانِي، وَكُلّهَا روايات مرويّة ومزعومة حسب طرقهم ومصادرهم، وربما تَسَرَّب هَذَا الملف وللأسف حَتّى إلى بَعْض كتابات

---

(١) سورة يونس: الآية ٤.

(٢) أحكام القُرآن لابن عربي: ج٢، ص٣٣٢.

الخاصّة، وَلَعَلَّهُ شَكَّلَتْ عِنْدَ بَعْض أصحابها رؤية معرفية عقائدية هُوَ أَنَّ النَّبيّ ﷺ لَيسَ فِي كُلّ تدبيره معصوم ووحي مُنَزَّل، وَهُنَاك ـ والعياذ بالله ـ بَعْض الاشتباهات ـ إِلَّا أنَّ مدرسة أهل البيت عليهم السلام بيَّنت أنَّ كُلّ الموارد الأربعة فِي رواياتهم المُزيَّفة معكوسة ومنكوسة وأنَّ هَذِهِ الروايات مزعومة ومطعون بها؛ لأنَّها تطعن بالعقيدة ومقام النبوّة لسيّد الأنبياء ﷺ بشهادة التناقض الموجود فيها، وأنَّ هَذِهِ الموارد الأربعة فِي الحقيقة هِيَ مواردُ أخطأ فيها عمر بن الخطّاب، ولأجل التغطية عَلَى هَذَا الخطأ قلبت الأقلام الأموية والعباسية الأمر وعكسوه وخطّأوا رسول الله ﷺ، وأنَّ عمر بن الخطاب هُوَ الصائب فِي رايه والذي ينطق الحقّ عَلَى لسانه، فيا أيُّها الباحث عَنْ الحقيقة المُنصف انظر بدقّة إلى كيفية قلب الحقائق بوضوح فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة، وأنهم كيف تجرَّأوا وتجنَّوا عَلَى مقام سيد الأنبياء لأجل سياسات مُعيّنة.

بَلْ وَإلى سيد الأوصياء علي بن أبي طالب بأنْ يستشهد ببعض كلامه فِي نهج البلاغة فِي ثالث يَوُم مِنْ البيعة لعلي أَنَّهُ خطب فِي المدينة وَقَالَ عليٌّ أشيروا عليَّ أو **«وَإنِّي لستُ فوق أنْ أخطأ»**[١].

وفُسِّرَ كلام أمير المؤمنين أَنَّهُ لا يقصد نفسه وَإنَّما يقصد فعل حكومته وجهازه أيّ يقصد أنَّ أفراد الجهاز، يقصد أنَّ أفراد الجهاز الحكومي فِي حكومة علي بن أبي طالب ليسوا بمعصومين وأنَّهم بشر ويخطئون كباقي وعادي النَّاس.

---

(١) نهج البلاغة.

ولذا كَانَ مِنْ مناصَرَة الأُمَّة ومُناصحتها لله وللرسول ولأوصيائه أنَّ الكل يُراقب أعضاء الجهاز الحكومي البشري غَيْر المعصوم ويرفع التقارير وحماية القانون والدستور الإسلامي مسؤوليّة تقع عَلَى عاتق الجميع.

وَعَلَى فرض ورود هكذا روايات فيها نقد لبعض الجهات المُقَصِّرَة، فلماذا لا نُفسِّرها ونُحلِّلها بالتحليل العلمي الموضوعي المُناسب، لا أنْ نأخذ روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة أخذ المُسلمات ويُشَكَّل عَلَيْهَا رؤية عقائديّة وَقَواعِد فِي الفقة السياسي.

والخلاصة: إنَّ الآيات الَّتِي استعرضها القُرآن الكريم فِي سورة الأنفال فيما يخصّ معركة بدر الكُبرى تدحض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة حَيْثُ تدّعي أنَّ الآيات النازلة فِي بدر الكُبرى تحمل عتاباً مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فيما يخصّ الأسرى بَعْدَ المعركة، هكذا قِيلَ.

آيات وروايات بدر الكبرى

معلم عظيم لولاية أهل البيت عليهم السلام:

إنَّ الآيات الأُولى فِي سورة الأنفال جاءت رَدّاً وجواباً لنزاع عظيم حَصَل بين البدريين حول ملكية الغنائم وأنَّها مِلكُ مَنْ؟

إنَّها ملك لله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾[1].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

والغنائم حسب ما بيّنته روايات أهل البيتعليهم السلام تارةً يَتِمُّ الحصول عَلَيْهَا بسعي وحرب وغزوٌ وبذل جهد وجهاد وقتال مِنْ المسلمين ووقوف عَلَيْهَا بخيل وركاب، وَأُخْرَى ما يُصطلح عَلَيْهَا بالأنفال.

وأمّا القسم الأوّل: الذي يوقف عَلَيْهِ بخيل وركاب وقوّة، فَإِنَّ هَذِهِ الغنائم أربعة أخماسها للمقاتلين توزّع فيما بينهم كَمَا بيَّنته الآية المُبارَكَة: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ﴾[١].

وأمّا القسم الثاني: مِنْ الأنفال فَقَدْ بَيَّنَ الإمام الصادقعليه السلام حكمه وأنَّ هَذَا القسم فيه إرغام لأنف مَنْ يتطاول ويُجحد وينكر مقام الولاية لأهل البيتعليهم السلام لما أكّدته سورة الحشر[٢]. ﴿... مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾.

والنفل: عبارة عَنْ زيادة الفيء أيّ الراجح، ومصطلح الأنفال يشمل كُلّ الأموال والثروات العامّة فِي الأرض وأنَّ ولاية ملكيتها الحقيقية وتدبيرها تعود لله أو رسوله أو ذي القُربى.

ملحوظة: أنَّ الآية المُبارَكَة ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ فيها قراءتان:

القراءة الأولى: إنَّ الفعل (سأَل) إذَا تعدّى بـ (عَنْ) فَإِنَّهُ يُفيد استعلام الحكم والخبر بَعْدَمَا حصل نزاع بينهم لِـمَنْ ملكيّة الأنفال؟ ﴿قُلِ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤١.

ﭐلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ ولا يُشارك الله ورسوله فيها أحدٌ مِنْ المؤمنين سواءٌ فِي ذَٰلِكَ الغنيمة أو الفيء.

القراءة الثانية: إنَّهم يُريدون ملكية سهم مِنْهَا وأنَّ الفعل (سأل) إذَا تعدّى بنفسه فَيَكُون بمعنى الاستعطاف وأنَّهم يطلبوا ملكية سهم مِنْهَا.

وسيأتي فِي مبحث القراءات ـ إنْ شاء الله تَعَالَى ـ أيّ القراءتين أصح.

هَذَا مُضَافاً إلى أنَّ اللام فِي لفظ الجلالة فِي الآيتين الكريمتين هِيَ للملكية والتدبير والولاية وليست ملكيّة سهم وأسهام وَهُمَا: ﴿... قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾(١) و ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾(٢).

الشواهد علَى دفع أسباب النزول المزعومة مِن قبل العامة حول آيات حكم الأسير:

تأثير أسباب النزول المزيفة علَى حقيقة الجهاد الابتدائي عِند الفريقين:

الشاهِد الأوّل: مَعْنَى الجهاد الابتدائي غاية وهويةً وموضوعاً لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

تُقَسِّمُ مدرسة أهل البيت عليهم السلام الجهاد إلى قسمين رئيسيين وَهُمَا:

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

الجهاد الابتدائي والجهاد الدِّفاعي[١].

ومفهوم الجهاد الابتدائي عِنْدَ مدرسة أهل البيت عليهم السلام لَيْسَ بمعنى ابتداء عدوان، بَلْ أنَّ الجهاد الابتدائي لَهُ غطاء دفاعي.

وذلك ببيان: أنَّ غزوة بدر لَمْ تكن بالمصطلح القانوني: ابتداء عدوان مِنْ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وإنْ قام صلى الله عليه وآله بمبادرة عسكريّة للاستيلاء عَلَى قافلة قريش التّجارية، ولكن خلفيات هَذَا القرار والعزم مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَتْ فِي الحقيقة أسباب دفاعية، فغزوة بدر وإنْ كَانَ يصدق عَلَيْهَا بالمصطلح الفقهي بالجهاد الابتدائي باعتبار أنَّ ضابط الجهاد الابتدائي مُتحقِّق بقيام رسول الله صلى الله عليه وآله ومبادرته وإعداد الجيش بالعمل العسكري، إلَّا أنَّ ذَلِكَ لَيْسَ معناه ابتداء عدوان؛ لِأنَّ هَذَا القرار مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَتْ خلفياته أنَّ قُريشاً صادرت كُلّ أموال المسلمين فِي مَكَّة غصباً، ثمَّ أخذت قريش وحلفائها فِي الإغارة عَلَى المدينة المنوَّرة ليلاً ومباغتةً، وَهَذَا الفعل مِنْ قريش وَلَّدَ للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين مزيد مِنْ الاستحقاقات مِنْ القَصَاص وغيره، وردعاً مِنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لقريش المتغطرسة أراد المُبادرة بالاستيلاء عَلَى أموال قريش فِي القافلة التّجارية بقيادة أبي سُفيان القادمة مِنْ الشَّام إلى مَكَّة.

---

(١) التوحيد فِي المشهد الحسيني: ص٣٤٨ للشيخ مُحمَّد السند (دام ظله) وأُسس النظام السياسي عِنْدَ الإمامية: ج١، للشيخ السَّند حفظه الله وتعرَّض سماحته إلى ذكر أنواع الجِهَاد الدِّفاعي وأقسامه الَّتِي قَدْ تصل إلى ثمانية أقسام.

وَمِنْ هَذَا يُعْلم أنَّ الأسباب الموجبة أو المُحرِّكة لغزوة بدر كَانَتْ مِنْ منطق ومنطلق دفاعي عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله بالاصطلاح القانوني، وإنْ كَانَ يصدق عَلَيْهِ الجهاد الابتدائي بالمصطلح الفقهي ولكن بمنطق ومنطلق دفاعي، هَذَا كُلَّهُ بحسب منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام إلَّا أنَّ هَذِهِ النقطة قَدْ تكون غائبة عَنْ ذهن المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام وكأنَّما تُترجم الجهاد الابتدائي بمنطق عدواني وَأَنَّهُ لَيْسَ بمنطق دفاعي.

وَمِنْ هُنَا يتّضح أنَّ هُنَاك فرقاً بين تفسير مَعْنَى الجهاد الابتدائي وَأَنَّهُ قِبال الجهاد الدّفاعي فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام وبين تفسير المدارس الأُخْرَى وأنَّ الجهاد الابتدائي لَيْسَ بمنطق دفاعي عندهم، وَهَذَا يَحُثّنا عَلَى ملاحظة وتوخّي الدِّقّة أكثر فِي أسباب النُّزول وأخذها مِنْ منبعها الصحيح وَذَلِكَ بالالتفات إلى ما وَرَدَ مِنْ الآيات حول أسارى بدر الَّتِي تبيَّن فلسفة الجهاد الابتدائي بحسب ما نبّهت عَلَيْهِ روايات أهل البيت مِنْ بيان ظاهر ألفاظ تلك الآيات، وَهَذَا عَلَى خلاف ما بيّنته روايات أسباب النُّزول المُزيّفة والمُلفَّقة لدى العامّة لآيات الأسارى فِي معركة بدر ـ كَمَا مَرَّ فِي سورة الأنفال ـ وعُطِفَت فِي ذَلِكَ عندهم آيات أُخْرَى فِي الأسارى فِي سورة مُحَمَّد صلى الله عليه وآله.

إذْ رأينا كيف تُؤثِّر أسباب النُّزول ـ كَمَا تَقَدَّمَ فِي تغيّر منظومة الفِقْه والعقائد والتفسير وحقائق التأريخ وسيرة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فضلاً عَنْ سيرة أهل

البيت.

ورأينا كيف لفقت أساب النُّزول المُحرّفة وترجمت أسباب غزوة بدر بالجهاد الابتدائي بمنطق عدواني، بخلاف أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ طرق أهل البيت، فَإنَّها ذكرت أنَّ مُبادرة النَّبيّ ﷺ كَانَتْ مُطابقة لما وَرَدَ فِي أسباب النُّزول، وَأنَّها ـ مبادرة النَّبيّ ﷺ ـ ولو بهذه الحرب الاستباقية فِي غزوة بدر عَلَى قافلة قريش التّجارية هِيَ فِي الحقيقة لها غطاءها الشّرعي والدّفاعي وَذَلِكَ مِنْ أجل استعادت الحقوق الماليّة الَّتِي سلبتها قريش مِنْ المسلمين.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ استباق الحرب فِي مثل هكذا مورد لا يعني العدوان إذَا كَانَتْ هُنَاك خلفيات حقوقيّة مُبَرِّرَة لهذه الحرب مِنْ كون الطرف عدوانياً مُبيّناً للاستمرار فِي العدوان.

فَلَيْسَ المدار فِي دفاعية الحرب أو عدوانيتها عَلَى مَنْ يُبادر بالحرب بَلْ المدرا عَلَى مَنْ يَكُون صاحب حقٍّ مسلوب فِي قبال المُفَرِّط فِي حقوق الآخرين ومما يُبيّن أنَّ جميع حروب وغزوات النَّبيّ ﷺ كَانَتْ كُلَّهَا حروب دفاعيّة ما توصل إليه واكتشفه بَعْض الكُتّاب[1] وَمُنْذُ عِدَّة عقود مِنْ الزمان وَعَلَى قناعة تامَّة أنَّ كُلّ حروب النَّبيّ ﷺ بلحاظ المنطق القانوني البشري فِي العصر الحديث كُلَّهَا كَانَتْ حروب دفاعيّة ابتداءاً مِنْ غزوة بدر ومعركة

---

(١) بَعْض الكتّاب المصريين.

أحد والاحزاب الَّتِي تَحَزَّبَ فيها اليهود وقريش والنّصارى والقبائل الأُخْرَى والمُشركين ضدَّ النَّبِيّ والمُسلمين، كُلّ ذَلِكَ كَانَ واضحاً بسبب عدوان أهل مَكَّة بَعْدَ أنْ فتحها رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله لَمْ يستخدم الحرب الفعليّة فِي فتح مَكَّة ما عدا استعراضه صلى الله عليه وآله لقوّة عسكرية ثقيلة كردع لعدوان العدوّ فِي فتحها.

ولهذا فَإنَّ غزوات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله الثمانين كَانَتْ كُلَّهَا ذَاتَ غطاء دفاعي، فمثلاً فِي أوَّل معركة فِي الإسلام وَهِيَ معركة بدر الكبرى وصفها القُرآن ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧﴾[1].

بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى وَعَدَ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله والمُسلمين بالظفر عَلَى الأعداء إمَّا بالاقتصاص مِنْ قافلة قريش التّجارية ويسترجعون أموالهم المسلوبة والمغصوبة فِي مَكَّة أو يهزمون قريشاً عسكرياً، فقريش الَّتِي خرجت مُدجّجة بالسِّلاح وَكَانَ قصدها العدوان عَلَى النَّبِيّ صلى الله عليه وآله والمسلمين بدليل، بَعْدَمَا رجعت إلى مَكَّة قَالَ بَعْض رجالها وَهُوَ عتبه لماذا تقاتلون هَذَا الرجل أيّ سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وصدور مثل هَكذَا كلام مِنْ عدو رسول الله صلى الله عليه وآله بَعْدَ أنْ سَلِمتْ قافلة قريش مِنْ المسلمين وعودتها إلى مَكَّة أَنَّهُ لا مُبرر لهذا القتال سوى العدوان، وَهَذَا يولِّد حقاً للنبيّ والمسلمين فِي الدِّفاع عَنْ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٧.

أموالهم وأنفسهم وحماية المدينة وأعراضهم.

الشاهد الثاني: ولذا بعث رسول الله ﷺ إلى قريش مِنْ يقول لهم عَنْهُ ﷺ[١] **«يا معشر قريش ما أحدٌ مِنْ العرب أبغض إليَّ ممّن بدأ بكم خلّوني والعرب فإن آكَ ـ كان ـ صادقاً فأنتم أعلى بي عيناً، وأن آكَ ـ كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمري فارجعوا»**[٢] وَهَذَا المقطع دالٌّ بوضوح أنَّ الجهاد الابتدائي فلسفته وغايته استرداد الحقوق لا المبادرة ابتداءاً لغرض إكراه الطرف الآخر، كَمَا هُوَ مقرّرٌ مِنْ غرض تشريع الجهاد الابتدائي لدى العامَّة، فَقَالَ عُتبة: والله ما أفلح قومٌ قَدْ ردّوا هَذَا! وأقبل يقول: يا معشر قريش: أطيعوني اليوم واعصوني الدَّهر وارجعوا إلى مَكَّة ... ولا تنبذوا رأيي، وَإِنَّما تطالبون محمداً بالعير الَّتِي أخذها مُحَمَّد بنخيلة ودم ابن الحضرمي، وَهُوَ حليفي وعليَّ عَقْلُه ـ أيّ ديّته ـ فلما سمع أبو جهل ذَلِكَ غاضه، وَقَالَ: إنَّ عتبة أطولَ النَّاس لساناً وأبلغهم فِي الكلام، ولئن رجعت قريش بقوله ليكوننَّ سيد قريش آخر الدهر، ثُمَّ قَالَ ـ أبو جهل ـ يا عتبة نظرتَ إلى سيوف بني عبدالمطلب وجَبُنت وانتفخ سَحَرُكَ ـ والسَحَر: هُوَ الرّيّة والجوف مِنْهُ سَحَر الليل أيّ جوفه، وانتفخ سَحَرك أيّ ريّتك أو جوفك مِنْ الخوف ـ وتأمر النَّاس بالرجوع وَقَدْ رأينا ثارنا بأعيننا! فنزل عتبة عَنْ جمله وحَمَل عَلَى أبي جهل وَهُوَ عَلَى فرسه فعرقب فرسه وأخذ

---

(١) يقول الواقدي: ج١، ص٦١ أرسل النَّبيّ ﷺ عمر بن الخطّاب إلى قريش.

(٢) أيّ لَيْسَ هُنَاكَ فِي العرب مَنْ يَكُون أكثر مبغوضاً عندي ممّن يبدأ القتال معكم، فأنا أبْغَض أنْ أبدا بالقتال معكم إنْ لَمْ تقاتلوني.

يشعر، وَقَالَ لي أمثلي يُجَبَّنُ؟! وستعلم قريشاً اليوم أيُّنا ألئم وأجبن؟ وأيُّنا المُفْسِدُ لقومه لا يمشي إلى الموت عياناً إلَّا أنا وَأَنْتَ ثمَّ أخذه يجرّه بشعره! فاجتمع النَّاس يقولون: يا أبا الوليد! الله الله! لا تَفُتَّ فِي أعضاد النَّاس تنهى عَنْ شيء وتكون أوّله ... حَتّى خَلَّصوا أبا جهل مِنْ يده.

ولذا عِنْدَمَا نزل عُبيدة مِنْ الحارث بن عبدالمطلب والحمزة بن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فَقَالَ لهم عتبة انتسبوا لنعرفكم، وَقَالَ عبيدة لعتبة: هُمَا حمزة ابن عبدالمطلب وعلي بن أبي طالب، فَقَالَ عتبة كفوان كريمان، لعن الله مَنْ أوقفنا هَذَا الموقف.

وفي خبر آخر: أنَّ عتبة بن ربيعة أسدى نصيحة لقريش بعدم مُناجزتهم الحرب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وعدم فتح باب الحرب مَعَ المُسلمين قائلاً: إنِّي أرى قوماً مُستميتين لا تصلون إليهم ... يا قوم أعصبوها اليوم برأسي وقولوا جَبُن عتبة بن ربيعة، ولقد علمتم أنّي ليستُ بأجبنكم ... وَكَانَ عتبة أرشد قومه وأكثرهم وعياً وَقَدْ نظر إليه النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ عَلَى جَمَلٍ أحمر، فَقَالَ لأصحابه: «**إنْ يكُن فِي أحدٍ مِنْ القوم خيرٌ فَعِنْدَ صاحب الجمل الأحمر إنْ يطيعوه يُرشدوا ...**».

وَهَذَا الكلام مِنْهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ هُوَ الآخر نصٌّ واضحٌ فِي هويّة وغايّة تشريع الجهاد الابتدائي، أنَّهُ لاسترجاع الحقّ المسلوب لا الابتداء بالحرب لإكراه الطرف الآخر، وَمِنْ ثمَّ وَصَفَ عدم الحرب رشدٌ، أيّ لَيْسَ القتل والقتال فِي نفسه لإكراه وكسر الطرف الآخر وَهُوَ بنفسه غاية للجهاد الابتدائي؛

ولذا تذكر بَعْض المصادر أنَّ عتبة، قَالَ: إنَّ مِنْ سنن إبراهيم عليه السلام لن يُفلِحَ مَنْ يبتدأ الحرب بعدوان، مَعَ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الذي جَهَّزَ الجيش قبل تجهيز قريش، إلَّا أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لَمْ يجهِّز الجيش لأجل العدوان وَإنَّما لاسترداد الحقوق المسلوبة فَقَطْ.

وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ أحد منازل إحقاق الحقّ هُوَ نفس الظفر العسكري أو اتِّخاذ الخطوات السياسيّة والعسكريّة المُناسبة لاسترجاع الحَقّ وكذلك نفس هَذِهِ التدبيرات العسكريّة والسياسيّة والأمنيّة قَدْ تكون باطلة عَلَى الصعيد الفكري والسياسي لأجل النيّة السيّئة الَّتِي انطوت عَلَيْهَا قلوب عِلْية القوم مِنْ قريش وإلحاق الخسائر بالمسلمين ونشر الفساد.

الشاهد الثالث: ما تَقَدَّمَ فِي الشَّاهِد الثَّانِي مُطابق لقوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾[1].

حَيْثُ تبيَّن الآية المُبارَكَة أنَّ فلسفة القوّة العسكرية وغيرها هُوَ ردعٌ للعدوان وَلَيْسَ لابتداء العدوان عَلَى الآخرين.

الشاهد الرابع: قوله تَعَالَى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ١٠﴾[2] وقوله تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٠.

﴿طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾[1].

فلسفة تشريع الجهاد الابتدائي:

إن فلسفة هَذَا التشريع للجهاد الابتدائي كَمَا تدل عَلَيْهِ مجموع الآيات القرآنية المُتعرّضة للجهاد الابتدائي ـ وَالَّتِي تقدّمت الإشارة إلى بعضها ـ فِي الدِّين الحنيف، كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾﴾[2].

فَإِنَّ هَذِهِ الآية تُحدِّد مَعلماً مُهمّاً مِنْ معالم الجهاد، وإنَّ الغرض فيه لَيْسَ جمع الغنائم والأموال والاسترقاق، بَلْ قيادة الجموع البشريّة وهدايتها إلى طريق الله وعبادته.

وكذا قوله تَعَالَى:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا

---

(١) سورة مُحمَّد: الآية ١٦.
(٢) سورة النساء: الآية ٩٤.

يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾﴾[1].

وَهَذِهِ ملحمةٌ قرآنية عمّن هُوَ فِي الصفوف مَعَ النَّبِيّ ﷺ وَهُوَ عسل اللسان والكلام، ولكن قلبه مخالف تماماً لما يظهرهُ عَلَى لسانه وَهُوَ شديد العداوة لله ولرسوله والآية تُخبر أَنَّهُ إذْ تولى الأُمُور فسوف يَكُون سعيه فِي ولايته فساداً فِي الأرض وإهلاكاً للحرث والنسل البشري والحال أنَّ الله تَعَالَى لا يحب الفساد فِي التكوين، وأنَّ خاصية هَذَا المتولي التعصّب لفعله أمام تضحية الآخرين لَهُ، كَمَا أنَّ هَذِهِ الآية تُحدِّد أغراض الدِّين ـ بما فيه الجهاد الابتدائي ـ بأنه لَيْسَ للإفساد فِي الأرض وإهلاك الموارد الطبيعية أو الإنجازات المدنية الَّتِي حقّقها البشر ولا الهدف تبديد النسل البشري.

وكذا قوله تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم ...﴾[2].

فَهَذِهِ الآيات ترسم ملحمةً مستقبلية لجماعة ﴿ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ وهذا الجماعة قَدْ أشار إليها القُرآن الكريم فِي سورة المدّثر رابع سورة نزلت عَلَى النَّبِيّ ﷺ فِي أوائل البعثة الشّريفة فِي مَكَّة المكرّمة، وأعلن وجودها فِي صفوف الثلّة الأولى الَّتِي أسلمت، قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ...﴾[3].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٠٤ ـ ٢٠٦.
(٢) سورة مُحمَّد: الآية ٢٠.
(٣) سورة المدثر: الآية ٣٠ ـ ٣١.

فَإِنَّ الآيات تُبيِّن أَنَّ المُخاطب الذي تَعِدُّه الملائكة الموكلون بالنَّار عَلَى أربعة أقسام: **الأول**: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ **والثاني**: ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ **الثالث**: ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾ **والرابع**: ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وتخبر أَنَّ الذي سيحصل لَهُ الإيمان هُمَا القسمان الأولان أمَّا القسمان الآخران فسيحصل لديهما الإرتياب، وَمِنْ الواضح أَنَّ المرض الذي فِي القلب نحوٍ مِنْ النفاق الخفي جداً، أيّ الذي لا يظهر عَلَى صاحبه، بَلْ يُبطنه فِي قلبه وخفاء أعماله، وَقَدْ ذكرناأن الآيات القُرآنية تتابع هَذِهِ الفئة والجماعة فِي كثير مِنْ السُّور، تحت هَذَا العنوان، وبهذا الاسم إلى آخر حياة الرسولﷺ ونزول القُرآن.

والآيات هُنَا مِنْ سورة مُحمَّدﷺ تُبيِّن أَنَّ غرض هَذِهِ الفئة هُوَ تولّي الأُمُور والأخذ بزمامها، وأَنَّ ذَلِكَ الغرض هُوَ وراء انضمامها إلى صفوف المسلمين الأوائل: إذْ إنَّ خَبر ظفر النَّبِيّ المبعوثﷺ كَانَ منتشراً قبل البعثة كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾.

فَقَدْ أشارت الآية إلى أَنَّ أهل الآية إلى أَنَّ أهل الكتاب كانوا يستفتحون وينتظرون ويطلبون الفتح والنصر والظفر بالنبي ـ الذي سيبعث خاتماً ـ عَلَى الكافرين مِنْ مُشركي الجزيرة العربية، فلما عرفوا ذَلِكَ وَأَنَّهُﷺ قَدْ بُعث كفروا برسالته، فالسُّورة تُبيِّن أَنَّ غرض هَذِهِ الفئة ﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ هُوَ تسلم مقاليد الأُمُور هُوَ تسليم مقاليد الأُمُور، وَأَنَّها كَانَتْ عَلَى اتّصال فِي الخفاء وارتباط مَعَ فئات معادية علناً لرسول اللهﷺ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ

قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ ...﴾ وكذلك بَقيَّة السُّور المُتعرّضة لهذه الفئة بِهَذَا الاسم تُشير إلى هَذِهِ العلاقات بين هَذِهِ الفئة وبين بقيّة الفئات الأُخْرَى، ثمَّ أنَّ السُّورة تُبيِّن أنَّ طابع سياسة الدولة الَّتِي يقيمها أفراد هَذِهِ الفئة هُوَ الإفساد فِي الأرض وقطع الصِّلة بمن أمر الله تَعَالَى بوصلهم ومودَّتهم كالذي تُشير إليه آية ٢٠٥ مِنْ سورة البقرة ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ فهَذِهِ الآيات تُحدِّد أنَّ أغراض الشّريعة ـ فِي أحكامها وقوانينها السياسيّة وأبواب فقه النِّظام والسياسة الشّاملة للجهاد الابتدائي ـ لَيْسَ الإفساد فِي الأرض وإهلاك الحدث وتبديد النّسل البشري، فَإنَّ الله يحب صلاح الأرض وأهلا وعمارتها، فَهَذَا هُوَ سبيل الله تَعَالَى الذي أمرت الآيات القُرآنية العديدة بالقتال فيه وفي سبيل المُستضعفين مِنْ الرِّجال والنِّساء والولدان لأجل إزالة استضعافهم وإرجاع حقوقهم المُغتصبة[1].

ثانيا: وَبَعْدَ هَذِهِ المُقدِّمة نعود لنذكر عِدَّة نماذج وقرآنية عَلَى إبطال نماذج مِنْ روايات أسباب النُّزول المُحرَّفة فِي خصوص معركة بدر.

النموذج الأول: قوله تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾﴾[2].

بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى أخرج النَّبيّ ﷺ والمسلمين فِي غزوة أُحُد مِنْ

---

(١) الصحابة بين العدالة والعصمة، الشَّيْخ مُحمَّد السند: ص١٢٢.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٥.

المدينة المنوّرة إلى ضواحي بدر[١] ونفس هَذَا الإخراج مِنْ المدينة شكَّلَ عامل نصر للنبي صلى الله عليه وآله وللمسلمين لا عامل هزيمة، كَمَا تَقَدَّمَ فِي الشّواهد القرآنية مِنْ سورة آل عمران لدحض بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفّقة والمُزيّفة والمزعومة مِنْ قبل العامّة فِي غزوة أُحُد وَالَّتِي ادّعي فيها أنَّ سبب الهزيمة للمسلمين هُوَ الخروج مِنْ المدينة، كَذَلِكَ الحال فِي آيات سورة الأنفال الدَّالَّة وبصراحة عَلَى أنَّ نفس خروج النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَمَنْ معه مِنْ المسلمين فِي غزوة بدر هُوَ عامل نصر لهم وَلَيْسَ سبب الهزيمة هُوَ القتال خارج جدرانها وعمرانها وأنَّ سبب النَّصر كَمَا قَالَ أمير المؤمنين عليه السلام: «فوالله ما غُزي قوم فِي عُقْرِ دارهم إلَّا ذُلّوا»[٢].

وَهَذَا بيانٌ آخر مِنْ أمير المؤمنين عليه السلام لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة.

والآية المُبَارَكَة تذمّ وصف حال فريق مِنْ المؤمنين:

الفريق الأول: بأنَّ بعضهم كَانَ كارهاً للخروج للقتال فِي بدر وَلَيْسَ كلّهم.

الفريق الثاني: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦﴾.

وَمِنْ هَذَا يتّضح أنَّ القُرآن يُشير إلى أنَّ الخروج إلى معركة بدر هُوَ سبب للنَّصر، وأنَّ جملة مِنْ الصّحابة ومنهم أبو بكر وعمر بن الخطاب

---

(١) بدر: ـ بئر يبعُد عَنْ المدينة حوالي (١٥٠كم) وَهُوَ الموضع الذي مَرَّتْ به قافلة أبي سفيان.

(٢) نهج البلاغة، خطب الإمام علي عليه السلام: ج١، ص٦٨.

كانوا كارهين للخروج مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله فكيف يُفرض حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة وكُتب السِيَر أنَّ عمر أحرص بغايات الحرب والجهاد مِنْ غيره، علماً أنَّ عمر كَانَ خائفاً مِنْ أصل الحرب والجهاد.

تأثير الحرب النفسية على المقاتل:

النموذج الثاني: قوله تَعالَى ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

بتقريب: إنَّ أحد أسباب النَّصر الإلهي الذي أمدّه الله للمؤمنين والمسلمين هُوَ مسألة تأثير الحرب النفسيّة عَلَى الكفّار. ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ وَعَلَيْهِ فالرعب سلاحٌ فتّاك، يُشير القُرآن الكريم إلى أهميته، وأنَّ الشّجاعة لها دورٌ كبيرٌ فِي الظفر والنَّصر لِأنَّ لها جانبٌ روحيٌّ ونفسيٌّ؛ ولذا أحد شرائط الإمام أو الخليفة يجب أنْ يَكُون شُجاعاً ـ كَمَا تَقَدَّمَ تفصيله ـ لِأنَّ الخليفة أو القيادي إذَا كَانَ جباناً وفرّاراً فإنَّهُ يوحي بعدم الظفر والهزيمة للمسلمين، وسيُرْديهم فِي الهاوية وتوحي اليأس؛ لِأنَّ العدو

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٠ ـ ١٢.

دائماً يُناجز المسلمين بحربه الرُّعب والإرعاب.

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ ... ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ ... بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[1].

بتقريب: هَذِهِ الآيات المُبارَكَة تُشير إلى أنَّ فرقةَ مِنْ أصحاب النَّبيّ ﷺ فِي بدر فرّوا وانهزموا، وَمَعَ كونهم بدريين إلَّا أنَّهم ارتكبوا الفرار والحالة أنَّ الأوَّل والثاني لَمْ يكونا عَلَى جرأة نفسيّة مِنْ الحرب كَما مَرَّ، بَلْ ولا مِنْ نتائج الحرب.

ثمَّ قالت الآية ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ ... إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ...﴾[2].

بتقريب: إنَّ نفس معركة بدر تبيَّن أنَّ أسباب النَّصر ليست كُلَّها مادّية وَإلَّا لَيْسَ هُناك موازنة مادّيّة بين جيش المسلمين وجيش قريش، فخرج رسول الله ﷺ بـ (٣١٣) ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، وَكَانَ فِي عسكره فَرَسان،: فرسٌ للزبير بين العوّام وفَرَس للمقداد بن عمر، وَكَانَ لهم سبعون جملاً[3] يتعاقبون عَلَيْهَا لملاحقة قافلة قريش الَّتِي يقودها رأس الشّرك والنفاق أبو سفيان، وَكَانَ رسول الله ﷺ وعلي بن أبي طالب ومرثد

---

(١) سورة الأنفال: الآية ١٢ ـ ١٦.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١٧ ـ ١٩.

(٣) وفي أعلام الورى للطبرسي: ج١، ص١٦٨ معهم ثمانون بعيراً.

بن أبي مرثد الغنوي يتعاقبون عَلَى جَمَل مرثد[١].

بينما حزمت قريش لاستنقاذ قافلتها التّجارية بأعداد مضاعفة وكبيرة جدّاً مِنْ العِدَّة والعدد.

وَهَذَا مما يُدلِّل أنَّ الأسباب الرُّوحيّة والمعنوية والعقائدية لها دخل عظيم مِنْ صنع النّصر سواء كَانَ النَّصر عسكرياً أو أمنياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو ثقافياً؛ ولذا الهزيمة الفكريّة تشكِّل خطراً كبيراً جدّاً.

وبالتالي يتطابق هَذَا الشَّاهِد مَعَ مفاد الشّاهد السابق.

ليس كل ملفات الحدث الأرضي حسية:

الملفات الغيبية فِي غزوات النبِيصَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه

وكيفية إدارة الدولة الإلهية:

هُنَاكَ الكثير مِنْ الملفات الغيبية فِي حياة الْنَّبِيّ صَلَّىاللهُعَلَيهِوَآلِه كَانَتْ إدارتها بيد الدولة الإلهية الغيبية، فَإِنَّ عدم علمنا بها وعدم اطلاعنا عَلَيْهَا وَعَلَى أسرارها لا يعني عدم وجودها؛ لِإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ الضروري علمنا بها، وكذا لَيْسَ مِنْ الضروري الوقوف عَلَى الأسرار الإداريّة فِي إدارة استراتيجيات الدولة الإلهية، ويكفي للمسلم والمؤمن ملاحظة ما جاء فِي القُرآن الكريم بخصوص غزوة بدر وجود الملفات الغيبية وَغَيْر المرئية أدارتها الدولة الإلهية مِنْ دون أنْ يشعر بها المسلمون وغيرهم، فالآية تقول: ﴿وَيُقَلِّلُكُمْ فِي

---

(١) تقسيم القمّي: ج١، ص٢٦٢ لعلي بن إبراهيم بن هاشم القمّي.

أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾(١).

وَمِنْ خلال هَذَا يُعْلَم أَنَّهُ لَيْسَ كُلّ ملفات إدارة الحدث هِيَ بأسباب مادّيّة ظاهرة كلا، وَإِنَّما بعضها مادّية، ففي الغزوات والحروب تُسلّط الأضواء والاهتمامات بالجانب المادّي مِنْ تهيئة العِدَّة والعَدَد وما يحتاجه العسكر، هَذَا بالنسبة للجانب المادّي والمرئي والمحسوب، وأمَّا الجهة غَيْر المرئية والغيبية، فَهُنَاك يدٌ غيبية تُدَبِّر بَعْض الملفات مِنْ حَيْثُ لا يشعرون.

ولذا كَانَ البعض يستشكل ويعترض عَلَى ما كتبه بَعْض علمائنا الأعلام مِنْ الفُقَهاء وغيرهم حول واقعة عاشوراء ومصرح سيد الشهداء أبي عبدالله الحسينعليه السلام وأنَّ فِي هَذَا المقتل إسفاف وَأُمُور خياليّة.

إِلَّا أنّنا نقول لمثل هؤلاء المعترضين: ـ مَنْ قَالَ لكم: ـ إنَّ كُلّ ملفاة الحدث الأرضي حسيّة ظاهرة ومادّيّة، فمثلاً بَعْض ما قاله النَّبِيّصلى الله عليه وآله فِي واقعة بدر «... **سيروا وابشروا فَإِنَّ الله قَدْ وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظر مصارع القوم**».

وَهَذَا الكلام مِنْ النَّبِيّصلى الله عليه وآله قبل واقعة بدر، وبالفعل قَدْ تحقّق ما تنبأ به النَّبِيّصلى الله عليه وآله، فَلَمْ تمضِ حفنة مِنْ الأيام وإذا بعيون القرشيين وزعمائهم صرعى وألقيت جيفهم فِي القليب تلاحقهم اللعنة والعذاب الأليم.

أو عَلَى رواية أُخْرَى بأنَّ رسول اللهصلى الله عليه وآله قَالَ: «... **كأَنّي بمصرع فلان**

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٤.

ها هُنَا وبمصرع فلان ها هُنَا وبمصرع أبي جهل، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة و ... فَإنَّ الله وعدني إحدى الطائفتين ولن يُخْلِفَ الله المعياد»[1].

ولا يقتصر الجانب الغيبي عَلَى أنباء الْنَّبيّ ﷺ ولا عَلَى إنزال النّعاس عَلَى أصحاب الْنَّبيّ ﷺ فناموا، وَإنَّما هُنَاك أُمُور أُخْرَى غيبيّة تشكل جزءاً مِنْ الحَدَث الأرضي، فَهَذِهِ الملفات الغيبية الَّتِي شاركت فِي إدارة الحدث لا يَعْلَمُ بها حَتّى المقاتلين مِنْ الطرفين - المسلمين والمشركين - ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنْ نكون غيبيين فَقَطْ وَإنَّما الحدث يشتمل عَلَى جنبة غيبيّة وأمواج غَيْر محسوسة، وَعَلَى جنبة، جنبة مادّيّة محسوسة، كَمَا ذكرت سورة الأنفال كثير مِنْ اللقطات الغيبية غَيْر المرئية فِي واقعة بدر، وكذلك الحال فِي سورة آل عمران فِي واقعة أُحُد، وكذلك الحال فِي سورة الأحزاب وَمُحَمَّد حول واقعة الخندق، وكذلك ما فِي سورة براءة حول واقعة حنين ٢٥/ ٢٦.

إذَنْ القُرآن الكريم يفتح الكثير مِنْ الملفات الغيبيّة فِي مشاهد غزوات وحروب الْنَّبيّ ﷺ وَيُؤكِّد عَلَى وجود مشهد غيبي يُزامن ويُقارِن المشهد الحسّي وأنَّ هَذَا مِنْ صميم الإيمان والاعتقاد والارتباط بالله تَعالَى، وَلَيْسَ هَذَا خُرافة وكسل وفشل بَلْ هُوَ ترجمان الحقيقة وعقيدة لا جبر ولا تفويض إنَّما هُوَ أمر بين أمرين فَلَيْسَ الأمر غيبي محض ولا مادّي مرئي محض، بَلْ أمر بين أمرين.

---

(١) تفسير القُمّي: ج١، ص٢٥٧ - ٢٦٠.

وَهَذِهِ الملفات الغيبية لَمْ يعطها الله تَعَالَى مجاناً للمسلمين بَلْ أعطاها لِصبر مَنْ صَبَرَ وثبتَ وصِدْقَ مَنْ صَدَقَ فِي صفوف المسلمين لا لأجل مَنْ فرَّ وانهزم.

ولذا فَإِنَّ ما كتبه أعلامُنا وفقهاؤنا حول مقتل ومصرع سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسين أو حول غزوات النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أَنَّ مِنْ أغراض ما كُتِب هُوَ لأجل بيان أُمُور مِنْهَا: التغيير والإصلاح الاجتماعي، لئلا يُظَنّ أَنَّ ذَلِكَ يوعز إلى الأسباب المادّية فَقَطْ، بَلْ إلى أسباب معنويّة أيضاً وَهُوَ الصحيح.

ولذا تضرَّع خُلَّصِ أصحاب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو أمير المؤمنين أو سيد الشُّهداء والإمام الحسين بن علي عليهما السلام لله تَعَالَى وعملوا بَعْض الأعمال كَالصَّلاة أو الصدقة أو الدعاء أو ... الخ، هَذِهِ وغيرها ساعدت عَلَى إنزال المدد الغيبي، وأَنَّ هُنَاك أسباباً خفيّة لا يعلمها أحدٌ تُؤثِّر فِي عالم المادّة والسيطرة عَلَى برمجتها، فمثلاً: ـ كثيراً ما يُؤكِّد القُرآن وأهل البيت عليهم السلام عَلَى الاهتمام بالزّراعة وَأَنَّها عصب الحياة وتشكّل العمود الفقري لاقتصاد الشعوب والتأكيد مِنْ قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام عَلَى الجانب المادّي وتهيئة الأرض والماء والبذور والأسمدة وغيرها وبنفس الوقت، لماذا يأمر القُرآن، وكذا هل البيت عليهم السلام يؤكّدان عَلَى الإتيان بصلاة الاستسقاء، وما هَذَا إِلَّا أنَّهم أمروا بأمر بين أمرين، فَمِنْ جهة يأمروننا بالأسباب المادّيّة، باعتبار أَنَّ الله تَعَالَى أبى إِلَّا أنْ يُجري الأُمُور بأسبابها المادّيّة مِنْ جهة والغيبة

والخفيّة مِنْ جهة أُخْرَى.

إذَنْ مثلما توجد هُنَاك أسباب مادّيّة فِي أيّ حَدَث تُركِّز عَلَيْهَا ونتعظ مِنْهَا، ولكن الجانب الرّوحي كَذَلِكَ يجب أنْ نعتبرمنه وأنَّ لَهُ دورٌ كبيرٌ فِي النّصر والظفر؛ ولذا نلاحظ القُرآن يهتم بكلا الجانبين المادّي والمعنوي والرّوحي ولا يُفرِّط بأحد منهما ويُعطي كُلاً حَقَّهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٤٥﴾[(١)].

بتقريب: إنَّهُ مِنْ الجانب المادي فاثبتوا ولا تنهزموا وتسلموا إلى الأعداء، وامسكوا الأرض ولا تتراجعوا وتقدّموا بعددكم وعِدَّتكم نحوهم ورابطوا هَذَا مِنْ الجانب المادي، وأمَّا مِنْ الجانب المعنوي والرّوحي وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ، وبانضمام العالم المادّي إلى المعنوي والرُّوحي فَإنَّهُ بالنتيجة يتحقّق الظفر والنَّصر ولا يَتِمُّ النَّصر بالاهتمام بأحدهما دون الآخر.

القرآن يذكر العامل المادي والمعنوي فِي جانب الشر كذلِك:

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ القُرآن الكريم يذكر كلا العاملين ـ أيّ المادي الحسّي، والغيبي غَيْر المرئي وَغَيْر الحسّي ـ فِي معسكر الشرِّ كَذَلِكَ ولا يقتصر ذكره لهما فِي معسكر الخير، بقوله تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٤٦ وَلَا

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٥.

تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ ...﴾[1].

بتقريب: إنَّ القُرآن يُنبئنا بوجود مشهد غيبي ملكوتي شيطاني فِي معسكر الشّرِّ ﴿وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَـٰنُ أَعۡمَـٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ ...﴾.

وإنَّ نفس الشّيطان يرى الجانب غَيْر المرئي فِي معسكر الحَقّ وَعلَى ما جاء فِي جملة مِنْ المصادر أنَّ حامل راية قريش فِي معركة بدر هُوَ إبليس فِي صورة سُرَاقة بن مالك، فَقَالَ لهم: ادفعوا إليَّ رايتكم فدفعوها إليه ... ونظر إبليس إلى جبرئيل فتراجع ورمى باللواء! فأخذ منبه بن الحجاج بمجامع ثوبه، ثمَّ قَالَ لَهُ: ـ ويلك يا سراقة تَفُت فِي أعضاء النَّاس! فركله إبليس ركلةً فِي صدره، وَقَالَ: إنِّي أرى ما لا ترون إنِّي أخاف الله[2].

وَعَلَيْهِ فما مِنْ معسكر سواء كَانَ معسكر فكري أو سياسي أو اقتصادي أو ... الخ إلَّا وفيه جنبة حَقٍّ وجنبة باطل يلتقيان، وكذلك يوجد جانب غَيْر مرئي حق وجانب غَيْر مرئي باطل.

إذَنْ مُضَافاً للأسباب المادّيّة يوجد جانب غَيْر مرئي بقسميه الحَقّ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٦ ـ ٤٨.

(٢) تفسير العياشي: ج٢، ص٥٢ ـ ٦٥؛ والطوسي فِي التبيان: ج٥، ص١٣٥؛ وبحار الأنوار: ج١٩، ص٢٧٠ عَنْ جابر.

والباطل، وَهَذِهِ وغيرها كُلَّهَا حقائق قرآنية تكوينية باهرة يذكرها القُرآن، وَمِنْ هُنَا ينبغي عَلَى المُحلِّل التأريخي والاستراتيجي إذَا أراد أنْ يَكُون تحليله ناجحاً ومُسَدَّداً فِي نتائجه ورسم خططه، فَلابُدَّ مِنْ مُراعاة كلا المشهدين الغيبي، وَهُوَ عبارة عَنْ التوكُّل عَلَى الله والإيمان به، ومُراعاة المشهد المادّي الذي هُوَ عبارة عَنْ **لا جبر ولا تفويض وَإنَّما أمرٌ بين أمرين**.

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ تبيّن أنَّ أيّ حَدَثٍ يحصل سواء فِي معسكر الحَقّ أو الباطل فَإنَّ القُرآن يُبيِّن أسبابه المادّيّة والغيبيّة.

ولا يتوهّم أحد أنَّ القُرآن يذكر فَقَطْ الأسباب المادّيّة، فَإنَّ المعرفة التّامة للحدث لا تتم إلَّا بالإلمام بكلا الجهتين المادّية والغيبية؛ ولذا يَعْترض البعض عَلَى مَنْ كَتَبَ فِي ذكر الجوانب الغيبيّة فِي غزوات النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام وواقعة الطّف والطّرف المقابل معسكر الباطل وَأَنَّهُ كيف تؤثر العوامل الغيبيّة أيّ غَيْر المرئيّة عَلَى معسكر الحَقّ ومعسكر الباطل أيضاً هُوَ مِنْ باب **لا جبر ولا تفويض بَلْ الأمر بين أمرين**.

فيتحصل أنَّ الجانب المادي يمثل جانب الاختيار والأمر الإنساني والجانب الغيبي يمثل الأمر الإلهي فيحصل التوازن بينهما بالأمر بين أمرين.

بخلاف نظرة الصحابيين الأوَّل والثاني فَإنَّها كَانَتْ مُقتصرة عَلَى الجانب المادّي، وَمِنْ ثَمَّ أخذا يجبنان عَنْ الخروج إلى الحرب مَعَ قريش فكيف يُفترض أنَّ الثَّانِي سبّاق إلى مسؤوليات الحرب وأعباءها.

ثمَّ قالت الآية عَلَى لسان هؤلاء: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾[1].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم يُريد أنْ يخبرنا ونكون عَلَى بصيرة فِي أرض بدر.

أصناف وطوائف المقاتلين فِي معركة بدر:

إنَّ عدد المقاتلين المسلمين الَّذِيْنَ شهدوا وحضروا واقعة بدر كَانَ عددهم (٣١٣) ثلثمائة وثلاثة عشر، وكانوا عَلَى أصناف أو طوائف أو فئات ثلاثة:

الفئة الأولى: المؤمنون.

الفئة الثانية: وَهُمْ المنافقون.

الفئة الثالثة: وَهُمْ الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ.

والفئة الثَّانية والثالثة ليستا بمؤمنين، وَالقُرآن الكريم مَيَّزَ بينهما وجعلهما فئتين لا فئة واحدة وَذَلِكَ:

أَمَّا المنافق: فَهُوَ الذي يُظهر شيئاً ويُبطن آخر كالنفق.

وأَمَّا الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض: فَقَدْ تكفّلت سورة المُدّثر[2] ببيان

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

(٢) قِيلَ إنّها رابع سورة نزلت فِي أوائل البعثة.

أوصافهم وأنَّ هُنَاك فئة مِنْ الصّحابة الَّذِيْنَ أسلموا فِي أوائل البعثة، فيهم فئة خطيرة جدّاً تسمّى فئة الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ، ويُنبئنا القُرآن الكريم عَنْ وجود أدوار خطيرة جدّاً مَرَّ بها الإسلام، وَكَانَتْ هَذِهِ الفئة هِيَ السبب فِي انتكاسته فِي بَعْض المواضع.

ولا يُقَال: أنَّ هَذِهِ ملفات تأريخية مكتوبة مِنْ قبل طائفة معيّنة.

الجواب: أَنَّهُ ننظر إلى جواب القُرآن كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ بقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ ...﴾[1].

كَذَلِكَ جاء وصف هؤلاء فِي قوله تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾[2].

بتقريب: إنَّ هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ إنِ استلموا زمام الأُمُور ستكون النتيجة هُنَاك فسادٌ فِي الأرض.

---

(١) سورة المدثر: الآية ٣١.

(٢) سورة مُحَمَّد: الآية ٢٢ ـ ٢٣.

وهكذا قوله تعالَى: ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ﴾[(١)].

وقوله تعالَى: ﴿ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ ﴾[(٢)].

وقوله تعالَى: ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ ﴾[(٣)].

وقوله تعالَى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ (١٢٥) ﴾[(٤)].

وقوله تعالَى: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) ﴾[(٥)].

وقوله تعالَى: ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ﴾[(٦)].

وقوله تعالَى: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ (٢٩) ﴾[(٧)].

ولذلك يخاطب القُرآن نساء النَّبيّ ﷺ: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٠.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥٢.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٨.
(٤) سورة التوبة: الآية ١٢٥.
(٥) سورة الأحزاب: الآية ١٢.
(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٠.
(٧) سورة مُحمَّد: الآية ٢٩.

مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ ﴾[1].

بتقريب: إنَّ عدسة القُرآن والعين الرقابيّة فيه بيَّنت أنَّ هؤلاء الصّحابة الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ هُمْ ممّن لهم ذهاب وإيّاب داخل بيت النَّبيّ صلى الله عليه وآله ويتحدّثون مَعَ زوجات النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وأمَّا المسلم الذي هُوَ مِنْ أقاصي البلاد فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ ذهاب وإيّاب داخل بيت النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَعَلَيْهِ فلا يَكُون خطاب القُرآن موجّهاً إليه.

وَمِنْ الواضح أنَّ القُرآن الكريم يُفصِح عَنْ حقائق كثيرة بشرط أنْ لا تحجبنا أسباب النُّزول المُزيّفة والمُلفَّقة عَنْ مفاد ظاهر القُرآن البيِّن، فَإِنَّ كثيراً مِنْ روايات أسباب النُّزول اُخْتُلِقَتْ ودُلِّسَتْ وزُيِّفت وكُتِبَتْ بأقلام مأجورة لحجب حقائق القُرآن بدل أنْ تكون مفصِحَة مبيِّنة لحقائقه، وليست المشكلة فِي أخذ أحد محققي الخاصّة بروايات أسباب النُّزول أخذ المُسلَّمات وَمِنْ دون تحقيق، وَإِنَّما عُمدة المشكلة تكمن فِي أنَّ هُنَاك خطّة أو مؤامرة حيكت وأُحْبكَتْ مِنْ قبل الأمويين والعباسيين وأتباع الطرف الآخر لحجب أنوار القُرآن والتشويش عَلَيْهَا لئلا يُبصرها أجيال المسلمين، وَهَذِهِ هِيَ المصيبة العُظمى مِنْ حجب أنوار القُرآن عَنْ عموم المسلمين والمؤمنين.

وَعَلَيْهِ فلو رجعنا إلى ذَلِكَ فِي آية ٤٩ مِنْ سورة الأنفال: فَإِنَّها تُشير إلى

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٢.

الحقائق الَّتِي يُنادي بها القُرآن مَعَ أنَّ هَذِهِ الحقائق خطيرة جدّاً حول الصدر الأوَّل مِنْ تأريخ الإسلام، وحول مشهد عظيم مِنْهُ يرتسم بناء الإسلام، علماً أنَّ العدسة القُرآنيّة تلاحق هؤلاء الَّذِيْنَ وُصِفوا بوصف: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ كَمَا حَقَّقَ هَذَا المطلب بَعْض كبار مُحَقّقي الخاصّة، وأنَّ هؤلاء موجودون مُنْذُ أوائل البعثة النبويّة وأوائل بذرة الإسلام، وَيَدُلّ عَلَيْهِ قوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾[1].

بتقريب: أنَّ هؤلاء يستمر وجودهم إلى ما بَعْدَ رسول الله ﷺ؛ لِأنَّ القُرآن أعطى لنا صورة واضحة وجليّة عَنْ الأحداث الَّتِي ستقع بَعْدَ وفاة رسول الله ﷺ وحَذَّرنا مِنْ فِئةٍ خطيرة ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ فما بالك هل تريد أنْ نَغُضَّ الطرفَ عَنْ مثل هؤلاء وَلَمْ نذكر روايات أهل البيت عليهم السلام الَّتِي بيَّنت أنَّ القُرآن يُبيِّن حقائق ويبقى هؤلاء المُلفّقون يصولون لوحدهم فِي ساحة التّفسير وأسباب النُّزول مِنْ دون رَدعٍ ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾[2].

والخلاصة: مِنْ كُلّ هَذَا أنَّ هَذِهِ الآيات المُبارَكَة وغيرها لو تتبعناها بدقّة سوف ترسم لنا خارطة قرآنية عظيمة وعجيبة التركيب.

هَذَا كُلَّهُ ببركة استعانة الباحث الكريم بالتنبيهات الَّتِي تُشير إليها روايات أهل البيت عليهم السلام فِي أسباب النُّزول، لا أنْ نأخذ بها مِنْ باب التعبّد

---

(١) سورة المدّثر: الآية ١ ـ ٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٨٥.

الظني المُبهم، بَلْ مِنْ باب انكشاف العلم مِنْ بياناتهم وإرشاداتهم عليهم السلام؛ فَإِنَّ الباحث فِي تفسير القُرآن حَتّى لو كَانَ لا يؤمن بحجيّة أهل البيت عليهم السلام ـ والعياذ بالله ـ إِلَّا أَنَّ مراجعة بيانات أهل البيت عليهم السلام تلفته إلى وجود حقائق فِي القُرآن أُسْدلت الستار عَلَيْهَا السّلطات الظالمة والمُتسلطة عَلَى رقاب المسلمين وغيرهم لأجل تعمية أجيال المسلمين.

عدم استسهال بحث قاعدِة أسباب النزول:

ولذا فَإِنَّ بَعْض روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمُزيّفة رُويت لتعمية حقائق القُرآن وأثّرت أثرها السلبي وبشكل كبير جعلت بَعْض مُحققي الخاصّة يتأثر بالمنهج الأموي مِنْ حَيْثُ يشعر أو لا يشعر؛ ولذا ينبغي علينا جميعاً أَنْ لا نستسهل بحث قَاعِدَة أسباب النُّزول وتمحيصها والرجوع إلى مصادرها وطرقها وتدقيقها وتحقيقها.

ولذا نواجه مشكلة أُخْرَى أَنَّهُ حَتّى فِي تدوينات بَعْض عُلَمَاء الخاصّة سواء الفقهيّة وغيرها تأثّرت بالشاكلة الموجودة فِي مدرسة الطرف الآخر، وَهَذَا بالتالي أدّى إلى الوقوع فِي كثير مِنْ الأخطاء فِي البُنى الفقهيّة المُتبناة مِنْ قبل البعض.

هَذَا بحث علمي لابُدَّ مِنْ عرضه عَلَى الثّقلين ـ مُحكمات الكتاب وأهل البيت عليهم السلام ـ لكي تمَحَّص الحقيقة أكثر فأكثر.

ثمَّ أَنَّهُ لابُدَّ مِنْ التنبيه عَلَى أمر مهم ألا وَهُوَ أَنَّ بَعْض الَّذِيْنَ فِي قلوبهم

مَرَض قالوا كيف هؤلاء المسلمون السُّذَّح والبُسطاء أخرجهم دينهم الذي جاء به النَّبيّ ﷺ لمواجهة قريش الكافرة والمُدجّجة بالسِّلاح وَالَّتِي تفوقهم عِدَّة وعدداً، علماً أنَّ هؤلاء المسلمون يعتقدون بأنَّ دينهم يمتلك أكبر قدرة أزليّة وَعَلَيْهِ كيف يصف هؤلاء الَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض اعتقاد المسلمين بدينهم أَنَّهُ اغترار.

مُضَافاً إلى أنَّ صريح القُرآن يقول: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾[1] و ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٩﴾[2].

وفعلاً تحقّق النّصر الإلهي الذي وَعَدَ النبيّ المسلمين به فِي معركة بدر، خلافاً لما توهّمه القائل مِنْ الصحابة لرسول الله ﷺ: يا رسول الله أنَّها قريش وخُيلائها ما آمنت مُنْذُ أنْ كفرت ولا ذلّت مُنْذُ عَزَّت، وَلَمْ تخرج أَنْتَ عَلَى هيئة الحرب[3].

وبعضهم قَالَ: يا رسول الله أنَّ قريشاً مُضَافاً لمّا تَقَدَّمَ أنَّها لَمْ تُسلِّم عِزَّها أبداً ولتُقاتلنَّك فاتهب لذلك أهبته وأعدَّ لذلك عِدَّته[4].

---

(١) سورة الطلاق: الآية ٣.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٤٩.

(٣) المغازي لابن إسحاق: ج٢، ص٢٦٦.

(٤) الواقدي: ج١، ص٤٨؛ وصحيح مسلم: ج٥، ص١٧٠؛ والبداية والنهاية لابن الأثير: ج٣، ص٢٦٣؛ وَالسِّيرة النبوية لابن كثير: ج٢، ص٣٩٤.

بخلاف ما قاله المقداد بن الأسود الكندي لرسول الله صلى الله عليه وآله: يا رسول الله إِنَّا قَدْ آمنّا بك وصدَّقناك، وشهدنا أنَّ ما جئت به مِنْ حقٍّ مِنْ عِنْدَ الله، ولو أمرتنا أنْ نخوض جمر الغضا ـ والغضا شجر صلب الأخشاب يتقد طويلاً ـ وشوك الهراس ـ الهراس شجر شائك ـ لخضنا معك، ولا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسى: ... ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾، ولكن نقول: اذهب أَنْتَ وربُّك فقاتلا إنَّا معكما مقاتلون ـ فجزّاه النَّبيّ صلى الله عليه وآله خيراً، ومرجع الضمير (غرَّ هؤلاء) بحسب تركيب الآية يعود إلى المنافقين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مرض، وفِي هَذَا البحث ملفات أمنية وتأريخية وسياسية خطيرة جدّاً لا يقوى أحدٌ عَلَى فتحها إلَّا بما وَرَدَ مِنْ تعليمات مِنْ أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ التعليمات لا يُلْزَم الأخذ بها مِنْ باب التعبُّد الظنّي وَإنَّما مِنْ باب الإرشاد وإلفات النظر لِأنَّ مبدأ مدرسة أهل البيت عليهم السلام قائمٌ فِي أساسه عَلَى العلم والبيان.

النموذج الثالث: قوله تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا ... لَّوْلَا كِتَـٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ... إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

بتقريب: إِنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة وَرَدَتْ روايات لديهم ـ العامَّة ـ زعم أنَّ مفاد هَذِهِ الآيات المُبارَكَة مِنْ سورة الأنفال هُوَ: ـ

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧ ـ ٧٠.

أولاً: عتابٌ للنبي صلى الله عليه وآله مِنْ الله وَأَنَّهُ لماذا لَمْ يقتل الأسرى.

ثانياً: أَنَّ موقف النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كَانَ خطأً فِي هَذِهِ الواقعة، وأَنَّ موقف الثَّانِي الذي أشار عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الأسرى هُوَ الصّواب.

وإنْ كَانَ بعضهم احتمل فِي أسباب النّزول أنَّ الآيات المُبارَكَة فصَّلت بين حالتين:

الحالة الأولى: يُـخَيَّر المُسلم المقاتل بين قتل الأسير وأسره فِي ما إِذَا كَانَتْ الدولة الإسّلاميَّة ثابتة وقويّة.

الحالة الثانية: يُقتل الأسير إِذَا لَمْ تكن الدولة الإسّلاميَّة قويّة، والسِّر فِي ذَلِكَ هُوَ إلقاء الرعب.

ورُتِّب عَلَى هَذِهِ الرُّوايات لأسباب النُّزول المُلفَّقة أُمُور عقائدية خطيرة جدّاً.

مِنْهَا: فتح باب أنَّ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله يجتهد ويخطئ، وَهُوَ باب عجيب وكيف يجمعون بين هَذَا الإدّعاء وآيات القُرآن المادحة بالعصمة للنبي صلى الله عليه وآله بالتدبير والآمِرَة بإطاعته مثل ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ ... ﴾[1].

وقوله تَعَالَى: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ﴾[2]

(١) سورة آل عمران: الآية ٣٢.

(٢) سورة آل عمران: لاية ١٣٢.

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾[3].

ولنا أنْ نوجِّه سؤالاً لأصحاب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة: ـ هل فِي القُرآن تناقض وارتباك بين آياته أو لا؟ فإنَّ أجابوا: بنعم، فأيهما أحقّ بالإتباع: القُرآن الذي يقول: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[4] وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾[5].

أم هُمْ أحقُّ بالاتّباع وأنَّهم بشرٌ وليسوا بمعصومين مِنْ الوقوع بالخطأ؟

وَبعْدَ اتّضاح هَذِهِ المقدمة: ـ نسأل كيف يُجْمَع بين قوله تَعَالَى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ﴾ و ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ وبين تقديم اعتراض الصّحابي عَلَى رسول الله؟

الجواب: كيف يصحّ هكذا تلفيق ظاهر وواضح للعيان فِي منظومة

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٩.
(٢) سورة الحُجرات: الآية ١.
(٣) سورة الحجرات: الآية ٦.
(٤) سورة هود: الآية ١.
(٥) سورة فُصّلت: الآية ٤١ ـ ٤٢.

القُرآن، علماً أنَّ نفس أصحاب أسباب النُّزول المُلفَّقة يروون فِي كتب التفسير أَنَّهُ فِي سورة الحُجرات:ـ أنَّ الأوَّل والثاني هلكا بسبب تقدّمهما عَلَى الله ورسوله لولا أنَّ يتوبا، أيّ أنَّ التقدم عَلَى الله ورسولهﷺ منهيٌّ عَنْهُ، وَعَلَيْهِ فكيف يُصادق القُرآن مَرَّة أُخْرَى تصويب موقف الصّحابي الثَّانِي وتخطئة موقف رسول اللهﷺ ـ وحاشاهﷺ مِنْ الخطأ ـ وهل هَذَا معناه أنَّ منظومة القُرآن قَدْ حصل فيها ارتباك وإرباك لا سامح الله بمثل هكذا دعاوى فِي أسباب النُّزول المُلفَّقة؛ ولذا ذكرنا مراراً أنَّ أحد المناهج المُهِمَّة لتمحيص روايات أسباب النُّزول هُوَ مجموعة منظومة محكمات القُرآن الكريم لا الاقتصار عَلَى مفاد الآيات النازلة.

ثمَّ أَنَّهُ لابُدَّ مِنْ الالتفات إلى أنَّ ما وَرَدَ فِي الآية المُبَارَكَة مِنْ الأسرى ملاحظة مَنْ هُمْ الأسرى الَّذِيْنَ أشار الخليفة الثَّانِي عَلَى الْنَّبِيّﷺ بقتلهم؟

حَيْثُ كَانَ ضمن الأسرى العباس بن عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالبعليه السلام إذْ أسرهما أبو اليَسْر الأنصاري وجاء بهما إلى رسول اللهﷺ، فَقَالَ لَهُ رسول اللهﷺ هل أعانك عَلَيْهِ أحدٌ؟ قَالَ أبو اليَسر: نعم رجلٌ عَلَيْهِ ثياب بيض، فَقَالَ رسول اللهﷺ ذاك مِنْ الملائكة، ثمَّ قَالَ العبّاس لرسول اللهﷺ:ـ يا رسول الله قَدْ كُنْت أسلمتُ ولكن القوم استكرهوني، فَقَالَ لَهُ رسول اللهﷺ: إنْ يكن ما تذكر حقّاً فَإنَّ الله يجزيك عَلَيْهِ ... الخ.

ثمَّ قَالَ رسول الله لعقيل بن أبي طالب:ـ يا أبا يزيد قَدْ قتل الله أبا جهل بن هشام، وعتبة ابن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، ونبُيه ومنبه ابني الحجّاج، ونوفل

بن خويلد، وسُهيل بن عمر، وفلاناً وفلاناً، فَقَالَ عقيل: ـ فإنْ كُنْت قَدْ أثخنت القوم إذاً لا تُنازع فِي تُهامة وَإلَّا فاركب أكتافهم فتبسم رسول الله ﷺ مِنْ قوله[1].

وَمِنْ هَذَا يُعْلَم أَنَّ العباس بن عبدالمطلب كَانَ مُسلماً لكنَّه خفي إسلامه وأوتي به مُرْغماً للحرب، وهكذا عقيل بن أبي طالب عليه السلام، علماً إنَّ موقف عقيل كَانَ مُتضامناً مَعَ النَّبيّ ﷺ، وَعَلَيْهِ فما هِيَ الأغراض الَّتِي تقف وراءها أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ قتل هؤلاء الأسرى، وَكَانَ بضمنهم مسلمون، أفهل يجوز قتل المسلم المُكْرَه عَلَى المجيء لأرض المعركة مِنْ دون أنْ يُقاتل؟!.

هَذَا مُضَافاً إلى الآية المُبارَكَة لَيْسَ الخطاب فيها خاص بالنبي ﷺ ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾[2] وَعَلَى فَرْض شمول خطاب ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾[3] الآية للنبي ﷺ، فَإِنَّهُ تَقَدَّمَ أَنَّ صحابة رسول الله ﷺ البدريين عَلَى طوائف ثلاثة: ـ طائفة مؤمنة، وَأُخْرَى منافقة وثالثة فِي قلوبهم مرض، وهؤلاء المنافقون وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ يُريدون عَرَض الحياة الدُّنْيَا والله يُريد الآخرة والله عزيز حكيم.

---

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج٤، ص٨١٢؛ سيرة ابن هشام: ج٢، ص٣٩٨؛ والمغازي للواقدي: ج٢، ص١٢٥.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٦٧.
(٣) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

والنكتة المُهِمَّة الَّتِي نُريد التنبيه عَلَيْهَا هُوَ أنَّ الخطاب فِي الآية المُبَارَكَة لَيْسَ موجّهاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وَأَنَّهُ صلى الله عليه وآله لَيْسَ مشمولاً بالخطاب، وَهُوَ الصحيح حسب أسباب النُّزول الصحيحة والواردة عَنْ طريق مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وَهَذَا بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلَفَّقة مِنْ شمول الآية المُبَارَكَة لرسول الله صلى الله عليه وآله.

وهل يا ترى أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله يُريدُ عَرَض الحياة الدُّنْيَا؟! ـ والعياذ بالله ـ إلَّا أَنَّهُ وبحسب أسباب النُّزول الصحيحة والواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ توجد عِدَّة قرائن دامغة حالية ومقاليّة تُدحض ما تدّعيه أسباب النُّزول المُلفَّقة، عَلَى أنَّ المُخاطب فِي آية ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ هُمْ المسلمون فَقَطْ مِنْ دون شمولها للرسول صلى الله عليه وآله وَهِيَ:

القرينة الأولى: قوله تَعَالَى ﴿ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾[1].

بتقريب: إنَّ الله تَعَالَى لا يُعَذِّب الأُمَّة الَّتِي فيها رسول الله صلى الله عليه وآله بدليل صريح قوله تَعَالَى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾[2] وَعَلَيْهِ فَالنَّبِيّ صلى الله عليه وآله مصدر رحمة وعدم معاجلة العقوبة مِنْ الله سُبْحَانَهُ إلى المسلمين البدريين، ولهذه الأُمَّة هُوَ كرامةٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله، وَالمُرَاد مِنْ ﴿لَمَسَّكُمْ﴾ أيّ لعُجِّلت عليكم العقوبة وَلَمْ يعجل العقوبة ببركة وجود الرسول صلى الله عليه وآله

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٨.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٣.

بينكم.

ولا يعني هَذَا أنَّ رسول اللهﷺ هُوَ المُعاتب ومشمول للآية.

حكم الأسارى:

الرسولﷺ مخير بين الفداء أو المن:

بحث هام مرتبط بالآية المُبَارَكَة ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ...﴾[1].

بتقريب: أنَّ الرسولﷺ يمكن أنْ يَكُون لَهُ أسرى حسب قانون الجيش والعسكر والحروب، ويَتعامل ﷺ مَعَ الأسرى بَعْدَ أنْ تضع الحرب أوزارها ـ أيّ سلاحها ـ ويُلقي العدوّ سلاحه ويُظفر به، وَهُنَا ـ القائد وَهُوَ رسول اللهﷺ الذي لديه أسرى مِنْ الطرف الآخر المشركين ـ مُخَيَّرٌ بين الفداء أو المن «**إِمَّا فداءاً أو مناً**»[2] هَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّزول الصحيحة.

إِلَّا أَنَّهُ حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة فسَّروا الآية ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ بمعنى أَنَّهُ ما دام الإسلام فتيٌّ وَلَمْ يقوِّ شوكته بَعْدُ وَلَمْ ينتشر فِي الأرض فَلابُدَّ مِنْ قتل الأسير. وَهَذَا ما يُبطله القُرآن فِي سورة محكمة أُخْرَى ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

(٢) سورة مُحَمَّد: الآية ٤.

﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾[1].

بتقريب: أنَّ موضوع الآيتين المحكمتين واللّتين هُمَا مِنْ أُمهات الآيات المُحكمة واحد ومتطابق وَهُوَ القتال ـ بحسب أسباب النُّزول الصحيحة ـ وَهُوَ لا أسر إلَّا بَعْدَ الإثخان، وَهَذِهِ الآية الثَّانية ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ ...﴾ جعلت للأسر حَدَّاً وَهُوَ فيما إذَا أثختنموهم أيّ أكثرتم فيهم القتل والقتلى وتمكّنتم منهم وظفرتم بهم واستسلموا وألقوا أسلحتهم، مِنْ هُنَا يبدأ قانون الأسر وكيفية التعامل معه حسب هَذِهِ الآية إمَّا فداءاً أو مَنَّاً، وَلَمْ تتعرض لمسألة قتل الأسير بَعْدَ الإثخان وَهُوَ كناية عَنْ انتهاء الحرب.

وَعَلَيْهِ فالآية صريحة بعدم جواز قتل الأسير بَعْدَمَا ذكرت الآية المُبَارَكَة حكم الأسير وَهُوَ إمَّا الفداء أو المن.

إذْ لو دقّقنا فِي الآية المُبَارَكَة ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ بأنَّ هَذَا القتل لَهُ غاية، وَهِيَ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ بتقريب: أنَّ مفاد الإثخان فِي القُرآن هُوَ كناية عَنْ انتهاء الحرب إذَا ظفرتم بهم.

إذَنْ الآية المُبَارَكَة بيَّنت نكتةً لطيفةً وَهِيَ أنَّ ضرب الرِّقاب لَيْسَ مُطلقاً وَإنَّما لَهُ غاية مُحدَّدة وَهِيَ فترة انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب النُّزول، وَإنَّما لَهُ غاية مُحدّدة وَهِيَ فترة انتهاء الحرب، هَذَا بحسب أسباب

---

(١) سورة مُحمَّد: الآية ٢٤.

النُّزول الصحيحة، بخلاف ما ذكرته أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ أنَّ فترة قتل الأسرى تمتد وتستمر إلى ما بَعْدَ انتهاء المعركة، بينما الاستمرار غَيْر مذكور فِي سورة الأنفال: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾[1]، بَلْ التقيّد هُوَ بالإثخان فِي الأرض وَمَعْنَى الإثخان قَدْ ذكر فِي سورة مُحَمَّد، وَهُوَ وضع الحرب أوزارها، وَمِنْ ثَمَّ حاول بعضهم أنْ يرتكب دعوى النسخ بين السور ـ أيّ سورة مُحَمَّد ناسخة لسورة الأنفال.

ويدفعه:

أولاً: أنَّ المذكور فِي سورة مُحَمَّدﷺ أيضاً هُوَ لفظ الإثخان كفاية كَمَا ذُكِر، لفظ ﴿تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ تفسير لَهُ ـ للإثخان.

ثانياً: إنَّ الإقرار بالنسخ يدفع ما يبني عَلَيْهِ العامّة فِي فقههم مِنْ جعل غاية الجهاد الابتدائي هُوَ قتل الكافر إلَّا أنْ يسلم وإنْ لَمْ يكن محارباً ولا مُعتدياً فَإنَّ الأسير الكافر بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتل عَلَى القول بالنسخ وإنْ لَمْ يُسْلم، بَلْ عَلَى القول بالنسخ يَكُون غاية الحرب فِي الجهاد الابتدائي هُوَ أسْلَمت النظام السياسي لا أسلمت العقيدة.

ثالثاً: أنَّ النسخ لا يتلائم مَعَ لحن مفاد آية الأنفال مِنْ كون ذَلِكَ سنة إلهية لا تقبل التبديل والتحويل، كَمَا هُوَ مفاد قوله تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴾[2].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٦١.

فتحصل: أنَّ الإقرار بالنّسخ يستلزم الحكم بزيف أسباب النُّزول المزعومة عندهم مِنْ الاشتغال بتأسير الأسرى والحرب قائمةٌ فعلاً لَيْسَ صحيحاً؛ لِأنَّ هكذا فعل فيه تعريض للمسلمين بالهزيمة؛ لأنهم سينشغلون بشأن الأسرى وَإِنَّما الآية تحثّ المسلمين عَلَى مواصلة القتال وعدم الانشغال صوب الغنائم حَتّى تنتهي الحرب، وعدم أخذ أسير أثناء قيام المعركة.

مُضَافَاً إلى أنَّ سورة الأنفال لَيْسَ فيها مفاد لا تأسرون الأسير بَعْدَ الإثخان وَإِنَّما فيها نهيٌ عَنْ أسر الأسير قبل الإثخان ـ أيّ قبل انتهاء الحرب ـ وَعَلَيْهِ فالآية المُبَارَكَة تنهى عَنْ التأسير أثناء الحرب لا أَنَّهُ لماذا لَمْ يُقتل الأسير بَعْدَ الحرب.

إذَنْ أيُّهَا الباحث الكريم انظر بعين الإنصاف إلى أسباب النُّزول المُلفَّقة كيف قلبت المعاني اللّغويّة للألفاظ، بَلْ وقلبت تركيب الظّهور للآية المُباركة وظلّت مقلوبة فِي أذهان جملة مِنْ المُفَسِّرين والأجيال، ولا يُظن أنَّ التّلاعب والتّدليس والاختلاق مختص بِهَذَا المورد مِنْ معاني الألفاظ للآيات القُرآنيّة، بَلْ جرى مِنْ السقيفة وبني أُميّة وبني العباس ما جرى إلى حدٍّ أشبع العقل الإسلامي والذهنيّة الإسلاميّة بشكل مقلوب عَنْ آياتٍ كثيرة، إلّا أنَّ الموكب يسير سَرَحٍ وغفلةٍ عَنْ هَذَا، إلّا أنَّ الباحث الكريم إذَا تروّى قليلاً بألفاظ الآية فَإِنَّهُ سوف يدّق عنده جرس التنبيه، لا سيما بَعْدَ مراجعة المنبّه الرئيسي فِي هَذَا المجال ألا وَهِيَ روايات أهل البيت عليهم السلام، فَإِنّها ذكرت أَنَّهُ بَعْدَ انتهاء المعركة لا قتل للأسير، وماذا تصنع أسباب النُّزول

المُلفَّقة بالآية ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ﴾ أيّ بَعْدَ انتهاء الحرب « أو فداء» للأسير يُستفاد مِنْهُ مالياً.

وَعَلَيْهِ فالعتاب الشديد الموجود فِي الآيتين المُباركتين[1] مُوجَّه وبشكل واضح إلى المسلمين لا إلى رسول اللهﷺ، إلَّا أنَّ أسباب النُّزول المُحرَّفة المزعومة ثبتت وللأسف الشديد عَلَى هَذَا المطلب عدم عصمة النَّبِيّﷺ، وأنَّ النَّبِيّ يخطأ كَمَا يخطأ المجتهدون ـ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ ـ وأنَّ موقف الثَّانِي كَانَ عَلَى صواب ... الخ.

كل كافر عِند مدرسة العامة مهدور الدم:

هَذَا مُضَافَاً لما تَقَدَّمَ إلى أنَّ كُلّ كافر عِنْدَ مدرسة العامّة مهدور الدم ولو لَمْ يكن عدوانياً ولا حربياً وَكَانَ مهادناً، فَإنَّ هَذِهِ المسألة ليست بالسّهلة فَإنَّ لها حسابها الخاص بالوضع الرّاهن فِي العصر الذي نعيشه، فِي حين أنَّ هُنَاك مَنْ يتبنى أنَّ الكافر المهدور الدم هُوَ الحربي أيّ المُعتدي العدواني فَقَطْ، وأمَّا الكافر المهادن والمسالم والذي يُريد أنْ يعيش بسلام وأمان مَعَ المسلمين فَهُوَ لَيْسَ مهدور الدم.

وَهَذَا يعكس فلسفة الجهاد وفلسفة التّوسّع فِي بقعة بلاد المسلمين والفارق بين المدرستين مدرسة السّقيفة ومدرسة أهل البيتعليهم السلام.

وَعَلَيْهِ ينبغي الالتفات إلى أنَّ نشوء بَعْض الحركات والأحزاب

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧؛ سورة مُحمَّد: الآية ٤.

والتيارات المحسوبة عَلَى الإسلام بهذه الأعمال الوحشيّة والممارسات الغريبة الَّتِي لَيْسَ لها شعار سوى القتل والتهجير والإقصاء والتهميش فِي شرق الأرض وغربها، لَيْسَ مِنْ باب الصّدفة، وَإِنَّما أتت هَذِهِ الحركات المشوِّهة لصورة الإسلام مِنْ المستندات الَّتِي اتّبعوها مِنْ أَوَّل الأمر، بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وَهِيَ المدرسة الوحيدة الَّتِي ترعى عدم جواز قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب.

وَلَمْ ينظر الإسلام إلى الأسير أَنَّهُ قبل انتهاء الحرب كَانَ عدوّاً، والآن وَبَعْدَ أنْ وقع بالأسر وأوثق كتافاً سُلبت مِنْهُ العدوانيّة بَعْدَ انتهاء الحرب، وَمَعَ ذَلِكَ يتكرم عَلَيْهِ بالمَنّ أو الفِداء.

فانظر إلى رحمة ورأفة الإسلام مَعَ هَذَا الذي كَانَ عدوانياً، فكيف بمن لَمْ يكن عدوانياً أصلاً كَمَا فِي النَّاس المدنيين والعُزَّل عَنْ السّلاح، فبأيِّ حقّ تهريق دمه.

ولذا صدور هكذا تصرفات سوداوية وعنجهيّة تصدر مِنْ بَعْض ما يحسب عَلَى الإسلام سواء كَانَ بفتح أو غزو أو حرب أو غيرها تقف سدّاً عَنْ انتشار النّور الشفيق للقُرْآن وَالْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام، فَإِنَّهُ بحسب اصطلاحات علم القانون الحديث: أنَّ للحرب ضوابط وقوانين أخلاقيّة وأعراف إنسانية مِنْ عدم الغدر وعدم الغيلة وَغَيْر ذَلِكَ وَمَعَ عدم مراعاتها يصبح مُفْسِداً فِي الأرض.

فتحصَّل مما تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول المزعومة المُزيَّفة للآيات القُرآنية

تقلب معاني ألفاظ الآيات وفيها نوع مِنْ التلاعب الخطير فِي الذّهنية الإنسانية والذي هُوَ نوع مِنْ التسخير الفكري الكاذب الذي لا يشعر به الإنسان؛ ولذا يجب عَلَى الباحث الكريم التوثّق مِنْ أسباب النُّزول فَإِنَّهُ أمر مصيري للغاية وإنْ كَانَ بعضهم ينظر إليها نظرةً هينة متساهلاً فيها إلَّا أنَّ الواقع أنَّها عظيمة فِي التأثير، لِإنَّهُ إذَا أخذت روايات أسباب النُّزول مِنْ دون توثق فَإنَّها ترسم لك صورة وموقفاً مُعيّناً ولعلّك تُسْحَر به إلَّا أنَّهُ بَعْدَ التّحقيق تجد أنَّ كُلّ شيء فيها مقلوب وأنَّ العكس هُوَ الصحيح، ولذا ينبغي أخذ الحيطة والحذر مِنْ أوَّل الأمر.

والخلاصة: أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقة تجوّز بَلْ توجب قتل الأسير فِي بَعْض الحالات كَمَا فِي حالة عدم انتشار الإسلام فِي الأرض وضعفه وعدم اشتداد أمره، ولذا يُقتل الأسير لأجل إلقاء الرُّعب فِي قلوب الكفّار والمشركين.

وَهَذَا بخلاف منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام بَعْدَمَا تقدّمت الآيتين المباركتين[1] فهُمَا صريحتان فِي عدم جواز قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها فَأمَّا فداءً أو مَنّاً، وما ذكرته أسباب النُّزول المُلفَّقة إلَّا قلب للحقائق وإشباع العينين بأمواج روايات مُزيّفة كي تكون حجاباً عَنْ إبْصَار معاني ألفاظ الآيات المُبَارَكَة، وَلَهُ موارد كثيرة ولسنا بمُبالغين فِي ذَلِكَ.

وَهُنَاك تساؤل يدور فِي الأذهان وَهُوَ: ما هِيَ النسبة بين الآيتين المُباركتين

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧؛ وسورة مُحمَّد: الآية ٤.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾[1] وبين قوله تَعالَى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً...﴾[2] هل النسبة نسبة النّاسخ والمنسوخ أم التّوافق أم التباين أم غَيْر ذَلِكَ؟

الجواب: اختلفت كلمات المدارس الإسّلاميَّة ـ مدارس العامّة ـ فِي ذَلِكَ اختلافاً كبيراً ووقعت بحيص وبيص فِي الجمع بين الآيتين مَعَ مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وَعَلَى أقوال أهمها:ـ

القول الأول: ذهبت مدرسة الخلفاء ـ العامّة ـ إلى أنَّ النسبة بينهما نسبة التباين، أيّ يوجد تدافع وتنافي وَذَلِكَ، بأنَّ سورة الأنفال تحكم بقتل الأسير، وسورة مُحمَّدصلى الله عليه وآله تبيّن أنَّ حكم الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب عدم القتل، وبين القتل وعدمه نسبة التنافي والتعارض.

القول الثاني: إنَّ الآية فِي سورة مُحمَّدصلى الله عليه وآله ناسخة، وفي سورة الأنفال منسوخة.

القول الثالث: عكس القول الثَّانِي بأنْ تكون سورة مُحمَّد منسوخة وسورة الأنفال ناسخة، **وفيه:** أَنَّهُ كيف يَكُون المُتأخِّر نزولاً منسوخاً والمتقدِّم نزولاً ناسخاً، وإنْ كُنَّا لا نمنع مِنْهُ، إلَّا أَنَّهُ سيأتي فِي بحث قَاعدِة النّاسخ

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٧.

(٢) سورة مُحمَّد: الآية ٤.

والمنسوخ، أنَّ الغالب وفي العادة يَكُون النّاسخ هُوَ المُتأخِّر زماناً عَنْ المنسوخ، والمنسوخ مُتقدِّم زماناً.

وَهَذِهِ الأقوال الثّلاثة لمدرسة العامّة.

القول الرابع: وَهُوَ ما ذهبت إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنَّ بين الآيتين المباركتين تمام التّوافق وَلَيْسَ بينهما أدنى تنافي فِي المعنى، وإذا تبيَّن أنَّ بينهما ـ الآيتين ـ تمام التّوافق فسوف يتّضح جليّاً زيف روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي سورة الأنفال، وَلَيْسَ الغرض كَذَلِكَ هُوَ جني الغنائم لِإنَّهُ كَانَ أحد أسباب الهزيمة والفشل فِي معركة أُحُد مثلاً؛ لِأنَّ الحرص والطمع والتكالب والشَرَه عَلَى الغنائم ـ حَتّى الأسير يعتبر غنيمة والاشتغال بأسره ـ يُعَطِّل القتال عَنْ المقاتلة؛ إنَّما الهدف الأصلي هُوَ هزيمة العدو.

والعتاب الوارد بالآية ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾ بطلب الغنائم والأسرى وَغَيْر ذَلِكَ والحرب قائمة هُوَ أحد أسباب الهزيمة والفشل فِي غزوة أُحُد، بَلْ وفي كُلّ حرب وغزوة ومعركة ... الخ فبدلاً أَنْ تنصب همّة المقاتل فِي كيفية هزيمة الأعداء وإيقاع الخسائر فيهم، تكون همّة بَعْض المنافقين وَالَّذِيْنَ فِي قلوبهم مَرَضٌ منصبة عَلَى طلب عَرَض الدُّنْيَا والغنائم ويتلهون عَنْ طلب النصر والحرب قائمة، بطلب عرض الحياة الدُّنْيَا، والله عنده مغانم كثيرة، وَهَذَا كُلَّهُ بحسب أسباب النُّزول الصحيحة.

والحاصل أنَّ الآيتين فِي صدد النَّهي عَنْ أخذ الأُسارى أثناء الحرب والطمع فِي تأسيرهم؛ وأنَّ حكم المقاتل أثناء الحرب يُقتل ولا يُؤسر طمعاً

بالغنائم، وليست فِي صدد قتل الأسير بَعْدَ وضع الحرب أوزارها، كَمَا تصف الآيَة الكريمة أنَّ أخذ الأسير أثناء الحرب هُوَ لأجل عَرَض الدُّنْيَا أيّ الطمع فِي أخذ المقاتل أسيراً والحرب قائمة الغرض مِنْهُ الطمع فِي الغنائم وعرض الدُّنْيَا.

وَهَذَا بخلاف أسباب النزول المُلفَّقة وَالَّتِي يُروَّج فيها أنَّ سبب النُّزول كَانَ منصباً عَلَى معاتبة النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَى عدم قتل الأسرى وأنَّهم لماذا كانوا عَلَى قيد الحياة، وَقَدْ انتهت الحرب ووضعت أوزارها فالمفروض يقتلون هكذا اقترح الثَّانِي.

بيان ضابطة مهمة: هُنَاك ضابطة مُهمّة بيّنتها الرُّوايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام وعمل عَلَى ضوءها مُفسِّري الإمامية وسيأتي تفصيلها فِي مبحث قَاعدة النسخ ـ إنَّ شاء الله تَعَالَى ـ ولكن نشير إليها باختصار: إنَّ الضابط فِي استعمال مصطلح النّاسخ والمنسوخ والمطلق والمقيد يأتي بناءاً عَلَى وجود تنافي بين مورد النّاسخ ومورد المنسوخ، وَذَلِكَ بأنْ يُعْمَلَ بالمنسوخ زماناً قبل أنْ يأتي زمان النّاسخ ثمَّ يأتي النّاسخ، وَمَعَ وجود التّنافي بينهما فينفسخ الأوَّل، أمَّا إذَا فُرِض وجود توافق بينهما فكيف يُفرَض النّسخ مَعَ عدم تحقّق شرطه وَهُوَ التنافي؛ ولذا مَعَ الأسف الشّديد إنَّ مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ استغلّتْ مصطلح وعَلَّقت عَلَيْهِ الكثير مِنْ الأفكار الغريبة والبعيدة عَنْ منطق القُرآن الكريم لتمريرها ولصقها بالقرآن ليلتبس الأمر بذلك عَلَى أجيال المسلمين ، ولتجميد مَعْنَى كثير مِنْ الآيات الَّتِي أدُعي أنَّها منسوخة بُغية تعطيلها؛ لِأَنَّ تفعيلها فيه ضرر

وخطورة عَلَى مُدّعياتهم، وفيه تداعيات سياسيّة عَلَى الأنظمة الظالمة وأصحاب المصالح والمطامع؛ ولذا خيرُ سبيل للتخلّص مِنْ هكذا تداعيات تشكل خطورة عليهم، دعواهم أنَّ هَذِهِ الآية منسوخة يعني معطلة ولا يُعْمل بها، علماً أنَّ ادّعاء هكذا أمر خاصّة مسألة النّسخ وتعطيل مَعْنَى الآيات لَهُ تداعيات خطيرة عَلَى تفسير القُرآن وَالفِقْه والعقائد وجُملة مِنْ المعارف الدِّينية.

تنبيه هام: إنَّ مِنْ أخطر وأعظم أنواع التحريف هُوَ تحريف فَهُمْ الآيات؛ لِأنَّ مَعْنَى التحريف ـ هُوَ إلغاء ستار أمواج ضبابيّة عَلَى ظهور ألفاظ القُرآن كي لا يُبصر المسلمون حقائق القُرآن، وسبب عِظَم خطورته؛ لِأنَّ القُرآن أعظم مصدر للمعرفة الإسّلاميَّة وَالدِّينية، ومثل هكذا تحريف لسبب نزول آياته معناه المساعَدَة عَلَى إيجاد خطوات ومواطئات مجهضة للعقل الإسلامي، ولعقل أجيال علميّة فاضلة للبشر، وفِي هَذَا دعوة للأخوة الباحثين إلى مضاعفة الجهود فِي سبيل كشف الحقائق وإزالة الستار والحجاب عَمَّا حُرِّف.

تنبيه: ينبغي التنبيه عَلَى أنَّ ما جرى فِي معركة بدر وأنَّ ما مِنْ بيتٍ مِنْ بيوت قريش إلَّا وقُتِل مِنْهُ كافر إلَّا بيت بني هاشم والسبب هُوَ أنَّ بني هاشم قَدْ أُوتِي بهم قهراً وقسراً وإرهاباً وإرعاباً مِنْ قريش الكافرة إذْ ألجأتهم عَلَى ذَلِكَ مِنْ مَكَّة إلى المدينة لمقاتلة الْنَّبِيّ ﷺ فِي واقعة بدر وَلَمْ يرفع بنو هاشم سلاحاً فِي وجه رسول الله ﷺ والمسلمين ولذا أوصى الْنَّبِيّ ﷺ المسلمين بهم قبل معركة بدر أنْ يتجنّبوا بني هاشم مثل العباس بن

عبدالمطلب وعقيل بن أبي طالب وغيرهما.

كُلّ ذَلِكَ لأجل أنَّهم لَمْ يريدوا لرسول الله والمسلمين سوءاً، بَلْ كانوا يتمنّون الظفر لرسول اللهﷺ عَلَى قريش، ولذا فَإنَّ مَنْ وقع فِي الأسر مِنْ بني هاشم لَيْسَ موقفهم عدائياً مَعَ رسول اللهﷺ والمسلمين، وَعَلَيْهِ فما وراء طلب الثَّانِي بقتلهم؟ مَعَ أَنَّهُ كَانَ قبل الحرب يطالب بعدم مقاتلة كُلّ قريش.

يظهر بالتدبّر أَنَّهُ لّما خُلِقَتْ أسباب النُّزول الْمُلفَّقة هَذِهِ مِنْهَا وَهُوَ لأجل التغطية عَلَى الوصمة الَّتِي وصِمَ بها بَعْض الصحابة فِي بدر بسبب موقفه العدائي لبني هاشم، والآن تَبيَّن بعدالتدبّر والفحص أنَّ الآية الْمُبَارَكَة مِنْ سورة الأنفال، وَعَلَيْهِ فَإنَّ العتاب فيها لَيْسَ عَلَى بقاء الأسرى أحياء بَعْدَ انتهاء الحرب، بَلْ كَانَ العقاب عَلَى أخذ الأسرى أثناء الحرب ـ والحرب قائمة ـ ولماذا تلتهون بجمع الغنائم التي بضمنها الأسرى لان مثل هكذا أفعال وتصرّفات تُعَرِّض معسكر المسلمين للهزيمة وَلَيْسَ العتاب عَلَى عدم قتل الأسرى بَعْدَ الحرب كَمَا أدعته روايات أسباب النُّزول الْمُلفَّقة، وَهَذَا التحريف والتلفيق فِي أسباب النُّزول يُتعَدَى فيها مِنْ سورة الأنفال إلى سورة مُحَمَّدﷺ، بينما مَعْنَى الآيتين صريحٌ وواضحٌ فِي أنَّ الأسير لا يُقتل بَعْدَ انتهاء الحرب.

فلسفة الجهاد ليس الإرغام على العقيدة الفردية

أو الباطنة وقتل الأسرى:

القُرآن الكريم عِنْدَمَا يذكر فلسفة الجهاد نتيجةً لطغيان الكفّار وتمّردهم وعصيانهم لا لأجل نفس الكفر بما هُوَ كفر كَمَا فِي الآيات الْمُبَارَكَة:

الآية الأولى: ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ٥٦ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٥٧﴾[1].

بتقريب: أنَّ مثل هؤلاء الكُفّار فِي كذلك مَرَّة يغدرون وذوي غيلة فإذا ظفرت بهم فَشَرَّد بهم، أمَّا إذَا كَانَ الكافر ذمياً لا ينكث العهد ولا يغدر أو كَانَ مُسالماً، ففي مثل هَذَا لَيسَ مِنْ أخلاق الإسلام وَالقُرآن أنْ تَشُنُ عَلَيْهِ الحرب ويُقتل.

نعم، قَدْ يَكُون ذَلِكَ الكافر حاكماً ظالماً لشعبه مُستبداً ولو كَانَ الشعب كافِراً أو مُستضعفاً، نعم مِنْ غايات الجهاد الابتدائي أسلمة الأنظمة لا إلجاء الأفراد عَلَى إسلام العقائد أيّ أنَّ هدفهم حماية المُستضعفين كَما هُوَ مفاد قوله تَعالَى: ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ٧٥﴾[2]، فَهَذَا بحث آخر لا يُبرِّر أنْ يصوِّر الجهاد بأنه عبارة عَنْ إرغام عَلَى العقيدة، فَقَدْ يقول قائل: ـ إنَّ إثبات الشيء لا ينفي ما عداه، فَإنَّهُ مَرَّ أنَّ ذكر القُرآن لفلسفة الجهاد لَيْسَ لأجل كفر الكافر، وَإنَّما لأجل شيء أهم مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ لأجل التخوّف مِنْ ظهور بوادر الخيانة بالغدر والمباغتة بالعدوان، وَهُوَ أعظم مِنْ الكفر.

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٦ ـ ٥٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٧٥.

الآية الثانية: قوله تعَالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

بتقريب: أنَّ المُرَاد بالخوف أيّ العلم فَأَنْتَ يا رسول الله وَهُمْ عَلَى سواء فِي العلم بنقض العهد، وَيَكُون المعنى إِذَا كَانَ بينك يا مُحَمَّدﷺ وبين قوم عهد وعلمت أنَّهم خائنون بظهور أمارات قاطعة عَلَى أنَّهم يضمرون الغدر والاغتيال ويتّخذون مِنْ العهد سِتاراً فشدّد عَلَى أخذ الحيطة والحذر منهم؛ لأنَّهم يُدَّبرون مِنْ ورائه ـ العهد ـ المكر السيء فإذا كَانَ كَذَلِكَ فألقِ إليهم عهدهم واعلمهم أَنَّكَ قَدْ انقضته، بحيث تكون أَنْتَ وَهُمْ فِي العلم بالنقض سواء، ولا تبدأهم بقتال قبل أنْ تعلمهم بذلك كي لا تُنْسَب إلى الغدر والخيانة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ فَإِنَّ الإسلام يأمر بوجود الوفاء بالعهد لأهل الوفاء، أَمَّا الَّذِيْنَ يتّخذون مِنْ العهد وسيلة للغدر والخيانة فَإِنَّ الإسلام يأمر بنقضه لِإِنَّهُ كيدٌ لا عهد حَتّى يلتزم ويجب العهد به وَإِنَّما كيدٌ ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[1].

وَقَالَ أمير المؤمنينعليه السلام: «**الوفاء لأهل الغدر غدرٌ، والغدر بأهل الغدر وفاءٌ**»[2].

بتقريب: إِنَّهُ عَلَى الحاكم الإسلامي إِذْ رأى ظهور بوادر الخيانة مِنْ هؤلاء الكفّار، فَالقُرآن والمُشرِّع الإلهي يقول لَهُ: لا تغدر بهؤلاء الَّذِيْنَ

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٢.

(٢) خطب أمير المؤمنينعليه السلام، نهج البلاغة: ج٤، ص٥٧؛ بحار الأنوار: ج٧٢، ص٩٧.

ظهرت منهم بوادر خيانة ، وَإِنَّما عَلَى ذَلِكَ الحاكم الإسلامي أنْ يفك عقد الأمان والهُدْنة بينه وبين الدولة الكافرة بلا غيلة ولا غدر ولا خدعةٍ وَإِنَّما بنحو مُتكافئ وعادل، وَهُنَا القُرآن الكريم يُريد أنْ يُبيِّن: أَنَّهُ حَتَّى فِي هَذَا المورد عَلَى المسؤول أنْ يَعْدِل ويساوي بين أفراد البشر بغضّ النظر عَنْ مُعتقدهم.

شعار مدرسة أهل البيت عليهم السلام

لا للقتل وسفك الدماء، نعم للحوار والعيش بأمان:

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَ الجهاد مشروعاً فكيف يمكن أنْ نفترض أنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة منسوخة، وَهِيَ:

الآية الثَّالثة: قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾[1].

بتقريب: أنَّ الآية المُبَارَكَة مطلقة وتبيِّن أحد جهات أخلاقيات الجهاد فِي دين الله وأنَّ الله تَعَالَى لا يُحِب مَنْ كَانَ فِي قلبه مرضٌ وخيانة فِي تحمّل المسؤولية فِي كُلّ زمان ومكان وحادثة.

والغرض مِنْ التركيز عَلَى ذكر هَذِهِ الآيات هُوَ لأجل أنَّ أسباب النُّزول المُلفَّقة تدّعي أنَّ عمر بن الخطاب ـ المستولي الثَّانِي عَلَى الخلافة ـ طالب بقتل الأسير بَعْدَ انتهاء معركة بدر، ويُريدون بذلك تثبيت أنَّ فلسفة الجهاد هُوَ قتل الأسير والكافر وإنْ لَمْ يكن مُقاتلاً ولا مُعادياً ولا مُحارباً،

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

وَإِنَّما لمجرَّد كفره، أو يسلم بَعْدَ انتهاء الحرب، فحرَّفوا ـ أيّ العامّة ـ فلسفة الجهاد فِي الإسلام بتحريف مَعْنَى الآيات بتوسّط أسباب النُّزول المُزيَّفة، كُلّ ذَلِكَ لأجل التغطية عَلَى موقف عمر العدائي لبني هاشم، وتغطية ما وقع مِنْهُ مِنْ موقف خاطئ.

وَهَذِهِ ليست مِنْ أخلاقيات القُرآن والإسلام، وَإِنَّما فيه تشويه وطمس للحقائق النوريّة فِي القُرآن، بخلاف ما بيّنته أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ طريق أهل البيت عليهم السلام فِي كيفية التّعامل مَعَ الأسير ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ ﴾[1].

فَهَذِهِ الآيات تدحض دعوى أسباب النُّزول المُلفَّقة فَإِنَّ فقه مدرسة الخلاف ـ أيّ فقه المدارس الأربعة وغيرها، فَإِنَّهُ يجوز عندهم قتل الأسير بَعْدَ انتهاء الحرب بمبرر أَنَّهُ كافر مهدور الدم، بينما الفِقْه الوحيد مِنْ بين المدارس الإسّلاميَّة بَلْ وَحَتّى المدارس البشريّة المُتمثِّل بمدرسة أهل البيت عليهم السلام فضلاً عَنْ المواثيق الدوليّة الجديدة فِي أحكام التّعامل مَعَ الأسير أَنَّهُ بَعْدَ انتهاء الحرب لا يُقتَل ولا يُبَرَر هدر دَمِهِ، وَهَذَا يرسمُ لنا بنوداً عظيمة فِي الدولة الإسلاميّة، أو المجتمع الإسلامي مَعَ المُجتمعات غَيْر الإسّلاميَّة.

ومما يُؤيِّد أنَّ الكافر لمجرد كفره لا يهدر دَمُه وجود آيات قرآنية تدعم

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٥٨.

ذَلِكَ.

وهكذا فِي فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام، بَلْ الروايات الواردة عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام تُؤكِّد عَلَى هداية الكافر بالحوار والعقل والعقلانية، لا بثقافة القتل وسفك الدماء، وَهَذَا هُوَ موضع القوّة فِي أسلوب ومنهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وَلَيْسَ إرغام النَّاس عَلَى العقيدة الإسّلاميَّة، وَإِلَّا لو كَانَ الإرغام كَما تقوله المذاهب الأربعة لكان حكم الأسير الكافر بَعْدَ أنْ تضع الحربُ أوزارها إمَّا أنْ يَسْلِمَ أو يُقتل، وَهَذَا بخلاف الضروري الثابت فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام فِي أحكام التّعامل مَعَ الأسير الكافر مَعَ بقاء الأسير إلى فترة هُوَ بالخيار بين أمرين: إمَّا فداءاً، كَما كَانَ رسول الله صلى الله عليه وآله يُفادي الأسرى قدر أموالهم، وَكَانَ أهل مَكَّة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون فَـمَنْ لَمْ يكن لَهُ فداء وَكَانَ يكتب يدفع إليه عشرة مِنْ الَّذِيْنَ لا يكتبون مِنْ غلمان مسلموا المدينة فيعلمهم ـ الكتابة ـ فإنْ حَذَقوا ـ فِي الكتاب فَهُوَ فداؤه كُلّ ذَلِكَ نقله ابن سعد فِي الطّبقات[١].

أو مّنّاً لِـمَنْ لَمْ يكن عنده مال.

واما بحسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي غزوة بدر، فَإِنَّهُ يجوز للمسلمين عَلَى بَعْض الشقوق والاختيارات قتل الأسير المسلم بَعْدَ انتهاء الحرب.

---

(١) ابن سعد فِي الطّبقات: ٢: ١٤.

وسبب هَذَا الاختلاف بين مدرسة أهل البيت عليهم السلام وغيرها هُوَ بسبب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة، مما يوجب تباعد بونٍ شاسعٍ بين مسار علاقة المجتمع المسلم والدولة المسلمة مَعَ الدول والمجتمعات البشريّة الأُخْرَى، فتتولَّد نتيجة هَذَا الاختلاف نشوء أحزاب وتيارات وَقَواعِد انتحاريّة لقتل البشر تحت غطاء شرعي مُزَّيف ومُلفَّق محسوب عَلَى الإسلام حسب أسباب النُّزول المُلفَّقة، وبين واقع التّعايش السلمي المدني والحوار والبيان الذي تدعو إليه مدرسة أهل البيت عليهم السلام هَذَا ما يضمن ويتكفَّل لكافة الأديان السماوية والمذاهب البشرية العيش بأمان مَعَ أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لان شعار هَذِهِ المدرسة المقدسة لا للقتل وسفك الدماء للمُسالم، نعم للحوار والعيش بأمان وسلْم، وَلَمْ يأتِ هَذَا الفرق مِنْ باب الصِّدفة أو نتيجة حدث أو ظرف مُعيَّن، وَإنَّما هُوَ عَنْ نصوص ثابتة فِي مدرسة أهل البيت فِي تبيان آيات حكم الأسير وسيره متمرّسة لدى أتباع أهل البيت عليهم السلام لقرون مِنْ الزمن نتيجة اختلاف أسس مدرسة أهل البيت عليهم السلام عَنْ أسس المدارس الأُخْرَى وبينهما فرق شاسع.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ أحد أسباب الابتعاد عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام هُوَ القول بروايات أسباب النُّزول الَّتِي رووها ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ وتأييداً للثاني فِي مسألة قتل الأسير بَعْدَ الحرب ومحاولة اختلاق بَعْض المسوِّغات لقتله لكونه كافراً وأنَّ الكافر مهدور الدم حسب أحكام الشريعة الإسّلاميَّة المقدّسة إلى غَيْر ذَلِكَ، وتخطأة ومُعاتبة رسول الله صلى الله عليه وآله عَلَى عدم قتل

الأسرى بَعْدَ انتهاء الحرب وفيهم المسلم وإنْ شاع واشتهر فِي الألسن أَنَّهُ ـ الكافر ـ مهدور الدم؛ إلَّا أنَّ هَذَا مُقررٌ فِي فقه العامّة لا فِي فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام فَإنَّ الكافر عندهم وإنْ لَمْ يكن محترم الدم بدرجة المسلم فضلاً عَنْ المؤمن، كَمَا أَنَّه لَيْسَ محترم الدم مِنْ جهة الضمان المالي، إلَّا أَنَّهُ لَيْسَ مهدور الدم.

القرآن يبين فلسفة الجهاد فِي الإسلام:

فلسفة القوة العسكرية فِي دين الإسلام:

أحد أهم القَوَاعِد الَّتِي تمثّل منهاجاً للنّشاط الدّيني السياسي الاجتماعي والعسكري هِيَ قَاعِدة إعداد القوّة الَّتِي تمثّل عناصر مشتركة، أو عمومات فوقانيّة لِكُلِّ القَوَاعِد الَّتِي تدخل فِي رسم خارطة المسؤوليات فِي النشاط الوظيفي الديني العسكري للمؤمنين.

الآية الرابعة: لابُدَّ مِنْ ذكر تسلسل لآيات فلسفة الجهاد، ثلاث آيات:

ومدرك ومستنده قَاعِدَة إعداد القوّة هِيَ قوله تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾[1].

بتقريب: إنَّ أحد أهم فلسفات القوَّة العسكريّة فِي دين الإسلام ـ لا لسفك الدماء وإرغام الآخرين عَلَى العقيدة ـ هِيَ لأجل تشكيل قوَّة رادعة

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

عَنْ بغي وعدوان غَيْر المسلمين لئلا يعتدوا عَلَى المسلمين ومُقدّساتهم وأعراضهم وأموالهم و ... الخ.

وَهَذِهِ الفريضة القُرآنية ـ قَاعِدَة إعداد القوة ـ ليست مختصّة بباب الجهاد وحال مناجزة العدوّ، بَلْ هِيَ مطلقة عَلَى الدوام وتشمل مطلق إعداد القوّة وبناءها للمسلمين بما فِي ذَلِكَ القوَّة الاقتصادية والتّجاريّة والصناعيّة والزراعيّة والفكريّة والتنمويّة و ... الخ، غايتها قهر الطغيان والتكبر والتجبر، وأنْ يبني المؤمنون أنفسهم وقوّتهم صرحاً يهابه العدوّ رادعاً لَهُ عَنْ التّطاول ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾[1].

أيّ الفلسفة الردعيّة أمام التعدّي والعدوان ترغمون وتردعون أعداء الله ورسوله والإنسانية عَنْ سفك الدماء وقتل النفس المحترمة بلا ذنب والإفساد فِي الأرض وردعهم بالتخويف كأسلوب وقائي لا هجومي، هَذَا هُوَ مَعْنَى ترهبون به عدو الله فِي منطق القُرآن الذي هُوَ منطق دفاعي لَيْسَ الغرض مِنْهُ إرغام الآخرين عَلَى ما أنتم عَلَيْهِ مِنْ دين أو معتقد، وَهَذَا المعنى للإرهاب فِي منطق القُرآن يختلف عما هُوَ عَلَيْهِ بحسب المصطلح العصري والدولي للإرهاب الذي هُوَ عَلَى طرف نقيض مَعَ منطق القُرآن وبينهما فرق كبير، مُضَافَاً إلى ذَلِكَ أنَّ هَذِهِ الآية المُبَارَكَة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ترسم أصلاً محكماً وَقَاعِدَة خطيرة إستراتيجية ألا

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٠.

وَهِيَ [أنَّ بناء القوّة لَيْسَ لَهُ سقف يقف عنده، بَلْ هُوَ أفق مفتوح لا يتناهى، وأنَّ بناء القدرة والقوّة لَيْسَ لَهُ سقف فِي دعوة القُرآن، نعم استخدام القوّة تّجاه الآخرين ولو كانوا مِنْ الأعداء المُعتدين لَهُ سقف وَحَدّ محدود، كَمَا أنَّ استخدام القوَّة تّجاه الآخرين حالة استثنائية واضطرارية وليست حالة أوليّة فِي منطق القُرآن ومدرسة أهل البيت عليهم السلام].

وهاتان قاعدتان فِي الفِقْه السياسي، إلَّا أنَّ الكثير يخلط بين القاعدتين إمَّا بحمل الأولى عَلَى الثَّانية أو الثَّانية عَلَى الأولى لا سيّما عِنْدَ العامّة.

الدعوة للدين بفتح القلوب عبر الإلفة والمعرفة لا السيف والإرغام:

ثمَّ قالت الآية: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾[1].

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة والمزعومة أنَّها منسوخة بخلاف أسباب النُّزول الصحيحة الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام فَإنَّها ليست بمنسوخة وأنَّ منطق القُرآن يُبيِّن فلسفة الجِّهاد فِي الإسلام وأنَّ المسلم إذَا تَعَرَّض لاعتداء مِنْ قبل غَيْر المسلم فعليك بردعه والتصدّي لَهُ، بخلاف ما إذَا مَدَّ غيرُ المسلم يدَه للسلم فاجنح لَهُ، وخير شاهد ونموذج تطبيقي لقاعِدة السلم هُوَ ما صنعه رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وسبطه الإمام الحسن والإمام الحسين عليهما السلام إذْ لَمْ يستخدم الرسول صلى الله عليه وآله القوَّة

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦١.

العسكرية حَتّى فِي مَكَّة مَعَ الطرف الآخر ما دام الطرف الآخر سلميٌّ وَهُوَ الأهم حَيْثُ يصف القُرآن الكريم ما حصل مِنْ تأليف لقلوب المسلمين إبّان عصر الرِّسالة بَعْدَ أَنْ كانوا أعداءاً وإحلال روح الأخوَّة بينهم إنَّها مِنْ نعم الله الَّتِي مَنْ الله سُبْحَانَهُ بها عَلَى المجتمع الإسلامي الأوّل، ووُهِبَتْ لهم ببركة البعثة النبويّة.

وأمَّا الأحاديث والرِّوايات فَقَدْ وصف النَّبِيّ صلى الله عليه وآله المُتآلفون بقوله صلى الله عليه وآله: **«خيارُكمُ أحاسِنككم أخلاقاً الَّذِيْنَ يألفون ويؤلفون»**[1].

وقول أمير المؤمنين عليه السلام: **«طوبى لِـمَنْ يألَف النَّاس ويألفون عَلَى طاعة الله»**[2].

وقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بشأن أهميّ صلى الله عليه وآله هَذِهِ النعمة: **«... فَإنَّ الله سُبْحَانَهُ قَدْ أمتنَّ عَلَى جماعة هَذِهِ الأُمَّة فيما عَقَدَ بينهم مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الألفَةِ الَّتِي ينتقلون فِي ظِلَّها ويأوونَ إلى كنفِها، بنعمَةٍ لا يَعْرفُ أحدٌ مِنْ المخلوقين لها قيمةً، لأنها أرجَحُ مِنْ كُلّ ثَمَنٍ، وأجَلُّ مِنْ كُلّ خَطَرٍ...»**[3].

عَنْ عمّار بن أبي الأحوص، قَالَ:ـ قلتُ لأبي عبدالله عليه السلام: ... فأجابه ـ الإمام عليه السلام[4]: **«أمَّا علمت أنَّ أمارة بني أُميّة كَانَتْ بالسّيف والعسف**

---

(١) تحف العقول: ص٤٥، عَنْه بحار الأنوار: ج٧٧، ص١٤٩، ح٧٣.
(٢) بحار الأنوار: ج٧١، ص٣٨٣ ح١٧.
(٣) الإمام عليه السلام ليس الرُّواية وإنما ذكرتها للتوضيح.
(٤) الوسائل: ج١٦، كتاب الأمر بالمعروف والنهي عَنْ المنكر: ب١٤ ح٩.

والجور، وأنَّ إمامتنا ـ أمارتنا ـ بالرِّفق والتألّف والوقار والتقيّة وحسن الخِلطة والورع والاجتهاد فرغّبوا النَّاس فِي دينكم وفي ما أنتم فيه»[١].

وقول الإمام زين العابدينعليه السلام: **«حَقُّ أهلِ مِلَّتكَ إضمار السّلامة والرَّحمة لهم والرِّفق بِمُسيئهم وتآلفهم واستصلاحهم»**[٢].

بتقريب: إنَّ تأليف القلوب ـ وبالخصوص المُتنافِرة ـ عمل فيه مشقّة، وَقَدْ يُصِبحُ أحياناً مُتعذِّراً وإنْ كَانَتْ البشرية اليوم بكافة أديانها ومذاهبها وأشكالها تنشد الإلفة بين قلوب البشر والمُسلمين منهم خاصّة؛ ولذا فَإنَّ أمير المؤمنينعليه السلام يقول فِي هَذَا الصدد: **«إزالةُ الرَّواسي أسَهلُ مِنْ تأليف القلوب المُتنافِرَة»**[٣].

والإلفة عبارة عَنْ أمنٍ وسلامٍ ومصدر الألفة كَما دلَّت عَلَيْهِ الآية المُبَارَكَة ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ ...﴾ هُوَ مصدرٌ إلهي وليست وليدة قوَّة عسكرية أو أمنية أو مُزايدات عسكرية، وَعَلَيْهِ فإذا كَانَ مصدر الإلفة إلهي فَهَذَا معناه مصدرها حصر العظمة والكبرياء والصلاحيات بالباري تَعَالَى شأنه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾[٤].

بتقريب: إنَّهُ بالتّوحيد يَكُون العدل، وبالعدل يَكُون تنسيق القلوب

---

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ١٩٢؛ بحار الأنوار: ج١٤، ص٤٧٤ ح٣٧.
(٢) الخصال للصدوق: ج١، ص٥٧٠؛ تحف العقول: ص٢٧١، ح٤٩.
(٣) الكافي، للكليني: ج٨، ص٢ ح١.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

واتّساقها ـ أيّ تآلفها ـ بَلْ وَحَتّى بَعْدَ هجرة النَّبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة المنوّرة وقريش الَّتِي ما انفكت تشنّ الهجوم والغارات الليلية عَلَى المدينة المنوّرة والرسول صلى الله عليه وآله لَمْ يبدأهم بقتال، وهكذا صنع سبطه الإمام الحسين عليه السلام مَعَ أجلاف الشّام والكوفة ـ «**أكره أنْ ابدأهم بقتال**».

ولذا كَانَ تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله للجيش والسّلاح وما يستلزمه الأمر هُوَ لأجل غرض دفاعي هَذَا بحسب منطق مدرسة أهل البيت عليهم السلام وَهُوَ غَيْر منطق مدرسة الخُلفاء.

فمثلاً فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام تختلف فيها معاملة الكافر الحربي عَنْ الكافر غَيْر الحربي ـ المعاهد أو الذمّي ـ فَإنَّ الكافر الحربي أيّ العدواني المعنوي الذي يرهبونه بتهيئة العِدَّة والعدد وَكُلّ مايستلزم دحره، مَعَ أخذ جانب الحيطة والحذر مِنْ بَعْض الكفّار وإنْ ادّعوا أنَّهم يُريدون السّلم ولكنَّهم يُضمرون الغيلة والغدر، وَعَلَيْهِ فَهُمْ ليسوا بصادقين فِي سلمهم كَمَا وصفهم القُرآن الكريم بقوله: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢﴾[1].

بتقريب: أنَّ كفار قريش يخبئون خدعةً فيها عدوان وغيله وغدر، فخذوا حِذْركم وحيطتكم منهم، نعم لو كانوا صادقين بطلبهم السّلم فاجنح لها.

وأمَّا الكافر غَيْر الحربي ـ المعاهد أو الذِّمي ـ فبمنطق مدرسة أهل

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٦٢.

البيت عليهم السلام لَهُ ما للمسلمين مِنْ حقوق وتَحمُّل بَعْض المسؤوليات وفق شرائط الذِّمة الَّتِي يتّفق معه المسلمون عَلَيْهَا، فَيَكُون لَهُ ماهم وَعَلَيْهِ ما عليهم.

وأمّا بحسب مدرسة الطرف الآخر ـ العامّة ـ فالأمرُ مختلف فِي ذَلِكَ.

أسباب الإلفة البشرية ولاية الله وولاية الرسول وقربها الرسول. أي محبة الله ومحبة الرسول ومحبة أهل بيت النبِي صلى الله عليه وآله:

البشرية تنشد الإلفة:

مِنْ المباحث الأخلاقية المُهِمَّة فِي الإسلام وَالَّتِي أَكَّدَ عَلَيْهَا القُرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام هُوَ بحث الإلفة الذي فيه تأليف القلوب الذي هُوَ مِنْ أهم الأولويات التربويّة والسياسيّة فِي المدرسة الإسّلاميَّة.

والإلفة تارةً بمعنى: التأليف المادّي حَيْثُ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾[1].

وَأُخْرَى بمعنى التأليف المعنوي: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[2].

والمقيم للعدل هُوَ الله تَعَالَى ورسوله صلى الله عليه وآله ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ

---

(١) سورة النور: الآية ٤٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾(١).

بتقريب: إِنَّهُ يجب أنْ تستند ثروات الأرض ويوكل أمرها إلى الله ورسوله الخاتم ﷺ؛ لِإِنَّهُ لَمْ ولن يتحقّق العدل الإلهي المنشود فِي الأرض بشكل كامل إِلَّا بالنبي ﷺ وآله صلوات الله عليهم أجمعين؛ لِأَنَّ إسناد أمرها إلى غَيْر الله ورسوله ـ كَمَا رأته البشريّة ـ جرَّ إلى حروب وويلات ودمار وأدَّت إلى الفتن والعداوات بين البشر.

هَذَا كُلَّهُ بحسب البيانات الَّتِي يذكرها القُرآن كملحمة إعجازيّة ونبوءة قرآنية، إِنَّهُ بالنبي ﷺ وآله تتّسق وتتآلف قلوب جميع البشر فضلاً عَنْ المسلمين.

وَمِنْ لطيف وجميل ما أشار إله الزمخشري فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(٢).

بتقريب: أنَّ فرض أمر المودَّة بأهل البيت عليهم السلام ـ أيّ قُربى الْنَّبِيّ ﷺ ـ أمرٌ مفروغ عَنْهُ، بَلْ القُرآن يُطالب بحصر المودَّة بأهل البيت عليهم السلام وأنَّ (آل) فِي المودَّة للجنس أيّ حصر جنس المودَّة والولاية فِي القُربى فإذا حَصَرْتم الولاية فِي القُربى فلسوف تنعم البشرية بحياة طيّبة كريمة.

وتعبير الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ نظير الآية

---

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٣.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[1] بحصر الولاية بالله ورسوله وأهل بيته عليهم السلام.

إذَنْ القُرآن يُبيِّن ويرسم لنا واقع الإلفة الحقيقية والمحبة والتعايش السِّلمي الذي تنشده البشريّة بكافة أطيافها ومذاهبها وأديانها ومنظماتها المدنية والامنية، وأنَّ ذَلِكَ لا يتحقّق إلَّا عَنْ طريق تحقّق شيئين وَهُمَا الثقلان؛ الكتاب والعترة الطاهرة فَهُمَا كفيلان بتحقّق ونشر الأمان فِي عالم الوجود، وأمَّا تحقُّق أحدهما دون الآخر فالسّلم مُؤقت.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

تحريف أسماء سور القرآن

من نماذج أسباب النزول المحرفة

ما جاء فِي سورة براءة التوبة:

هُنَاك مبحثاً هامّاً تحت عنوان:ـ قَاعِدَة تسمية السُّور القرآنية ـ وَقَدْ تلاعبت به مدارس الطرف الآخر ـ العامّة ـ الَّتِي تبنَّت الفكر الأموي والعباسي وغيرهما تلاعباً خطيراً، واختاروا مِنْ أسماء السُّور ما يطمس حقائق خطيرة فيها؛ كي لا تنتشر فِي الذهنيّة الإسّلاميَّة استعمالها وصَدَها، وَمِنْ أسماء تلك السُّور الَّتِي تُلوعِب فيها هِيَ سورة ـ براءة ـ أيّ التّوبة، فَإنَّ قُريشاً سَمّتها بِهَذَا الاسم ـ التَّوبة ـ تعمية وتغطيةً عَلَى حقائق نورية فِي القُرآن، علماً أنَّ اسمها الحقيقي (سورة براءة).

وذكر صاحب تفسير مجمع البيان العلّامة الطبرسي أسماؤها عشرة، سورة براءة سُميت بذلك لأنها مفتتحة بها، ونزلت بإظهار البراءة مِنْ الكفّار ـ التوبة ـ سُميت بذلك لكثرة ما فيها مِنْ التّوبة كقوله: ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، ﴿فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ﴾، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ

لِيَتُوبُوٓاْ ﴾، الفاضحة: ـ عَنْ سعيد بن جُبير، قَالَ: قلتُ لابن عباس سورة التّوبة، فَقَالَ: تلك الفاضحة ما زال ينزل حَتّى خشينا أنْ لا يبقى منهم أحدٌ إلَّا ذُكِر، وسُميت بذلك لأنّها فضحت المنافقين بإظهار نفاقهم، والمبعثرة: عَنْ ابن عباس أيضاً سمّاها بذلك لأنّها تبعثر عَنْ أسرار المُنافقين أي تبحث عنها: المقشقِشة: عَنْ ابن عباس سمّاها بذلك لأنّها تبرئ مَنْ آمن بها مِنْ النِّفاق والشرك لما فيها مِنْ الدُّعاء إلى الإخلاص، وفي الحديث كَانَ يُقَال لسورتي: قل يا أيُّهَا الكافرون، وقل هُوَ الله أحد المقشقشتان سميتا بذلك لأنّهما تبرئان مِنْ الشِّرك والنِّفاق يُقَال قشقش إذَا برأه وتقشقش المريض مِنْ علته إذَا أفاق وبرئ مِنْهَا، البحوث: عَنْ أبي أيوب الأنصاري سمّاها بذلك لأنّها تتضمَّن ذكر المنافقين والبحث عَنْ سرائرهم، المدمدمة: ـ عَنْ سفيان بن عُيينة أيّ المُهلكة وَمِنْهُ قوله ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم ﴾[1].

الحافرة: عَنْ الحسن لأنّها حفرت عَنْ قلوب المُنافقين ما كانوا يسترونه.

المثيرة: عَنْ قتادة لأنّها أثارت مخازيهم ومقابحهم.

سورة العذاب: عَنْ حُذيفة بن اليمان لأنّها نزلت بعذاب الكفّار، وروى عاصم عَنْ زرّ بن حبيش عَنْ حُذيفة قَالَ: يسموها التّوبة وَهِيَ سورة العذاب فَهَذِهِ عشرة أسماء[2].

---

(١) سورة الشمس: الآية ١٥.
(٢) مجمع البيان للطبرسي: ج٥، ص١.

فتبيَّن أنَّ لسورة براءة ـ التوبة ـ عشرة أسماء وَكُلُّهَا أسماء غضب وحمم إلهية عَلَى فئات المنافقين مِنْ قريش وغيرها.

وَعَلَى أيّ حال فَإنَّ التّلاعب والتّحريف والتّغيير، وصل به الحال إلى تغيير أسماء السُّور وتحريفها والإتيان بغيرها، وَلَمْ يقتصر التّلاعب والتّحريف عَلَى روايات أسباب النُّزول، فحسب بَلْ نفذوها بتغيير أسماء السُّور وَهَذَا نوع آخر مِنْ التّحريف والتّلاعب.

إذَنْ لَيْسَ فِي أسباب النُّزول المُحرَّفة تغييب للحقائق وللبصائر والأنوار الموجودة فِي القُرآن بَلْ تعدّى الأمر إلى تحريف وتعمية أسماء السُّور.

وَعَلَيْهِ فأين يُظن حَدْسُك أنْ تطمئن بما يُبنى لديهم ـ العامّة؟!

فإنَّهم تلاعبوا حَتّى بأسماء السُّور عَلَى غَيْر ما كَانَتْ عَلَى عهد رسول الله ﷺ إذْ لو أبقوها عَلَى ما هِيَ عَلَيْهِ فِي زمن النَّبيّ ﷺ لاستفادت الأُمَّة وارتشفت مِنْ حقائق وجواهر وبصائر القُرآن الكريم.

سورة البراءة والمؤمنون مِن أصحاب رسول الله ﷺ:

تعرَّضت سورة البراءة إلى ذكر (١٣) ثلاثة عشر فرقة مذمومة مِنْ أصحاب رسول الله ﷺ فِي أواخر حياة النَّبيّ ﷺ عَلَى القول بأنَّ سورة البراءة هِيَ آخر سورة نزلت فِي القُرآن الكريم ـ وإنْ كَانَ الصحيح عَلَى القول الآخر أنَّ سورة المائدة هِيَ آخر سورة نزلت ـ

ولذا مِنْ أسماء سورة البراءة هِيَ سورة الفاضحة لأنَّها نزلت قبل رحيل رسول الله بسنتين تقريباً وَهِيَ لا زالت تَنزُّل بفضائح رجال مِمَّن هُمْ مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله، حَتّى قالت الرُّواية: «**حَتّى خشينا أنْ لا يبقى منهم أحد إلّا ذُكِر**»[١].

فَإنَّ العين المجهريّة للقُرْآن الكريم ركَّزت عَلَى أنَّ جماعات منافقة مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله، منهم مَنْ عاهَدَ الله، ومنهم مَنْ كَانَ يؤذي الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، ومنهم منافق، ومنهم مَنْ فِي قلبه مَرَضٌ ومنهم ... الخ حَتّى أنَّ مِنْ بَعْض أسماء سورة البراءة هِيَ سورة القارعة؛ لأنَّها تقرع رؤوسهم بالفضائح والدفائن والمُخططات العدوانيّة الَّتِي أضمروها وانطوت عَلَيْهَا سرائرهم.

النموذج الثالث عَلى دحض أسباب النزول الملفقة[٢]:

ذُكِرَ فِي سورة براءة (التوبة) أنموذجاً ثالثاً لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة عَلَى غرار النموذجين السّابقين فِي سورتي آل عمران والأنفال وَهُوَ قوله تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ﴾[٣].

بتقريب: أنَّ روايات أسباب النُّزول المُزيّفة ادّعتْ أنَّ الثَّانِي اعترض عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله بشدّة أو مسك رداء الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وَقَالَ لَهُ: كيف تصلي

(١) مجمع البيان للطبرسي: ج٥، ص١.

(٢) تَقَدَّمَ النموذج الأوَّل لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة وَهُوَ آيات مِنْ سورة آل عمران فِي خصوص معركة أُحُد، والنموذج الثَّانِي كَانَ فِي آيات مِنْ سورة الأنفال حول معركة بدر، وَهَذَا هُوَ النّموذج الثَّالِث لدحض أسباب النُّزول المُلفَّقة فِي سورة براءة.

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٤.

عَلَى عبدالله بن أُبي بن سلول وتقوم عَلَى قبره ... الخ إلى أنْ اضطر النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أنْ يقول للثّاني: «**ما يُدْريك أدعوا لَهُ أو أدعو عَلَيْهِ**».

عَنْ أبي عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ: لما مات عبدالله بن أبي سلول حضر النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - جنازته، فَقَالَ عمر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يا رسول الله: ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فسكت، فَقَالَ يا رسول الله ألم ينهك الله أنْ تقوم عَلَى قبره؟ فَقَالَ لَهُ: ويلك وما يُدريك ما قلت إنِّي قلت: اللَّهُمَّ احشِ جوفه ناراً واملأ قبره ناراً واصله ناراً، قَالَ أبو عبدالله عَلَيْهِ السَّلَامُ: فأبدى مِنْ رسول الله ما كَانَ يكره[1] وادّعت أسباب النُّزول المُزيّفة أنَّ هَذِهِ الآية نزلت دعماً وتأييداً وتصويباً لموقف الثَّانِي، وتخطئة النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، هَذَا هُوَ ديدن أسباب النُّزول المُلفَّقة بأنْ تنسب الخطأ إلى النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وتلومه عَلَى ذَلِكَ، وَبَعْدَ معرفة هَذَا هل يُعْقل الاعتماد عَلَى مثل هكذا موازين مغلوطة ومخلوقة ومدسوسة ومصطعنة تشكِّل خطراً يمسّ معتقد المسلمين كعقيدة النبوّة مثلاً، وَهَذَا ما ذهب إليه واعتمد عَلَيْهِ بَعْض مَنْ هُوَ محسوب عَلَى الإسلام وَهُوَ منهم بُراء كالفكر السّلفي بَلْ وعامَّة المسلمين؛ غير أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مثلاً الَّذِينَ تبنوا تخطأة النَّبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كباقي المجتهدين فِي الوقوع فِي الخطأ ورتّبوا - السّلفية - عَلَى ذَلِكَ أموراً مِنْهَا:

١ - حرمة زيارة القبور.

---

(١) الكافي، للكليني: ج٣، ص١٨٨.

٢ ـ حرمة زيارة الأضرحة.

٣ ـ حرمة الدُّعاء عِنْدَ القبر والتّوسل لله بحرمة صاحب القبر و ... الخ.

فيا أَيُّهَا الباحث الكريم المُتأمّل انظر إلى ما جَرَّت إليه روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة وما جَرَى عَلَى المسلمين مِنْ ويلات ومأسات وكلفتهم دماء وأموال بسببها إِذَا ابتدأت بالبحث العقائدي وانتهت ببحث فقه الفروع.

وَهُنَاك قسمٌ آخر مِنْ روايات أسباب النُّزول المُحرَّفة لديهم أشدّ شناعة عَلَى الرسول ﷺ إِذْ يقول: إنَّ هَذِهِ الآية ٨٤ مِنْ سورة البراءة، نزلت قبل أنْ يُصلي النَّبيّ ﷺ عَلَى عبدالله بن أبي بن سلول، وَكَانَ اعتراض الثَّانِي عَلَى رسول الله ﷺ أَنَّهُ لماذا لَمْ تتقيّد يا رسول الله بهذه الآية الكريمة، أَوَ لَمْ يُنهِكَ الله عَنْ الصَّلاة عَلَى المُنافقين فكيف إِذَنْ تُصلّي عليهم، وَهَذَا القسم مِنْ الرُّوايات أعظم شناعة عَلَى رسول الله ﷺ فإِنَّها تذكر أَنَّ الآية نزلت بنهي النَّبيّ ﷺ عَنْ الصَّلاة عَلَى المُنافقين وَمَعَ ذَلِكَ حسب زعمهم يرتكب النَّبيّ ﷺ المُخالفة وتكون غَيْرَة وحرص الثَّانِي عَلَى الدِّين أشدّ مِنْ غَيْرَة النَّبيّ ﷺ! وَهُنَا تكمن خطورة أسباب النُّزول المُزيّفة فِي التجرأ عَلَى مقام النّبوة وشخص النَّبيّ الأكرم ﷺ، ما لكم كيف تحكمون، بَلْ رانَ عَلَى قلوبهم فَإِنَّ رسول الله ﷺ هُوَ الغيور الأمين عَلَى الشّريعة وَالدِّين والمُحامي والمُدافع عَنْ الإسلام والمسلمين.

وَعَلَيْهِ فكيف يمكن تعقُّل هكذا أسباب نزول مُلفَّقة لا تُفرِّق بين النَّبيّ وغيره، وجعلت مَنْ هُوَ عين الوحي مفضولاً لِـمَنْ عبد الوثن وعاقر

الحمير أربعين عاماً، والإمام والمأموم فإنّها جعلت المفضول فاضلاً والمأموم إماماً، وَهَذَا لَهُ تداعيات خطيرة جدّاً تمس العقيدة.

أولاً: أنَّ أصحاب المذاهب الإسّلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام استدلّوا بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقة المُتقدِّمة فِي سورة آل عمران والأنفال وسورة التوبة عَلَى عدم عصمة الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي التّحاكم السّياسي، وفي تدبيره لِأُمُور الدَّولة وما شابه ذَلِكَ مَعَ أنَّ القُرآن يشهد للنبي صلى الله عليه وآله بالعصمة فِي تدبير الحكم مِنْ جهة بُعْد الموضوعات.

ثانياً: أنَّهم رتّبوا عَلَى روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة بحوثاً وعناوين خطيرة جدّاً فِي مثل كتبهم الأصوليّة ـ أصول الفِقْه ـ كعنوان [هل للنبي صلى الله عليه وآله أنْ يجتهد].

بتقريب: بمعنى أنَّ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله ـ والعياذ بالله ـ يجهل الشيء فَلابُدَّ أنْ يجتهد لتحصيل علمه، وهكذا عنوان آخر [هل يخطئ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله أو لا] و ... الخ.

وبإثارة هكذا بحوث تولّد لديهم مثل هل يمكن الاعتراض عَلَى الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله أو لا؟ أو هل يمكن الردّ عَلَى الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله أو لا؟ هكذا بنوا عقائدهم وفقههم.

ثالثاً: يلزم مِنْ الأخذ والعمل بروايات أسباب النُّزول المُلفَّقة مِنْ دون تمحيص وتحقيق وغربلة للأفكار وعرضها عَلَى مُحكمات الكتاب

والسُّنة، الإسفاف[١] بفعل الله؛ لِأَنَّ المُرْسَل ـ بالفتح ـ وَهُوَ النَّبِيّ ﷺ يُنبيء عَنْ حكمةِ المُرْسِل ـ بالكسر ـ وَهُوَ الله تَعَالَى، وَيَكُون المعنى عندهم حسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة: أنَّ الباري تَعَالَى اشتبه وأرْسَل النَّبِيّ ﷺ وَلَمْ يُرسِل غيره؟ وَلَيْسَ هَذَا المعنى تجني عليهم وَإِنَّما هُوَ مُدَوَّنٌ فِي روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة الَّتِي اعتمدوها فِي فَهْمْ مَعْنَى الآيات، والمشكلة الأعظم أنَّ مثل هكذا روايات أسباب نزول مُلفَّقة تسرّبت إلى كُتبنا، وسنُبيِّن لاحقاً فِي محله المُناسِب ـ إنْ شاء الله ـ إنَّهُ بحسب روايات وبيانات أهل البيت عليهم السلام أَنَّهُ كيف جعلت هَذِهِ الرُّوايات المُزيّفة المثلبة لبعض الصّحابة منقبةً.

بيان نقاط الزيف والتلفيق فِي روايات أسباب النزول:

فِي سورة براءة ٨٤:

هُنَاكَ عِدَّة نقاط للزيف فِي سورة براءة حاولت أسباب النُّزول المُلفَّقة والأقلام المأجورة قلب الحقائق فيها وحجب الأبصار عنها إِلَّا أَنَّهم لَمْ يفلحوا بذلك وَهِيَ:

النقطة الأولى: إنَّ صِرْف مفاد الآية الكريمة لا يَدُلّ عَلَى عتاب شديد مِنْ الله تَعَالَى إلى النَّبِيّ ﷺ أو تخطئة النَّبِيّ ﷺ، ولذا يصعب عَلَى المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يَخرُجَ مِنْ هكذا أجواء موبوءة ورديئة شحنت

---

(١) الإسفاف: أيّ لَيْسَ لكلامه مَعْنَى.

بهكذا روايات مخلوقة ومكذوبة، وَيَكُون النَّظر إلى الرُّواية بلون لَيْسَ واقعي، وَهَذَا أحد أهم أزمات ومشاكل أسباب النّزول الَّتِي تسبب إشباع الأذهان بجرعات خاطئة مِنْ الرُّوايات، ولذا يَكُون التشافي مِنْ هكذا روايات أسباب نزول مُلفَّقة أمرٌ فِي غاية الصعوبة، فوقع الكثير مِنْ الْمُفَسِّرِين فِي وَحْلِ وشراك هَذِهِ الرُّوايات الْمُزيَّفة وَلَمْ يستطيعوا النَّجاة بأنفسهم مِنْهَا.

ولذا يجب عَلَى الباحث وَالْمُفَسِّر النّاجح والفاحص عَنْ الحقيقة أنْ لا يبتعد عَنْ روايات مدرسة أهل البيت عليهم السلام والعرض عليها إذْ هِيَ كاشفة عَنْ زوايا الحقيقة والمبيِّنة لأوجه الزيف فِي روايات أسباب النُّزول والابتعاد عَنْ أسباب النُّزول الْمُلفَّقة ولا يُلوِّث ذهنه بها ويحرر نفسه مِنْ قيودها.

فالصحيح بحسب روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام أنَّ هَذِهِ الآية مِنْ سورة براءة/ ٨٤ لَيْسَ فيها عتاب وتنديد أصلاً وَإِنَّما فيها تشريع وتأكيد عَلَى أبديّة أنَّ هؤلاء المنافقين لا يُصَلَّى عليهم أبداً ولا يُقام عَلَى قبورهم لأجل الدُّعاء لهم بخلاف الدُّعاء عليهم، أمَّا أَنَّهُ فِي الآية عتاب وتنديد بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه ـ فَهَذَا أوّل الكلام.

المنهي عنه مغاير لما قام به النبي صلى الله عليه وآله:

النقطة الثانية: ما الْمُرَاد مِنْ النّهي عَنْ الصَّلاة عَلَى مثل هؤلاء الْمُنافقين فِي الآية الْمُبَارَكَة ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾؟ هل الْمُرَاد لا تُصَلِّ صلاة الأموات

عَلَى هَذَا المُنافق أم المُراد المعنى اللغوي للصلاة وَهُوَ الدُّعاء؟

إِنَّهُ حسب أسباب النُّزول الصّحيحة الواردة فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام المُراد مِنْ الصَّلاة معناها اللّغوي أيّ لا تدعُ للمُنافق بقرينة ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾؛ لِأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كَانَ مِنْ سجيّته أنْ يقوم عَلَى قبر الميّت ويُكْثِر لَهُ مِنْ الدُّعاء لِيُخَفف عَنْهُ العذاب والسؤال و ... الخ.

وَلَيْسَ المُراد مِنْ ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ النَّهي عَنْ صلاة الأموات فالله تَعَالَى لَمْ ينه نبيّه صلى الله عليه وآله عَنْ أصل الصَّلاة الذي هُوَ شعيرة إسلاميّة لا صلة لها بالميّت المُنافق فَإنَّ المُنافق والنّاصبي و ... الخ لا يُدْع لَهُ فِي الصَّلاة عَلَى الميّت وَإنّما يُدْعى عَلَيْهِ، كَمَا هُوَ واضح فِي التكبيرة الرَّابعة فِي الصَّلاة عَلَى الميّت فَإنَّ فيها دعاءاً فإنْ كَانَ الميّت كافراً أو مُنافقاً فَإنَّهُ لا يُدْع لَهُ وَإنَّما يُدْعى عَلَيْهِ، كَمَا فِي الآية المُبَارَكَة ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾﴾[(١)].

بتقريب: أنَّ مَنْ يتشفع لمنافق أو مُعانِد فَإنَّهُ يؤزر ويؤثم إلى أنَّ بيَّنت الآية: ـ أنَّ إبراهيم عليه السلام لما تبيَّن أنَّ آزر عدوّاً لله تبرّأ مِنْهُ فَإنَّه الكافر أو المنافق لا يستغفر لَهُ؛ لِأنَّ الاستغفار لعموم المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الوارد فِي تكبيرات الصَّلاة عَلَى الميّت لا يشمل المنافق لِأنَّ الدُّعاء للمسلم وَالمُراد مِنْ المسلم أيّ المسلم الحقيقي الذي إسلامه بقلبه لا بلسانه أيّ لا

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٥.

المسلم الصّوري الذي إسلامه بلسانه فَقَطْ ويُعاند الله ورسوله فِي قلبه والمنافق مِنْ قسم المسلم الذي أسلم بلسانه فَقَطْ دون قلبه، وَعَلَيْهِ فلا يسوّغ الدُّعاء فِي الصَّلاة عَلَى الميّت للمنافق والكافر وَإِنَّما يُدْعى عَلَيْهِ لا لَهُ، والتعليل ظاهر فِي الآية ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾[1].

بتقريب: أَنَّهُ لا يمكن الدُّعاء للمنافق بحسب ظاهر الآية، وَهَذَا لا علاقة لَهُ بتعطيل معلم ديني عظيم ألا وَهُوَ الصَّلاة عَلَى الميت، وَعَلَيْهِ فما هُوَ وجه الربط بين الصَّلاة والمُنافقين.

وَمَعْنَى «**لا تقم عَلَى قبره**» أيّ لا تدع لَهُ، هَذَا كُلَّهُ بحسب ما نبَّهت عَلَيْهِ روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، مِنْ نكات فِي ألفاظ الآيات وأمَّا بحسب روايات أسباب النُّزول المُلفَّقة وَالَّتِي هِيَ عِنْدَ الطرف الآخر ـ العامّة ـ فكُلّ ما فيها هُوَ لأجل تبرير خطأ الثاني عِنْدَ اعتراضه عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وتصويب فعله ولو انجرّ إلى تخطئة النَّبيّ صلى الله عليه وآله، وَمِنْ العجيب والغريب أنَّ غَيْر رسول الله صلى الله عليه وآله تكون عنده حميّة أكثر عَلَى الدِّين مِنْ حامي وراعي الشّريعة وَالدِّين وَهُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنَّ هَذَا يُرَى فِي مواطن عديدة مِنْ مباحث التفسير الَّتِي تُزوِّق أسباب النُّزول المُزيّفة ويحاولون إظهارها بالوجه الذي تُكتب فيه حَصانة لبعض صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله بما تفوق حصانة النَّبيّ صلى الله عليه وآله نفسه عِنْدَ الطرف الآخر.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

إنَّ أعداء الله ورسوله مِنْ الكافرين والمنافقين لا يُستغفر لهم ولا يترحم ولا يُترضى عليهم ولا يُتشفع لمثل هؤلاء وإنْ أظهروا صورة الإسلام فَإنَّ مثل هؤلاء وصفهم القُرآن الكريم ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[(١)].

ولذا عِنْدَمَا أَلَحَّ وأصرَّ الثَّانِي عَلَى رسول اللهﷺ وَأَنَّهُ لَمْ يصلِ الرسولﷺ عَلَى هَذَا المنافق اضطر الرسولﷺ أنْ يقول للثاني: «**ويحك وما تدري ما قلت فِي صلاتي دعوت عَلَيْهِ أم لَهُ**».

وَهُنَاك رواية عَنْ الإمام الصادقعليه السلام فِي صدد هَذَا الاعتراض الخاطئ مِنْ الثَّانِي عَلَى رسول اللهﷺ: ـ أنَّ الثَّانِي كَانَ سبباً فِي إفصاح النَّبِيّﷺ عَنْ شيء كَانَﷺ يكتمه، وَكَانَ غرض الْنَّبِيّﷺ مِنْ الصَّلاة عَلَى عبدالله بن أبي ابن سلول هُوَ احتراماً لابنه عبدالله.

وفي رواية عَنْ الباقرعليه السلام أنَّ عمر عِنْدَمَا اعترض عَلَى الْنَّبِيّﷺ فِي الصَّلاة عَلَى عبدالله بن أبي سلول فقال لَهُ رسول اللهﷺ: «**... ما رأيتنا صلّينا لَهُ عَلَى جنازة ولا قمنا لَهُ عَلَى قبر**» ثمَّ قَالَ: إنَّ ابنه رجلٌ مِنْ المؤمنين وَكَانَ يحقّ علينا أداء حقّه، وَقَالَ لَهُ عمر أعوذ بالله مِنْ سخط الله وسخطكِ يا رسول الله![(٢)].

كَذَلِكَ كَانَتْ صلاة الْنَّبِيّﷺ عَلَى عبدالله بن أبي بن سلول طمعاً فِي

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص١٥٢.

هداية جماعة مِنْ آل أبي سلول وغيرهم، وفعلاً أسلم المئات منهم، بَلْ أسلم ألف مِنْ الخزرج لمّا رؤا النَّبيّ صلى الله عليه وآله، كَمَا فِي تفسير مجمع البيان للطبرسي: - أَنَّهُ صلى الله عليه وآله صلّى عَلَى عبدالله بن أُبي وألبسه قميصه قبل أنْ يُنهى عَنْ الصَّلاة عَلَى المنافقين، عَنْ ابن عباس وجابر وقتادة وَقِيلَ أَنَّهُ أراد أنْ يُصلّي عَلَيْهِ فأخذه جبرئيل بثوبه وتلا عَلَيْهِ ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم ﴾ الآية، وَقِيلَ: إِنَّهُ قِيلَ لرسول الله صلى الله عليه وآله لَمْ وجّهت بقميصك إليه يكفن فيه وَهُوَ كافر، فَقَالَ: إنَّ قميصي لن يغني عَنْهُ مِنْ الله شيئاً، وَإِنِّي أؤمل مِنْ الله أنْ يُدْخل بِهَذَا السبب فِي الإسلام خلقٌ كثير، فروي أَنَّهُ أسلم ألف مِنْ الخزرج لما رؤوه يطلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وآله[1].

وَهُنَاك أهداف أُخْرَى لرسول الله صلى الله عليه وآله وَلَمْ يرتكب الرسول صلى الله عليه وآله ما نهاه الله عَنْهُ لِأَنَّ الذي نُهِيَ عَنْهُ هُوَ الدُّعاء للميت لا أصل الصَّلاة كشعار إسلامي، كَمَا فِي قول رسول الله صلى الله عليه وآله للثاني عِنْدَمَا اعترضه فِي الصَّلاة عَلَى عبدالله بن أُبي، فَقَالَ لَهُ الرسول صلى الله عليه وآله: **«ويلك وهل يُدرى ما قلت لَهُ؟ إِنَّما قلت اللَّهُمَّ اغش قبره ناراً وجوفه ناراً وأَصلِه النار فبدا مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله ما لَمْ يكن يحب»** وفي رواية أُخْرَى أنَّ النَّبيّ صلى الله عليه وآله، قَالَ للثاني: **«ويحك أو ويلك إِنَّما أَقُول: اللَّهُمَّ املأه قبره ناراً واملأ جوفه ناراً وأصله يَوُم القيامة ناراً»**[2].

---

(١) مجمع البيان للطبرسي عَنْهُ تفسير نور الثقلين: ج٣، ص١٥٢.
(٢) تفسير الصّافي للفيض الكاشاني: ج٢، ص٢٥٧.

اعتراض الثاني على رسول الله ﷺ

كاد يفشل برنامجه ﷺ:

إنَّ البرنامج الذي كَانَ يسير عَلَيْهِ رسول الله ﷺ فِي هَذَا المجال هُوَ البرنامج الذي رسمه لَهُ القُرآن الكريم فِي الآية المُباركة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[(١)].

بتقريب: إنَّ أحد البراهين عَلَى إمامة أئمة أهل البيت عليهم السلام هُوَ أَنَّهُ لا يُفهم مغزى سيرة النَّبيّ ﷺ إلَّا مَنْ كَانَ مِنْ رسول الله ﷺ بمنزلة هارون مِنْ موسى وَمَنْ قَالَ فِي حقّه رسول الله ﷺ: **«أنا مدينة العلم وعليّ بابها» «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها» «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»**[(٢)] **«أنا مدينة الفِقْه وعليّ بابها»**[(٣)] قَالَ رسول الله ﷺ: **«خلق النَّاس مِنْ شجرٍ شتّى وخُلقت أنا وابن أبي طالب مِنْ شجرة واحدة أصلي عليّ وفرعي جعفر»**[(٤)] وَقَالَ علي عليه السلام، قَالَ: **«قَالَ رسول الله ﷺ النَّاس مِنْ أشجار شتّى وأنا وَأَنْتَ يا علي مِنْ شجرة واحدة»** و ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[(٥)].

بتقريب: أنَّ هَذَا المقام ـ أيّ مقام أنفسنا وأنفسكم ـ لَمْ يثبته القُرآن

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٠١.

(٢) أمالي الصدوق: ص٤٢٥؛ الغدير للأميني: ج٦، ص٨١.

(٣) مستدرك سفينة البحار، علي النمازي: ج٨، ص٢٨٨.

(٤) الخصال للصدوق: ص٢١.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام للصَّدوق: ج٢، ص٦٨.

الكريم لا لنوح ولا لإبراهيم ولا لعيسى و ... إنَّ هؤلاء الأنبياء لَمْ يكونوا بمنزلة نفس النَّبيّ صلى الله عليه وآله إلَّا علي بن أبي طالب عليه السلام، وَهَذَا ما اجاب به الإمام الرضا عليه السلام عِنْدَمَا سأله المأموم العبّاسي عَنْ أعظم منقبة لعلي عليه السلام، حَيْثُ قرأ الآية ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[1] **وبتقريب:** أنَّ هَذِهِ المنقبة لَمْ يمتلكها لا ملكٌ مقرَّب ولا نبي مُرْسل ولا ... الخ وَمَنْ كَانَتْ أوصافه ومناقبه مزيدة بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ علي بن أبي طالب عليه السلام فيمكن أنْ يَكُون الحافظ لسُنّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وسيرته؛ ولذا قَالَ الإمام الصادق عليه السلام: «**هُمْ اخطأوا فِي فَهْم سُنّة النَّبيّ صلى الله عليه وآله وَلَمْ يَرْعوها حقّ رعايتها**» وَالقُرآن يقول: ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[2] **بتقريب:** أنَّ لَيْسَ كُلّ الصَّحابة يمتلكون أذناً واعيةً عدا أمير المؤمنين علي إبن أبي طالب عليه السلام، ولذا كَانَ هُوَ الأحقّ بحفظ الشّريعة وحمايتها بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله.

الوصي هو الحافظ الوحيد لسنة النبي صلى الله عليه وآله وسيرته نصرة ورعاية:

وَمَعَ كُلّ هَذَا تعترض مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ وَأَنَّهُ لماذا تَخصّون كُلّ ذَلِكَ بـ (علي عليه السلام) فَإنَّ سائر الصّحابة لرسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً تلقُّوا الحديث عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله؟

إنَّ الصّحابة الَّذِيْنَ كانوا يعيشون مَعَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وملتفون حوله، فَإنَّ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٦١.

(٢) سورة الحاقّة: الآية ١٢.

كثيراً مِنْ الموارد والمواقف الَّتِي كَانَتْ تصدر مِنْ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله لا يفهمون دواعي وأغراض الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله مِنْهَا؛ لِإِنَّهُ صلى الله عليه وآله كَانَ يعيش فِي أفق عقلي وقلبي عظيم، لَمْ يستطع الصّحابة فهمه وَلَمْ يمتلكوا المُؤهلات الكافية لفهمه، وما تلقوه مِنْ الحديث كَمَا يَدّعون عَنْ رسول الله صلى الله عليه وآله فَإِنَّهُ كَانَ مُجَرَّد أصوات ولقلقة ألفاظ أو أنَّها مُجَرَّد أفعال كانوا يرونها تصدر عَنْ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأمَّا فَهْم ما وراء ذَلِكَ فلا أحد يقوى عَلَيْهِ بَعْدَ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله إلَّا علي بن أبي طالب عليه السلام وَمِنْ بعده الحسن والحسين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ولذا مِنْ ثوابت ومُعتقدات مدرسة ومنهج أئمة أهل البيت عليهم السلام هُوَ أنَّ الحافظ لحقيقة الشّريعة والمُؤتمن عَلَيْهَا لابُدَّ أنْ يفهم أفق الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَهَذَا لا أحد يستطيع أنْ يدّعيه أو يتمثّله إلَّا أمير المؤمنين عليه السلام والحسن والحسين عليهما السلام والتّسعة المعصومين عليه السلام مِنْ ذريّة الحسين عليه السلام إذَنْ لا يتسنى ذَلِكَ لمطلق البشر وَإِنَّمَا يتسنى للبشر بوصف كونهم يوحى إليهم، والمُصداق الأوَّل لهذا الوصف بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ علي بن أبي طالب عليه السلام.

عبارة لطيفة لابن سينا فِي حق أمير المؤمنين عليه السلام:

فِي رسالة المعارج، حَيْثُ قَالَ: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مركز الحكمة، وفلك الحقيقة، وخزانة العقل، ولقد كَانَ بين الصّحابة كالمعقول بين المحسوس[1] وَهَذَا معناه أنَّ علياً بن أبي طالب عليه السلام كَانَ يعيش

---

(١) الأربعين للماحوزي: ص٢٤٠.

فِي أُفق الْنَّبيّ ﷺ ووحيه وقلبه وعقله وغيبياته ﷺ أمَّا سائر الصّحابة عدا أمير المؤمنين علي عليه السلام كانوا يعيشون مَعَ بدن الْنَّبِيّ ﷺ، لهذا السبب وغيره كَانَ يصف الْنَّبِيّ ﷺ علياً عليه السلام بأنه بمنزلة هارون مِنْ موسى إِلَّا أَنَّهُ لا نبي مِنْ بعدي مَعَ أَنَّ القُرآن يخبرنا عَنْ هارون «**وأنزلنا عَلَى موسى وهارون**»».

بتقريب: أنَّ أصل الإيحاء والإنزال كَانَ عَلَى موسى عليه السلام، إِلَّا أَنَّ ذبذبات الوحي كَانَتْ تنعكس عَلَى هارون، كَذَلِكَ أمواج الوحي الَّتِي كَانَ يسمعها الخاتم ﷺ تنعكس عَلَى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فَإِنَّ هَذِهِ الوحيانيات الَّتِي تُفاض مِنْ الباري عَلَى الْنَّبِيّ ﷺ بواسطة الوحي فالرسول ﷺ يُفيضها ويأمر مِنْ الله عَلَى سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام وحيانياً لا لسانياً.

هَذَا مُضَافاً إِلى أَنَّهُ أوليس القُرآن ينهى عَنْ التقدّم بين يدي الله ورسوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

بتقريب: أَيُّهَا المؤمنون لا تسرعوا إِلى قولٍ أو فعلٍ يرجع أمره إِلى الدِّين والمصلحة العامّة وتتّخذوا أزاءه موقفاً قبل أَنْ يقضي به الله عَلَى لسان رسوله الكريم ﷺ، فَيَكُونَ الاعتراض عَلَى الله ورسوله منهيّاً عَنْهُ مِنْ باب أَوْلى.

وتروي أسباب النُّزول المُزيّفة أَنَّ الأوّل والثاني كادا يُهْلكا فِي هَذِهِ الآية ﴿... لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ بسبب تقدمهما عَلَى رسول

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١.

الله صلى الله عليه وآله.

فإذا كَانَ منطق القُرآن وقانونه ينهى عَنْ عدم التقدّم والمسارعة إلى استباق النَّبيّ صلى الله عليه وآله فكيف يروون بحسب أسباب النُّزول المُلفَّقة خمسة أو ستة مواطن حسّاسَة وخطيرة مِنْهَا ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ فِي سورة آل عمران فيما يتعلّق فِي معركة أُحُد، وفي سورة الأنفال ما يتعلّق بغزوة بدر، وفي سورة براءة وما يتعلّق بالعتاب الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله وتخطئته ولومه فِي الصَّلاة عَلَى بَعْض المُنافقين كعبدالله بن أبي ابن سلول، وفي سورة الأحزاب وغيرها، علماً أنَّ القُرآن الكريم نبّه المسلمين عَلَى دقّة المعاملة مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله الذي هُوَ بين ظهرانيكم، وأنَّ معاملتكم لَهُ وكونه مُرْسَلاً مِنْ قِبَل ربِّ العِزَّة، إليكم ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ﴾[1].

بتقريب: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لو كَانَ يتابعكم عَلَى مثل ما تريدون وتقترحون ويُلبي رغباتكم لوقعتم فِي المشقّة والفساد والحرج ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾[2].

وَالمُراد مِنْ الإيمان أيّ طاعة رسول الله وعدم مخالفته والاعتراض عَلَيْهِ ﴿وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ﴾[3]، **بتقريب:** أنَّ مخالفة رسول الله صلى الله عليه وآله كفر وفسوق وعصيان مُضَافاً لما تَقَدَّمَ فِي سورة آل عمران ﴿وَشَاوِرۡهُمۡ

---

(١) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٢) سورة الحجرات: الآية ٧.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٧.

﴿فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾[(١)] **بتقريب: أَنَّكَ** يا رسول الله إِذَا عزمت فتوكَّل عَلَى الله وَلَيْسَ هُمْ إِذَا عزموا وَمِنْ الواضح أَنَّ هَذِهِ النداءات المُتكرِّرة فِي القرآن فِي موارد عديدة تُركِّز عَلَى منهج إطاعة الرسولﷺ ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾[(٢)] وَقَدْ ذكر أمير المؤمنينعليه السلام فِي نهج البلاغة: **«اتقِ الله بَعْض التُقَى وإنْ قَلَّ، واجعل بينك وبين الله سِتراً وإنْ رَقَّ»**[(٣)].

وأدنى شيء يتقي الإنسان به خالقه هُوَ أَنْ يكفّ عَنْ قول: لو أَحَلَّ الله هَذَا الشيء الذي حَرَّمه، أو حَرَّم ذاك الذي أحلَّ، ويا ليت النَّبيّﷺ فعل كذا أو لَمْ يفعل الذي فَعَل وقوله ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢﴾ و ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ و ﴿لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ۝٤﴾، وما إلى ذَلِكَ مِنْ الجُرأة والجهل.

وَبَعْدَ كُلّ هَذَا فكيف نقبل هَذِهِ الرُّوايات المُزيّفة الَّتِي تقول: بأَنَّ القُرآن الكريم ينزل بتصويب الثَّانِي وتخطئة موقف النَّبِيّﷺ، هلّا نزل الوحي عَلَى النَّبِيّﷺ قبل أَنْ يخطأ ويَعترض عَلَيْهِ الثَّانِي.

والإمام زين العابدينعليه السلام يصف تعظيم الله للنبيﷺ: **«... إنَّ الله تَعَالَى أمر فِي القُرآن بتعظيم النَّبِيّﷺ وبمراسيم وكيفية لَمْ تعظم بها ملوك**

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) سورة الحجرات: الآية ١.

(٣) نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

الأرض كلهم، وَهُوَ أنَّ لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله»[١].

وَإنَّما لابُدَّ أنْ تكون أصواتكم عِنْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله بخشوع وخضوع وَإلَّا يحبط عملكم بما فيها العقيدة والإيمان؛ لِأنَّ الأدب مَعَ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله شرط فِي قبول الإيمان، وَعَلَيْهِ فَإنَّ تركيز وتشديد القُرآن عَلَى تعظيم أمر طاعة الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله لَيْسَ أمراً مجاملياً مبالغاً فيه وَإنَّما يعكس مدى حقيقة عظمة هَذَا المخلوق لله تَعَالَى فاعرفوا قَدَرُه والقُدْرة الإلهية فيه.

وأنَّ الله تَعَالَى خصَّ الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله وآله بخصائص عِدَّة كَمَا ذكرها الإمام علي بن الحسين عليه السلام فِي دعائه فِي ذكر آل مُحَمَّد عليهم السلام: **«اللَّهُمَّ يا مَنْ خصَّ مُحَمَّداً وآله بالكرامة وحَبَاهُم بالرِّسالة وخَصَّصَهُم بالوسيلة وجعلهم وَرَثَة الأنبياء، وختم بهم الأوصياء والأئمة وجعل افدئة مِنْ النَّاس تهوي إليهم ... الخ»[٢].**

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: ـ إذَا كَانَتْ منزلة الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي القُرآن بهذه المثابة فكيف يحتمل أنْ تنزل آية قرآنية تحطّ مِنْ قَدْر منزله الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله ـ وحاشاه مِنْ ذَلِكَ ـ وَهَذَا يكشف أنَّ تلك الرُّوايات الَّتِي ذكرت ذَلِكَ ما هِيَ إلَّا مُزَيَّفة ومُلفَّقة ومكذوبة، ومُناقضة لُمحكمات وأصول القُرآن.

زيارة القبور والدعاء عندها للميت عبادة:

جرت سُنَّة الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله أنَّهُ إذَا مات أحدٌ مِنْ الصّحابة فَإنَّهُ صلى الله عليه وآله يُصلّي عَلَيْهِ ويقف عَلَى قبره ويستغفر لَهُ ويقول لِـمَنْ حضر: ـ **«استغفروا**

---

(١) المصدر.

(٢) الصحيفة السجاديّة مِنْ دعائه فِي ذكر آل مُحَمَّد عليهم السلام.

لأخيكم وسلوا التثبت لَهُ فَإِنَّهُ الآن يُسأل ... الخ» هكذا كَانَتْ سنة الْنَّبِيّ ﷺ عَلَى القيام عَلَى القبر، قبل نزول الآية ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾[1].

بتقريب: إِنَّهُ بَعْدَ نزول الآية والخطاب فيها مُوجَّه إلى الْنَّبِيّ ﷺ، وضمير (منهم) يعود عَلَى الْمُنافقين امتنع الْنَّبِيّ ﷺ مِنْ الصَّلاة عَلَى الْمُنافقين لصراحة الآية فِي النَّهي عَنْ الصَّلاة عليهم والوقوف عَلَى قبورهم للدعاء لهم، ولَعَلَّ سبب هَذَا النَّهي كَانَ لأجل إصرار الْمُنافقين عَلَى الكفر بالله ورسوله باعتبار أَنَّ الْمُنافق أحد أقسام الكُفّار، بَلْ هُوَ أسوأ حالاً مِنْ الكافر؛ لِإِنَّهُ يبطن الكفر ويُظهر الإسلام، فلعلَّه لأجل هَذَا السبب وغيره تحرم الصَّلاة عَلَى جنازته لصراحة الآية فِي ذَلِكَ.

وهكذا قوله تَعَالَى فِي وصف حال هؤلاء الْمُنافقين والمشركين ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[2] هَذَا بالنِّسبة للمنافق والكافر.

وأمَّا بالنسبة إلى المسلم والمؤمن فاذهب يا رسول الله إلى قبره وزره وادعوا الله هُنَاك، فضلاً عَنْ الأحاديث الواردة عَنْ الْنَّبِيّ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام،

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨٤.

(٢) سورة التوبة: الآية ١١٤.

فما وَرَدَ عَنْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله: «ما بين قبري ومنبري روضة مِنْ رياض الجنَّة»[١].

وفي هَذَا حَثٌّ للمسلمين للتقرّب إلى الله عِنْدَ قبر النَّبِيّ صلى الله عليه وآله، نظير الحثّ الوارد فِي الآية ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[٢].

بتقريب: أنَّ الموجود فِي مقام إبراهيم الخليل عليه السلام عبارة عَنْ حجر لامس بَدَن النَّبِيّ إبراهيم الخليل عليه السلام، وببركة هَذِهِ الملامسة كَانَتْ للمقام هَذِهِ المزيّة وَهُوَ أنْ يتّخذ مُصَلًّى، فكيف بقبر إبراهيم الخليل عليه السلام فِي مدينة الخليل الذي فيه جثمانه عليه السلام.

فما بالك بِمَن هُوَ أعظم مِنْ إبراهيم الخليل عليه السلام وَهُوَ سيد الأنبياء وخاتمهم مُحَمَّد صلى الله عليه وآله، وهكذا اعتقادُنا بسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نزّله القُرآن منزلة نفس النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٣].

وَهَذَا مَعْنَى تنزيل نفس علي عليه السلام منزلة نفس النَّبِيّ صلى الله عليه وآله فِي قوله تَعَالَى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾[٤] كيف لا والرُّوح الأمري الذي هُوَ الرُّوح الأعظم والذي هُوَ حقيقة القُرآن وَهُوَ الكتاب المُبين الذي نُزّل عَلَى قلب النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأوحي إليه قَدْ وَرِثه الوصي ويتنزّل عَلَيْهِ وَعَلَى ذريّته الأوصياء عليهم السلام، فضلاً عَنْ أقوال النَّبِيّ صلى الله عليه وآله

---

(١) معاني الأخبار للصدوق: ص٢٦٧.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٢٥.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.
(٤) سورة آل عمران: الآية ٦١.

فِي حَقِّ علي عليه السلام: «**يا علي أنا وَأَنْتَ مِنْ شجرةٍ واحدةٍ وسائر النَّاس مِنْ شَجَرٍ شتّى**» وهكذا ما وَرَدَ فِي الخصال عَنْ أمير المؤمنين عليه السلام أَنَّهُ قَال: «**زوروا موتاكم؛ فإنَّهم يفرحون بزيارتكم وليطلب الرَّجل حاجته عِند قبر أبيه وَأُمِّه بَعْدَمَا يدعو لهما**»[1] إلى غَيْر ذَلِكَ.

وَبَعْدَ أنْ كَانَ هُنَاك مُستنداً مُعتبراً لزيارة القبور والدُّعاء عندها والقيام عَلَى قبر الميّت الذي معناه الحضور عنده وزيارته فَلَيْسَ بشرك، كَمَا يَدَّعي أصحاب المسلك السّلفي، بَلْ هُوَ توحيدٌ وعبادَة وعظمة، هَذَا إذَا أردنا أنْ نتمسَّك بأوامر القُرآن، فكيف أفتى الوهابيّة والسلفيّة بحرمة زيارة القبر وحرمة الدُّعاء لَهُ عنده، وما هُوَ مستندهم فِي ذَلِكَ؟

أَنَّهُ لا مُستند لهم إلَّا تلك الرُّوايات المُلفَّقة والمُزيّفة الَّتِي اعتمدوها فِي أسباب النُّزول وفهمهم المُعْوَج للرُّوايات وَالَّتِي تُريد حجب نور أشعة حقائق القُرآن عَنْ عقول أجيال البشريّة لا سيّما المسلمين والمؤمنين ذو الكفاءات العلميّة العاليّة.

اتركوا الفحص والتثبت مِن أحوال الماضين

هل هم صالحون أم طالحون:

هُنَاك دعوى مِنْ مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ يدّعون فيها ترك تتبع أحوال الماضين أهم مِنْ الصَّالحين أم مِنْ الطالحين، ويستدلون

---

(١) الخصال للصدوق: ٦١٨/ ١١.

لِدعواهم هَذِهِ بظاهر الآية ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾[1].

بتقريب: أَنَّهُ لا ينتفع أحدٌ بعمل غيره ولا يتضرّر به مِنْ حَيْثُ هُوَ عملُه هكذا يستدلون عَلَى دعواهم ـ العامّة بخلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام القائمة عَلَى التحقيق والفحص والتثبت.

والآية تُشير إلى مبدأ عام بأنَّ نتائج الأعمال وآثارها تعود غداً عَلَى العامل وحده، وأنَّ الله تَعَالَى سنَّ سُنَّة لعباده وَهِيَ أَنَّهُ لا يُجْزَى أحدٌ إلَّا بكسبه وعمله ولا يُسأل إلَّا عَنْ كسبه، هَذَا هُوَ مَعْنَى الآية بحسب تفسير روايات أسباب النُّزول المُحرَّفة، بَلْ وَحَتّى فِي أذهان كبار مُحقّقي الخاصّة هكذا مَعْنَى مقلوب راسخ وَهُوَ أَنَّهُ لا يعنيك أمر الغير، وَلَيْسَ مِنْ صلاحيتك التفتيش عَنْ تاريخ الصّحابة والتابعين والأشخاص إلى غَيْر ذَلِكَ، كُلّ ذَلِكَ جذّرته الأقلام الأمويّة ومدرسة الطرف الآخر لأجل التغطية عَلَى أفعال وتصرفات بَعْض مَنْ كَانَ يعيش مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وعدم كشف ملفاتهم.

بينما هُنَاك مَعْنَى آخر للآية حسب روايات أسباب النُّزول الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام ـ عكس ما تَقَدَّمَ ـ.

وحاصله: أنتم معنيّون بالتفتيش والفحص والتثبث وعدم التقليد

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٣٤.

وعدم التبعيّة.

نتيجة الدّعوى الكل يتبرأ مِنْهَا: إنَّ دعوى مدرسة الطرف الآخر ـ العامَّة ـ تنتهي إلى نتيجة لا يقبل بها أيّ عاقل وَعَلَى خلاف الموازين العقلائية ويتبرؤن مِنْهَا ألا وَهِيَ: أَنَّهُ إذَا كُنّا لا نفتش عَنْ تاريخ الماضين وهل هُمْ مِنْ الصّالحين أو الطّالحين، وأنَّ البحث والتفتيش عنهم منهي عَنْهُ فِي القُرآن الكريم، وأنَّ القُرآن الكريم ينهى عَنْ القيام عَلَى قبور المنافقين ولا تدع لهم ولا تستغفر لهم ولا ... الخ أو لَيْسَ يلزمنا القُرآن الكريم أنْ نعرف مَنْ المُنافق حَتّى نتجنّبه؟ وَمَنْ المؤمن؟ لكي تقوم عِنْدَ قبره وندعو لَهُ وتتعامل معه فِي حياته و ... الخ، وَعَلَيْهِ فلو التزمنا بمنهج عدم الفحص والتعرّف عَلَى أحوال الماضين كَمَا تذهب إليه أسباب النُّزول المُحرَّفة وَالمُلفَّقة، لما أمكننا أنْ نُميّز بين ما أمرنا به القُرآن الكريم مِنْ تميّز المُنافق عَنْ غيره، وَحَتّى نعرف موقفه العقائدي والسياسي وَعَلَيْهِ فمتابعة وملاحقة ملفاة الماضين مسؤولية الجميع.

وَهُنَاكَ تساؤل يُثير نفسه هُوَ أنَّ هَذَا الذي أمرنا به القُرآن أَمَا يَلزْم مِنْهُ أنْ يَكُون نوعاً مِنْ التجسس وَهُوَ منهيٌّ عَنْهُ؟

ويمكن الإجابة عَنْ هَذَا التساؤل: بأنَّ التجسس المنهي عَنْهُ فيما إذَا كَانَ تجسساً يلزم مِنْهُ إظهار الأُمُور الخفيّة فِي الأُمُور الفرديّة الخاصّة وَلَمْ يكن المُتجسَّس عَنْهُ لَهُ منصبٌ مهم وَلَمْ توكل إليه مسؤولية أُمَّة فذاك مُحَرَّمٌ.

بخلاف ما نَحْنُ فيه فإنَّنا نُريد أنْ نتعرف عَلَى هويته العقائدية أو

السياسية أو الفقهيّة أو المعرفيّة وَلَيْسَ إنساناً عاديّاً وَإِنَّما شخص لَهُ منصب ومقام تُناط به مسؤولية مجتمع أو يُوكل إليه إدارة أُمَّة أو ... الخ فَإِنَّ مثل هكذا شخص مِنْ الضروري جداً التعرُّف عَلَى هويته ولا يعتبر هَذَا نوع مِنْ التجسس؛ لِأَنَّ المسألة هُنَا أصبحت مِنْ مسؤولية الجميع: «**كُلُكُم راع وكلكم مسؤول عَنْ رعيته**» ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾[١].

وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ يقظة وانتباه الباحث الكريم مِنْ هكذا روايات مُحَرَّفة، وأنَّ اليقظة فِي موضع مُعيّن تُؤدِّي إلى اليقظة والانتباه فِي مواضع عديدة أُخْرَى؛ لِأَنَّ آيات القُرآن وموضوعاته وأحكامه مترابطة ارتباطاً منظوميّاً واحداً ـ وَهَذَا ما ركّزنا الحديث عَلَيْهِ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات ـ ولذا كَانَ هَذَا التفسير لأمومة الولاية يمتاز عَنْ باقي التفاسير الأُخْرَى مُضَافَاً إلى التركيز عَلَى محوريّة الولاية، كَذَلِكَ فيه تركيز عَلَى جانب آخر وَهُوَ النَّظر إلى المجموعيّة والمنظوميّة فِي القُرآن، وأنَّ النَّظر لا يقتصر فيه عَلَى ملاحظة قسم مِنْ الآيات دون الآخر وَإِنَّما ينظر إلى المجموع كمجوع منظومي ترابطي، وَهَذَا ما يُميِّز القُرآن عَنْ غيره بأنَّ حلقاته نسيجيّة وطبيعية مُترابطة يُصَدِّق بعضه بعضاً، فالذي يضرب القُرآن بعضه ببعض، أو يكذب بعضه بعضاً فمعناه إنَّهُ لَمْ يعرف النسيج المؤالفِ بين حلقاته.

---

(١) سورة التوبة: الآية ٧١.

فإذا ما التفت الباحث المُتتبع والمُفسِّر الفَطِن إلى زيف فِي موضع مُعيّن فَإنَّه تلقائياً يلتفت وتنكشف أمامه أوراق الزيف فِي مواضِعَ أُخْرَى ارتُكِبت فِي تفسير القُرآن، أو فِي روايات أسباب النُّزول.

الجهة الرابعة: مِن قاعدةِ أسباب النزول فِي بعدها اللفظي:

لا زَالَ البحث فِي قَواعِد نظام الاستعمال اللّفظي ـ فِي قَاعِدة أسباب النُّزول فِي بعدها اللّفظي وَهُوَ:

قَاعِدة: [تعدد نزول الآية لأسباب نزول متعددة فِي مواطن مُخْتَلِفَة]

[قَدْ يَكُون للآية الواحد أكثر مِنْ سبب، أيّ هل يتكرّر سبب نزول الآية أو لا؟].

انقسم أصحاب روايات أسباب النُّزول إلى مسلكين أو أكثر: ـ

المسلك الأول: الذي يبتني عَلَى أَنَّهُ قَدْ يتكرّر نزول الآية الواحدة أو بَعْض السُّور القصيرة أو المُتوسّطة فِي زمن النَّبيّ صلى الله عليه وآله أيّ زمن النّص والتشريع فِي موارد عديدة فَقَدْ تنزل الآية فِي الموطن الأوّل وَيَكُون ذَلِكَ الموطن سبباً لنزول الآية، ثمَّ تكرّر فِي عهد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله فِي موطن، وهكذا يتكرَّر نزولها، وَهَذَا أمرٌ مهم ينبغي الالتفات إليه، وَهَذَا المسلك هُوَ الصحيح كَمَا سوف يتّضح.

المسلك الثاني: وربما غَفَلَ هَذَا الأمر عَنْ الكثير مِنْ الباحثين والمُفسّرين

وأوقعوا التعارض بين روايات أسباب النُّزول بناءاً منهم عَلَى أنَّ سبب النُّزول إمَّا هَذَا أو ذاك، ويحصر أصحاب هَذَا المسلك بالسبب الواحد، وبالتالي إذَا تعدّد سبب النُّزول للآية عَلَى مسلكهم فَإنَّهُ سوف يقع تعارض بين روايات أسباب النُّزول.

إلَّا أنَّ المسلك الثَّانِي باطل وغير صحيح؛ لِأنَّ الأصل فِي أسباب النُّزول هُوَ إمكانيّة التكرّر، لا الوحدة وعدم إمكان التكرار فِي موطن وسبب النُّزول؛ ولذا فَإنَّ جملة مِنْ كبار المُفسّرين ومحققيهم، قَدْ يقعون فِي مثل هَذِهِ الغفلة ويخوضون فِي ترجيح طائفة مِنْ الرُّوايات الواردة فِي أسباب النُّزول عَلَى طائفة أُخْرَى فِي آية واحدة أو سورة قصيرة أو متوسطة، والحال أَنَّهُ لا حاجة لإيقاع هَذَا التّعارض بين الروايات ثمَّ القيام بعملية الترجيح؛ لِأنَّ الآية الواحدة يمكن أنْ تتكرّر نزولها إلى ما شاء الله مِنْ المرّات.

ولَعَلَّ أصحاب المسلك الثَّانِي ـ القائلين بعدم إمكانيّة التكرّر للنزول ـ يستشكلون عَلَى المسلك الأوَّل ـ القائل بإمكان تكرّر النُّزول بما حاصله:

إنَّ الَّذِيْنَ أجروا التّعارض بين روايات أسباب النُّزول رُبّما يَكُون الدافع لهم هُوَ أنَّ سبب النُّزول ـ كَمَا مَرَّ ـ يُضفي ويؤثّر عَلَى مفاد مَعْنَى الآية، أيّ أنَّ أسباب النُّزول مِنْ القرائن المؤثّرة فِي عناصر الظهور للآية المُبَارَكَة فَيَكُون سبب النُّزول لَهُ أثره عَلَى تلوين ظهور الآية.

وَعَلَيْهِ إذَا تعدّدت أسباب النُّزول وَكَانَ للآية الواحِدَة أكثر مِنْ سبب

للنُّزول فحينئذٍ تتعدّد الظهورات وتتلون أسباب النُّزول، وبما أنَّ أصحاب المسلك الثَّانِي ـ أنَّ الآية لها سبب نزول واحد ـ فحينئذٍ سوف يصبح لديهم تعارض بين الرّوايات المتعدّدة فِي أسباب النُّزول، وَهَذَا ممّا ألجيء الكثير مِنْ المُفَسِّرين إلى القول بالتعارض، والسبب فِي هَذَا التعارض هُوَ أنَّ كُلّ سبب نزول يُعطي طابعاً وظهوراً للآية يختلف عَنْ سبب النُّزول الآخر والحال هُوَ ظهورٌ واحد فَلابُدَّ أنْ يَكُون لها سبب نزول واحد.

نعم لو كَانَتْ أسباب النُّزول مُتعدّدة ولكنِ عَلَى شاكلة واحِدَة وَمِنْ طراز مُعيّن متحد، بحيث تعطي كُلّ هَذِهِ الموارد المتعددة مِنْ أسباب النُّزول ظهوراً مُوَحَّداً لأمكن آنذاك أنْ يُقال: إنَّهُ مِنْ الممكن أنْ تكون أسباب نزول مُتعدّدة للآية الواحِدَة.

أمَّا إذَا اختلفت أسباب النُّزول وتعدّدت، فَهِيَ فِي كُلّ سبب مِنْهَا بمثابة قرينة حاليّة للظهور فتعطي ظهوراً للآية غَيْر الذي يُعطيه سبب نزول آخر، وإنْ كَانَ الغالب هُنَاك جهة اشتراك فِي المعنى والتطبيق بين أسباب النُّزول فَيَكُون أحدها هُوَ الصّحيح مثلاً والباقي غَيْر صحيح، ولكن هَذَا مبني عَلَى أنَّ لِكُلِّ آية ظهور واحد، وتقدم فِي القَاعِدَة الرابعة قَاعِدِة استعمال اللّفظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى[1] أنَّهُ لَيْسَ مِنْ اللازم أنْ يَكُون للآية الواحدة ظهوراً واحداً، بَلْ يمكن أنْ يَكُون لها ظهورات مُتعدّدة

---

(١) قَاعِدِة استعمال اللّفْظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى فِي تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات للشيخ مُحمَّد السند: ج١، ص٥٣٩ القَاعِدَة الرّابعة.

وَكُلَّهَا حجّة ـ كَمَا تَقَدَّمَ ـ فِي بحث القَاعِدَة، وذكرنا لها شواهد عديدة مِنْ روايات وغيرها، وهكذا تَقَدَّمَ فِي قَاعِدِة الالتفات والتعريض مِنْ أَنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يَكُون للآية الواحدة ظهورات مُتعدّدة شريطة أنْ تكون تلك الظهورات المُتعدّدة مُستندة إلى شواهد مُستقلة بعضها عَنْ البعض فآنذاك لا مانع مِنْ ذَلِكَ.

الفرق بين تعدد أسباب النزول وبين وحدة التنزيل وتعدد التأويل:

والخلاصة: إنَّ الصَّحيح فِي أسباب النُّزول هُوَ أنَّ الأصل الأولي فيها إذَا وَرَدَتْ روايات مُتعدِّدة فَإِنَّهُ لا مانع مِنْ أنْ يَكُون الأصل الأولي مُتعدّداً لا متوحِداً وإنْ أدَّى ذَلِكَ إلى تعدّد الظهور ولا مانع مِنْ تعدّد الظهور، فمثلاً هَذَا ظهور أوَّل منضبط مَعَ موازين الظهور فِي سبب النُّزول الأوَّل، وَهَذَا ظهورٌ ثانٍ منضبط مَعَ سبب النُّزول الثَّانِي بقرينة حالية، وثالث و ... الخ.

فالصَّحيح والأصل فِي أسباب النُّزول المُتكرِّرة هُوَ التعداد والتكرار لا الوحدة والانفراد كي نوقع المعارضة فيما بينها.

علماً أنَّ هَذَا التكرار للنزول والتعدد فِي أسبابه تبّناه جملة مِنْ المُحقّقين منهم العلّامة مُحَمَّد باقر المجلسي فِي بحار الأنوار وأنَّ الآية القُرآنية الكريمة أو السُّورة يقع مِنْهَا نزول مُتكرِّر وَلَيْسَ الأصل فِي تعدّد الرّوايات فِي

أسباب النُّزول هُوَ التّعارض بين هَذِهِ الروايات، ولا مانع مِنْ تكرر نزول الآية الواحدة أو السورة الواحدة، ولا داعي لإعمال قَواعِد التّعارض بين الروايات المتعدّدة.

وَعَلَى أيّ حال فَإنَّ هَذَا مِنْ البحوث المثمرة وَلَهُ تطبيقات فِي موارد كثيرة، حَتّى أنَّ السَّيِّد العلّامة مُحمَّد حسين الطباطبائي صاحب تفسير الميزان رحمه الله حَمَل أسباب النُّزول المُتعدِّدة كُلَّهَا فِي مواردَ عديدة عَلَى التأويل لا عَلَى الظّهور، بينما هِيَ مُتناسبة ومُتناسقة مَعَ الظهور.

أو حملها ـ السَّيِّد العلّامة الطباطبائي رحمه الله ـ عَلَى أنّها مِنْ باب الجري فِي التعبير لا التّطبيق، مَعَ أنَّ المعنى الذي انتهينا إليه فِي تحقيق قَاعِدة الجري فِي التعبير لا التطبيق هُوَ جريٌ حَتّى فِي الاستعمال وَلَيْسَ جرياً فَقَطْ فِي تطبيق المعنى النّظري عَلَى المصداق العيني الخارجي، وَهَذَا أحد معاني الجري والتّطبيق أيّ يجري اللّفْظ فِي ظهورات مُتعدّدة وفي استعمالات مُتكثِّرة.

وَمِنْ هَذَا يُعلم وجود جملة مِنْ المُفَسِّرِين إنْ لَمْ يكونوا هُمْ الأغلب يحملون روايات تعدّد أسباب النُّزول إنْ لَمْ يروا خدشةً فيها ـ الروايات ـ عَلَى التأويل لا عَلَى الظهور.

إلَّا أنَّ هَذَا مبنى غَيْر سديد، والصّحيح والأصل الأولي فِي أسباب النُّزول هُوَ التعدّد وأمَّا التوحّد فَهُوَ أوّل الكلام.

هل يتكرر تنزل الآيات النازلة سابقا وأسباب النزول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله على أهل البيت عليهم السلام المصداق الأجلى لتلوت الكتاب حق تلاوته:

بيان نكتة مُهمّة ولطيفة في تعداد أسباب النّزول:

إذَا دقّقنا وأمعنا النَّظر فِي أسباب نزول الآيات هل تتكرّر وتعدّد أو لا؟ وهل ذَلِكَ خاص بعهد رسول الله صلى الله عليه وآله أم هُوَ مستمر إلى يَوُم القيامة وما دام القُرآن حيّاً باقياً؟!

تُجيبنا رواية حنان بن سدير، قَالَ: سمعتُ أبا عبدالله عليه السلام يقول: «**دَخَل عليَّ أُناسٌ مِنْ أهل البصرة فسألوني طلحةَ والزبير، فقلتُ لهم: كانا مِنْ أئمة الكفر، إنَّ علياً عليه السلام يَوُم البَصْرَة لما صَفَّ الخَيْل، قَالَ لأصحابه: لا تَعْجَلوا عَلَى القوم حَتّى أعْذِرَ فيما بيني وبين الله عَزَّ وَجَلَّ وبينهم، فقام إليهم، وَقَالَ: يا أهل البصرة هل تجدون عليَّ جوراً فِي حكم؟ قالوا: لا، قَالَ: مُحيفاً فِي قَسْم؟ قالو: لا... ثمَّ ثَنى إلى أصحابه، فَقَالَ: أنَّ الله تبارَكَ وَتعَالَى يقول فِي كتابه: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ فَقَالَ أمير المؤمنين ـ محل الشَّاهِد ـ والذي فلق الحَبَّةَ وبرأ النسمة واصطفى محمداً صلى الله عليه وآله بالنبوة أنّهم لأصْحابُ هَذِهِ الآية، وما قوتِلوا مُذْ نزلت**»[1].

---

(١) البُرهان فِي تفسير القُرآن لِلْسَّيِّد هاشم البحراني: ج٣، ص٣٧٤ عَنْ قرب الأُسْتاذ

وفي رواية أُخْرَى: «... **ما قوتِل أهلها منذُ يومِ نزلت حَتّى اليوم**»[1].

وهكذا فِي سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾[2].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم ربط بين إنزال القُرآن وبين تنزل الملائكة فِي كُلّ عام، وَهَذَا معناه أنَّ القُرآن الكريم لَهُ تنزلات فِي كُلّ عام وَالقُرآن هُوَ القُرآن والسورة هِيَ السورة، والآية هِيَ الآية، فمثلاً سورة الفاتحة نزلت عَلَى رسول الله ﷺ عِدَّة مَرَّات وفي مواطن عديدة، وسميت هَذِهِ السورة العظيمة بسورة السبع المثاني؛ لِإِنَّهُ ثني نزولها بمعنى أنَّ نزولها قَدْ تكرّر عِدَّة مَرّات، لا بمعنى أنَّ نزولها مرتين اثنين فَقَطْ وَإِنَّما تكرر أكثر مِنْ ذَلِكَ، فإذا كَانَ النُّزول يتكرّر فهل معناه أنَّ الآية بنزولها الثَّانِي تحمل مَعْنَى آخر غَيْر الأَوَّل أم نفسه هَذَا **أوّلاً**.

وثانياً: هل يمكن فرض التنزّل أيضاً فِي فترة ما بَعْدَ زمان رسول الله ﷺ أو لا؟ وما حقيقة هَذَا النُّزول بَعْدَ رسول الله ﷺ، فَإِنَّ النُّزول وحيٌ نبويٌّ، ولكن مَنْ يرث هَذَا الوحي أفهل يذهب سُدىً؟

أَمّا جواب السؤال الأَوَّل: فبالإثبات، بمعنى أنْ يَكُون فِي النُّزول الأَوَّل للآية مَعْنَى أَوَّل وفي الثَّانِي مَعْنَى ثانٍ وفي الثَّالِث ثالث وهكذا، وَهَذَا

للحميري: ص٤٦٥.

(١) المصدر السابق: ص٣٧٦ عَنْ العيّاشي: ج٢، ص٨٥، ح٢٧.

(٢) سورة القدر: الآية ١ ـ ٢.

ما سيأتي التعرّض لَهُ فِي جهة أُخْرَى مِنْ بحث أسباب النُّزول.

وأمّا جواب السؤال الثَّانِي: فَإِنَّ النُّزول وحيٌ نبوي بَعْدَ رسول الله ﷺ وَهُنَاك خازن للوحي يستخلفه رسول الله ﷺ، وإنْ كَانَ موطن الجواب التفصيلي فِي بحث قَواعِد النّظام المعنوي أو المعاني فِي القُرآن، وفي باب قَواعِد نظام الحقائق، إلَّا أَنَّهُ نذكر جواباً ولو مُقتضباً جدّاً لارتباطه بنظام الاستعمال اللّفظي وحاصله:

ما ذكرته سورة القدر مِنْ الربط ـ مثلاً ـ بين إنزال القُرآن وتنزّل الملائكة فِي كُلّ عام وإنْ كَانَ الإنزال ـ إنّا أنزلناه ـ هُوَ فعل ماضي وَمَعْنَى المضي هُوَ الفراغ عنه، ولكن بَعْدَ ذَلِكَ ربطت الآية هَذَا الإنزال الذي زمانه الماضي بالفعل المضارع الذي زمانه مشترك بين زماني الحال والاستقبال (تنزل) أيّ تتنزل أيّ أنَّ هَذَا التنزل مستمرٌ إلى يَوْم القيامة، وَهَذَا معناه حصول تكرّر واستمرار التنزّل إلَّا أَنَّهُ بأي كيفية؟ وبنحو لا يتنافى مَعَ انقطاع النبوّة وختمها، إذْ هُنَاك فرق بين وراثة وحي النبوّة وبين النبوة نفسها، فَإِنَّ علم وحي النبوّة لَمْ يتبدد وَلَمْ يُرْفع مِنْ الأرض بَعْدَ نزولها ـ النبوة ـ بَلْ هُوَ عِنْدَ خزنته مِنْ الَّذِيْنَ اصطفاهم الله، كَمَا تشير إليه عشرات الآيات والسّور الَّتِي نبَّه عَلَى دلالتها أئمة أهل البيت عليهم السلام نظير قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾[1].

---

(١) سورة فاطر: الآية ٣٢.

وقوله تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾[١].

وقوله تَعَالَى ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾[٢] وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[٣].

إلى غير ذَلِكَ مِنْ الآيات الدَّالَّة عَلَى أنَّ الوحي الإلهي النازل عَلَى النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يرتفع عَنْ الأرض بَعْدَ رحيل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَلَمْ يتبدّد سُدىً، بَلْ هُوَ عِنْدَ خلفائه وأوصيائه مِنْ عترته وأهل بيته ـ عليهم صلوات الله ـ .

هَذَا مُضَافاً إلى دلالة سورة القدر والآيات الْمُتعرّضة لليلة القدر عَلَى استمرار تنزّل القُرآن فيها.

وَقَالَ القرطبي فِي تفسيره الجامع لأحكام القُرآن: ج٢، ص١٣٣ ـ ١٣٧ [والصحيح أنَّها باقية ... و الجمهور عَلَى أنَّها مِنْ كُلّ عام مِنْ رمضان ... وَقَالَ الفرّاء لا يقدّر الله فِي ليلة القدر إلَّا السّعادة والنِعَمَ ويقدّر فِي غيرها البلايا والنِّعم].

وَقَالَ ابن كثير فِي تفسيره: [... اختلف العُلَماء هل كَانَتْ ليلة القدر فِي الأمم السالفة، أم هِيَ مِنْ خصائص هَذِهِ الأُمَّة؟ فَقَالَ الزهري ... وَهَذَا الذي قاله مالك يقتضي تخصيص هَذِهِ الأُمَّة بليلة القدر، وَقِيلَ: أنَّها كَانَتْ فِي الأمم

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
(٣) سورة آل عمران: الآية ٧.

الماضية كَمَا هِيَ فِي أُمتنا، ثمَّ هِيَ باقية إلى يَوُم القيامة وفي رمضان خاصّة][1].

وَمَنْ أراد التفصيل فليرجع إلى كتبا الإمامة الإلهية لشيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله ـ ج٣، الفصل السَّابع ليلة القدر حقيقة الإمامة (أس المعرفة) ص٢٧٥.

وهكذا الحال فِي سورة الدُّخان ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ تَقَدَّمَ أنَّ مقام الكتاب المُبين هُوَ أحد المقامات الغيبية للقرآن الكريم ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾[2].

بتقريب: إنَّ هَذَا الفَرْقَ والفُرْقان والتدبير لأحداث البشر أو الكون فَإنَّ لَهُ صلة بالكتاب المُبين، وأنَّ كُلّ ما حَدَث أو يحدث إلى يَوُم القيامة هُوَ مسطور فِي الكتاب المُبين ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾[3].

وقوله تَعالَى: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٧٥﴾[4] وقوله تَعالَى: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ﴾[5].

بتقريب: إنَّ الكتاب المبين الذي هُوَ مقام مِنْ مقامات القُرآن يستطر

---

(١) تفسير ابن كثير: ٤/ ٥٦٨.
(٢) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٥.
(٣) سورة الأنعام: الآية ٥٩.
(٤) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٥) سورة النحل: الآية ٨٩.

فيه كُلّ شيء.

وهكذا القضاء والقدر فَإِنَّهُ ينزل فِي كُلّ عام وَهُوَ موجود فِي القُرآن، وَهَذَا معناه أَنَّهُ هُنَاك صلة وطيدة بين القُرآن الكريم وبين القضاء والقدر وما ينزل فِي كُلّ عام فِي ليلة القدر.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: إنَّ القُرآن كَمَا لَهُ تنزيل أَوَّل كَذَلِكَ لَهُ تنزيل مُتكرِّر ثانٍ وثالثٍ يُعْرَف بالتأويل، كَذَلِكَ للقرآن بآياته وسورة نزول وتنزل وأسباب نزول فِي كُلّ عام.

إِلَّا أَنَّهُ يبقى التساؤل عَنْ ما هُوَ مَعْنَى حقيقة النُّزول لا سيما النُّزول المُتكرّر الذي يفترق عَنْ النُّزول الأوَّل، وَهَذَا ما سيأتي الجواب عَنْهُ فِي مبحث نظام المعاني للقُرْآن ونظام الحقائق مَعَ ملاحظة اختلاف سنخ نزول القُرآن عَلَى البيت المعمور فِي السّماء الرّابعة وَهُوَ قلب النَّبيّ ﷺ، وتنزله مِنْ البيت المعمور إلى السّماء الدُّنْيا والأرض عَلَى رسول الله ﷺ.

كل ما ينزل على النبي ﷺ

يعلم به وصيه علي بن أبي طالب لدنيا:

إنَّ كُلّما أوحي إلى رسول الله ﷺ علم به وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لَدُنيّاً، كَمَا هُوَ مُقْتَضى قوله تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا﴾[1] أيّ نظير النسبة بين هارون وموسى، إِلَّا أَنَّ تلقي هارون ما يتنزّل

---

(١) سورة يونس: الآية ٨٧.

عَلَى موسى بتوسّط قناة النبوّة، وأمّا تلقي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ما يتنزل عَلَى النَّبِيّ ﷺ عبر الإلهام وغيره مِنْ أساليب العلم اللّدني غَيْر النبوّة، وقول النَّبِيّ ﷺ لعليّ: «**إنّك تسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبي، ولكنّك وزير وَإنّك لعلى خير**»[١].

وقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ﴾[٣].

وسيأتي لهذا المبحث تتمّة فِي الجهة الخامسة.

التنزيل المتكرر تأويل[٤]:

إنَّ أحد معاني التّأويل هُوَ انطباق الآيات عَلَى مصاديق مُستجدة وَعَلَى بيئات موضوعيّة فِي مواطن أُخْرَى، وَهَذِهِ المواطن الأُخْرَى هِيَ مواطن لتطبيق آيات وسور القُرآن الكريم، فَإنَّ التنزيل ـ كَمَا مَرَّ ـ هُوَ التطبيق، والتأويل الحقّ بالدّقة يرجع إلى التنزيل وَالنُّزول الأوَّل للآيات

---

(١) الخطبة القاصعة، نهج البلاغة.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٤٥.

(٣) سورة القصص: الآية ٣٤.

(٤) تعرّضنا مفصلاً لمبحث الظهور والتأويل فِي ج١، ص٣٠٣ مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات للشيخ مُحَمَّد السند ـ حفظه الله ـ فراجع، وكذلك تعرّضنا لَهُ فِي بداية: ج٢، مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي القَاعِدَة الخامسة: الجري فِي التعبير لا التطبيق، تحت عنوان هل التأويل حاكم عَلَى التنزيل ـ التفسير ـ أم العكس؟ فراجع.

والسور لا أنَّ هُنَاكَ آيات أو سور أُخْرَى، بَلْ الآيات هِيَ الآيات والسور هِيَ السور إِلَّا أنَّ التّأويل يعمّ ويشمل تطبيقات مُستجدة، فإذا كَانَتْ تلك التطبيقات لدنيّة مِنْ الله تَعَالَى، وليست بقدرة محدودة عاجزة مِنْ ذهنيّة البشر، فَهُنَا يُعبر عنها بدوام بقاء انطباق وتطبيق وتنزّل وتنزيل القُرآن.

وَهَذَا أحد معاني أوصاف المعصوم المختصّة الواردة: «**أشهدُ أنَّك تلوتَ الكتاب حقّ تلاوته**» أيّ يتلو الآية ويُنزلها فِي مواطن يحقّ أنْ تتنزَّل فيه بتنزيل مِنْ الحقّ سُبْحَانَهُ، وَهَذَا أحد معاني قَاعِدَة الجري والتطبيق ـ الَّتِي كشف عنها النقاب أئمة أهل البيت عليهم السلام ـ كَمَا مَرَّ ـ فِي القَاعِدَة الخامسة.

مِنْ تفسير أمومة الولاية.

إِذَنْ دوام نزول القُرآن بمعنى أنَّ هَذِهِ النّظرية الكبرى القرآنية تتنزل هُنَا فِي التطبيق.

وحي القرآن ذو بعدين

بعد نبوي انقطع وبعد ولوي مستمر

أحد خواص ونعوت الإمام فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام يتلو الكتاب حق تلاوته بمعنى الانطباق:

لَيْسَ المُرَاد مِنْ التلاوة فَقَطْ التلاوة الصّوتية فِي قوله تَعَالَى ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾[1] وَإِنَّمَا المُرَاد مِنْهَا انطباق مَعْنَى أو ولاية

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١.

حقيقة القُرآن وهيمنته فِي إدارة دفّة القضاء والقدر فِي كُلّ واقِعة وحادثة فالتلاوة ليست بمجرّد رتبة صوتية ولا برتبة معاني فِي الأفكار أو تطبيق طبقات المعاني إلى سبعين بطن فِي المعنى وَكُلّ درجة مِنْ درجات المعاني لها درجة مِنْ التلاوة، فَكُلّ مورد يتلوه معنىً مُفَسِّرٌ ومبينٌ للأمر الإلهي فيه، بَلْ درجات ومراتب التّلاوة لا تقتصر عَلَى المعاني، بَلْ العمدة فيها تلاوة الحقائق فَإنَّ الحقيقة العظمى القرآنية وَهِيَ روح القدس ما مِنْ صغيرة ولا كبيرة لا فِي الأرض ولا فِي السّماء إلَّا يحصيها روح القدس فِي لوح القضاء والقدر والحدوث والوقوع، وَهَذَا نمط آخر مِنْ التلاوة.

فَإنَّ أيّ آية فِي القُرآن بحسب الحقائق الغيبيّة ـ كَمَا سيأتي فِي النظام الثَّالِث وَهُوَ نظام الحقائق ـ تمتد سلطتها الولائية لهذا المقام ـ أيّ يتلو الكتاب حقّ تلاوته بمعنى الانطباق ـ فَإنَّ الجانب الولائي فِي القرآن لَمْ ينقطع بالرُّغم مِنْ أنَّ جانب النبوّة انقطع وانتهى «... **إلَّا أنَّهُ لا نبي بعدي**» فَإنَّ مَعْنَى استمرار الجانب الولائي فِي القُرآن هُوَ عبارة عَنْ استمرار تأويل القُرآن بمعنى تطبيق كُلّ آية مِنْ آيات الكتاب بَعْدَ معرفة موطن تنزلها، فَإنَّ الإمام الذي يتلو الكتاب حقّ تلاوته يعلم أين هُوَ الحقّ فيطبقها الإمام عَلَى موطنها، فالُمعتبر هُوَ التلاوة بمعنى انطباق مَعْنَى لا تلاوة صوتية أو غيرها، كَمَا توهّمه الخوارج؛ لأنَّهم أيضاً يتلوّن الكتاب ولكن طبّقوه عَلَى غَيْر موطنه لعدم علمهم وإحاطتهم بأسباب النُّزول بسبب ابتعادهم عَنْ خطّ ولاية آل مُحَمَّد صلوات الله عليهم وشتّان بينهما، فَإنَّ الخوارج طلبوا الحقّ

فاخطأوه.

وَعَلَيْهِ فَالقُرآن فيه نظام تكويني أيّ لَهُ حقيقة تكوينية، وبعبارة أُخْرَى حقائق القُرآن حقيقة تكوينية كبرى وَهُوَ روح القدس الذي هُوَ أعظم خِلْقَة مِنْ السماوات السّبع والأرضين وَمِنْ الجنّة والنّار وَمِنْ عالم الآخرة وعالم القيامة.

فَإِنَّ كُلّ ما تَقَدَّمَ ذكره قَدْ استفاده الفيلسوف الشّيعي ملا صدرا وَرَكَّز عَلَيْهِ فِي أسفاره نتيجة اقتباسه لَهُ مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام.

يتلو الكتاب خاص بالمعصوم عليهِ السلام:

حصرتْ بيانات أهل البيت عليهم السلام بأنَّ الذي يعلم أسباب النُّزول بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فَقَطْ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ أسباب النُّزول ليست سبباً ومورداً واحِداً، وَإِنَّما هِيَ موارد أسباب النزول، فالآية الواحدة لها عِدَّة أسباب متكررة وعِدَّة مواطن ت كَما مَرَّ ـ وأنَّ القُرآن حَمّال لوجوه، ولا يَعْرِف هَذِهِ الوجوه إلَّا الأئمة المعصومين عليهم السلام مِنْ أهل البيت عليهم السلام وما عداهم مِنْ البشر فَهُوَ عاجزٌ عَنْ معرفة المواطن المناسبة لنزول الآية بالدِّقة حَتّى يتلونها ويطبقونها فيها، وإنْ كانوا يظنّون أو يحتملون أنَّ هَذَا المورد هُوَ موردُ تطبيقها، ولكن أين هَذَا بالقياس إلى علم الإمام المعصوم اللّدُني اليقيني فِي تطبيق مورد الآية، فَإِنَّ الظنَّ مقابل اليقين لا يغني عَنْ الحَقّ، واليقين الذي زوَّدَ الله به المعصوم عليه السلام شيئاً آخر، ولذلك

ذكرت أسباب النُّزول نموذج زيد بن حارثة وزينب بنت جحش وزواجها وَأَنَّهُ لا يفهم أسباب النُّزول حاقّ فهمها إِلَّا الحافظ الوحياني للقُرْآن بعدالنبي صلى الله عليه وآله، هُوَ وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ثمَّ التسعة المعصومين عليهم السلام؛ لِأَنَّ أسباب النُّزول عبارة أُخْرَى عَنْ السّيرة النبويّة بتقرير وأنباء وحياني إلهي فضلاً عمّا فِي أسباب النُّزول مِنْ سنن إلهية وأنّى للأغيار عَنْ العلم الوحياني الإحاطة بذلك، وَمِنْ ثمَّ كرَّر تأكيده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام اختصاصه بعلم التّنزيل أيّ أسباب النُّزول وَإِلى ذَلِكَ الإشارة فِي قوله تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾[1].

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مقام [يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته] خاصّ بمنصب المعصوم.

والنتيجة[2] الَّتِي نُريد أَنْ ننتهي إليها: هِيَ أَنَّ العِلم التّام الكامل الشّامل المُحيط بأسباب وموارد النُّزول سواء الَّتِي سبقت أو الَّتِي ستأتي هُوَ علم خاص بالمعصومين عليهم السلام وَهُمْ النَّبِيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام وفاطمة الزهراء عليها السلام والحسن والحسين والتّسعة المعصومين مِنْ ذريّة الحسين عليه السلام، وما عدا المعصوم عليه السلام لا يتسنّى لَهُ معرفة ذَلِكَ كُلَّهُ بالتفصيل وَعَلَى نحو اليقين حَتّى مِنْ مُفسِّري الخاصّة كالذي يعلمه

(١) سورة البقرة: الآية ١٢١.
(٢) وَنَحْنُ فِي أواخر بحث أسباب النُّزول.

المعصوم، وَإِنَّما غاية ما لديهم ـ المُفَسِّرون ـ هُوَ الظن بمعرفة مواطن النُّزول الأَوّل، والتشبث بمثل ما لا يُدْرك كُلَّهُ لا يُتْرَك جُلُّه، وأَنَّ الميسور لا يسقط بالمعسور وغيرها، وَهَذَا المقدار لا يوصل إلى اكتشاف حقائق القُرآن والموارد التطبيقيّة للآية، نعم غاية ما يمكن أنْ يتوصل إليه المُفَسِّر الفطن هُوَ أنَّ غاية ما يتكرَّر مِنْ مواطن قَدْ يُسمّى ـ بالتأويل ـ وسيأتي تفصيله فِي نظام عالم المعاني فِي القُرآن وأنَّ أحد أقسام التأويل هُوَ عبارة عَنْ مآل انطباق الآيات عَلَى مواطن عديدة مُتّفقة فِي السنخ الواحد والجوهر جوهر مطلق؛ لذلك يتكرّر تلو الآية حقّ التِلاوة مِنْ قبل المُعَلِّم الإلهي أيّ المعصوم بفضل وإرادة وولاية مِنْ الله تَعَالَى يُطبِّق الآية عَلَى ما يُسْتجَد مِنْ موارد وأحداث فِي بَعْض مواردها، وفي بَعْض مناطق أُخرَى يُطبّقها بولاية الرسول ﷺ فِي تبع وطول ولاية الباري، وبتبع وتفرّع ولاية الرسول ﷺ تطبق ولاية أولي الأمر أو الَّذِيْنَ آمنوا ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ...﴾[1].

إذَنْ نزول وتنزيل القُرآن عَلَى مواطن بالنسبة للبُعد الثَّانِي وَهُوَ بُعْد الولاية والتّطبيق والصّلاحيّة والحاكميّة التنفيذيّة لا زالت هَذِهِ الولاية بَعْدَ ولاية الله وولاية الرسول ﷺ مستمرة وإنْ رَحَل رسول الله ﷺ إلى الرفيق الأعلى إلّا إنَّ ارتباطه ﷺ بالوصي مِنْ أهل بيته المُتمثّل الآن بالإمام الغائب الحجّة ابن الحسن المُنتظر ؑ لا زال مُستمراً وَعَلَى حاله عَلَى اختلاف القنوات التكوينية للارتباط سواء بالجانب الفقهي أو العقائدي المعرفي أو

---

(١) سورة المائدة: الآية ٥٥.

التفسيري أو التربوي أو الأمني أو الاجتماعي أو العسكري أو الجهادي أو الاقتصادي أو المالي وغيرها.

فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ يندرج تحت منصب ومقام ومنزل يتلو الكتاب حقَّ تلاوته المُختصّ بالإمام المعصوم عليه السلام وَهُوَ نوعٌ مِنْ أنواع التأويل مَعيّة الثقلين ونوع مِنْ أنواع تلازم العترة مَعَ حقيقة القُرآن فِي كُلّ مورد وموطن.

إمكانية تعدد أسباب النزول للآيات القرآنية لا ينفي وقوع التعارض والتناقض فِي روايات أسباب النزول مطلقا:

هُنَاكَ نوع ممكن مِنْ التناقض والتّعارض كَمَا فِي التّناقض الزماني والمكاني، فمثلاً فِي بَعْض روايات أسباب النُّزول ذُكِرَ فيها أنَّ الآية الفلانية نزلت فِي السنة الثانية للهجرة مثلاً، ورواية أُخْرَى ذُكِرَ فيها أنَّ نفس هَذِهِ الآية نزلت قبل الهجرة فَإِنَّ مثل هكذا تناقض وتعارض زماني لا يُعتبر تناقضاً؛ لإمكان تكرّر النُّزول وَإِنَّما المُراد مِنْ التناقض والتعارض فِي أسباب النُّزول هُوَ فِي المعنى المُفاد وَلَيْسَ فِي التعدّد؛ لِأنَّ الاختلاف فِي المعنى المفاد هُوَ التناقض.

وتقدَّم أنَّ كُلّ سبب مِنْ أسباب النُّزول هُوَ بمثابة قرينة مُؤثِّرة عَلَى ظهور وتركيب عناصر الظهور وبدلالة الآية، وأنَّ تعدّد وتخالط القرائن فِي تركيب وبناء إطار الظهور لا يعني وجود تناقض، وَإِنَّما التناقض الذي نُعَوِّل عَلَيْهِ فيما إذا فُرِض وجود تناقض فِي الأحكام، وتناقض فِي إثبات

شيء ونفيه، فحينئذٍ يَكُون تناقضاً بين روايات أسباب النُّزول حَتّى لو كَانَ فِي المعارف والبصائر، فَهَذَا هُوَ التّناقض والتّعارض الذي ينبغي رفعه إنْ كَانَ عِنْدَ الْمُفَسِّر والباحث لا عِنْدَ المعصومعليه‌السلام.

وأمَّا صِرْف تكرّر زمان أو مكان مورد النّزول، فَإنَّ مثل هَذَا لا يعني التعارض بالمعنى المصطلح كَمَا تخيله وبنى عَلَيْهِ أكثر الْمُفَسِّرين، وَعَلَى ضوء هَذَا التّعارض يُعْمِلون قَواعِد التّعارض بين روايات أسباب النُّزول الْمُتعدِّدة بحَمْلِ بَعْض الروايات عَلَى التّأويل لا عَلَى النُّزول والتّنزيل والظاهر، وَهَذَا لا موجب لَهُ إلَّا موجب التنافي؛ لِإنَّ النُّزول يمكن أنْ يتكرَّر ويتعدّد كَمَا هُوَ مختارنا فِي بحث أسباب النُّزول.

الجهة الخامسة: الأدلة القرآنية على استمرار نزول القرآن بعد وفاة الرسولصلى‌الله‌عليه‌وآله:

ما هِي الحكمة والسر مِن تعدد النزول:

هُنَاك تساؤل يُثار وَهُوَ: ـ ما مَعْنَى تكرر نزول الآية أو السورة بَعْدَ فرض تحقّق نزولها بالنزول الأوّل إذَا كَانَ الملاحظ هُوَ المعنى الدارج للنزول وتنزل الآية بين الْمُفَسِّرين مِنْ مُجَرَّد صِرْف سماع البشر لألفاظ الآية وإبلاغهم بهذه الألفاظ؟

وفي مقام الإجابة عَلَى هَذَا التساؤل: إنَّهُ إذَا كَانَ مَعْنَى النّزول هُوَ هَذَا المعنى السّاذج والمعروف بين الْمُفَسِّرين، فَإنَّ اعتراض الْمُعترض عَلَى تكرّر

النُّزول فِي محله إِلَّا إِنَّهُ سنُبيِّن فِي الجهة اللاحقة أنَّ النُّزول لَهُ فوائد ومعاني كثيرة وغايات مُتعدّدة وآثار عظيمة فآنذاك سوف يتعقّل تكرّر النُّزول، كَمَا تَقَدَّمَ ذكر شُطر مِنْهُ فِي ضمن الجهة الرابعة وَالنُّزول لَهُ نمطان:ـ

النمط الأَوَّل: نزول ابتدائي: وَهُوَ خاص برسول الله صلى الله عليه وآله والذي جَمَعَ فيه ما بين الدفّتين، كَمَا نقرأ ذَلِكَ النّعت الذي نُعِتَ به رسول الله صلى الله عليه وآله فِي مقدمة زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «**السَّلامُ مِنْ الله عَلَى مُحَمَّد رسول الله أمين الله عَلَى وحيه ورسالاته وعزائِم أمره ومَعْدِن الوحي والتنزيل ... الخ**» أيّ التنزيل الأوَّل الذي أُنزل عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله وَهُوَ المصحف الحقّ الذي لا يأتيه الباطل والتّحريف مِنْ بين يديه ولا مِنْ خلفه ولا يزيد ولا ينقص، وَهَذِهِ هِيَ أوصاف المصحف الذي تكرّر نزوله فِي زمن رسول الله صلى الله عليه وآله.

النمط الثَّانِي: النُّزول المُتكرِّر الذي وقع فِي عهد رسول الله صلى الله عليه وآله، ووقع كلامٌ كثير فِي هَذَا النّمط وَهُوَ تكرّر النُّزول، وهل هَذَا التكرّر مستمر إلى يَوْم القيامة أو لا؟

نعم إِنَّهُ نزول مستمر كَمَا ذكرته سورة القدر ﴿... تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا ...﴾ وربطت السورة بين تنزل الملائكة فِي كُلّ عام وبين نزول القُرآن، وَمِنْ لطيف ما ذكرته مصادر أهل السُّنّة فضلاً عَنْ أحاديث أهل البيت عليهم السلام فِي فضل سورة القدر أَنَّهُ لو رُفعت ليلة القدر لَرُفِعَ القُرآن، وَهَذَا يُبيِّن الصِّلة الوطيدة بين استمرار ليلة القدر واستمرار بقاء القُرآن.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ نزول القُرآن مُستمر ويتكرّر لا بمعنى نزول سور وآيات

جديدة وَإِنَّما السورة هِيَ السورة، والآية هِيَ الآية، وَهِيَ بنفسها الَّتِي نزلت عَلَى رسول الله ﷺ يتكرّر نزولها إلى يَوْم القيامة، كَما فِي سورة الفاتحة والتّوحيد ـ اللّذان هُمَا محل وفاق بين المُفَسِّرين عَلَى أنَّ نزولها تكرّر عَلَى رسول الله ﷺ أكثر مِنْ مَرَّة، علماً أنَّ النُّزول فِي المَرَّة الثَّانية والثَّالثة والرَّابعة و ... الخ أيضاً يُسَمّى نزولاً مَعَ أنَّهُ لَيْسَ بنزول جديد للسُّورة أو الآية وَمَعَ ذَلِكَ تتكَرَّر هَذِهِ الظاهرة لنزول القُرآن.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام تالي الكتاب:

مِنْ النّعوت المتواترة والمُستفيضة لأمير المؤمنين عليه السلام وأئمة أهل البيت عليهم السلام عِنْدَ كلا الفريقين ـ نعت [التالي للكتاب حقّ تلاوته] فِي مَعْنَى حقّ التلاوة.

المُراد ـ كَما مَرَّ ـ هُوَ انطباق مَعْنَى، وأنَّ كُلّ آية قرآنية بحسب الحقائق الغيبية تمتدّ سلطتها الولائية لهذا المقام.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1].

بتقريب: لَيْسَ المُرَاد مِنْ (لو) صرف امتناع لامتناع وَإِنَّما هِيَ شؤون القُرآن فِي الولاية التكوينيّة والتّصرف فِي الأحداث طبق نظام القضاء والقدر والمشيئة والعلم الإلهي بما للقُرآن مِنْ حقيقة متعاظمة مُهيمنة تكويناً عَلَى ما دونها مِنْ اللّوح والقلم والقضاء والقدر.

وتقدم أنَّهُ لَيْسَ المُراد مِنْ التلاوة هُوَ الإفصاح عَنْ حروف القُرآن

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣١.

فَإِنَّهُ مَعْنَى سطحي للتلاوة، وَإِنَّما المُراد مِنْ التلاوة معناها الأعظم، وَهُوَ حين تقرأ وتتلو الآية لابُدَّ أنْ تتمسَّك وتعمل بها فِي مواطنَ تستحق العمل بالآية لِأنَّ لِكُلِّ آية وسورة موطن لأسباب النُّزول، ولماذا لِكُلِّ آية سبب نزول؟

لِأنَّ كُلّ آية لها موطن تطبّق فيه بشكل حقيقي، وَهَذَا يحتاج إِلَى تسديد إلهي لمعرفة مواطن التطبيق يُعَبَّر عَنْهُ بمنصب أو مقام يتلو الكتاب حَقَّ تلاوته، وَهَذَا الوصف هُوَ أحد نعوت وأوصاف أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام فَإِنَّهُ العارف بمواضع تطبيق الآيات الَّتِي نزلت فيها كُلّ آية آية.

عَنْ سليمان الأعمش، عَنْ أبيه، قَالَ: قَالَ عليٌّعليه السلام: «**ما نزلت آية إِلَّا وأنا عَلِمتُ فيمن نزلت، وأين نزلت وَعَلَى مَنْ نزلت، إِنَّ ربي وهب لي قلباً عقولاً، ولساناً طلِقاً**»[١].

وَهَذَا التَّطبيق هُوَ أحد معاني النُّزول وَقَدْ مَرَّ مَعْنَى آخر ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ وَهُوَ تصدّي روح القُدُس فِي الوقائع والحوادث التّكوينية عبر لوح القضاء والقدر بالتّصرف بما يجري عَلَى وفق سنن القُرآن لا بمعنى الإلجاء والجبر، بَلْ أمرٌ بين أمرين.

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٩٥؛ بحار الأنوار: ج٩٢، ص٩٧ ح٦٠.

أسباب النزول والتنزيل والتأويل
واستمرار ولاية الله وولاية الرسول
وولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام

حقيقة النزول والتنزيل للآيات

ما هِي فوائد وأسرار آثار نتائج أسباب النزول:

بَعْدَمَا تَقَدَّمَ أَنَّهُ يمكن أنْ يَكُون للآية الواحدة أو السورة الواحدة أكثر مِنْ سبب للنُّزول، وأنَّ النُّزول يمكن أنْ يتكرَّر، وأنَّ السُّورة أو الآية ـ كَمَا هُوَ واضح ـ لابُدَّ لها مِنْ موطن فما مَعْنَى نزول الآية فِي موطن؟

إنَّ الشَّائع عِنْدَ الكثير مِنْ المُفَسِّرين ـ وللأسف ـ أنَّهم حصروا سبب النُّزول بمناسبة وواقعة مُعيَّنة لهذه الآية أو السورة وأنَّها نزلت عَلَى رسول الله صلى الله عليه وآله لمناسبة تناسبها وتناغمها مَعَ موطن مُعيّن والرَّسول صلى الله عليه وآله يُبلِّغها للنَّاس فِي ذَلِكَ الموطن الزَّماني والمكاني المعين، وَذَلِكَ الموطن يُسَمَّى سبب النُّزول.

إذَنْ غاية ما يمكن أنْ يُعَرِّفه جُلُّ المُفَسِّرين لأسباب النُّزول: هُوَ أنَّ لها

دورٌ فِي بيان المعنى الكُلِّي للآية، أيّ موطن النُّزول جغرافياً وزمانياً وأحداثياً.

بينما يَكُون لمعنى الآية فِي موطن حسب بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السلام حقائق وغايات وآثار أُخْرَى أحدها غَيْر الإبلاغ للبشر، وَغَيْر نزول الآية فِي الموطن الخاصّ، هُوَ نوعٌ مِنْ إنفاد وإجراء حاكمية الله تَعَالَى الولائية، فالتنزيل وَالنُّزول فِي موطن مُعيَّن حقيقته حكم تنفيذي بولاية إلهية وحاكمية مِنْ الله فِي البُعد التنفيذي والتطبيقي والولاية السياسيّة، وسبب النُّزول مُتمحّضٌ فِي التفسير والتبيين للمعنى الكُلِّي للآية حصراً، بَلْ هُوَ فِي الأصل طابع مِنْ الحاكمية للولاية الإلهية السياسية، سواء فِي مجال مرافق وأنشطة الدولة، أو فِي بُعد الأحوال الشّخصيّة، أو الأسرة أو التشريع المدني.

عمدة حقيقة القرآن بالولاية فِي النبِي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام وعمدة النبوة فِي التنزيل:

امتناع تفسير القرآن بمجرد النبوة، بل لابدَ من بعد الولاية فِي النبِي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام :

الحاكمية السياسية الولائية لله تعالى مختصة بالرسول صلى الله عليه وآله وأئمة أهل البيت عليهم السلام مِن بعده:

إنَّ الحاكم الأوّل السّياسي والعسكري والاقتصادي والتّشريعي فِي حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله هُوَ الله تَعَالَى، والحاكم الثَّانِي هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَمِنْ بعده أهل البيت عليهم السلام ومظهر تطبيق هَذِهِ الحاكميّة السياسيّة الإلهي هُوَ موارد

النُّزول، فمثلاً إِذَا كَانَ مورد نزول الآية هُوَ الأُمُور والشُّؤون العسكريّة والحربيّة، ففي مثل هَذَا الأمر لا يحسمه ولا يُبتُّ به إِلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ فيأمر الله تَعَالَى رسولهﷺ بأنَّ هَذَا المورد مورد حَرْب وقتال، وَهَذَا المورد مورد سِلْمٍ ومهادنة، وهكذا.

وَهَذَا معناه إعمال لولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي إدارة شؤون العباد، مُضَافاً ما لإعْمال ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جانب سياسي وعسكري واقتصادي وتجاري وأمني وغيرها، مُضَافاً إلى ارتّباط أكثر آيات القُرآن بجانب العقيدة والمعرفة وغيرها.

وَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى نقطة مُهمّة جدّاً فِي أسباب النُّزول تعتبر مِنْ أهم معاني وحقائق التنزيل وَالنُّزول، هِيَ أنَّ:

أسباب النزول حكم:

صرَّحتْ بَعْض آيات القُرآن الكريم بأنَّ سبب النُّزول هُوَ حكمٌ كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[1].

بتقريب: إنَّ كثيراً مِنْ المُفَسِّرين قَدْ يُفسِّرون ـ حكماً عربياً ـ أيّ لفظاً عربياً وليست أهميّة المسألة كون الحكم بلسان عربي أو غَيْر عربي بقدر أهميّة أنَّ المُراد مِنْ ﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾ لبيان أهميّة الولاية والحاكمية هُنَا مِنْ الله تَعَالَى فِي الشأن الشَّخصي الخطير المنعطف فِي مسيرة الدِّين المنشئ بلفظ عربي.

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣٧.

وَعَلَيْهِ ففي آيات عديدة وصفت التّنزيل بالحكم والتّصديق وفسّرته روايات أسباب النُّزول الصّحيحة الواردة عَنْ أهل البيت عليهم السلام أنَّها فِي مقام بيان مُعتقد حقيقي خطير فِي حقائق القرآن وَهُوَ مغفولٌ عَنْهُ حَتّى عِنْدَ جملة مِنْ مُفسِّري الخاصّة وَلَيْسَ هَذَا مُختصّاً بالتنزيل فَقَطْ، وَإنَّما يشمل حَتّى التّأويل فَإنَّ فيه ـ التأويل ـ تصديقٌ مِنْ جهة معناه الكُلّي، وفيه حكمٌ مِنْ جهة أُخْرَى.

وهكذا الآية المُبَارَكَة: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾[1].

بتقريب: أنَّ الآية المُبَارَكَة لها مفادان عام وخاص، أمَّا العام وَهُوَ الإبلاغ للبشر وأمَّا الخاصّ فَهُوَ بُعْدٌ جزئي حقيقي شخصي تطبيقي تتكفّل العناية الإلهية بتطبيق هَذِهِ المعادلة الكُليَّة فِي الآية فِي هَذَا الموطن، فَإنَّ مثل هَذَا التّطبيق يُسَمَّى بـ (الحكم).

والحاكمية الإلهية هِيَ غَيْر المفاد العام الكُلّي للآية، ومثل هكذا بيان لأسباب النُّزول لَمْ ولن نجده فِي غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام[2].

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٩.

(٢) مِنْ باب إتمامٌ للفائدة بيان الفرق بين الفتوى والحكم والحكمة والتصديق.

الفتوى: عبارة عَنْ بيان للحكم الكُلِّي بنحو عام كُلّي أيّ تنظير وتقنين سلطة تشريعية.

الحكم: عبارة عَنْ التطبيق للحكم الكُلِّي عَلَى واقعة جزئيّة فِي نزاع مُعيّن أَوْ لا، وَقَدْ يُعبَّر عَنْ التّنزيل والتّأويل بالحكم، ويُراد به التّطبيق، إِذَنْ إِذَا أُريد مِنْ التأويل التطبيق فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم، وهكذا التنزيل، فيُعبَّر عَنْهُ بالحكم، وهكذا التّنزيل، فَيُعبَّر عَنْهُ بالحكم فِي بيانات القُرآن وروايات أهل

والخلاصة: إنَّ الآية لا تنحصر فائدتها بالإبلاغ إلى البشر فَقَطْ، بَلْ هُوَ إعمال لحاكميّة الله السياسيّة الولائية إنْ كَانَتْ الآية مُرتبطة بالسياسة، وَهَذَا التّطبيق الجزئي لحاكميّة الله ولولاية الله السياسيّة، وأنَّ كُلّ المُنعطفات الَّتِي تمرُّ بها مسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وحكومته فِي حياته عَلَى مُختلف الأَصْعِدَة سواء فِي النظام الاجتماعي أو الاقتصادي أو العسكري أو ... الخ فَإنَّ زمام الأمر بيد الله تَعَالَى قبل أنْ يَكُون بيد الرسول صلى الله عليه وآله ـ كَمَا مَرَّ ـ.

وتحصل مما تَقَدَّمَ أنَّ أسباب النُّزول لها مُضَافَاً ـ لما مَرَّ ـ جنبة حكم بمعنى أنَّ الباري تَعَالَى يُمارس الحاكميّة والسياسيّة وَهُوَ الولاية، والحَقّ تَعَالَى وإنْ كَانَ لَهُ حقّ التّشريع وحقّ الألوهيّة، وحق العبوديّة كَذَلِكَ لَهُ تَعَالَى حقّ الحاكميّة السياسيّة أيّ الولاية لله **أوّلاً**، ثمَّ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله **ثانياً** ثمَّ ولاية أهل البيت عليهم السلام **ثالثاً**، وَهَذَا المعنى لأسباب النُّزول وَهُوَ حقّ إعمال الحاكميّة وَإنَّهُ تَعَالَى حاكمٌ لا تجده إلَّا فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فَإنَّ بحوث المُتكلمين فِي المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى وَغَيْر الإسّلاميَّة كاليهود والنّصارى وسائر الملل والنِّحل الأُخْرَى المُنتسبة إلى السّماء، فَإنَّهُ لَيْسَ فيها ـ أسباب النُّزول ـ مَعْنَى حقّ الحاكميّة السياسية لله تَعَالَى وإنْ كانوا يُؤمنون

البيت عليهم السلام بالتصديق.

الحِكْمَة: هِيَ وضع الشيء الكُلِّي فِي مواضعه الجزئية المُناسبة لَهُ، سواء كَانَ جزئي حقيقي أو إضافي الذي هُوَ أضيق دائرة مِنْ الكُلِّي، وأنَّ الحُكم والحاكميّة فيها جنبة ولاية.

التَّصديق: هُوَ ملاحظة البُعْد العام فِي التّنزيل يعني المفاد الكُلِّي فِي الآية الَّتِي أبلغت للبشر وَلَمْ يلحظ موطن تطبيقهُ، فَهَذَا ما يُسمّى بالتّصديق أيّ تصديق التّنزيل.

بالتّوحيد أيّ يُؤمنون بأصل وجود الله وبأصل صفات الله هُوَ التّوحيد فِي المعرفة.

كَذَلِكَ النُّبوّة توحيد فِي التشريع قبل أنْ تكون إيمان بالأنبياء هِيَ إيمان بالله، وَهَذَا شأن آخر فِي التّوحيد، وَعَلَيْهِ فالتّوحيد لَهُ مقامات وشؤون.

ولا يكفي توحيد الله فِي مقام التّشريع.

وغرضنا مِنْ ذكر هَذِهِ المُقدِّمات هُوَ لأجل تفسير حقيقة النُّزول الَّتِي خُفيت عَنْ جُملة مِنْ المُفَسِّرين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ومعرفة ولاية الله تَعَالَى.

التوحيد عند المدارس الإسلامية الأخرى[1]:

إنَّ الاعتقاد بالتوحيد عِنْدَ بَعْض المذاهب الإسّلاميَّة يُعنون به الاعتقاد بأصل وجود الله تَعَالَى، وَمِنْ الواضح حصر التّوحيد بهذه المرتبة غَيْر كافٍ لصدق التّوحيد فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام؛ لِأنَّ التّوحيد لَهُ مقامات وشؤون عديدة فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فمثلاً أحد مقامات التّوحيد أَنَّهُ لا موجود أزلي سرمدي إلَّا لله، وَهُنَاكَ مقام آخر للتوحيد هُوَ النبوّة، فَإِنَّ النبوّة هِيَ توحيد وإيمان بالله تَعَالَى قبل أنْ تكون إيمان بالأنبياء،

---

(١) غرضنا مِنْ ذكر هَذَا المطلب هُوَ لأجل تفسير البُعد الآخر لأسباب النُّزول، وأنَّ هُنَاكَ حقيقة خُفيت عَنْ المُفَسِّرين بسبب ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام وعدم معرفة ولاية أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا هُنَاك مقام ثالث وَهُوَ: إِنَّهُ لا مُشَرِّعَ إِلَّا الله تَعَالَى عِبْرَ أنبياءه ورسوله، وَمَنْ يخوّلهم الله فِي التّشريع، فَإِنَّ لا إله إِلَّا الله عَلَى مراتب كَمَا فِي الرّواية عَنْ الإمام علي بن موسى الرضاعليه السلام: «**لا إله إِلَّا الله حصني فَمَنْ دخل حصني أمِنَ مِنْ عذابي فلما مَرَّت الراحلة نادانا بشروطها، وأنا مِنْ شروطها**»[1].

بتقريب: أنَّ لا إله إِلَّا الله لها درجات وولاية الأئمة المعصومين وأحدهم الإمام الرضاعليه السلام هُوَ أحد درجات التّوحيد، فَكَمَا أنَّ لا إله إِلَّا الله موجود سرمدي أزلي إِلَّا الله ولا مُشَرِّع إِلَّا الله ولا حكم إِلَّا لله ولا ... الخ كَذَلِكَ النبوّات والإمامة والولاية عبارة أُخْرَى عَنْ شأن توحيدي، فَإِنَّهُ لا نبوّة ولا إمامة ولا ولاية بالأصالة إِلَّا لله تَعَالَى، فَإِنَّ مبحث الولاية مِنْ أعظم أركان فروع الدِّين وَالفِقْه وَلَمْ يُنادَ بشيء أعظم مما نودي بالولاية؛ لِأَنَّ الولاية بالأصل هِيَ ولاية الله، وَعَلَيْهِ كيف يَقِرّ البعض بوجود الله الأزلي السّرمي، ولكن يجحد ولاية الله تَعَالَى؟

ومثل هؤلاء وصفهم أمير المؤمنينعليه السلام بأنَّهم تمسَّكُوا بالشّجَرَة وضيّعوا الثّمرة فَإِنَّ أصل شجرة التّوحيد فِي الوجود الأزلي السَّرمدي هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ وثمرته ـ التّوحيد ـ أَنَّهُ لا ولاية إِلَّا لله وَهِيَ الأصل ثمَّ ولاية الرسول ثمَّ ولاية أئمة أهل البيتعليهم السلام الَّتِي هِيَ مظهر لولاية الله تَعَالَى، فالله موجود أزلي سرمدي لَهُ حاكميّة التّشريع والحاكميّة السياسيّة، كَذَلِكَ نبوّة

---

(١) الأمالي، الشّيْخ الصّدوق: ص٣٠٦.

الأنبياء فَإِنَّهَا مَظْهر وقناة لتشريع الله وَمِنْهَا ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولاية أئمة أهل البيت عليهم السلام هِيَ قناة الإيصال إرادات الله، ولا أحدٌ يطّلع عَلَى إرادات الله إِلَّا مَنْ اصطفاهم وَهُمْ النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الَّتِي أحد نعوتهم عليهم السلام أنَّهم مهبط مشيئة الله، وإرادات الله تنزل فِي بيوتكم يعني بيوت الأرواح والنفوس، ولذلك فَإِنَّ معتقد الإمامة وولاية أهل البيت عليهم السلام هُوَ شأن توحيدي، ولذا نعتقد بان مَنْ أخفق وخُذِل فِي هَذَا المعتقد فَقَدْ أخفق وجَحَدَ فِي مقام مِنْ مقامات توحيد الله عَزَّ وَجَلَّ، وهكذا المعاد يعني لقاء الله وَلَيْسَ المُرَاد اللقاء الجسماني ـ هُوَ مظهر توحيدي، ومثل هكذا مقام لا تجده إِلَّا فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولذا إِذَا قلنا أَنَّ التّوحيد الكامل والخالص لَمْ ولن نجده إِلَّا فِي مدرسة أهل البيت عليهم السلام لَمْ نكن مبالغين وَإِنَّما هُوَ لبيان الواقع والحقيقة.

ملحمة الحكم والحاكمية فِي قاعدة أسباب النزول:

تَقَدَّمَ سابقاً أَنَّ المُرَاد مِنْ الولاية يعني حاكمية الله السياسيّة وَالَّتِي لا تجدها فِي أيٍّ مذهب مِنْ المذاهب الإسّلاميَّة إِلَّا فِي مذهب أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ الولاية مظهرها وترجمانها هُوَ تنفيذ النَّبِيّ للأوامر الإلهيّة فِي مورد نزول الآية الَّتِي يأمر بها الله تَعَالَى نبيّه صلى الله عليه وآله فِي هَذَا المورد أعقد السِلْمَ، وفي مورد آخر أُخرج للحرب، وفي ثالث أعقد هدنةً ورابع فداء وضريبة ماليّة أو أخذ الخمس، أو الإدارة الاقتصادية، وَهَذِهِ وغيرها مِنْ المهام الَّتِي تلقى عَلَى عاتق النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وَمُبَاشَرَة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إليها هِيَ بصلاحيّة مِنْ الله نظير

التّشريعات الإلهيّة الَّتِي فِي بعضها مساحة فرائض الله، وفي بعضها الآخر مساحة لسنن الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو سنن المعصومين عليهم السلام، وبالتّالي فَإِنَّ هَذِهِ التّشريعات لا تنسب إلى الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو الأئمة وَإِنَّما تُنسب إلى الله وأنَّ الله تَعَالَى رخّص الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأعطاه صلاحيات مُعيّنة وهكذا الأئمة عليهم السلام.

فالأحداث الخطيرة والعصيبة فتدبير شأنها مِنْ قسم ولاية الله تَعَالَى، وما كَانَ دون ذَلِكَ أيضاً هُوَ مِنْ ولاية الله إِلَّا أَنَّها فِي ضمن صلاحيّة ولاية الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله، وما دون ذَلِكَ يدخل فِي صلاحيّة المعصومين عليهم السلام كحسم الموقف السياسي أو الاقتصادي أو العسكري أو المالي أو الحربي أو ... الخ.

والخلاصة: إنَّ الحاكميّة إذَا وصلت إلى منعطف خطير فتكون لله عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا الذي يُعْبَر عَنْهُ بالبُعْد الآخر لأسباب النُّزول وَإِنَّها تجلّي وبروز وتطبيق للحاكميّة السياسيّة لله تَعَالَى فِي الأصعدة المختلفة.

ولا يُعْقل انحسار وتقوّض هَذِهِ الحاكميّة السياسيّة برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى وَإِنَّما لا زالت موجودة، بَلْ وَمِنْ مُختصّات أهل البيت عليهم السلام.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بجهة مُعيّنة، بَلْ لها جهات وحقائق أُخْرَى مُهمّة ومؤثّرة.

الولاية لا تتقزم فِي البعد السياسي والتنظيم الحربي:

إنَّ حقيقة ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولاية أئمة أهل

البيت عليهم السلام[١] لا تنحصر ولا تتقزّم بالبُعْد السياسي والتنظيم الحربي وغيرهما وَإِنَّما الولاية لها دور أساسي فِي جميع العلوم والمعارف والشؤون العسكريّة والأمنية والاقتصاديّة والتّجارية والاجتماعية والتربويّة والثقافيّة وغيرها.

فَإِنَّ أحد دعائم الولاية هُوَ الهداية، فالبشر بمفرده وبمعزل عَنْ ولاية الله وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام لا يستطيع أنْ يُحقّق النتائج المُثمرة والنَّاجحة سواء النّظرية أو العمليّة إلَّا بإعمال الولاية الإلهية وَالَّتِي أحد دعائمها الهداية لا سيّما الهداية الملكوتيّة والهداية الإيصاليّة ـ والهداية غَيْر الولاية وَغَيْر الحاكمية السياسيّة ـ فَإِنَّ الهداية عَلَى قسمين:

الأول: هداية إراءة ـ الهداية الأرائية هِيَ التعريف بالمطلوب و الغاية وتشخيصه وتنجيز ـ أيّ والإعلام به ـ وإقامة الحجّة عَلَيْهِ، فَهِيَ بالتالي إراءة وإنارة للطريق مِنْ دون اصطحاب وأخذ للمُسترشد بيده إلى الغاية.

الثاني: هداية إيصالية: وَهِيَ الإيصال إلى المطلوب والهَدَف، فَإِنَّ الله تَعَالَى هُوَ الهادي، فَإِنَّ فِي بَعْض منعطفات الهداية سواء الأرائية أو الإيصاليّة الَّتِي تنير لنا الطريق وتوصلنا إلى الباري هِيَ مِنْ الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾.

بتقريب: إنَّهُ لابُدَّ أنْ نطوي الطريق مَعَ ثلة الهداة المهديين الذي يُنيرون لنا الطريق، وَهَذِهِ الهداية مُتمثّلة بمقام النبوّة والإمامة المُمهّدين

---

(١) كَمَا بيّنه الشَّيْخ مُحمَّد السَّند فِي كتابه: **الإمامة الإلهية**: ج٣، ص٥٧٩.

والآخِذين والكفيلين بإيصالِك إلى الولاية الحقّة وَهِيَ ولاية الله تَعَالَى بطريق نيّر.

والهداية الإيصالية هِيَ محطّ غرض إلهي وَإنَّها ـ الهداية الإيصالية ـ هِيَ مِنْ غايات الهداية التّشريعية، وأنْ يَكُون المجتمع البشري مجتمعاً فاضلاً تكامليّاً وإصلاحياً لجميع البشر، والوصول إلى الحقيقة وَهِيَ العبوديّة الخالصة لله تَعَالَى والوصول إلى الأغراض والأهداف والمطلوبة.

وَالقُرآن الكريم عَبَّر عَنْ الولاية والإمامة فِي عشرات الآيات وبعشرات العناوين كالإمامة والولاية والملك والخليفة والهادي والشّاهد والولي.

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[1]. ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾[2] وفي آية أُخرَى عَبَّر عَنْ الإمامة بالملك ﴿وَءَاتَىٰهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾[3] ﴿فَقَدْ ءَاتَيْنَا ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَـٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَـٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[4].

بتقريب: أنَّ آل إبراهيمعليه السلام ملكوا ملكاً عظيماً وَهُوَ منصب ومقام الولاية الذي هُوَ مِنْ أعظم المناصب.

والهداية ﴿وَجَعَلْنَـٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٢٤.
(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.
(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥١.
(٤) سورة النساء: الآية ٥٤.
(٥) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

والمودّة ﴿قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾[١].

وما وَرَدَ فِي كلمات أهل البيت عليهم السلام: **«ما نودي بشيء أعظم ممّا نودي بالولاية»** أو لَمْ تنادَ بشيء ما نودي بالولاية[٢].

مما تَقَدَّمَ تَحَصَّل أنَّ منصب الولاية لا يتقزّم ببُعْدٍ مُعيَّن كالبُعد السياسي والتنظيم الحربي وَإِنَّما الولاية لها شؤون وجوانب مُخْتَلِفَة فمثلاً ولاية الرسول صلى الله عليه وآله تشتمل عَلَى جوانب كثيرة.

مِنْهَا: فِي جانب القضاء كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ۝٤٨﴾[٣] وقوله تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥١﴾[٤].

وَمِنْهَا: تدبيره صلى الله عليه وآله للأموال العامّة كقوله تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١﴾[٥].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ

---

(١) سورة الشورى: الآية ٢٣.

(٢) المحاسن للبرقي: ج١، ص٢٨٦.

(٣) سورة النور: الآية ٤٨.

(٤) سورة النور: الآية ٥١.

(٥) سورة الأنفال: الآية ١.

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١].

وَمِنْهَا: الجانب السياسي والتنظيم الحربي فلقوله تَعَالَى: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾[٣].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾[٤].

وقوله تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[٥].

وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾[٦].

وقوله تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧].

وَمِنْهَا: الجانب الاجتماعي والتقنين الأسري، فلقوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤١.
(٢) سورة الأنفال: الآية ٥٨.
(٣) سورة التوبة: الآية ١٢٣.
(٤) سورة الأنفال: الآية ٦١.
(٥) سورة الأنفال: الآية ٦٧.
(٦) سورة الأنفال: الآية ٧٠.
(٧) سورة النساء: الآية ١٤٤.

قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ﴾[(١)].

وَمِنْهَا: الجانب الأمني كَمَا فِي قوله تَعَالَى: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ﴾[(٢)].

فضلاً عَنْ الآيات الَّتِي تحدّثت عَنْ إقامة أحكام الحدود مثل الزِّنا والسّرقة وغيرها.

كَمَا أنَّ الولاية العامّة وغيرها ليست مرتبطة بالنبوّة، بَلْ بإمامة الْنَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وولايته لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾[(٣)] **بتقريب**: إنَّ الآية الْمُبَارَكَة فِي مَعْرِض بيان صلاحيته صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فِي إقامة المعاهدات مَعَ أهل الكتاب، أو قتالهم وحقوق المسلمين وما يتعلّق بشؤونهم.

إذَنْ فالموارد الَّتِي مارسها الْنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأقامها وأجراها فِي حكومته تنفيذٌ للإرادة الإلهية فيها.

وأنَّ أوامر الله تَعَالَى للنبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه الَّتِي وَرَدَتْ فِي القُرآن الكريم كَانَتْ بمستوى التنفيذ والتنجيز لا عَلَى مستوى التنظير الكُلِّي فَقَطْ، وَهِيَ تشريعات لإقامة الدولة، حَتّى أنَّ المسلم ليشعر أنَّ الإسلام لَهُ دخلٌ فِي كُلّ تفاصيل حياته اليوميّة فضلاً عَنْ كُلّيات أحكامها، وَالْنَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه كَانَ أَوّل مصداق فِي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠٨.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

تطبيق هَذِهِ العلاقة القُرآنيّة.

وبعبارة أخرى: فَإِنَّ أسباب النُّزول فِي التّشريعات القُرآنيّة فِي دولة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وحكومته لَيْسَ مفاد سبب النُّزول وثمرته الَّتِي هِيَ بيان المعنى الكُلِّي للتشريع وتوضيحه فَقَطْ، بَلْ هُنَاكَ بُعْدٌ هام بالغ الخطورة أيضاً فِي مَعْنَى أسباب النُّزول لتلك التّشريعات القُرآنية: ـ هُوَ أَنَّ تلك الموارد لأسباب النُّزول تصدي مِنْ الله تَعَالَى لتدبير الحكم السياسي فِي المجالات المُختلفة بإرادة إلهية لا بإرادة نبويّة.

فَمِنْ ثَمَّ التّصرف الحكومي والحاكمي يسند إليه تَعَالَى، فالحاكم الأوّل فِي حكومة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ يكن النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، بَلْ هُوَ الله تَعَالَى يتصدّى فِي المُنعطفات الخطيرة السياسيّة والعسكريّة والاقتصاديّة والأمنيّة والقضائيّة والاجتماعيّة وغيرها فِي دولة وحكومة الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، والحاكم الثَّانِي هُوَ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وكذلك الحال فِي حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فَإِنَّ الحاكم الأوّل فِي المُنعطفات الخطيرة هُوَ الباري تَعَالَى، ثَمَّ الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ والحاكم الثَّالِث هُوَ أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي الأمر بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فِي برنامج حكومته عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذلك فِي حكومة الحسنين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى العراق وحكومة الإمام المهدي عَجَّلَ اللهُ تَعَالَىٰ فَرَجَهُ الشَّرِيفَ وحكومة سائر الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والخلاصة مِنْ كُلّ هَذَا: أَنَّ ممارسة القضاء وإدارة السياسات الماليّة والاجتماعيّة وغيرها هِيَ مِنْ قبل الله تَعَالَى، وثانياً النَّبِيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ ولاية الرسول صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الَّتِي مِنْ خلالها يمارس صلاحياته فِي الحكم والقضاء هِيَ فرع

ولاية الله تَعَالَى، فالحكم الجزئي التنفيذي الإجرائي فضلاً عَنْ الكُلِّي هُوَ مِنْ قبل الله تَعَالَى.

ففي دولة الرسولﷺ فَإِنَّ الحاكم المباشر هُوَ الله تَعَالَى لا بمعنى التجسيم والتشبيه، بَلْ بمعنى أَنَّ إرادته تَعَالَى تتنزّل عَلَى رسوله فينفذها مِنْ دون أنْ يَكُون التّصرف الحكومي منبعثاً مِنْ إرادة الرسولﷺ، فإرادة الله تَعَالَى متنزّلة فِي القرارات الجزئية التفصيليّة مِنْ معاهدات وحروب وعلاقات كَذَلِكَ.

والإمامية تستشهد بذلك عَلَى الإمامة، وهل أَنَّ الله تَعَالَى يُعْمِل حاكميّته السياسيّة فِي فترة مُعيّنة دون غيرها مِنْ الفترات بغضّ النّظر عَنْ ولايته تَعَالَى التّكوينيّة؟

هل ولاية وحاكمية الله للبشر انقطعت برحيل رسول اللهﷺ أو لا؟

فإذا كَانَ المصدر الرئيسي للأحكام الجزئية التنفيذيّة التفصيليّة فِي الْمُنعطفات الخطيرة وممارستها مِنْ قبل الله تَعَالَى، فهل هَذِهِ الممارسة هِيَ لفترة محدودة تقتصر عَلَى الحقبة النبويّة الْمُبَارَكَة ـ أيّ مِنْ خلال وجود الْنَّبِيّﷺ الشريف فَقَطْ ـ دون فترة ما بَعْدَ رحيله الشّريف، ثمَّ تنقطع بَعْدَ ذَلِكَ ولاية الله تَعَالَى فِي الإشراف السّياسي وتلغى؟ أم لابُدَّ لولاية الله تَعَالَى مِنْ الاستمرار والدّوام والبقاء؟

فإنْ قُلْنا بالأوّل: وَهُوَ انقطاع ولايته تَعَالَى عِنْدَ وفاتهﷺ ألزمنا أنفسنا

بالتعطيل وانحسار إرادته تَعَالَى، وَمِنْ ثَمَّ عجزه تَعَالَى ـ والعياذ بالله ـ عَنْ الامر، وبالتالي عزل إرادته عَنْ الحاكمية عَلَى خلقه، تَعَالَى الله عَنْ ذَلِكَ علوّاً كبيراً، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾[1] **بتقريب:** إنَّ الألف واللام فِي (الحكم) للجنس أيّ كُلّ حكم سواء عَلَى صعيد التشريع أو التنفيذ أو التنظير [**فالولاية لله الحَقّ**] وَعَلَيْهِ فحتّى أمر التنفيذ وحسمه هُوَ لله تَعَالَى، وما عَلَى الرسول إلَّا التنفيذ؛ ولذا عِنْدَمَا يقول القُرآن ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2] **بتقريب:** لَيْسَ المُرَاد مِنْ جعل الله تَعَالَى للخليفة فِي الأرض بمعنى استخلاف عُزْلة عَنْ الله تَعَالَى، فَإِنَّ الله تَعَالَى لا يعزل أحداً عَنْ قدرته، وَإِنَّما المُرَاد مِنْ جعل الله خليفة بمعنى استخلاف تجلّي وظهور لقدرة الله وولايته تَعَالَى فِي تصرفات هَذَا الخليفة، وأنكر عَلَى اليهود قولهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[3] فيدُ تصرّفه تَعَالَى مبسوطة لا مغلولة، **بتقريب:** أنَّ قدرة الله عَزَّ وَجَلَّ قَدْ انحسرت ـ والعياذ بالله ـ

ولاية الله عز وجل فِي دولة الرسول هِي ظهور وتجلي لحاكمية الله تعالى على يد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه فِي أسباب النزول:

أَمَّا إذَا قلنا بالقول الثَّانِي ـ وَهُوَ عدم انحسار ولاية الله وحاكميته ـ كَمَا هُوَ الصّحيح والذي عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنْ أنَّ ولاية الله تَعَالَى

---

(١) سورة الأنعام: الآية ٥٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.

مُستَمِرة إِلى أبد الآباد وليست مُختصّة بفترة زمان النَّبيّ صلى الله عليه وآله وما قبله وما بعده، بَلْ حاكميّة الله تَعَالَى لا توصف بالفترة الزمنيّة، ولا تأخذ بُرْهة وفترة وجيزة، فلا يمكن القول بها بحسب معتقدات مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وإذا أخذنا بالقول الثَّانِي معناه استمرار ولايته وبقاؤها، فَعَنْ أيّ طريق تمرّ وتتنزّل إرادته وولايته تَعَالَى وَمِنْ أيّ قناة ستكون؟ إذْ هُوَ تَعَالَى لا يُحسّ ولا يُجسُّ ولا يُجبه.

فالقول بولايته تَعَالَى فِي الحاكمية السياسّة فِي النّظام البشري يلزم مِنْهُ القول بوجود المعصوم فِي كُلّ وقت، وَهُوَ مَعْنَى قوله تَعَالَى بنحو دائم كُلّي عام ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1].

وقولُ أمير المؤمنين عليه السلام: «**إنَّ الأرض لا تخلو مِنْ حجّة**» فَالمُراد بالحجّة أيّ القناة المعصومة الَّتِي مِنْ خلالها إمرار ولايته تَعَالَى وإنفاذها عَلَى الخلق، وَهُوَ ما يدعو إلى القول بوجود الإمام المعصوم فِي كُلّ آنٍ مِنْ آنات الخلق، فَهُوَ ... المعصوم سفير الله فِي خلقه.

فَمُبَاشَرَة الله تَعَالَى للتفاصيل السياسيّة فِي حاكميّة التّدبير لجزئيات الأُمُور نصَّ عَلَيْهَا القُرآن الكريم، كَمَا فِي قوله تَعَالَى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾[2].

إذْ هَذَا الاختبار لأصحاب طالوت لَيْسَ باختياره، بَلْ هُوَ بأمر الله

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٩.

تَعَالَى كَمَا فِي غيرها مِنْ موارد أحكام الأنبياء، إِلَّا أنَّ سيرة النَّبيّ ﷺ تلاحظ بشكل أكثف وأكبر تركيزاً عَلَى مستوى آيات القُرآن الكريم.

والخلاصة: المقصود مِنْ حاكمية الله تَعَالَى فِي أسباب النُّزول، سواء كَانَتْ فِي القُرآن أو الإنجيل أو التّوراة غَيْر المُحرَّفة هِيَ حاكميّة ولاية لله تَعَالَى وأبديّة مُستمرة دائمة.

وَمِنْ الطبيعي أنَّ ولاية الله تَعَالَى وحاكميته تقتضي وصايا إلهيّة بوجود خليفة مِنْ قبل الله تَعَالَى، وَهَذَا الوصي يمثِّل استمرار ولاية الله وحاكميته وكيفية ظهور وتجلّي حاكميته تَعَالَى الماضية فِي الكون والمكان والمكين والأكوان والزّمان، تظهر عَلَى يد الملائكة، فَإِنَّ أفعال جبرائيل عليه السلام هِيَ ظهور ومظهر لقدرة الله تَعَالَى؛ لِأَنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذي أقدر جبرئيل عَلَى تلك القدرة والأفعال.

وهكذا فِي أفعال ملك الموت عزرائيل عليه السلام: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

بتقريب: إِنَّهُ لَيْسَ المُراد مِنْ (وُكِّل) بمعنى أنَّ الله تَعَالَى أعطى لعزرائيل عليه السلام وكالة عزلةٍ وتجافي وَأَنَّهُ تَعَالَى معزول عَنْ عمل ملك الموت، كلا لَيْسَ هَذَا هُوَ المقصود وَإِنَّما المقصود مِنْ (وُكِّل) بمعنى تجلّي وظهور لقدرة الله تَعَالَى، وما يفعله عزرائيل عليه السلام هُوَ ظهور وتجلّي لعظمة فعل الله تَعَالَى عَلَى يديه.

---

(١) سورة السجدة: الآية ١١.

وهكذا نفس الكلام مَعَ ميكائيل عليه السلام المُوَكَّل بالأرزاق وعنده تقاديرها، وإسرافيل عليه السلام الذي يسري إلى الأبدان وينفخ فِي الأرواح، فَإِنَّ هَذِهِ وغيرها كُلَّهَا مظاهر فعل الله عَزَّ وَجَلَّ.

فمثلاً تظهر أفعال الله تَعَالَى عَلَى يد الملائكة العظام وغيرهم مِنْ طبقات الملائكة، كَذَلِكَ ولاية الله تَعَالَى فِي دولة الرسول صلى الله عليه وآله هِيَ بالحقيقة حاكميّة الله تظهر عَلَى يد الرسول صلى الله عليه وآله بأسباب النُّزول، وهكذا ولاية الله عَزَّ وَجَلَّ فِي دولة وحكومة سيد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إِذَنْ حاكميّة الله تَعَالَى السياسيّة مُستمرة إلى قيام السَّاعة، ولو رُفعت هَذِهِ الحاكميّة وليلة القدر لرُفع القُرآن؛ لوثاقة الصِّلة ـ والربط بين نزول القُرآن وبين ليلة القدر، وبما أنَّ ليلة القدر لها ارتباط وثيق بأهل البيت عليهم السلام فَهَذَا معناه أنَّ أهل البيت عليهم السلام هُمْ تجلّي وقناة لنزول ولاية الله ومشيئته: «**إنِّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي**» «**... أهل بيتي حبل ممدود بين السّماء والأرض**» وإِنْ كَانَ بعضهم كالمأمون العبّاسي يستفهم مُشككاً مِنْ الإمام الرضا عليه السلام عَنْ الحسن بن الجهم، قَالَ: حضرت مجلس المأمون يوماً وعنده علي بن موسى الرضا عليه السلام، وَقَدْ اجتمع الفُقَهاء وأهل الكلام مِنْ الفرق المختلفة فسأله بعضهم، فَقَالَ لَهُ: يا بن رسول الله بأيِّ شيء تصحّ الإمامة لمُدّعيها؟ قَالَ: «**بالنَّص والدّليل**»، قَالَ لَهُ: فدلالة الإمام فيما هِيَ؟ قَالَ: «**في العلم واستجابة الدّعوة**»، قَالَ: فما وجه أخباركم بما يَكُون؟

قَالَ: «ذَلِكَ بعهد معهود إلينا مِنْ رسول الله صلى الله عليه وآله»، قَالَ فما وجه أخباركم بما فِي قلوب النَّاس؟ قَالَ عليه السلام لَهُ: «أمَّا بلغك قول رسول الله صلى الله عليه وآله اتّقوا فراسة المؤمن فَإِنَّهُ ينظر بنور الله»، قَالَ: بلى، قَالَ: «وما مِنْ مؤمن إِلَّا وَلَهُ فراسة ينظر بنور الله عَلَى قدر إيمانه ومبلغ استبصاره وعلمه، وَقَدْ جمع الله الأئمة مِنَّا فرقة فِي جميع المؤمنين، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِي محكم كتابه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّلۡمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ فأول المتوسمين رسول الله صلى الله عليه وآله ثُمَّ أمير المؤمنين مِنْ بعده، ثُمَّ الحسن والحسين والأئمة مِنْ ولد الحسين عليه السلام إلى يَوْم القيامة»، قَالَ: فنظر إليه المأمون، فَقَالَ لَهُ: يا أبا الحسن زدنا ممّا جعل الله لكم أهل البيت عليهم السلام، فَقَالَ الرضا عليه السلام: «إِنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ أيّدنا بروح مِنْهُ مقدسة مطهرة ليست بملك لَمْ تكن مَعَ أحد مِمَّن مضى إِلَّا مَعَ رسول الله صلى الله عليه وآله وَهِيَ مَعَ الأئمة منّا تسددهم وتوفّقهم وَهُوَ عمود مِنْ نور بيننا وبين الله عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

: «إِنَّكم تدعون العلم ببعض المغيبات فأجابه الإمام الرضا عليه السلام: بأَنَّ المؤمن ينظر بنور الله».

بتقريب: إِنَّ المؤمن كُلّما زيد فِي إيمانه وكَمُل كُلّما زيد لَهُ فِي ذَلِكَ النُّور فيرى ما لا يَرى غيره، وَهَذَا يكشف أَنَّ الأئمة الأطهار عليهم السلام مِنْ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الإمام الثَّانِي عشر الحجّة بن الحسن عجل الله فرجه أَنَّ الله ملّكهم سلك وقناة ارتباط إلهي خاص وَهُوَ العلم اللُّدني.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشَّيْخ الصدوق: ج٢، ص٢١٦ ـ ٢١٧.

استمرار حاكمية الرسول صلى الله عليه وآله بعد رحيله، والأئمة عليهم السلام بعد رحيلهم:

ثمَّ إنَّ الاستمراريّة بالحاكميّة ـ كَمَا هِيَ حقيقة فِي حاكميّة الله عَزَّ وَجَلَّ ـ لا تنقطع ولا تزول، فكذلك هِيَ حقيقة فِي حاكميّة الرسول صلى الله عليه وآله الَّتِي هِيَ ظل وتبع لحاكميّة الله عَزَّ وَجَلَّ فما فِي عشرات الأوامر القُرآنيّة ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ مِنْ الأمر بإطاعة الله وإطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وكذلك ما فِي الآيات مِنْ بيان لولاية الرسول صلى الله عليه وآله، فَإِنَّ هَذِهِ الولاية والحاكميّة ولزوم الطاعة لَمْ تنقطع برحيل النَّبِيّ صلى الله عليه وآله إلى البرزخ، بَلْ لا زالت حاكميته وولايته عَلَى الأئمة الأثني عشر عليهم السلام فضلاً عَنْ ولايته عَلَى بَقيَّة الأنبياء والرُّسل وجميع البشر لَمْ تنقطع، بَلْ هِيَ مستمرة، فَالنَّبِيّ الخاتم صلى الله عليه وآله شاهدٌ عَلَى الشُّهداء إذْ ولايته صلى الله عليه وآله المقام الأوّل الذي صَرَّحَ بها القُرآن فِي آيات ثلاث ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨﴾[1]، و ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨﴾[2] و ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ﴾[3].

بَلْ فِي جَمٍّ مِنْ الرُّوايات أَنَّهُ صلى الله عليه وآله شاهدٌ عَلَى الإشهاد والشُّهداء عَلَى الأعمال، فَهُوَ ولي الأولياء والرَّاعي للولاة، فَهَذِهِ الولاية لَهُ صلى الله عليه وآله لَمْ تنقطع فِي

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٤٥.

(٢) سورة الفتح: الآية ٨.

(٣) سورة المزّمل: الآية ١٥.

حكومة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، فكَمَا أنَّ الحاكم الأوَّل فِي حكومة أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ الله تَعَالَى، فَإِنَّهُ فِي ظل حاكميّة الله عَزَّ وَجَلَّ حاكميّة الرسول صلى الله عليه وآله، وكذلك الحال فِي عهد إمامة بَقيَّة أئمة أهل البيت عليهم السلام وولاية فاطمة عليها السلام وحكومات دولتهم الإلهية الخفيّة فَإِنَّها فِي تبع وطول ولاية وحاكميّة الرسول صلى الله عليه وآله فَإِنَّها لَمْ تنقطع برحيل أمير المؤمنين عليه السلام إلى البرزخ بَلْ هِيَ باقيّة مستمرة، وإنَّ الموت لَيْسَ حجاباً عَنْ ممارستهم لدور الولاية، كَمَا أنَّ غيبة وخفاء الإمام الثَّانِي عشر ليست حجاباً عَنْ ممارسته لدور الولاية.

الفرق بين التشريع والتنزيل:

تنبيه هام: إنَّ بَعْض الْمُفَسِّرِين لَمْ يتبلور ويتميّز لديه الفرق بين التّشريع والتنزيل مِنْ جهة، وبين مورد النُّزول ومورد التّنزيل مِنْ جهة أُخْرَى، إذْ جعلوا مورد النُّزول والتّنزيل مُجَرَّد شاهد ومبينٍ لمعنى التّنزيل الكُلِّي أيّ التّشريع العام لا أكثر مِنْ ذَلِكَ، وَهَذَا بَخْسٌ لحقيقة التّنزيل.

فَبَعْض الْمُفَسِّرِين فَهِمَ أنْ التّنزيل دوره تفسيري أيضاحي للآية دون أنْ يَكُون لَهُ دوراً آخراً، فِي حين أنَّ التّنزيل هُوَ نوع ممارسة فعليّة لحاكميّة الله تَعَالَى السياسيّة فِي الجزئيات التفصيليّة وسلطنة السياسيّة، ومفاد هَذَا غَيْر مفاد التّشريع، وَقَدْ ذهب أهل سنة الجماعة إلى هَذِهِ الشّبهة الَّتِي تؤول إلى ما اعتقده اليهود مِنْ الله تَعَالَى شرَّعَ فَقَطْ وَلَمْ يُمارس الحاكميّة والسّلطة

السياسيّة التفصيلية فِي تدبير النّظام السياسي الاجتماعي والحكم التنفيذي وَهُوَ قوله تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُۚ﴾[1].

بتقريب: إنَّ التعطيل الذي تصوّرته اليهود فِي حقّه تَعَالَى، قَدْ أنجرَّ إلى بعضهم حَتّى عَطّلّوا إرادته، إيهاماً منهم بأنَّ الله تَعَالَى لَمْ يُمارس ولايته إلّا فِي حدود التّشريع الكُلِّي فَقَطْ، أيّ فِي السّلطة التّشريعية دون السّلطة السياسية التنفيذية والقضائية فِي حين لو تتبّع الباحث الكريم آيات القُرآن يجد مِنْ خلالها تصدي الإرادة الإلهيّة لوقائع وأحداث كبرى ولوقائع قرآنية سواء فِي منعطفات حكومة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله ومسير دعوته، وَهَذَا سُلطانُ الإرادة الإلهية وإعمال للحاكميّة التّشريعيّة أو الماليّة أو السياسيّة أو القضائيّة وغيرها لَمْ تنفرد فيها إرادة النَّبِيّ صلى الله عليه وآله دون إرادة الله تَعَالَى.

فالتنزيل: لَيْسَ هُوَ لألفاظ التّشريع الكُلِّي فَقَطْ لا غَيْر كَما هُوَ رائج، هَذَا التعريف لدى الكثير مِنْ المُفَسِّرين والمُتكلمين، بَلْ هُوَ أحد جهاته والتنزيل حقيقةً: هُوَ إعمال ولايته تَعَالَى السياسيّة المُباشَرة عَلَى جميع الدقائق والجزئيات التفصيلية الخطيرة فِي منعطفات الحياة الاجتماعية والسياسيّة وغيرها مِنْ مجالات البشر، كَما أنَّ التنزيل هُوَ تطبيق التّشريع الكُلِّي عَلَى مصاديقه، أيّ استمرار حاكمية الله تَعَالَى السياسيّة التفصيليّة فِي كُلّ الموارد.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.

نقطتا اشتراك وافتراق بين التنزيل والتأويل:

هُنَاكَ جنبة مُشتركة بين التّنزيل والتأويل وَهِيَ أنَّ كُلاً منهما هُوَ عبارة عَنْ انطباق الحكم الكُلِّي عَلَى مصاديقه، إلَّا أنَّ الفرق بينهما هُوَ أنَّ التّنزيل: هُوَ بدء نزول الأحكام، والتّأويل: ـ هُوَ استمرار نزول الأحكام وَالقُرآن وحاكميّة الله.

فحاكمية الله تَعَالَى هُوَ تنزيل إرادته فِي تفاصيل الجزئيات الخطيرة، إذْ لا تستند إلى الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله أو الوصي عليه السلام، وَهَذِهِ موجودة فِي دول الأنبياء إذْ هُمْ محطّات.

وَهَذِهِ الإرادة الإلهيّة تُمارس مِنْ قِبَل المعصوم عليه السلام، وَحَيْثُ وَرَدَ أنَّهم أوعية لمشيئات الله تَعَالَى، مما يعني أنَّ الإرادة الكُلِّيّة تتوزع وتتفصّل عَلَى كُلّ الإرادات الجزئيّة إلى الإرادة الإلهية الكلية، أيّ رجوع كُلّ الإرادات إلى الإرادة الإلهيّة وطريقها المعصوم عليه السلام الذي تمرّ مِنْ خلاله إرادات الله تَعَالَى.

وَعَلَيْهِ فالذي تتنزّل عَلَيْهِ الآيات والسُّور بَعْدَ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله هُوَ الإمام المعصوم عليه السلام وتستمر إلى يَوُم القيامة؛ لضرورة استمرار ولاية الله تَعَالَى فِي الحاكمية والسّلطة السياسيّة عَلَى البشر، وفي زماننا هُوَ الإمام المهدي عجل الله فرجه حَيْثُ يُدبِّر ويُدير النّظام البشري عبر خفاء الغيبة وسريتها إلى أنَّ يئنّ آن الإعلان والظهور[1].

---

(١) الإمامة الإلهية: ج٣، ص٥٧٩ للشيخ مُحمَّد السَّند حفظه الله.

المدارس الإسلامية تعتقد أن الحاكم والمسؤول عن تفهم وتطبيق القوانين الإلهية للبشر هو نفس البشر:

ومِمّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ هَذَا البيان كأدبيات سياسيّة أو عقائدية فِي تفسير النظام السياسي غَيْر موجود فِي المدراس الإسّلاميَّة الأُخْرَى عدا مدرسة أهل البيتعليهم السلام؛ ولذا جُعِلَ التوحيد ـ وللأسف ـ فِي المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى بمنزلة تنظير مُجَمَّدٌ ويُحْبَس فِي جَنْبَة تنفيذيّة أو إجرائية إذَا كَانَتْ صلاحية الباري تَعَالَى فَقَطْ فِي مقام التّشريع والتنظير الكُلِّي، فالمدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيتعليهم السلام تعتقد وللأسف كَمَا هِيَ عَلَيْهِ الآن، أنَّ مَعْنَى ودور الدولة الإسّلاميَّة والنظام الإسلامي هُوَ تشريع القوانين وتقنينها فَقَطْ مِنْ الله تَعَالَى، وأنَّ الحاكم والمسؤول عَنْ تفهيم وتطبيق هَذِهِ القوانين الإلهية للبشر هُوَ نفس البشرن وَهَذَا معناه أنَّ النظام والقانون صار نظاماً بشرياً لا إلهيّاً، هكذا تعتقد المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى.

وأمَّا مدرسة أهل البيتعليهم السلام فتعتقد بأنَّ نظام الدولة الإلهية شيء آخر، وأنَّ الحاكم فِي يوميات تلك الدولة ومنعطفاتها الخطيرة وحوادثها العصيبة هُوَ الله تَعَالَى وَمِنْ الواضح والطبيعي عِنْدَ كافة العقلاء أنَّ رئيس كُلّ دولة يتدخل فِي كُلّ التفاصيل المصيريّة الَّتِي تجري فِي دولته، ففي نظام الدولة المشروع الإلهي فَإنَّ الله تَعَالَى هُوَ الذي يتدخَّل فِي كُلّ التفاصيل والمنعطفات ومثل هَذِهِ الحقيقة يتواجد فِي دولة الرسول الأكرمصلى الله عليه وآله وسلم ودولة وصيّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام وولده إلى الحجّة بن الحسن

المنتظر عجل الله فرجه، وتقدَّم مفصلاً ـ أنَّ الحاكم الأوّل فِي دولة وحكومة الرسول صلى الله عليه وآله هُوَ الله ثمَّ الرسول صلى الله عليه وآله وبعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

إن قلت: كيف يستعلم أمير المؤمنين عليه السلام التدبيرات الجزئية المُتشخّصة مِنْ الله تَعَالَى فِي منعطفات دولته بَعْدَ رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله؟

قلت: إنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هُوَ الوحيد مِنْ أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله عنده علمٌ لَدُني دون غيره مِنْ الصّحابة، وَهَذَا العلم اللّدُني عبارة عَنْ حبلٍ ممدودٍ بين الأرض والسّماء، وَهُوَ الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله فَإِنَّه صلى الله عليه وآله تتنزّل عَلَيْهِ المشيئات الإلهية الخاصّة، والرسول صلى الله عليه وآله أخبر وعَلَّمَ سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام بأمر مِنْ الله تَعَالَى كُلّ تلك الأُمُور، ثمَّ مِنْ بعده ولده الإمام الحسن ثمَّ الإمام الحسين ثمَّ التّسعة المعصومين مِنْ ذريّة الحسين عليهم السلام، فالحاكم الأوّل فِي دولة الإمام الحسين عليه السلام هُوَ الله ولذا ذكر عليه السلام هَذَا المعنى فِي كلامه عِنْدَمَا خرج مِنْ مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله المدينة المنوّرة إلى كربلاء: «**شاء الله أنْ يراني قتيلاً**» **بتقريب:** شاء الله لا بمشيئة الرسول ولا بمشيئة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنْ يراني قتيلاً، وَإِنَّما بمشيئة إلهية، وهكذا شاءت الحكمة الإلهيّة أنْ ترى النِّساء سبايا «**شاء الله أنْ يراهُنَّ سبايا**»، ولذا عِنْدَمَا سمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله أمثال عبدالله ابن عبّاس وغيره هَذَا الكلام مِنْ الإمام الحسين عليه السلام لَمْ يعترضوا عَلَيْهِ ويناقشوه لأنَّهم يعلموا أنَّ أهل بيت النبوّة عليهم السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام عَلَى اتّصال بالمشيئة الإلهية والعلم اللّدُني الذي زوّدهم الله به، وَهَذِهِ حقيقة

عظيمة لطيفة ينبغي الالتفات إليها.

وهكذا الحال فِي كُلّ إمام حيٍّ حاضر يدير دولته بأوامر إلهيّة بتنفيذ خاص، ثمَّ أوامر رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ أوامر أمير المؤمنين عليه السلام بَلْ وَحَتّى إدارة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف لهذه الدولة الإلهية والمجتمعات البشريّة ولو بشكل خفي وسرّي للدولة الخفيّة، بَلْ وَحَتّى لدولة الظهور فَإنَّ الحاكم الأوَّل هُوَ الله تَعَالَى وأنَّ الأوامر الإلهية هِيَ الحاكمة فِي الحسم القضائي والحسم الأمني والحسم العسكري والحسم التدبيري والمالي وغيرها، ثمَّ الحاكم الثَّانِي هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله ثمَّ أمير المؤمنين عليه السلام ثمَّ الحسن ثمَّ الحسين ثمَّ التسعة المعصومين مِنْ ذريَّة الحسين عليهم السلام.

أسباب النزول لها معنى اعتقادي ولائي خطير ولصيق بحقيقة تنزيل القرآن:

إنَّ لأسباب نزول الآيات الكريمة مَعْنَى اعتقادي خطير وعظيم ولصيق بحقيقة تنزيل القُرآن الكريم وَهُوَ مَعْنَى الولاية، فَإنَّ مَعْنَى التنزيل وَالنُّزول والإنزال هُوَ فاعليّة وتفعيل لولاية الله فِي إدارة جميع ملفات شؤون المخلوقات لا سيّما البشر، وتدخل فِي التطبيق الجزئي لَيْسَ فَقَطْ عَلَى صعيد التنظير والتقنين الكُلِّي والتشريع العام، لا كَمَا فهمته بَعْض المدارس الإسّلاميَّة وأنَّ حاكميّة الله تَعَالَى وصلاحيته وولايته تقف عِنْدَ السّلطة التشريعية العامَّة فَقَطْ، وَهَذَا مفهوم خاطئ، وَإنَّما ولايته وحاكميته تَعَالَى تتنزّل حَتّى إلى الجزئي الخاص والحدث الشّخصي.

وَعَلَيْهِ فالنتيجة الَّتِي تنتهي إليها بيانات بَقيَّة فرق المسلمين: هِيَ أنَّ صلاحيّة الله تَعَالَى محدودة بالسّلطة التشريعية كتشريع التّوحيد والنبوّة، أمَّا السّلطة التنفيذيّة فبياناتهم ـ العامّة ـ خُلْوٌ مِنْهَا، وهكذا السّلطة القضائية فإنَّهم ـ العامَّة ـ لَمْ يبيِّنوا فِي بياناتهم أنَّ الحاكم والقاضي الأوَّل هُوَ الله، بخلاف ما عَلَيْهِ مدرسة أهل البيت عليهم السلام مِنْ أنَّ الحاكم الأوَّل والآخر فِي كُلّ صعيد فِي الدُّنْيَا والآخرة هُوَ الله تَعَالَى.

تشريعات وولاية وحاكمية الله على درجات:

ومِمّا تَقَدَّمَ يُعْلَم أنَّ أسباب النُّزول تعطي وتبيِّن لنا طابعاً وحقيقة مِنْ الحقائق العظيمة ألا وَهُوَ تدخُّل السّماء واليد الإلهية، وأنَّ التصرّف والقدرة الإلهية تتنزل إلى أدقّ التفاصيل وتفاصيل التفاصيل والحدث الشّخصي الذي فيه انعطافة خطيرة ومصيرية، ولا يُفهم مِنْ هَذَا الكلام أنَّ الأحداث الشّخصيّة والتفاصيل غَيْر الخطيرة لا تتدخل فيها يد السَّماء، بَلْ تتدخل ولكن بتنزلات أُخْرَى شبيهة بسنن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأنَّها تشريعات إلهية إلَّا أنَّها بتنزّلات أقل درجة مِنْ الفرائض.

ولذا تُقَسَّم الأحكام الشرعيّة إلى فرائض وسنن، والفرق بين الفريضة الإلهية والسُّنّة النبويّة أنَّ الأولى ـ الفريضة الإلهية ـ أنشأت بآية قرآنية وبكلام مِنْ الله أو بحديث قدسي، وأنَّ الثَّانية ـ السنة النّبويّة ـ هِيَ الَّتِي أنشأها النَّبِيّ صلى الله عليه وآله وأمر بها صلى الله عليه وآله، وأنَّ سنن النَّبِيّ صلى الله عليه وآله كُلَّهَا أحكام وجزء مِنْ الشّريعة، وَهَذَا أمر مُتّفق عَلَيْهِ ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ

عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾(١).

و ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾(٢).

فَكُلّ مِنْ الفريضة الإلهية والسنّة النبوية تشتركان فِي جهة الانتساب إلى الشريعة ويفترقان فِي أنَّ فرائض الله أكبر أهميّة وامتثالها مُقدَّم عَلَى سنن النَّبيّ صلى الله عليه وآله لأهميّة ركنيتها، وإنْ كَانَتْ سنن النَّبيّ صلى الله عليه وآله مآلاً هِيَ أوامر الله، ولكن هَذِهِ الأوامر الإلهيّة تارةً تتجلّى بألوهيّة الله المحضة وتُسمّى فرائض الله كَمَا فِي تشريع الركعتين الأوليين فِي فريضة الصَّلاة الرُّباعية اليوميّة، ولهما أحكامهما الخاصّة بأنْ لا يدخلهما الشّك وغيره.

وَأُخْرَى تتجلّى عَنْ طريق سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وتُسمّى بسنن النَّبيّ صلى الله عليه وآله، كَمَا فِي الركعتين الأخيرتين مِنْ فريضة الصَّلاة الرُّباعية اليوميّة ولا مانع مِنْ دخول الشّك عَلَيْهَا، ويمكن المُعالجة ولها صور.

وثالثة تتنزّل وتتجلّى التّشريعات الإلهية بمظهر أقل رتبة وَهِيَ ما تُسَمّى بسنن أهل البيت عليهم السلام وسنن أولي الأمر عليهم السلام، كَمَا فِي بيان وتوضيح جملة مِنْ الأحكام الَّتِي يُطلق عَلَيْهَا تشريع ـ بتحفّظ ـ كَمَا فِي مسألة تشريع الخمس فِي غَيْر الأنفال وغنائم الحرب وباقي الأُمُور الأُخْرَى، أو بيان وتوضيح أولي الأمر لبعض موانع الصَّلاة كَمَا فِي مثل: ـ مانعية الصَّلاة بجلد ما لا يؤكل لحمهُ فَإِنَّهُ وَرَدَ فِي الحديث الولوي عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام وَلَمْ يرد فِي

(١) سورة الحشر: الآية ٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٢.

الحديث النبوّي، وهكذا فِي باقي الأبواب الأُخْرَى سواء فِي باب العبادات أو المعاملات، ولهذا دأب الفُقَهاء إلى التفكيك بين الفرائض الإلهية والسنن النبويّة وسنن المعصومين مِنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام وَكُلّهَا أحكام مِنْ الله تَعَالَى ولكنّها عَلَى درجات مِنْ الأهميّة.

وإطاعة أهل البيت ذكرها القُرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾[1]. **بتقريب:** إنَّ أولي الأمر بَعْدَ الرسول صلى الله عليه وآله هُمْ أهل بيت النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأوّلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وآخرهم الحجة بن الحسن المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف الَّذِيْنَ شهد القُرآن بفضلهم وطهارتهم وإمامتهم وعلمهم و ... الخ.

إذَنْ تشريعات وولاية وحاكمية الله عَلَى درجات فَمِنْهَا تشريعات إلهية عَلَى مستوى الفرض لخطورته وأهميّته أوصله الباري إلى حَدِّ الإلزام لئلا يقع المُكَلَّف فِي مخالفة ما فرضهُ الله عَلَى العباد، وَمِنْهَا: دون الفرض وَالَّتِي هِيَ سنن النَّبيّ صلى الله عليه وآله ودونها تشريعات أولي الأمر ـ أئمة أهل البيت عليهم السلام.

كَذَلِكَ الحال فِي الحاكمية والولاية فَعِنْدَمَا تكون هُنَاك حاكمية لله تَعَالَى فَهَذَا معناه أنَّ أسباب النُّزول للآيات القرآنية فيها بُعْد مهم وخطير وفيه حسمٌ وحَتْمٌ مِنْ الإرادة الإلهيّة فِي الحادثة حَتّى الشخصيّة الجزئيّة، وَهَذَا ما يُعبَر عَنْهُ بالوَلاية.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٩٢.

فالتنزيل يُعَبِّر عَنْ ولاية وإمامة إلهية يتلقى فيها الرسول ﷺ تدخلات مصيرية حتميّة فيها حسم مِنْ الله فِي شؤون مُعيّنة خطيرة، واما التدابير الَّتِي هِيَ دون ذَلِكَ فالله عَزَّ وَجَلَّ يوكلها ويجريها عَلَى يد سيد الأنبياء لا بمعنى توكيل عزلٍ عَنْ القدرة الإلهية بحيث تكون القدرة الإلهية معزولة ـ والعياء بالله ـ كَمَا مَرَّ.

نزول القرآن جملة ونجوما لا ينحصر بعملية وحقيقة الأنباء والنبوة، بل ولها حقيقة الحاكمية والولاية مستمرة إلى يوم القيامة

فقدِ بفقدك التنزيل والتأويل:

تَقَدَّمَ أنَّ قَاعِدة أسباب النُّزول لا تنحصر فائدتها بتبيين وإبلاغ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله للأحكام والأوامر الصادرة مِنْ الله تَعَالَى إلى البشر، وَإِنَّما فِي التّنزيل كَذَلِكَ حُكمٌ وحاكميّة وولاية، وَهَذَا معناه أنَّ أسباب النُّزول يبزغ لها مَعْنَى فِي تفسير القُرآن، بَلْ وسائر الكتب المُنْزَلة عَلَى الأنبياء عليهم السلام، وَهَذَا المعنى لأسباب النُّزول لَهُ جنبتان جنبةٌ نبويّة تنزيليّة مرتبطة بالمعنى العام للآية الكريمة فِي أيّ سورة وَهُوَ التّصديق بالنبوّة.

وجنبةٌ أُخْرَى مُرتبطة بالولاية وأنَّ التّنزيل نوع مِنْ تحكيم حاكمية الله تَعَالَى بمعنى أنَّ الولاية لها بُعْدٌ تطبيق تنفيذي إجرائي لمفاد الآية.

وَعَلَيْهِ فَيَكُون بُعْدُ الولاية وإنْ لَمْ يكن موطنه مِنْ الصعيد الاجتماعي أو السياسي أو الاقتصادي أو القضائي، فَقَدْ يَكُون مِنْ الصعيد الرُّوحي

والاعتقادي؛ لِأنَّ ولاية الله وولاية الرسولصلى الله عليه وآله وأهل البيتعليهم السلام لا تنحصر فِي صعيد مُعيَّن، بَلْ تشمل جانب تربية وتكامل النفوس والأرواح حَتّى فِي بُعْدِها الفردي فضلاً عَنْ بُعْدِها المجتمعي.

كَمَا أشار إليه السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي[1] فِي تعريف حقيقة الإمامة والولاية وَأنَّها رئاسة سياسيّة، أو أنَّ الإمام رائد مسيرة قافلة النّفوس للوصول إلى المقامات والأبواب المعنوية أيّ التكامليّة مِنْهَا، وأنَّ هُنَاكَ جذب وهداية وارتباط نفساني روحي يجذبه الإمام إلى النفوس مِنْ خلال بياناتهم.

إلَّا أنَّ ما ذكره السَّيِّد العلّامة الطباطبائيرحمه الله مِنْ تعريف لحقيقة الإمامة غيرُ تامّ وَإنَّما يشير إلى فصل ووظيفة مِنْ فصول ووظائف الإمامة، وإنْ كَانَ هَذَا الفصل عظيم وَلَمْ يذكره المُتكلِّمون ـ بَعْدَ ملاحظة الآيات القرآنية والأحاديث المعصومية الواردة عَنْ أهل البيتعليهم السلام فِي تعريف حقيقة الإمامة أو الولاية، وَإنَّها لا تنحصر ولا تقتصر عَلَى جانب مُعيَّن كجانب الرئاسة السياسيّة أو الاجتماعيّة وما شابه ذَلِكَ.

والشَّاهِد عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الشَّيْخ الكليني ... عَنْ أبي خالد الكابلي، قَالَ: سألت أبا جعفرعليه السلام عَنْ قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا**﴾[2] فَقَالَ: «**يا أبا خالد! النور والله نور الأئمة مِنْ**

---

(١) الميزان لِلْسَّيِّد الطباطبائي: ج١/ ٢٧٤.
(٢) سورة التغابن: الآية ٨.

آل مُحَمَّدﷺ إِلى يَوُم القيامة، وَهُمْ والله نور الله الذي أنزل، وَهُمْ والله نور الله فِي السموات وفي الأرض، والله يا أبا خالد لنور الإمام فِي قلوب المؤمنين أنورُ مِنْ الشّمس المُضيئة بالنّهار؛ وَهُمْ والله ينوّرون فِي قلوب المؤمنين، ويحجب الله عَزَّ وَجَلَّ نورهم عمَّن يشاء فتظلم قلوبهم، والله يا أبا خالد لا يحبُّنا عبدٌ ويتولانا حَتّى يُطهّر الله قلبه، ولا يُطَهِّر الله قلب عبد حَتّى يُسلِّم لنا، فإذا كَانَ سلماً لنا سَلَّمه الله مِنْ شديد الحساب وآمنه مِنْ فزع يَوُم القيامة الأكبر»[1].

بتقريب: أنَّ الإمامة فيها فصول مُتعدِّدة وَحَتّى لو كَانَتْ الآية النازلة خاصة بمقام أو نظام معين كنظام الفِقْه السياسي أو العسكري أو الأمني أو الاجتماعي أو العقائدي وغيرها، فَإنَّ الهداية النبويّة فيها إراءة الطريق.

وأمَّا الهداية الولائية هِيَ هداية حركة وسيرٍ وطي الصراط واهدنا الصراط لَيْسَ بمعنى إضاءة الصراط وَإنَّما اهدنا الهداية الإيصاليّة ومتابعة المأموم للإمام فِي حركته والسير معه وجذبه لَهُ مِنْ دون جبر.

إذَنْ عَلَى المُفَسِّر والباحث الكريم أنْ يضع منهج تفسيره أو خطّة بحثه فِي أسباب النُّزول عَلَى بُعْدَين.

البعد الأول: بُعْدُ النبوّة: وَأنّها خُتِمَت فِي القُرآن، وَأنَّهُ لا نبي بَعد، وأنَّ جانب النُّزول والتنزيل انتهى بلحاظ الآيات والسور فالآية هِيَ الآية والسورة هِيَ السورة كَمَا هِيَ عَلَيْهِ فِي المصحف الشريف المحفوظ ما بين

---

(١) الكافي: ج١، ص٢٥٠ ب٧٠ مِنْ كتاب الحجّة أنَّ الأئمةعليهم السلام نور الله عَزَّ وَجَلَّ: ح١.

الدفّتين وما به مِنْ المعلومات الكلية والعامّة.

البعد الثاني: بُعْد الولايةسواء كَانَتْ الولاية فِي هداية النفوس أو الولاية فِي الحاكمية السياسيّة، أو فِي أيّ مجال مِنْ المجالات الوسيعة للولاية، وَأَنَّها مستمرة فِي الجانب التطبيقي فِي القُرآن تطبيقاً بإشراف إلهي لا بشري محدود، وَلَيْسَ المُراد مِنْ استمرار التطبيق بإشراف إلهي هُوَ لأجل إحداث مَعْنَى عام جديد أو نزول آية أو سورة جديدة، وَإِنَّما هُوَ نفس التطبيق الوحياني اللّدُني الذي لا يصيبه إلَّا الوحي الإلهي لأجل تنفيذ مضامين القُرآن الَّتِي أنبأ عنها النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأنَّ هَذَا التّطبيق وَهَذَا البُعد مِنْ النُّزول لا زال مستمراً، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى ليلة القدر، فَإِنَّ ما يتنزّل مِنْ القُرآن مِنْ تأويل فِي جانب التطبيق غَيْر تنزيل القُرآن وإنَّ التأويل الوحياني هُوَ تلاوة القُرآن حقّ تلاوته؛ لِأَنَّ الحاكم الأَوَّل هُوَ الله الذي تتنزّل مشيئته وإراداته فِي إدارة شؤون البشر، أو تربية كُلّ فرد فرد منهم ـ البشر ـ ثُمَّ حاكمية وولاية الرسول صلى الله عليه وآله ثمَّ ولاية الأئمة المعصومين عليهم السلام مِنْ أهل البيت عليهم السلام، وَهَذِهِ الولاية لَمْ تنحسر وَلَمْ تنقطع وَأَنَّها حبلٌ ممدود وَلَيْسَ بمنقطع بدليل حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: **«إنِّي تاركٌ فيكم الثّقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً» «كتاب الله حبلٌ ممدود بين السَّماء والأرض وعترتي أهل بيتي وأنَّ اللطيف الخبير أخبرني أنَّهما لن يفترقا حَتّى يردا عليَّ الحوض فانظروا ماذا تخلفوني»**[1].

---

(١) إكمال الدِّين للصدوق: ص٢٢٥.

هَذَا كُلُّهُ بحسب ما تعتقد به مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وَهُوَ بخلاف ما تذهب إليه المدارس الإسْلاميَّة الأُخْرَى الَّتِي تعتقد بأنه برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله انقطعت العلقة وانقطع الحبل وَذَلِكَ لازم الانقطاع بين السَّماء والأرض، إلَّا أنَّ الصحيح وَكَما هُوَ عَلَيْهِ الواقع خلاف ذَلِكَ وَأَنَّهُ بحسب بيانات القُرآن وأهل البيت عليهم السلام أنَّ الجانب الولائي وبُعْد الولاية فِي القُرآن لَمْ ينقطع ولا زال مستمراً، والذي هُوَ عبارة عَنْ تأويل القُرآن بمعنى أنَّ مَنْ وُصِفَ بوصْف أَنَّهُ [يتلو الكتاب] يَعْرِف مآل كُلّ آية آية وأين موطنها المُنَاسِب وَالحَقّ، وَإلَّا فكثير ممّن ينسب إلى الإسلام بالاسم فَقَطْ دون الفعل كالخوارج أيضاً يتلون الكتاب إلَّا أَنَّهُ لَيْسَ بوصف حَقَّ تلاوته؛ فَإنَّ هَذَا الوصف مِنْ مُختصّات الإمام المعصوم الذي يشمل الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام والأئمة المعصومين مِنْ ذريّته ـ عليهم أفضل الصَّلاة وَالسَّلامُ ـ.

إذَنْ التنزيل لا ينحصر ببعد النبوّة وَإنَّما فيه بُعْدٌ آخر ألا وَهُوَ بُعد الولاية والحاكميّة وأنَّ النُّزول هُوَ نوع مِنْ التفصيل فِي الولاية والحاكميّة، كَما وَرَدَ فِي زيارة الناحية المقدّسة «... **لقد قتلوا بقتلك الإسلام ... ونقضوا السُنَن والأحكام ... وحَرَّفوا آيات القُرآن ... وعادَ كتاب الله مهجوراً ... وفُقِدَ بفقدك التنزيل والتأويل**».

وَعَلَيْهِ فَإنَّ موارد الولاية لا تتم إلَّا بالنزول والإنزال الذي هُوَ نوع مِنْ أعمال الولاية مِنْ الله تَبارَكَ وَتَعَالَى، وَهَذَا هُوَ المفاد العقيدي والمعتقد

المهم فِي القُرآن الكريم الذي غفلت عَنْهُ المدارس والمذاهب الإسْلاميَّة الأُخْرَى غَيْر مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

حقيقة النزولين للقرآن نبوة وإمامة:

النزول الجملي والنزول النجومي:

مَرَّ أنَّ هُنَاك لغطٌ كبير بين المُفَسِّرين فِي تفسير تعدد النُّزول الثنائي للقرآن أيّ نزول القُرآن جملةً واحِدَة عَلَى البيت المعمور، ونزول ثانٍ وَهُوَ النُّزول النجومي فرقاناً، وَقَدْ تقدّمت عِدَّة تفسيرات أو أقوال أو نظريات فِي ذَلِكَ، إلَّا إنَّهُ بقي تفسير لهذا التعدّد يمكن إبداؤه وَهُوَ تفسير النُّزول النجومي بأنَّ نزول يرتبط بالولاية والحاكميّة، بينما النُّزول الجُمَلي مرتبط فِي شأن مِنْهُ بالنبوّة والأنباء، كَمَا تبيَّن ذَلِكَ ممّا تَقَدَّمَ فِي بحث أسباب النُّزول والتنزيل.

إن حقيقة وحقائق القرآن جلها مرتبط ببعد الولاية فِي النبِي صلى الله عليه وآله بخلاف التنزيل

فإنه مشتمل على البعدين. كما تقدم:

نماذج قرآنية تقرن بين النبوة والولاية:

هُنَاك جملة مِنْ الموارد فِي سور متعدّدة قرن فيها القُرآن بين النبوّة والولاية فِي أسباب النُّزول:

أولاً: فِي سورة القدر ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[١].

بتقريب: أَنَّهُ وَرَدَتْ فِي روايات كلا الفريقين أنَّ ليلة القدر لها ارتّباط ببدء نزول القُرآن عَلَى النَّبيّ صلى الله عليه وآله دُفعَة ونجوماً واستمرار ليلة القدر إلى يَوُم القيامة لها ارتباط ببقاء القُرآن، وأنَّ ليلة القدر لو رُفِعت لَرُفع القُرآن، وأنَّ القُرآن الكريم فِي تنزله بُعْدان بُعْدُ النبوّة وبُعْدُ الولاية، وأنَّ البُعد الثَّانِي مستمر بَعْدَ النبوّة إلى يَوُم القيامة كَما تَقَدَّمَ.

ليلة القدر فِي أقوال أهل وجماعة سنة السلطان:

قَالَ الفخر الرازي فِي تفسير قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ أجمع المُفَسِّرون عَلَى أنَّ المُراد هُوَ: أنّا أنزلنا القُرآن فِي ليلة القدر، ولكنَّه تَعَالَى ترك التصريح بالذكر؛ لِأنَّ هَذَا التركيب يَدُلّ عَلَى عِظَم القُرآن وأنَّ حذف المتعلِّق يَدُلّ عَلَى تعظيم شأن المُتعلَّق المحذوف وَهُوَ القُرآن.

للقرآن نزولين: إنْ قِيلَ ما مَعْنَى إنَّهُ أُنزِلَ فِي ليلة القدر مَعَ العلم بأنه أنزِل نجوماً؟ قُلنا فيه وجوهاً نذكر مِنْهَا اثنين:

الأول: قَالَ الشعبي: أُبْتُدِأَ بإنزاله؛ لِأنَّ البعث كَانَ فِي رمضان.

الثاني: قَالَ ابنُ عباس: أُنْزِل إلى سماء الدُّنْيَا جملة ليلة القدر، ثمَّ إلى الأرض نجوماً[٢].

---

(١) سورة القدر: الآية ١.

(٢) الإمامة الإلهية، للشيخ مُحَمَّد السَّند: ج٣، ص٢٧٥.

وَمَعْنَى القدر: اختلفوا فِي أَنَّهُ لِـمَ سُمِّيت هَذِهِ الليلة ليلة القدر عَلَى وجوه:

أحدها: إنَّها ليلة تقدير الأُمُور والأحكام، قَالَ عطاء عَنْ ابن عبّاس: إنَّ الله قدَّر ما يَكُون فِي تلك السنة مِنْ مَطَرٍ ورزقٍ وإحياءٍ وإماتةٍ إلى مثل هَذِهِ الليلة مِنْ السنة الآتية، ونظيره قوله تَعَالَى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ واعلم أنَّ تقدير الله لا يحدث فِي تلك السنة، فَإِنَّهُ تَعَالَى قدَّر المقادير قبل أنْ يخلق السّموات والأرض فِي الأزل[1] بَلْ المُراد إظهار تلك المقادير للملائكة فِي تلك الليلة بأنْ يكتبها فِي اللّوح المحفوظ[2].

بقاء ليلة القدر فِي كُلّ عامٍ: وَهَذَا القول اختيار عامَّة العُلَماء ... هَذِهِ الليلة هل هِيَ باقيّة أو لا؟ قَالَ الخليل: مَنْ قَالَ إنَّ فضلها لنزول القُرآن فيها يقول انقطعت وَكَانَتْ مَرَّة، والجمهور عَلَى أنَّها باقية.

وَعَلَى هَذَا، هل هِيَ مختصّة برمضان أم لا؟ روي عَنْ ابن مسعود إنَّهُ قَالَ: مَنْ يُقِم الحول يصيبها، وفسّرها عِكرمة بليلة البراءة فِي قوله ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ﴾[3] والجمهور عَلَى أنَّها مختصّة برمضان، واحتجّوا عَلَيْهِ بقوله تَعَالَى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ فوجب أنْ تكون ليلة القدر فِي رمضان لئلا يلزم

---

(١) لا يخفى أنَّ الرازي قَدْ خلط بين علم الباري الأزلي بالأشياء ومقاديرها، وبين نفس فعل التقدير فِي اللّوح والقلم والقضاء وإبرامه، فَإِنَّ هَذِهِ أفعالٌ حادِثَةٌ فِي عالم المخلوقات كَمَا هُوَ صريح روايات الفريقين فِي شأن ليلة القدر.

(٢) وَهَذَا التصريح مِنْ الفخر الرازي متدافع مَعَ قوله السابق فِي نفي حدوث التقدير السابق.

(٣) سورة الدخان: الآية ٣.

التناقض.

إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ أقوال أهل سنة الجماعة.

ليلة القدر فِي روايات أهل سنة الخلافة[(١)]

دوام ليلة القدر فِي كل عام إلى يوم القيامة:

١ ـ فَقَدْ روى عبدالرزّاق الصنعاني فِي (المصنَّف) بسنده عَنْ مولى معاوية، قَالَ: قلت لأبي هريرة: زعموا أنَّ ليلة القدر قَدْ رُفعت، قَالَ: كذَّب مَنْ قَالَ ذَلِكَ، قلت: فَهِيَ كُلّ شهر رمضان استقبله؟ قَالَ: نعم ... الحديث][(٢)].

ورواه عَنْهُ بطريق آخر[(٣)] ورواه كنزل العُمّال أيضاً[(٤)].

وروى عبدالرزاق الصنعاني فِي المصنّف بسنده عَنْ ابن عبّاس، قَالَ: **«ليلة فِي كُلّ رمضان ياتي، قَالَ: وحدّثني يزيد بن عبدالله بن الهاد: إنَّ رسول الله ﷺ سُئِّل عَنْ ليلة القدر، فَقِيلَ لَهُ: كَانَتْ مَعَ النبيين ثمَّ رُفعت حين قبضوا، أو هِيَ فِي كُلّ سنةٍ؟ قَالَ بَلْ هِيَ كُلّ سنة، بَلْ هِيَ فِي كُلّ سنةٍ»**[(٥)].

٣ ـ وروي عَنْ ابن جرير، قَالَ: حُدِّثْتُ أنَّ شيخاً مِنْ أهل المدينة سأل أبا ذر بمنى، فَقَالَ رُفِعَت ليلة القدر أم هِيَ فِي كُلّ رمضان؟ فَقَالَ أبو

---

(١) الإمامة الإلهية: ج٣، للشيخ مُحَمَّد السند: ص٢٩٧.
(٢) المصنّف: ٣/ ٢١٦ ح٥٥٨٦.
(٣) المصنف: ٤/ ٢٥٥ ح٧٧٠٨.
(٤) كنز العمال: ٨/ ٦٣٤ ح٢٤٤٩٠.
(٥) المصنّف: ٤/ ٢٥٥ ح٧٧٠٨.

ذر: سألتُ رسول اللهﷺ فقلت يا رسول اللهﷺ رَفعَت ليلة القدر؟ قَالَ: بَلْ هِيَ كُلّ رمضان[١].

النزول فِي ليلة القدر

وحي للأنبياء، واستمراره بعد الأنبياء:

٤ ـ قَالَ ابن خزيمة فِي صحيحه[٢] باب ذكر أبواب ليلة القدر والتأليف بين الأخبار المأثورة عَنْ النَّبِيّﷺ فيها ما يحسب كثيراً مِنْ حملة العلم ممّن لا يفهم صناعة العلم أنّها متهاترة متنافية وَلَيْسَ كَذَلِكَ، هِيَ عندنا بحمد الله ونعمته، بَلْ هِيَ مُخْتَلِفَة الألفاظ متفقة المعنى عَلَى ما سأُبيّنه إنْ شاء الله.

قَالَ أيضاً: باب ذكر دوام ليلة القدر فِي كُلّ رمضان إلى قيام السّاعة، ونفي انقطاعها بنفي الأنبياء.

٥ ـ وروى بسنده ـ ابن خزيمة ـ إلى أبي مثْرَد، قَالَ: ـ قَالَ لقينا أبا ذر وَهُوَ عِنْدَ الجمرة الوسطى فسألته عَنْ ليلة القدر، فَقَالَ ما كَانَ أحد بأسأل لها منّي: قلتُ يا رسول الله ليلة القدر أنزلت عَلَى الأنبياء بوحي إليهم فيها ثمَّ ترجع؟ فَقَالَ بَلْ هِيَ إلى يَوُم القيامة ... الحديث[٣].

٦ ـ وفي صحيح ابن حبّان، قَالَ فِي باب ذكر البيان بأنَّ ليلة القدر

---

(١) المصدر السابق: ح٧٧٠٩، وأخرجه هق: ٤/ ٣٠٧، والطحاوي: ٢/ ٥٠.

(٢) صحيح ابن خُزيمة: ٣: ٣٢٠.

(٣) المصدر السابق.

تكون فِي العشر الأواخر كُلّ سنة إلى أنْ تقوم الساعة، ثمَّ روى بسند مُتّصل رواية أبي ذَر الرُّواية المتقدِّمة وَاللَّفْظ فيها: «**تكون فِي زمان الأنبياء ينزل عليهم الوحي، فإذا قُبضوا رُفِعت؟ فقَالَ**ﷺ: **بَلْ هِيَ إلى يَوُم القيامة**»[1].

ثانيا: سورة الدخان: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾[2].

بتقريب: إنَّهُ يفرق فيها كُلّ أمر حكم أيّ بحكمه فِي التدبير ﴿أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥﴾ أيّ مأمورين ومُرسَلين بتنفيذ برامج إلهية لهداية البشر.

ثالثا: سورة الرعد: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ ۖ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ۝٧﴾[3].

بتقريب: أنَّ الإنذار نبوّة والهداية إمامةٌ وأنَّ سيد الأنبياءﷺ هُوَ منذِرٌ وَهُوَ هادي أيضاً وَمِنْ بعده أئمة أوصياء هداة وبالتالي يوجد مقامان مقام نبوّة ومقام إمامة.

هل يوجد فرق بين أضافة الضمير (عبده) لسيد الأنبياءﷺ وبين (عبدنا) لسائر الأنبياء:

رابعا: سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ

---

(١) صحيح ابن حبّان: ٨/ ٤٣٨.

(٢) سورة الدّخان: الآية ٣ ـ ٥.

(٣) سورة الرَّعد: الآية ٧.

عِبَادِهِۦٓ﴾[١].

بتقريب: إِنَّهُ تَعَالَى يُنزِّل الملائكة ـ فِي ليلة القدر ـ وما شابه ذَلِكَ عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده بامرة الرُّوح الطاهرة وَلَيْسَ هَذَا التنزيل خاصّاً بخاتم الأنبياء مُحَمَّدﷺ، وَإِنَّما هُنَاكَ مجموعة مِنْ العباد ـ أنبياء وأئمة وعبادٌ صالحون ـ شاءت المشيئة الإلهية أنْ يكونوا مُتعلّقاً ومُهبطاً لها وَبَعْدَ رسول اللهﷺ هُمْ أئمة أهل البيتعليهم السلام، وفي إضافة الضمير (عبده) واختصاص ذَلِكَ بسيد الأنبياء ينبغي الالتفات إلى أُمُور نذكر مِنْهَا أمرين:

الأمر الأول: لو تتبعنا تعابير القُرآن حسب الاستقراء فَإِنَّهُ لَمْ يرد التعبير عَنْ أحد الأنبياء السّابقين ـ عدا الخاتمﷺ ـ بـ (عبده) وَهَذَا التعبير خاص بسيّد الأنبياءﷺ فإضافة العبوديّة إلى ضمير الهاء الغائب مختصٌّ بالنبيﷺ وأمّا سائر الأنبياء فوَردَ التعبير عنهم بـ (عبدنا)، والتعبير بـ (عبده) أعظم مِنْ التعبير بـ (عبدنا)، أو (عبدالله).

وَقَدْ يعترض بأنَّ إضافة العبد إلى الضمير المفرد الغائب، قَدْ وَرَدَ فِي شأن النَّبِيّ زكرياعليه السلام فِي سورة مريم ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[٢] وَعَلَيْهِ فلا يُعَد ذَلِكَ مختصّاً بسيد الأنبياء، مَعَ أنَّ زكرياعليه السلام لَيْسَ مِنْ أُولي العزم.

فيُجاب: بأنَّ الضمير هُنَا فِي عبده فِي شأن زكريا يعود إلى اسم الرّب

---

(١) سورة النَّحل: الآية ٢.

(٢) سورة مريم: الآية ١ ـ ٢.

قبله، أيّ عَبْدُ ربّك فَلَيْسَ مرجع الضمير إلى الغيب المطلق، كَما هُوَ الشّأن فِي قوله تَعَالَى وقوله ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾[1] وقوله فِي سورة الحديد، ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾[2]، بخلاف الوصف الوارد فِي شأن النَّبِيّ الخاتمﷺ فِي سورتي الكهف و النجم فأَنَّ الضمير لا يرجع إلى الاسم بَلْ يرجع إلى الغيب المطلق.

نعم، بَعْض ما وَرَدَ فِي سور أُخْرَى مِنْ وصف عبده لرسول اللهﷺ الضمير يرجع إلى أسماء إلهية لا إلى الغيب المطلق كَما فِي قوله تَعَالَى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾[3]. وقوله تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾[4]. وقوله تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾[5].

بتقريب: إنَّ الضمير فِي الآيات المُبارَكَة يعود إلى الاسم الإلهي.

الأمر الثاني: إنَّ التعبير عَنْ خاتم الأنبياءﷺ بـ (عبده) بإضافة العبوديّة إلى ضمير الغائب (الهاء) فيها تعظيم للمضاف، وشرافة المضاف تأتي مِنْ شرافة المضاف إليه. وَهَذَا معناه أنَّ عبوديّة سيد الأنبياء الخاتمﷺ وصلت إلى مقام الاسم العظيم الأعظم الأعظم الأعظم لِأَنَّ مقام واسم (هُوَ) أعظم شأناً مِنْ اسم (الله) كأسم لا مُسمَى فالأسماء متكثّرة والمسمى

(١) سورة النجم: الآية ١٠.
(٢) سورة الحديد: الآية ٩.
(٣) سورة الكهف: الآية ١.
(٤) سورة الفرقان: الآية ١.
(٥) سورة الزمر: الآية ٣٦.

واحد وإنْ كَانَ كلاهما اسماً للذات الإلهية، كَمَا فِي سورة الحشر ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[1]، **بتقريب:** إنَّ كُلّ ما بَعْدَ (هُوَ) معطوف عَلَيْهِ وَهُنَا المعطوف عَلَيْهِ أعظم مقاماً وشأناً مِنْ المعطوف، نظير التعبير [وأشهد أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه].

وَعَلَيْهِ فَهَذَا الكمال مِنْ العبودية ينزله الله عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده كَمَا تَقَدَّمَ فِي سورة النحل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾[2].

خامساً: سورة الحشر: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾[3].

بتقريب: أنَّ الأسماء الَّتِي ذُكرت فِي الآية هِيَ فِي الأسماء الإلهية وأنَّ اسم (هُوَ) أعظم مِنْ اسم (الله) كَمَا تَقَدَّمَ.

سادساً: سورة الشورى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾[4].

بتقريب: إنَّ الرُّوح هُوَ حقيقة القُرآن التكوينيّة، الَّتِي جعلناها يا مُحَمَّد ﷺ

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٢) سورة النحل: الآية ٢.
(٣) سورة الحشر: الآية ٢٣.
(٤) سورة الشورى: الآية ٥٢.

مِنْ بعدك لِـمَنْ نشاء، وَالرُّوح الأمري هُوَ الكتاب، والذي يمسُّ الكتاب هُوَ الذي يتلقى تنزّل الرُّوح الأمري كُلّ عام فِي ليلة القدر، والمطهّرون الَّذِيْنَ يمسّون الكتاب المكنون هُمْ الأئمة عليهم السلام الَّذِيْنَ يتوارثون الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمري، حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(١)، فالهداية الأمرية هِيَ بالروح الأمري.

وكذلك فِي قوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾(٢).

بتقريب: إنَّ الَّذِيْنَ اصطفاهم وأصفاهم الله هُمْ أهل آية التطهير، فَهَذِهِ الآيات تتشاهد لبعضها البعض لتدلّ عَلَى أنَّ الأئمة المطهّرون المصفّون الَّذِيْنَ يمسون الكتاب ويرثوه ويتلقون حقيقة الكتاب، وَهُوَ الرُّوح الأمري والذي يتنزل فِي ليلة القدر فِي كُلّ عام عَلَى مَنْ يشاء مِنْ عباده.

وَهَذَا يَدُلّ أيضاً عَلَى عدم حصر أسباب النُّزول ببُعْدٍ واحدٍ وَهُوَ بُعْد النبوّة وَإِنَّما يتعدّى إلى مرحلة الولاية والحاكميّة مِنْ بَعْدَ رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أئمة أهل البيت عليهم السلام وعَبَّر بالآية بـ (عبادنا) لا (عباده).

سابعا: سورة غافر: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَـٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾(٣).

بتقريب: إنَّ هَذِهِ الآية تدل عَلَى بقاء تنزل ذَلِكَ الرُّوح كُلّ عام عَلَى

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

(٢) سورة فاطر: الآية ٣٢.

(٣) سورة غافر: الآية ١٥.

مَنْ يشاء مِنْ عباده، فكَمَا أنَّ تنزل الرُّوح الأعظم فِي ليلة القدر دائم فِي كُلّ سنة بالضرورة، فكذلك ليلة القدر تعني وراثة ولي الله تَعَالَى لمقام النَّبيّ صلى الله عليه وآله فِي تنزّل الرُّوح عَلَيْهِ.

مُضَافاً إلى أنَّ إضافة عبودية النَّبيّ صلى الله عليه وآله وأهل البيت عليهم السلام إلى الضمير (هُوَ) اسم للذات الإلهية لَهُ مدلولات كثيرة يأتي التعرّض إليها فِي بحث التفسير الإشاري إنْ شاء الله تَعَالَى.

محصل ما تقدم:

وتحصل مِنْ خلال استعراض هَذِهِ الشّواهد والنماذج القرآنية ما يلي:

أوّلاً: إنَّ أسباب النُّزول لا تنحصر بِبُعْد واحد وَهُوَ بَعْدَ النبوة فَقَطْ، وَإنَّما تتعدّى إلى منصب ومقام الولاية والحاكميّة للإمامة، إلَّا أنَّهُ للأسف غفل مفسروا المذاهب الإسّلاميَّة عَنْ هَذَا البُعد الآخر للقُرْآن إلَّا أنَّ أئمة أهل البيت عليهم السلام بيّنوه ونبّهوا عَلَيْهِ.

ثانياً: هُنَاك انطباع لدى كثير مِنْ مفسري المذاهب الإسّلاميَّة أنَّ القُرآن كتابُ تنظير فَقَطْ وفيه نظريات تجريدية بحتة لَيْسَ لها ارتباط ومساس وطيد بمجريات واقع مسيرة البشر، إلَّا أنَّ هَذِهِ قراءة قاصرة وناقصة. وسيأتي التعرّض للمزيد تحت العنوان اللاحق [القُرآن الكريم نظام تكويني حقائقي لإدارة شؤون الموجودات] فانتظر.

ثالثاً: هَذِهِ النماذج والشواهد القرآنية الَّتِي ذكرناها آنِفاً وغيرها الكثير

وَالَّتِي ترتبط بقاعدة أسباب النُّزول تُدلِّل عَلَى أنَّ إنزال القُرآن للروح عَلَى غَيْر سيد الأنبياء مرتبط بـ (مَنْ يشاء مِنْ عبادنا) وَالقُرآن الكريم ينبّه المسلمين عَلَى أَنَّهُ لا نبي بَعْدَ نبوة سيد الأنبياء وهؤلاء الَّذِيْنَ يتنزّل الرُّوح عليهم هُمْ أولياء وخلفاء وأوصياء للرسول صلى الله عليه وآله وأنَّ تنزيل القُرآن لَهُ صلة بنبوّة سيد الأنبياء، وبوصاية سيد الأوصياء مِنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام بَعْدَ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله.

رابعاً: كَذَلِكَ غفلت المدارس الإسّلاميَّة ـ عدا مدرسة أهل البيت عليهم السلام ـ عَنْ الوجه الآخر للقُرْآن الذي طالما صَرَّح به رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام وَقَدْ وَرَدَ مِنْ طرق الفريقين: «**أنا أقاتِل عَلَى التنزيل وعلي يُقاتل عَلَى التأويل**»[(١)].

بتقريب: أنَّ سنخ تبليغ الْنَّبِيّ صلى الله عليه وآله عَنْ الله وأهل بيته عليهم السلام عَنْهُ صلى الله عليه وآله لا يقف عِنْدَ حدّ التنزيل والألفاظ، بَلْ يتّسع إلى التأويل وما لا يحصى مِنْ مدارج المعاني وبيان الحقائق، فالحاجة إلى تبليغهم وأداءهم عَنْ الله ووساطتهم بين الله وخلقه تمتد إلى يَوُم القيامة فِي دار التكليف ونشأة الامتحان، ما دام البشر يحتاجون فِي كُلّ بيئة إلى رؤية كونية عقائدية أعمق للحقائق والمعارف، ويحتاجون إلى هداية مِنْ الشريعة إلى أطوار نظامهم الاجتماعي والسياسي وحقوله.

---

(١) الخصال للصدوق: ٦٥٠.

فتلخّص أنَّ ما تسالم عَلَيْهِ المسلمون مِنْ وجود الظهور والبطون فِي الكتاب العزيز وكون علومه وحقائقه وكلماته لا تتناهى، يستلزم دوام الحاجة إلى تبليغ الْنَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه وأهل بيته عليهم السلام مِنْ بعده، وعدم سدّ الحاجة بخصوص الظاهر بَعْدَ كون الإيمان بباطن القُرآن عَلَى حذوا الإيمان بظاهره.

خامساً: أنَّ الْنَّبيّ الأكرم صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه بَيَّن أنَّ مرحلة التنظير لها صلة وارتباط بالنبوّة والأنباء وأنَّ مرحلة التّطبيق لها صلة بالولاية والحاكميّة والتنفيذ، والذي يتولّى التنظير هُوَ الله عَزَّ وَجَلَّ وَأَنَّهُ تَعَالَى يُنبئ نبيّه الذي ينفّذ حاكمية الله تَعَالَى بإرادة مِنْهُ تَعَالَى، ويؤيّد ذَلِكَ ما وَرَدَ فِي زيارة الإمام الحسين الأولى وَهِيَ صحيحة السند «... **إرادة الربانية مقادير أموره تهبط إليكم وتصدر مِنْ بيوتكم والصادر عمّا فُصِّل مِنْ أحكام العباد ...**»[1].

إذَنْ القُرآن الكريم فيه تنزيل أنبائي أيّ ما يخصّ النبوّة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾[2].

وفيه تنزيل ولائي مرتبط بالإمامة والولاية ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾[3] **بتقريب:** إنَّهُ يُفصّل ويُبيّن بين نوعي نزول القُرآن ما يرتبط بولاية الْنَّبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِه، ونزول مرتبط بولاية سيد الأوصياء عليه السلام والأئمة عليهم السلام.

---

(١) مفاتيح الجنان: ص٤٩٦.

(٢) سورة الدخان: الآية ٣.

(٣) سورة الدخان: الآية ٤.

القرآن الكريم نظام تكويني حقائقي

لإدارة شؤون الموجودات

إنَّ فِي القُرآن الكريم بيانات أكّدتها الآيات المُبَارَكَة، وهكذا اكّدتها بيانات أهل البيت عليهم السلام حاصلها:

إنَّ القُرآن الكريم أُنزِل ليقود البشر والملائكة والجن وأنَّ الجنَّ مثلاً موجودات مِنْ نمط فيزيائي خاص وَمِنْ أيّ بيئة هُمْ، وكيف تُدار شؤونهم كُلّ ذَلِكَ بيّنه القُرآن الكريم، وكذلك بيَّن القُرآن شأن الموجودات غَيْر المرئية وَهِيَ ما يُعبر عنها بالعلوم الغريبة، وكيف تُدار شؤونهم وما هُوَ المُنَاسِب لهدايتهم وبأي طريقة.

وأكَّدت وركَّزت بيانات أهل البيت عليهم السلام أنَّ قيادة القُرآن للبشر وغيره لا تقتصر عَلَى الجانب النظري والتنظيري، وَإنَّما تتعدّى قيادته إلى تبيان الجانب العملي لإدارة البشر وغيره تفصيلياً، وسيأتي التعرّض فِي محله إلى قَاعِدَة مُهمّة جدّاً فِي نظام المعاني فِي القُرآن الكريم تحت عنوان: [هل القُرآن فيه تبيان لِكُلِّ شيء أو لا؟] ويجيب القُرآن عَنْ هَذَا التساؤل بقوله:

﴿وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾[1].

بتقريب: أنَّ القُرآن الكريم مودَعٌ فيه إدارة وتنظيم شؤون جميع الموجودات بما فيها البشر وغيره، إِلَّا أَنَّهُ مَنْ لَهُ القُدرة عَلَى استخراج ذَلِكَ؟ أنَّها ليست منهلاً لِكُلِّ ناهل، وَإِنَّما هِيَ مُشرَّعة ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2] لأهل آية التطهير وَهُمْ مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عليهم السلام.

نعم، صحيح أنَّ القُرآن الكريم مِنْ حَيْثُ الألفاظ المكتوبة أيّ مِنْ حَيْثُ ألفاظ التنزيل لا يزيد عَلَى ما بين الدفّتين فِي المصحف الشريف، ولكن حقائق القُرآن ومنازله ومقاماته لا تنحصر بالمصحف الشّريف لألفاظ تنزيل القُرآن وَإِنَّما هُنَاك حقائق تكوينية غيبية كثيرة للقُرْآن ، وكونه ذا حقيقة غيبية وَالَّتِي هِيَ الكتاب المبين، وأم الكتاب واللوح المحفوظ، والكتاب المكنون كَما فِي قوله تَعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[3] حَيْثُ تشير آيات القُرآن إلى وجود كينونة علويّة للقُرْآن تُدعى بالكتاب المكنون، أيّ المحفوظة مِنْ أنْ يصل إليها إلَّا المطهرون مِنْ الذنوب والرجس، وأنَّ ما بين الدفّتين مِنْ القُرآن تنزيلٌ ونزول مِنْ ذَلِكَ المقام العلوي لَهُ وَلَيْسَ هُوَ عين تلك الحقائق.

---

(١) سورة النمل: الآية ٧٥.
(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.
(٣) سورة الواقعة: الآية ٧٧ ـ ٨١.

ومثل هَذِهِ الإشارة نجدها فِي عِدَّة مواضع مِنْ القُرآن.

١ ـ فِي قوله تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ۝٢٢﴾[1].

فوصف القُرآن بالمجد والعظمة لكينونته العلوية، أيّ أنَّ المجد والعظمة وصف لذلك الوجود ولا يُغرِق الباري تَعَالَى فِي وصف موجود بالعظمة إلَّا لخطورة موقعيته فِي عالم الأمر والخلقَة، وتلك الكينونة هِيَ المسمّاة باللوح المحفوظة، والوصف بلفظ المحفوظ مَعَ لفظ المكنون مترادف.

٢ ـ فِي قوله تَعَالَى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾[2].

فوصف القُرآن بان لَهُ كينونة فِي أُمّ الكتاب وَهِيَ وجود علوي لَدُني عنديَّ لدى الباري تَعَالَى، وَهَذَا الوجود موصوف بالعلوّ والإحكام فِي قبال التفصيل الذي طرأ عَلَى القُرآن حين النُّزول، كَمَا يشير إليه قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥٢﴾[3].

٣ ـ فِي قوله تَعَالَى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾[4].

وقوله تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ

---

(١) سورة البروج: الآية ٢٥.
(٢) سورة الزخرف: الآية ٤.
(٣) سورة الأعراف: الآية ٥٢.
(٤) سورة هود: الآية ١.

ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾[١].

فَالقُرآن النازل هُوَ تفصيل ونجوم للكتاب العلوي، ويشير إلى الوجودالعلوي للقُرْآن قوله تَعَالَى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾[٢].

وقوله تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾﴾[٣] إلى غَيْر ذَلِكَ مِنْ الآيات.

وبالتالي فَإِنَّ حقائق القُرآن ومنازله لا تنحصر بألفاظ التنزيل المتمثلة بما يقرب مِنْ سبعة آلاف آية بـ (١١٤) سورة وَإِنَّما ذاك مقام غيبي ـ أيّ حقائق القُرآن.

فَإِنَّ تلك المنازل والمقامات العديدة فِي القُرآن عبارة عَنْ نظام وكيان تكويني حقيقي لإدارة شؤون البشر وغيره ولا تنحصر بالتنظير وإبراز النظريّات، بَلْ القُرآن عبارة عَنْ منظومة إلهية حاكمة وهيكل تكويني منظومي لحكومة إلهية عَلَى الأرض تشمل الجانب التنظيري والتطبيقي العملي وغيرهما.

وأَنَّ هَذَا الفهم الذي بيّنته روايات أهل البيت عليهم السلام[٤] مِنْ فَهْمْ

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٧.

(٢) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٣.

(٣) سورة الكهف: الآية ١٠٩.

(٤) والذي بيّناه فِي ج١ مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المتشابهات، للشيخ مُحَمَّد السند (حفظه الله) وأَنَّ القُرآن كتاب هداية قيادية للموجودات، وَأَنَّهُ لَيْسَ مُجَرَّد تنظير فَقَطْ.

المذاهب الإسّلاميَّة الأُخرَى الَّتِي آمنت بأنَّ القُرآن الكريم مُجرَّد مصحف شريف ولا يزيد عَلَى ما بين الدفّتين، وَلَمْ تؤمن تلك المذاهب الإسّلاميَّة وَلَمْ تعتقد بحقائقه ومقاماته الغيبيّة ومنازله الملكوتيّة، وسبب هَذَا الفهم السقيم هُوَ الابتعاد عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام الَّتِي بيَّنت أنَّ حقائق القُرآن ومقاماته كثيرة ـ كَمَا مَرَّ ـ يظهر مدى خطورة الولاية فِي قَاعِدَة أسباب النُّزول وَهُوَ مما يرسم ويمثل خطورة الولاية فِي منهج التفسير أيّ منهج أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي تفسير القُرآن فيُبيِّن مَدَى تأثير محور الولاية فِي قَواعِد هَذَا المنهج التفسيري.

وَكَمَا مَرَّ أنَّ الغرض مِنْ التأكيد عَلَى منهج أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فِي تفسير القُرآن؛ لِإنَّهُ منهج ذو أبعاد وتداعيات مُهمّة جدّاً وخطيرة وأحد قواعده قَاعِدَة أسباب النُّزول؛ لِإنَّهُ إذَا لَمْ نجعل نظام تفسير القُرآن هُوَ فَهْمْ ومعرفة القُرآن، وأنَّ القُرآن فيه مقامات مِنْهَا مقام ولاية الله وولاية الرسول صلى الله عليه وآله وولاية أهل البيت عليهم السلام، وأنَّ الحاكمية بمعنى أنَّ قدرة سلطة القُرآن تكوينيّة وليست تصديقية فَقَطْ، فَقَدْ يُصَدِّق بها الإنسان أو يجحدها بدليل ما جاء فِي سورة الدخان ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾[1]. بتقريب: أنَّ الله تَعَالَى لَهُ حكم وإدارة وحكمة وتقسيم الأرزاق وكتابة الآجال والحوادث الَّتِي ستحدث عَلَى البشر والملائكة والجن والشجر والحيوان وغيرها؛ فَإنَّ

---

(١) سورة الدخان: الآية ١ ـ ٣.

كُلّ تلك الملفات تُقدَّر فِي ليلة القدر، وأنَّ إدارة الأحداث التكوينية للموجودات لها صلة بالقرآن الكريم.

القرآن يمتنع تفسيره بمجرد النبوة من دون بعد الولاية فِي النبِي وعترته:

ولذا لو لَمْ نفهم حقيقة القُرآن سنظنّ بأنَّ مغزى أسباب النُّزول فِي القُرآن هِيَ غايات تنظيرية فَقَطْ.

وَعَلَيْهِ فلا يستطيع أيُّ مُفسِّر أنْ يخوض فِي بيان المقامات التكوينية الغيبية فِي القُرآن إذَا اقتصر عَلَى الجانب الأوَّل، وَهُوَ التنظير ـ النبوّة ـ بَلْ لابُدَّ لَهُ ولأجل أنْ يُبيِّن أكبر عدد مِنْ المقامات الغيبية أنْ يخوض فِي الجانب الثَّانِي، وَهُوَ بَعْدَ الولاية سواء بالجانب التطبيقي أو الحقائقي.

إذْ لا يتسنى لَهُ معرفة أيّ مقام أو منزل فِي القُرآن، أو يعرف علم إدارة الدول أو علم إدارة الوزرات أو العلم النظري وغيرها إلَّا بملاحظة البُعد الثَّانِي.

ولذا فَإنَّ القُرآن كتاب جامع مانع ـ إنْ صحَّ التعبير ـ فلا تُحصّر قيادته وتنظيمه بالبشر وحصره بذلك عَلَى ما تظنّ أو تتوهّمه بَعْض المذاهب أو المدارس الإسّلاميَّة نتيجة ابتعادهم عَنْ مدرسة أهل البيت عليهم السلام ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد: الآية ٣١.

بتقريب: لَيْسَ المُرَاد مِنْ (لو) حرف امتناع وَإِنَّما هَذِهِ شؤون القُرآن وربط تسيير الجبال، وتقطيع الأرض أو تكليم الموتى أو ... الخ بالقرآن ما ذاك إِلَّا دليلٌ عَلَى أنَّ القُرآن لَهُ ارتباط بكُلِّ هَذِهِ الأُمُور ﴿تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ وتقديره وتدبيره.

وهكذا قوله تَعَالَى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[1] وقوله تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾[2] وقوله تَعَالَى: ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَـٰحَ لَوَٰقِحَ﴾[3].

بتقريب: أنَّ الصِّلة بين خشوع وتصدّع الجبل وجعله دكّاً وإرسال الرياح لواقح وغيرها مِنْ الحقائق الَّتِي يُبيّنها القُرآن الكريم فِي مجالات شتّى، وسواء فِي الأرض أو السّماء أو عوالم أُخرَى ما ذاك إلَّا لبيان وتأكيد ارتباط القُرآن بتلك الأُمُور وهدايتها، وأنَّ هداية القُرآن التكوينيّة وَهِيَ الولاية غَيْر مقتصرة وَغَيْر مختصّة بالبشر فَقَطْ، وَإِنَّما تتعدّى إلى سائر المخلوقات، وَلَمْ تتبيّن هَذِهِ النكات العلميّة والصناعيّة بشكل واضح إلَّا مِنْ خلال معرفتها مِنْ بيانات أهل البيت عليهم السلام، وقطع ثمرتها بواسطة أومن خلال المنهج التفسيري المختار أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات فضلاً عَنْ المتشابهات ولا يُفهم مِنْ هَذَا أننا نريد تشطيب وتهميش باقي المناهج

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢١.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٤٣.

(٣) سورة الحجر: الآية ٢٢.

التفسيرية، وَأَنَّها لا ثمرة فيها كالتفسير الموضوعي، أو تفسير القُرآن بالقرآن، أو التفسير التجزيئي أو الأدبي أو الإشاري أو اللطائفي أو الأنفسي أو تفسير أسباب النُّزول وغيرها، بَلْ لها فوائد وثمار تستثمر، ولكن مِنْ الخطأ أنْ نجعلها هِيَ المدار وَأَنَّها هِيَ المنهج المُهيمن.

وَإِنَّما إذَا أردنا أنْ نعرف المدار وعمود خيمة فضاء القُرآن كمنهجٍ فَهُوَ كَمَا بيّنه مسعدة بن صدقة عَنْ الإمام الصادق عليه السلام: «**إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستديرُ محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويُستبين الإيمان**»[1].

والمُلفت فِي بيان هَذِهِ الرُّواية الشّريفة أَنَّها لَمْ تجعل النبوّة فِي الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله قطب رحى، بَلْ بُعد الولاية فِي الْنَّبيّ صلى الله عليه وآله وعترته هُوَ قطب الرحى، وَهَذَا أمر بالغ العظمة والخطورة فِي حقيقة القُرآن، وإذا كَانَ هَذَا الحال فِي القُرآن، فكذلك الحال فِي قطبيّة الولاية للكتب السّماوية السابقة.

وعنوان أهل البيت عليهم السلام ينطبق بالمرتبة الأولى عَلَى سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله، ثمَّ أمير المؤمنين عليه السلام سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام، ثمَّ الحسنين ثمَّ التسعة المعصومين عليهم السلام، وَقَدْ أسند الولاية إلى أهل البيت عليهم السلام وَقَالَ: «**ولايتنا أهل البيت**» وَلَمْ يقل عليه السلام «نبوتنا أهل البيت عليهم السلام» وأنَّ الله جعل الولاية المجموعيّة لأهل البيت عليهم السلام مَعَ اختلاف مراتبهم قطب القُرآن وقطب جميع الكتب السماوية السبع، وَعَلَيْهَا يدور محكم القُرآن ـ أيّ النقطة

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ باب فضل القُرآن.

المركزية فيه ونظم نظام المحكم هُوَ بتوسّط ولاية أهل البيتعليهم السلام وَإلَّا لا نفرط وتشتت محكم القُرآن.

كَمَا أنَّ ظاهر كلامهعليه السلام، أنَّ الكتب السماوية السابقة عمدَة ما نوّهت به هُوَ ولايتهم وأنَّ الإيمان إنَّما يستبين بولايتهم وَكُلّ ذَلِكَ بيان لركنيّة ولاية النَّبِيّصلى الله عليه وآله وعترته اعظم مِنْ جهة الأنباء والنبوّة فِي النَّبِيّصلى الله عليه وآله.

وبذلك يتحصّل أنَّ قوام حقيقة القُرآن بولاية النَّبِيّصلى الله عليه وآله وعترته أعظم مِنْ حيثية النبوّة والأنباء فِي النَّبِيّصلى الله عليه وآله

وَهَذَا سواءٌ فُسِّرت النبوّة بأنباء النَّبِيّصلى الله عليه وآله للآخرين فالأمر واضح وأنَّ ولاية النَّبِيّصلى الله عليه وآله أعظم رتبة مِنْهُ مِنْ مقام إنبائه للآخرين، أو فُسِّرت النبوّة بمقام تلقي النَّبِيّصلى الله عليه وآله للوحي فِي بُعد البصر الباطن، فَإنَّ التلقي، إنَّما هُوَ مِنْ الدرجات النازلة فِي ذاتهصلى الله عليه وآله وأمَّا الدرجات العاليّة مِنْ ذاتهصلى الله عليه وآله فهُوَ فِي مقام التمكين والقدرة وَهُوَ ولاية، أو فُسِّرت بالتلقي فَإنَّ التلقي يَكُون بالإلهام ونحوه أوسع مدى مِنْ الرؤية البصرية.

وَعَلَيْهِ فَإنَّ قوله تَعَالَى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1] أعظم مقاماً فِي شأن النَّبِيّصلى الله عليه وآله مِنْ الوصف الآخر ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨﴾[2] وَالَّتِي هِيَ النبوّة، فَإنَّ بَقيَّة أنماط وأنواع الوحي أعظم وأعلى شأناً مِنْ الرؤية، وينطوي فيها ما لا ينطوي فِي الرؤيا، ألا ترى أنَّ النَّبِيّ إبراهيمعليه السلام

---

(١) سورة النجم: الآية ٤.

(٢) سورة النجم: الآية ١٨.

نال النبوّة أوّلاً ثمَّ الخلّة والرسالة ثانياً، ثمَّ الإمامة ثالثة.

والخلاصة إنَّ منهج الأمومة التفسير المختار لَيْسَ فَقَطْ هُوَ مركز لمعاني عديدة، وَإِنَّما هُوَ أصل منظومي تناسجي مترابط وفيه تلاحقٌ وتعاقبٌ لمعادلات هندسية كثيرة، كُلّ ذَلِكَ تحت عنوان أمومة ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾(١) فمثلما المُحْكَمات لها أمومة عَلَى ما دونها وَهِيَ المتشابهات كَذَلِكَ المُحْكَمات لها أمٌّ وَهِيَ الولاية، فحينئذٍ نستطيع أنْ نفهم أنَّ القُرآن كتابُ نبوّة ـ تنظير ـ أيّ يريهم الطريق، وكتاب ولاية ـ تطبيق ـ أيّ يأخذ بيدهم وحاكم وَأَنَّهُ كتاب هداية أرائية للبشر، وكتاب هداية إيصاليّة أيّ يوصلهم إلى السّعادة المنشودة.

نعم، القُرآن فيه تَعَرّضٌ لبنود كثيرة جدّاً ﴿مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾(٢).

وبذلك تبيَّن أنَّ حقيقة القُرآن بالولاية وتنزيله فِي أحد بعديه بالنبوّة وتبيَّن سابقاً الفرق بين الولاية فِي النَّبيّ صلى الله عليه وآله وبين النبوّة فيه صلى الله عليه وآله هِيَ فرق الحقيقة والتنزيل، وَهَذِهِ الولاية الَّتِي عِنْدَ النَّبيّ صلى الله عليه وآله ورّثها عترته مِنْ أهل بيته عليهم السلام.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٩.

القاعدة التاسعة[1]

قابلية ظهور الكلام الواحد للتعدد والتكثر
تأويل كل شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه
طبقات المعنى التأويلي كلها تندرج في الظهور

التفسير التأويلي لأهل البيت جله معالجة للظهور:

تَقَدَّمَ فِي قَاعِدة أسباب النُّزول إنَّ اختلاف مدرسة أهل البيت عليهم السلام عَنْ بَقِيَّة المدارس الإسّلاميَّة فِي حقيقة مورديّة مورد النُّزول أوقع الكثير مِنْ الباحثين فِي الخلط بسبب المزج بين المنهاجين، وعدم إحاطة المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى بحقيقة مورديّة النُّزول، كَمَا تعيه مدرسة أهل البيت عليهم السلام وابتعاد المدارس الإسّلاميَّة الأُخْرَى عَنْ منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام وَلَّدَ توهّمٌ فِي تفسير الآيات والسِّياق فِي أسباب النُّزول، كَذَلِكَ الحال فِي قَاعِدَة قابليّة ظهور الكلام الواحد للتعدّد والتكثُّر، وإنَّ جُلَّ التفسير

---

(١) تَقَدَّمَ فِي الجزء الأوَّل مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحكمات للشيخ مُحمَّد السَّند ص٣٠٣، والمقام الثَّالِث مبحث الظُّهور والتَّأويل، وَمِنْ باب إتمام الفائدة، نذكر هَذِهِ القَاعِدَة تتمَّة لما تقدَّم.

التأويلي لأهل البيت عليهم السلام هُوَ فِي مُعالجة الظُّهور، فَإِنَّ كثيراً مِنْ الآيات لها عِدَّة ظهورات، بَلْ الآية الواحد لها ظهور مُتكثِّر، بَلْ لَعَلَّهُ فِي بَعْض الآيات يَكُون صدرها لَهُ ظهور فِي مَعْنَى ووسطها ظاهر فِي مَعْنَى ثانٍ، وذيلها لَهُ ظهور فِي مَعْنَى ثالث، بَلْ فِي جُملة منا لموارد الكلمة الواحدة مِنْ الجُملة لها ظهور فِي مَعْنَى يختلف عَنْ بَقيَّة مُفردات الآية والجُملة الواحدة.

وهكذا الكلام فِي التأويل فَلَعَلَّ الآية الواحدة فضلاً عَنْ السورة لها عِدَّة تأويلات بَلْ اللَّفظة الواحدة مِنْ الجُملة لها تأويلات مُتعدّدة، ولَعَلَّ هَذَا مِنْ غرائب الأمور عَلَى مَنْ لَمْ يأنس بألوان وأنواع الاستعمال التركيبي القُرآني بحسب ما نبَّه عَلَيْهِ أهل البيت عليهم السلام، وبيَّنوا أنَّ مِنْ أكبر العوائق أمام البشر فِي فَهْمْ كلام الله تَعَالَى هُوَ البناء عَلَى أنَّ الكلام أو المفردة لها ظهور واحد أو تأويل واحد، وما وَرَدَ فِي الرُّوايات عكس ذَلِكَ تماماً فَإِنَّهُ يمكن أنْ يتعدّد الظهور بلحاظ الآية وكلماتها، وَهُنَاكَ جُملة مِنْ الرُّوايات أكَّدت هَذَا المعنى.

مِنْهَا: رواية الفضل بن يسار، قَالَ: سألتُ أبا جعفر عليه السلام عَنْ هَذِهِ الرُّواية: ما فِي القُرآن آية إلَّا ولها ظهرٌ وبطنٌ، وما فيه حرفٌ إلَّا وَلَهُ حدٌّ، وَلِكُلِّ حدٍّ مُطّلع، ما يعني بقوله: لها ظهرٌ وبطنٌ؟ قَالَ: ظهرُه وبطنه تأويله، مِنْهُ ما مضى وَمِنْهُ ما لَمْ يكن بعدُ يجري كَمَا تجري الشَّمس والقمر، كُلّما جاء مِنْهُ شيء وقع، قَالَ الله تَعَالَى ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾[1] نَحْنُ نعلمه.

---

(١) تفسير العياشي: ج١، ص٨٦ ح٥.

وَمِنْهَا: رواية جابر، قَالَ: سألتُ أبا جعفرعليه السلام عَنْ شيء فِي تفسير القُرآن فأجابني ... وَهُوَ كلام يتصرَّف عَلَى وجوه[١].

وهكذا ما ذكره أمير المؤمنينعليه السلام فِي احتجاجه عَلَى الزنديق .. وَمِنْ كتاب الله عَزَّ وَجَلَّ يَكُون تأويله عَلَى غَيْر تنزيله، ولا يشبه تأويله بكلام البشر، ولا فعل البشر، وسأنبئك بمثال لذلك تكتفي به إنْ شاء الله تَعَالَى، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ وَهُوَ حكاية الله عَزَّ وَجَلَّ عَنْ إبراهيمعليه السلام حَيْثُ قَالَ: فذهابه إلى ربِّه توجّهه إليه فِي عبادته واجتهاده ألا ترى أنَّ تأويله غَيْر تنزيله، وَقَالَ ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾، وَقَالَ: ﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ فإنزاله ذَلِكَ: خلقه إيّاه.

وكذا قوله ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ أيّ الجاحدين، والتَّأويل فِي هَذَا القول باطنه مضادٌ لظاهره.

وَمَعْنَى قوله ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[٢]، فَإِنَّما خاطب نبيِّنا مُحَمَّدصلى الله عليه وآله، هل ينتظر المُنافقون والمشركون إلَّا أنْ تأتيهم الملائكة، فيعاينونهم، أو يأتي بَعْض آيات ربِّك يعني بذلك: أمر ربِّك والآيات هِيَ العذاب فِي دار الدُّنْيا، كَما عَذَّب الأُمم السَّالفة والقرون الخالية، وَقَالَ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ يعني بذلك ما يهلك مِنْ القرون فسمّاه إتياناً، وَقَالَ: ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ

---

(١) المصدر السَّابق: ص٨٧ ح٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٥٨.

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾[(١)] أيّ لعنهم الله أنّى يؤفكون، فسمّى اللّعنة قتالاً، وكذلك قَالَ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[(٢)] أي لعن الإنسان، وَقَالَ ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ فسمّى فعل النَّبيّ صلى الله عليه وآله فعلاً لَهُ، ألا ترى تأويله غَيْر تنزيله، ومثله قوله ﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ﴾ فسمّى البعث: لقاءاً، وكذلك قوله، ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾﴾[(٣)] أيّ لَيْسَ يوقنون أنّهم مبعوثون، واللِّقاء عِنْدَ المؤمن: البعث، وَعِنْدَ الكافر المعاينة والنظر.

وَقَدْ يَكُون بَعْض ظن الكافر يقيناً، وَذَلِكَ قوله ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ أيّ تيقنوا أنهم مواقعوها.

وأمّا قوله فِي المُنافقين ﴿وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾﴾[(٤)]، فَلَيْسَ ذَلِكَ بيقين ولكنّه شكٌّ، فاللَّفظ واحِدٌ فِي الظَّاهر ومُخالف فِي الباطن[(٥)].

روى العيّاشي عَنْ أبي جعفر عليه السلام، قَالَ: لَيْسَ شيء أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية ينزل أولها فِي شيء ووسطها فِي شيء وآخرها فِي شيء، ثمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ

---

(١) سورة التّوبة: الآية ٣٠.

(٢) سورة عبس: الآية ١٧.

(٣) سورة المُطفّفين: الآية ٤ ـ ٥.

(٤) سورة الأحزاب: الآية ١٠.

(٥) الاحتجاج للطّبرسي: ج١، ص٣٠٢ و ٣٠٣ فِي احتجاج أمير المؤمنين عَلَى الزّنديق، وكذا المحاسن للبرقي: ص٣٠٠.

ﭐلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴿٣٣﴾ من ميلاد الجاهلية(١).

روى العيّاشي بسنده عَنْ جابر، قَالَ: سألتُ ابا جعفرعليه السلام عَنْ شيء فِي تفسير القُرآن فأجابني، ثمَّ سألتُه ثانية فأجابني بجوابٍ آخر، فقلتُ جُعلتُ فداك كنتُ قَدْ أجبتَ فِي هَذِهِ المسألة بجوابٍ آخر غَيْر هَذَا قبل اليوم، فَقَالَ لي يا جابر: إنَّ للقُرآن بطناً، وللبطن ظهراً، يا جابر لَيْسَ شيءٌ أبعد مِنْ عقول الرِّجال مِنْ تفسير القُرآن، إنَّ الآية لتكون أولها فِي شيء وآخرها فِي شيء، وَهُوَ كلام مُتّصِلٌ يتصرَّف عَلَى وجوه(٢).

وفي بصائر الدِّرجات .. عَنْ هشام عَنْ الهيثم التميمي، قَالَ: قَالَ أبو عبدالله عليه السلام يا هيثم إنَّ قوماً آمنوا بالظَّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا أيمان بظاهر إلَّا بباطن ولا بباطنٍ إلَّا بظاهر(٣).

وَبعْدَ هَذِهِ المُقدِّمة:

مَنْ يتتبَّع كلمات المُفسِّرين ـ خاصَّة الإماميّة منهم ـ فِي كيفية التّعامل مَعَ طبقات المعنى التّأويلي فِي الرُّوايات، سوف يجد منهجان أو مسلكان:

المسلك الأوَّل: وَهُوَ مسلك المشهور أو الأشهر، وتعامله مَعَ الرُّوايات الَّتِي تبدي معاني خفيّة أو باطنه الخفاء للآيات عَلَى أنَّها معاني تأويليّة محضة

---

(١) العيّاشي: ج١، ص٩٥ باب مَنْ فسّر القُرآن برأيه: ح١.
(٢) المصدر السَّابق: ص٨٧ ح٨، باب تفسير النَّاسخ والمنسوخ والظَّاهر والباطن.
(٣) تفسير البُرهان للفتوني: ص٢٢ عَنْ بصائر الدّرجات.

أو تطبيقية، وليست مرتبطة، بَلْ ولا صلة لها بشؤون قالبِ وظهور الآية.

المسلك الثَّانِي: إنَّ المعاني التّأويليّة تندرج فِي الظُّهور غاية الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب وَهُوَ ما نعتمده[1] فِي علم أُصُول الفِقْه، وَأَنَّهُ لابُدَّ مِنْ التّعامل مَعَ الرُّوايات التّأويليّة أنَّها محوريّة وليست هامشيّة وأنَّ المعنى التّنزيلي ظلّي وتبعي للمعنى التّأويليّ ثبوتاً، وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التّنزيلي طريق للوصول إلى المعنى التّأويلي، **وبعبارة أُخْرَى** المعاني التّأويليّة تندرج فِي الظُّهور، غاية الأمر أنَّ الظُّهور عَلَى مراتب، كَمَا تقدَّم مُفصَّلاً[2] وأنَّ تعدّد الظُّهور أمر لَيْسَ بغريب، كَمَا قرّره عُلَمَاء البلاغة والأدب وَالأُصُول وغيرها، منهم الشَّيْخ المفيد والطوسي وَالسَّيِّد المُرتضى والمُحقّق الحلّي وغيرهم، فَالسَّيِّد المُرتضى فِي كتابه الشافي **ذكر ما حاصله**: مِنْ أنَّ دلائل القُرآن يقينيّة وقطعيّة عَلَى إمامة أمير المؤمنين عليه السلام بنصّ التّنزيل فضلاً عَنْ التّأويل الذي هُوَ مِنْ ظهور القُرآن بنحو قطعي، وإنْ كَانَ هُنَاكَ جماعة مِنْ الصُّوفية يُؤمنون بإمامة أمير المؤمنين عليه السلام وَأَنَّها تأويليّة وليست تنزيليّة، كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي زيارة الإمام الهادي عليه السلام لجدّه أمير المؤمنين عليه السلام يَوْم الغدير، وأنَّ إمامة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام نزل بها التّنزيل، أو نَصَّ عَلَيْهَا التّنزيل [... وأشهدُ أَنَّكَ أمير المؤمنين الحقّ الذي بولايتك التنزيل ...].

---

(١) أيّ مسلك شيخنا الأُستاذ مُحمَّد السند حفظه الله فِي علم اصول الفِقْه.

(٢) راجع تفسير أمومة الولاية والمُحكمات فِي القُرآن ج١ للشيخ مُحمَّد السند حفظه الله مبحث التّأويل.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ السَّيِّد المرتضى حكم بإسلام المُخالف رغم أَنَّهُ لا يقرّ بولاية أمير المؤمنينعليه السلام فِي حين إنّنا نقول بيقينيّة نصّ تنزيل القُرآن الكريم بإمامته وولايتهعليه السلام وَمَعَ ذَلِكَ لا يُحْكَم بكفر الذي لا يَقرُّ بإمامة وولاية أمير المؤمنينعليه السلام؛ لِأَنَّهُ تلبيس مِنْ الظّالمين الَّذِيْنَ استولوا عَلَى الحكم فِي بيئة الثّقافة الإسّلاميَّة والسجال العلمي الإسلامي هُوَ الذي سَبَّبَ فِي محاولة طمس هَذِهِ الأنوار البيِّنة الناصعة فِي القُرآن؛ لا أنّها زالت، بَلْ هِيَ لا تزال تلك الأنوار موجودة ومُستمرة إلى يَوُم القيامة، إلَّا أنَّ البعض يحاول بائساً وضع العراقيل ويصنع عقبات وسُحُب سوداء تحجب النَّظر عَنْ الآخرين.

هَذَا مُضَافَاً إلى أنَّ الولاية ليست مَعْنَى ظاهر أولي فِي هَذَا الوقت مِنْ السنين وإنْ كَانَ كَذَلِكَ عِنْدَ نزول القُرآن، باعتبار أنَّ أُسس الدِّين تُبنى بالحكم الأولي لا بالحكم الثانوي، وإنَّ دور الحكم الثانوي شبيه بحالات الطواري والمُعالجات فِي حالة الطواريء ليست مُؤسسة عَلَى الدُّوام لا تكويناً ولا تشريعاً، ولأجل إلقاء الشُّبهة مِنْ الغاصبين والمُلبسين وعدم ترتيب سور وآيات القُرآن كَمَا أُنزِل، وَإِنَّما رتبت آياته مكيّاً ومدنياً وما شابه ذَلِكَ.

عَنْ داود بن فَرْقَد، عمّن أخبره، عَنْ أبي عبداللهعليه السلام، قَالَ: لو قُرئ القُرآن كَمَا أنزل، لألفيتنا فيه مُسمّين[1].

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٨٩ باب ما عنى به الأئمةعليهم السلام مِنْ القُرآن ح٤؛ بحار الأنوار: ج٩٢ ص٥٥.

وَقَالَ سعيد بن الحسين الكندي، عَنْ أبي جعفر عليه السلام ـ بَعْدَ مُسَمَّين ـ كَمَا سُمِّي مَنْ قبلنا[١].

وبالتّالي فَإِنَّ إلغاء الشُّبه ضيَّع هَذَا التّرتيب للظُّهور بحسب النُّزول عَلَى كثير مِنْ المسلمين، فَمِنْ أدلَّة ولاية أمير المؤمنين عليه السلام هُوَ بنصّ القُرآن، وبالظُّهور إلَّا أَنَّهُ خُفي أو أُخفي، ولكن لا مانع مِنْ أنْ يَكُون قطعيّاً وضروريّاً رغم أَنَّهُ خفي.

والغرض مِنْ استعراض هَذَا المطلب لِلْسَّيِّد الْمُرتضى فِي كتابه الشَّافي ـ هُوَ لأجل الإشارة إلى أنَّ الباحث الكريم إذَا لَمْ يُتقِن هَذِهِ المطالب والبحوث مِنْ عِدَّة زوايا كزاوية قَاعدِة علم التّفسير، واصول الفِقْه، والكلام وغيرها فَإِنَّهُ لَمْ يخرج بنتيجة رصينة ومقبولة وأنَّ الظُّهورات عَلَى مراتب.

توضيح أكثر: ـ

لو أخذها مثالاً عَلَى صعيد قالب الظُّهور فَقَطْ فسوف نجد لَهُ عِدَّة مداليل قَدْ تصل إلى الخمسة مداليل أو السّتّة، وَقَدْ لا تكون هَذِهِ المداليل الْمُتعددّة متطابقة فنحتاج إلى تكلف التأويل، فلو أُريد التعريض بإنسان بخيل فنلاظ وجود عِدَّة مداليل وعِدَّة دلالات:

١) دلالة ومدلول تصوري.

---

(١) المصدر السابق: ح٥.

٢) دلالة ومدلول استعمالي.

٣) دلالة ومدلول تفهيمي.

٤) دلالة ومدلول جدّي وَهِيَ عَلَى أقسام.

٥) دلالة مدلول جدّي مطابقي.

٦) دلالة مدلول جدّي التزامي، والالتزامي عَلَى أقسام.

وَهَذِهِ المداليل قَدْ تكون مطابقتها وأمثلتها واضحة فِي علوم البلاغة، وَقَدْ لا تكون واضحة.

فإذا عُرِّض بالبخيل بإنْ يُقَال لَهُ: زيد كثير الرَّماد، فنلاحظ عِدَّة مداليل:

١) المدلول التّصوري وَهُوَ الرماد، وَلَيْسَ المُرَاد إفهام مَعْنَى الرَّماد، وَإنَّما المُرَاد هُوَ إفهام معناه التّصوري، بَلْ أنَّ باب الاستعمال فِي أكثر مِنْ مَعْنَى يبتدأ مِنْ صوت الكلمة، كَمَا فِي الشِّعر الشَّعبي الدارج ـ المعروف بالحسچه ـ مثل «**يراعي الثار ما يظهر علامه ** وينشر لليتانونه علامه**» فضلاً عَنْ الاشتراك فِي الوضع، فَيَكُون مِنْ تعدد الاستعمال للصوت الواحد فِي اصوات مُتعدِّدة، وَمِنْ باب استعمال الصُّوت فِي أسماء كلمات عديدة، أو مِنْ باب الاشتراك اللَّفظي فَيَكُون مِنْ باب استعمال اللَّفْظ فِي عِدَّة معاني تصوريَّة، أو مِنْ باب استعمال المعنى التّصوري فِي عِدَّة معاني استعماليّة، وَهُوَ المبحث المعروف لدى الأصوليين استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى كَمَا نصَّ البلاغيون عَلَى جوازه فِي مبحث الكفاية ونحوها فِي

التّعريض.

فضلاً عَنْ استعمال المعنى الاستعمالي فِي عِدَّة معاني تفهيمية، وَكُلّ هَذَا التعدّد فِي الصُّوت والمعنى التّصوري والتّفهيمي فِي عَرَضٍ واحد.

وكذلك استعمال المعنى التّفهيمي فِي عِدَّة معاني جديّة فِي عرض واحد فضلاً عَنْ الاستعمال المُتكثِّر طوليّاً.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ تعدّد تركيب الظُّهور مِنْ هَذَا الباب الواسع.

٢) المدلول التّصوري الاستعمالي، وَهُوَ آلة الطّبخ.

٣) المدلول التّصوري التّفهيمي، وَهُوَ الكرم.

٤) المدلول التّصوري الجدّي: أنَّ زيداً بخيلٌ.

٥) المدلول الجدّي المطابقي وما وراءه مِنْ طبقات جديّة ورائيّة خفيّة.

٦) المدلول الجدّي الالتزامي وَهُوَ عَلَى درجات.

وبناءاً عَلَى قَاعدِة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ معنى[1] فَإِنَّ الكلام والحد ـ كَمَا مَرَّ ـ يتحمّل مداليل مُتعدِّدة كُلّ مِنْهَا مُستعمل فِي صعيد طبقة المعنى التّصوري، أو المعنى الاستعمالي، أو المعنى التّفهيمي، او الجدّي وغيرها.

وَكُلّ هَذَا التّعدّد فِي اختلاف معاني الطّبقات مُتباينٌ فيما بينها بنحو أنَّ

---

(١) تَقَدَّمَ بحثها فِي تفسير أمومة الولاية: ج١ للشَّيخ مُحَمَّد السند.

لِكُلِّ طبقة لها مَعْنَى مُختلف عَنْ مَعْنَى الطبقة الأُخْرَى، وَهَذَا باب واسعٌ، وأنَّ تعدّد هَذِهِ الأُمُور ظهورٌ، وَهَذَا الظُّهور عبارة عَنْ منظومة تتحمّل هَذَا التَّعدّد والتكثّر فِي مداخل عديدة، لذلك يتسائل عَنْ كيفية كون المعنى التأويلي مِنْ الظُّهور.

كيف يكون المعنى التأويلي مِن الظهور:

هُنَاكَ تساؤلٌ مِنْ قبل أصحاب المسلك الأوَّل ـ القائلين بأنَّ المعاني التَّأويليّة غَيْر مُرتبطة بشؤون قالب الظُّهور ـ عَنْ كيفية ارتباط المعنى التَّأويلي بالظُّهور مَعَ أنَّ التأويل خفيٌّ.

الجواب: إنَّ ذَلِكَ خَفيَ عَلَى مَنْ لَمْ يعلم القرائن وَلَمْ يقف عَلَى الشواهد المُؤدّية مِنْ الظُّهور الأولي إلى المعنى الخفي، وَأَنَّهُ ظهور تعبدي بخلاف مَنْ وقف عَلَى الشَّواهد والقرائن المؤدّية مِنْ مَعْنَى الظُّهور الأوَّلي إلى المعنى الثَّانِي والثَّالث والرَّابع و ... الخ فَإِنَّهُ يَكُون ظاهراً، وأنَّ هَذِهِ مراتبُ فِي الظُّهور والامتناع فِي تعدّد مراتب الظُّهور، بَلْ يتعدّى ويتوسّع الأمر إلى علم الفِقْه والاصول والتّفسير وغيرها مِنْ أنَّ الظُّهور ـ كَمَا هُوَ الصّحيح عَلَى ما نختاره ونبني عَلَيْهِ قابل للتعدّد، وأنَّ المعنى التّأويلي بالدقَّة مِنْ الظُّهور، غاية الأمر أنَّ المعنى التّأويلي هُوَ مِنْ طبقات الظُّهور ـ كَمَا سوف يتّضح بَعْدَ ذَلِكَ ـ .

وَقَدْ تَقَدَّمَ الكلام [1] فِي بحث عِدَّة قَواعِد: ـ

---

(١) تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات: ج١، الشَّيْخ مُحَمَّد السَّند.

مِنْهَا: قَاعِدة استعمال اللَّفْظ فِي أكثر مِنْ مَعْنَى.

وَمِنْهَا: قَاعِدة مَعْنَى التَّأويل والباطن والظَّاهر.

وَمِنْهَا: قَاعِدة الجري فِي التّعبير لا التّطبيق وَالَّتِي تدلُّ عَلَى أنَّ الآية تجري فِي المعاني كَمَا تجري المصاديق كَمَعْنَى وكمُراد لا أَنَّهُ شيء أجنبي عَنْ المُراد، خلافاً لما ذهب إليه السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي فِي الميزان وَالسَّيِّد الخوئي فِي تفسيره البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواري فِي مواهب الرحمن وغيرهم فسّروا قَاعِدة الجري فِي التّعبير لا التّطبيق وأنَّ المُصداق خارج عَنْ شؤون قَالَب المعنى والدِّلالة، وَأَنَّهُ تطبيق مصداق لا صلة لَهُ بقالب المعنى، **وبعبارة أُخْرَى** إنَّ قَاعِدة الجري لَيْسَ هُوَ الجري فِي التطبيق كَمَا فسَّره ذَلِكَ أعلام هَذَا العصر، وَهِيَ قَاعِدة فِي الأصل مأثورة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام، وَهُمْ الأعلام قَدْ فسّروها فِي التّطبيق أيّ جري قالب المعنى الواحد فِي مصاديق مُتعدِّدة، بينما قَاعِدة الجري المأثورة هِيَ فِي الحقيقة جريٌ فِي التّعبير أيّ العبور مِنْ مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، وجري اللَّفْظ مِنْ مَعْنَى إلى مَعْنَى آخر، أو مِنْ حقيقة إلى حقيقة، أو مِنْ حقيقة إلى مَعْنَى، أو مِنْ حقيقة إلى مصداق، فتكون قَاعِدَة الجري باب واسع لكثرة استعمال اللَّفْظ فِي المعاني.

وَعَلَيْهِ إذَا كَانَتْ الغاية الكبرى للمُتكلِّم هُوَ الحقيقة الكبرى، وباعتراف هؤلاء الأعلام (رحمهم الله) الثلاثة وغيرهم فكيف يَكُون المصداق الاكبر خارج عَنْ مراده مِنْ الكلام، وتقدم كُلّ ذَلِكَ مُفَصَّلاً فِي

قَاعِدة الجري فِي التعبير لا التّطبيق، وَمَنْ أراد المزيد فليّراجع.

وَمِنْ مجموع ما تَقَدَّمَ مِنْ القَوَاعِد اتَّضح التأكيد والتّركيز فيها عَلَى أَنَّ الرُّوايات التّأويليّة لا تُشير الى مَعْنَى أجنبي عَنْ ظهور الكلام، وَإِنَّما تشير إلى أَنَّ المعاني التّأويلية وكيفية استخراجها وانتزاعها مِنْ اللَّفْظ وشؤونه المُختلفة هِيَ أحد درجات الظُّهور ومراتبه، فَهِيَ بالتّالي تُعالج مراتب الظُّهور، كَذَلِكَ مُعالجة المعنى التّأويلي لِكُلِّ آية لا يشير إلى مَعْنَى أجنبي عَنْ الآية، فمثلاً ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامة الطباطبائي مِنْ أَنَّ المُرَاد بالتّأويل هُوَ التّحقّق الخارجي العيني لمعنى الآية، وَأَنَّهُ لا صلة لَهُ بقالب مَعْنَى الآية.

فيُلاحظ عَلَيْهِ: إنَّ غاية غايات المُتكلِّم هُوَ المُصداق الأعظم والأهم فِي مقام تحقّق هويّة المعنى، وإذا كَانَ أكمل المصاديق هُوَ أهم شيء عِنْدَ المُتكلِّم فكيف نجعله بعيداً عَنْ محوريّة الكلام، وَلَيْسَ هُوَ أُسُّ الأساس، بَلْ حَتّى لو تنزّلنا مَعَ ما يذهب إليه السَّيِّد العلّامة الطباطائي مِنْ الجمُود عَلَى الإطار العام وعدم إرادة الوجود العيني الخارجي لمعنى الآية بإنْ كَانَ المعنى مرآةٌ للفظ، وَاللَّفْظ مرآةً للمعنى وبالتالي يَكُون فِي عالم الدلالة أراءة للخارج، وحينئذٍ يَكُون للمعنى صلة بالدلالة.

وَمِنْ كُلّ هَذَا يُعْلَم أَنَّ الحقيقة الخارجيّة ليست خارجة عَنْ الدلالة والمدلول ـ كَمَا هُوَ الصحيح ـ ولو بتوسّط الأراءة والوجود الحكائي الذِّهني.

وَمِنْ خلال ما تَقَدَّمَ كُلَّهُ يُعْلَم أَنَّ التّأويل بدرجاته المُترامية عرضاً

وطولاً عَنْ شؤون الظهور المُتكثّرة والمتنوّعة لَيْسَ خارجاً عَنْ حاق قالب الظُّهور، بَلْ هُوَ ـ التأويل ـ مِنْ مراتب ومدارج الظُّهور.

فمثلاً: المرآة الواحدة يمكن أنْ ينعكس فيها حكايات عَنْ أوجه عديدة للشّاخص فِي مقابلها، وَكُلّما لاحظت زاوية تجد وجهاً مُختلفاً للحكاية والمحكي غَيْر الزاوية الأُخْرَى، هَذَا فضلاً عمّا لو كَانَت المرآة ذَاتَ تكعّبات عديدة، فَإِنَّ انعكاس الصور يتكاثر بتنوّعها، وكذلك التكثّر فِي المرآة الواحدة فِي المشهد الواحد بلحاظ الأنوار المُنعكسة فيها فتتعدّد وتتكثّر الحكايات والمحكيات.

فائدة كون التأويل درجة مِن درجات الظهور:

والغاية مِنْ الخوض فِي بيان أن التّأويل الحَقّ الموزون لمورد أَنَّهُ درجة مِنْ درجات الظُّهور، وأنَّ تأويل كُلّ شيء نهايته وغايته وما يؤول إليه، وبالتالي فَإِنَّ ما يؤول إليه هُوَ لونٌ وطابعٌ لنفس التّنزيل، هُوَ لأجل الردّ عَلَى موقف مَنْ يذهب إلى أنَّ التّفسير التّأويلي هُوَ منهج باطني ولا علاقة لَهُ بالحياة وَاللُّغَة الاجتماعية ولدفع جملة مِنْ الأوهام المنهجيّة المنكرة للمنهج التّأويلي والجاحِدَة لَهُ المتجنبة عَنْ مُراعاته فِي خطوات التفسير، حَيْثُ فعَّلُوا هَذَا المنهج ومنهم صاحب تفسير المنار رشيد مُحمَّد رضا.

وهؤلاء يزعمون: إنَّ التّأويل منهجٌ باطنيّ وتبنته الصّوفية وأصحاب المناهج الرُّوحيّة، وَهُوَ باطل ولا علاقة لَهُ بالحياة وَاللُّغَة الاجتماعية ممّا

ألقت هَذِهِ النَّظرة للمعنى التأويلي مِنْ قبل زعم هؤلاء بظلالها عَلَى المناهج التفسيرية الأُخْرَى، وانعكس سلباً، وبالتالي صارت هُنَاك ظاهرة قلّة اكتراث بالتفسير التّأويلي.

نظير ما ذكرنا سابقاً مِنْ وجود غاية أُخْرَى لهذا البحث وَهُوَ التنبيه عَلَى أنَّ جعل المعنى التّأويلي مِنْ درجات الظُّهور، فَإنَّهُ لا يتنافى ولا يتدافع مَعَ المعاني الأُخْرَى لمراتب الظهور ولا يُفنِّدها، كَمَا أنَّ تقرير تلك المعاني للظهور لا يُفَنِّدُ ولا يدفع المعنى التّأويلي مِنْ كلا الطّرفين.

نموذج تطبيقي للتأويل:

مِنْ النَّماذج التّطبيقية للتأويل قوله تَعَالَى ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ٤٥﴾[1].

بتقريب: أنَّ المعنى التّأويلي للصَّبر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَالصَّلاة هِيَ ولاية أو إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وَلَيْسَ غرضنا مِنْ هَذَا الاستعراض نبذ وتفنيد المعاني الحقّة الأُخْرَى للآية، بَلْ المعاني الأُخْرَى الحقّة للآية باقية عَلَى حالها، وَأنَّها احتمالات موجودة، وكذلك المعنى التّأويلي باقٍ عَلَى حاله، وَعَلَى ضوء هَذَا وجدت التّجاذبات بين المناهج التّفسيرية، وَعَلَى المُفسِّر الحاذِق الإلمام بالمناهج التفسيرية المختلفة.

وَمِنْ خلال هَذَا وغيره عرفنا دواعي المناهج التّفسيرية الّتِي لا تكترث

---

(١) سورة البقرة: الآية ٤٥.

بالمنهج التّأويلي وتُبْعِّدَه كمنهجِ التّفسير الاجتماعي ذو الصِّفة المُعيّنة كالتّقوى والذي انتهجه صاحب تفسير المنار مُحَمَّد رشيد رضا، ورمى المنهج التّأويلي بانه منهج باطني مُعَطَّل.

ويُثار تساؤل: هُوَ أنَّ هَذِهِ المُبررات الَّتِي ذكرتها المناهج التّفسيرية الأُخْرَى تّجاه المنهج التأويلي وَالَّتِي أدَّت إلى قِلَّة الاكتراث به، هل لها مُبرراتٌ موضوعيّةٌ عمليّةٌ، أو أنَّ ذَلِكَ إخفاقٌ مِنْهَا تّجاه حقيقة التّأويل؟

الجواب:

أوَّلاً: لَيْسَ الغرض مِنْ تصحيح المنهج التّأويلي هُوَ تصحيح لِكُلِّ التّأويلات الَّتِي ارتكبت مَعَ المُفَسِّرين ذو النّزعة التّأويليّة ونفي إخفاقاتهم فِي هَذَا المنهج عِنْدَ عدم تقيدهم بالموازين والضّوابط والشّواهد.

ثانياً: هُنَاك إخفاقات مُعيَّنة فِي المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتماعي والذي أعطى طابعاً ثقافيّاً للسّلفية والوهابيّة، هُوَ مِنْ أحد الأسباب الَّتِي دعت السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي إلى تاليف تفسير الميزان فِي القُرآن الكريم والذي هُوَ مِنْ منبع أهل البيت عليهم السلام لإنقاذ الفكر الإسلامي والإيماني مِنْ ذَلِكَ الاستقطاب الذي أحدثه التفسير الآنف الذكر، إلَّا أنَّ الأكمل والأوسط هُوَ الجمع بين جميع ومجموع المناهج مَعَ تفادي سلبياتها المنهجية، لأجل معالجة وتلافي الإخفاقات الَّتِي واجهت كلا المنهجين.

الإخفاقات التي واجهت كلا المنهجين:

أمَّا بلحاظ المنهج التّفسيري التّأويلي فيمكن إجمال إخفاقاته بما يلي:

١ ـ إنَّ هَذَا المنهج جعل القُرآن مُعطّلاً وَلَمْ يَسْتخرج مِنْ القُرآن ما هُوَ دواءٌ ونورٌ وهداية لمعالجة الواقع المُعاصِر.

٢ ـ لَمْ يُعالج الظَّواهر الاجتماعية الَّتِي يكابدها البشر؛ ولذا صارت هُنَاكَ نفرة مِنْ التّفسير التأويلي.

٣ ـ لَمْ يقتصر فِي هَذَا التّعطيل عَلَى تفسير القُرآن، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ فِي كيفية إحياء الشَّعائر الحُسينيّة ومقتل سيد الشُّهداء الحسين بن علي عليهما السلام بالتعامل معها ـ الشّعائر ـ كتاريخ محضٌ فَقَطْ، بَلْ حصل نظير ذَلِكَ لسيرة الأئمة عليهم السلام مِنْ دون ربطها بالواقع الرَّاهن المُعاش لمعالجته واستخراج أنوار الهداية للاسترشاد بها، وَهَذَا معناه تعطيل للدين ولشعائر سيد الشُّهداء الإمام الحسين عليه السلام وأحداث عاشوراء الأليمة، بَلْ عطّلت حَتّى المعرفة النبويّة بقراءتها كتاريخ محض لا كعقيدة لها التزاماتها فِي الواقع المُعاصر والحياة الراهنة.

٤ ـ عدم انضباط مُمارسة التّأويل بموازين وضوابط وشواهد، بَلْ انفلات القريحة والاستذواق هياماً فِي كُلّ وادٍ، ممّا أدّى إلى طابع الهلوسة والأوهام المُترامية.

لهذه الأسباب مِنْ الإخفاقات وغيرها حصلت رِدَّة فعل عِنْدَ

الكثيرين عِبْرَ قرونٍ مُتعدِّدة، وولّدت نفرة مِنْ التّفسير التّأويلي بسبب هَذِهِ المُمارسات مِنْ قبل بَعْض مَنْ لا خبرة لَهُ بممارسة المنهج التّأويلي، وَلَمْ يتقيّدوا بالموازين والضَّوابط الَّتِي بيَّنها أهلُ البيت عليهم السلام فِي ذَلِكَ.

وَهَذَا ممّا سَبَّبَ اندفاعاً قويّاً حول التفسير فِي بُعْده الاجتماعي، وحسبان أصحاب المنهج الاجتماعي فِي التفسير أنَّ منهجهم يتطلّب الابتعاد عَنْ المنهج التّأويلي والتّأويلات وما شابه ذَلِكَ، وَيَكُون التّركيز فِي منهجهم عَلَى البُعد الاجتماعي فَقَطْ عَلَى البُعد التنزيلي مِنْ التفسير.

وهكذا يُثار تجاذب هَذِهِ الجدليّة فِي المنهج الاستنباطي فِي علم الفِقْه، ولا يقتصر فيه عَلَى علم التفسير، فمثلاً إذا اقتصرنا فِي علم الفِقْه عَلَى عقد البيع، أو المُزارعة والمُساقاة والشركة وغيرها عَلَى النّمط القديم، فَهَذَا معناه أنَّ الفِقْه صار تُراثاً تأريخيّاً مِنْ دون شمولية لضّوابط العمومات المعامليّة لماهيات المُعاملات المُستحدثة المركبة ذَاتَ الأطوار الجديدة، وَلَمْ يكن نظاماً قانونياً شمولياً للواقع المُعاش والمُعاصر الرَّاهن، وما هَذَا إلَّا عزلٌ للفقه عَنْ الواقع المُعاش الراهن.

ونفس الكلام يأتي بالنِّسبة إلى علم الكلام والعقائد، إذْ مِنْ الصَّعب الاقتصار فِي التَّعامل عَلَى المُصطلحات العلميّة القديمة الَّتِي مضت عَلَيْهَا قرون مِنْ السّنين مَعَ ما عَلَيْهِ الذّهنيّة البشريّة فِي الواقع المُعاصر وما حصل فيه مِنْ نضوج للمطالب العلميّة وللمُصطلحات.

ولا يفهم مِنْ هَذَا أنْ التّعامل مَعَ المُصطلحات العلميّة القديمة مُمتنع،

وَإِنَّما لا يَنْبَغِي الاقتصار عَلَيْهِ مِنْ دون أنْ تُترجم تلك المُصطلحات العلميّة القديمة بلغات عصريّة يسهل فهمها عَلَى الجيل الرَّاهن والمُعاصر، إذْ لِكُلِّ زمانٍ لسانٌ، وَلِكُلِّ أوان بيانٌ، فاستعمال اللُّغَة العلميّة المعاصرة فِي كُلّ علمٍ وفنٍ تُسْلِس وَتُسَهِّل تَفَّهُم وتأثر الإنسان المعاصر وتجعله يتأثر ويتفاعل ويتعاطى شيئاً ملموساً، فيمكن تبيان علم واحد بلغات علميّة مُتعدِّدة فِي عِدَّة علوم فيمكن قراءتها قانونياً وفقهياً وأمنياً وعسكرياً واقتصادياً وسياسياً، كَمَا ويمكن تبيان العقائد مثلاً بلغة فقهيّة، كَمَا استعملها النَّبيّ ﷺ «**لعن الله مَنْ عَقَّ أبويه، ولعن الله مَنْ أَبَقَ عَنْ مواليه، ولعن الله مَنْ منع أجيراً أجرته**» وَهَذَا وغيره يمكن عَدُّه نموذجاً للإخفاق فِي التّفسير التّأويلي.

الإخفاقات التِي واجهت التفسير الاجتماعي:

إنَّ أحَدَ أكبر مشاكل التّفسير ذو البُعد الاجتماعي أَنَّها تقتصر وتنحبس عَلَى مَعْنَى الجانب التّنزيلي للقُرآن الكريم ومعالجة الظَّواهر الاجتماعية بأُفق معانِي التّنزيل بنحو تجزيئي، وإنْ كُنَّا لا ننكر أهمية وعظمة معالجة المشاكل الاجتماعية الرّاهنة الَّتِي يُعاني مِنْهَا البشر بمعاني قدسيّة تنزيلية للقُرآن، إلَّا أنَّ هَذَا حلٌّ جزئي للمُشكلة، فالقُرآن حبلٌ ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ الله، وطرف مِنْهُ عِنْدَ النَّاس، كَمَا بيَّنه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم عِنْدَمَا سألوه وما الثّقلين يا رسول الله؟ الثِّقل الأكبر: كتاب الله سبب طَرَفه بيدي الله، وطرَف فِي أيديكم فاستمسَكوا به ولا تَضِلوا ولا تذِلُّوا، ألا وعترتي

أهل بيتي ...[(١)].

وأنَّ القُرآن لَهُ تنزيل وَهُوَ الطَّرف الذي عِنْدَ النَّاس، وطرفٌ تأويلي، وتركيز الحديث النّبوي عَلَى أنَّ القُرآن حبلٌ ممدود يعني أنَّ القُرآن ذو طبقات، فإذا أردت مُعالجة المشكلة سواء الاجتماعية أو غيرها مِنْ القُرآن، فلا تقتصر فِي حلِّها عَلَى الجانب التّنزيلي بالنَّمط التجزئيي، فَقَطْ، بَلْ لابُدَّ مِنْ مُلاحظة طبقات جانب التّأويل كَذَلِكَ، أمَّا مُلاحظة أحد الجانبين دون الآخر فِي حلّ مشكلة فَهُوَ أمر مُشْكِلٌ، وَحَلٌّ غَيْر جامع.

وكذلك الحال فِي نهضة سيد الشُّهداء الإمام الحسينعليه السلام والشَّعائر الحُسينيّة فَمَنْ يستعرض المشاكل الرَّاهنة مِنْ دون أنْ يقتبس الحلول مِنْ سنن الحسينعليه السلام فِي واقعة كربلاء فَهَذِهِ مُعالجة بعيدة عَنْ الرُّؤية الشّرعية، ولا يكتب لها الرشاد.

وهكذا نفس الكلام فِي مُعالجات العقائد وَالفِقْه بلغة مُستحدثة مِنْ دون أنْ يربطها باللُّغة التقليدية القديمة، ويقطع التّجديد عَنْ الأصالة فَلَيْسَ بصحيح، بينما هِيَ أصالة وتجديد؛ لِأنَّ اللُّغَة المعاصرة مهما بلغت فِي معالجة المشاكل فَإنَّها ليست بالضرورة تُوفي بكُلِّ الحقائق ودقائق المعارف.

ما هُوَ المنهج التفسيري الأمثل فِي الأتباع:

وَبَعْدَ استعراض جانب المؤاخذة عَلَى كلا المنهجين التفسيريين:

---

(١) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٧، باب فضل القُرآن ح٣.

التأويلي وذو البُعد الاجتماعي، فما هُوَ المنهج التفسيري الأمثل فِي الأتّباع؟

إنَّ النّموذج الأمثل والمُعالجة الحقيقية هُوَ أنْ لا نبتعد عَنْ التفسير ذو البُعد الاجتماعي، أو التفسير التّنزيلي، كَذَلِكَ لا نبتعد عَنْ التفسير التّأويلي، وَعَلَيْهِ فَإنَّ المنهج التفسيري الأمثل والملائم هُوَ الجمع بين المنهجين مَعَ تفادي السّلبيات المتقدِّمة، لا سيّما تحت ظل نظام منهج أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الرّابط بين التّنزيل والتّأويل.

مقارنة المنهج التفسيري التأويلي مع باقي المناهج التفسيرية الأخرى، كالتفسير الموضوعي والاجتماعي وتفسير القرآن بالقرآن، وأسباب النزول وغيرها:

مِنْ الضروري جدّاً بيان منظومة كيفية الجمع بين مناهج التفسير، وأمَّا بحث موضوع جهات الامتياز والاشتراك، والإيجابيات والسّلبيات لِكُلِّ منهج فَلَسْنا فِي مقام تفصيلها ها هُنَا حَتّى تبحث، وَإنَّما نُحاول تسليط الأضواء عَلَى بيان كيفية الجمع بين المناهج التّفسيرية، كَمَا ونحاول تسليط الأضواء عَلَى دراسة أسباب العزوف عَنْ المنهج التفسيري التّأويلي خاصّة فِي القرنين الأخيرين، وهل هَذَا بمثابة ردَّة فعل نتيجة وجود نقص فِي جانبٍ مُعيَّن مِنْ المنهج التفسيري التأويلي، ولأجل سدِّ هَذَا النقص وملء الفراغ صار عزوفاً عَنْ التفسير التّأويلي والاهتمام بغيره كالتفسير ذو البُعد الاجتماعي وغيره، ولكن لا عَلَى حساب إحداثِ نقصٍ فِي جهات أُخْرَى أم ماذا؟

لَعَلَّ أحد أهم أسباب قلة الاهتمام بالتفسير التّأويلي هُوَ أنَّ الموجود فِي أغلب التفاسير، بما فِي ذَلِكَ تفاسير الخاصة ـ الإمامية ـ مسالة الإلحاح فِي تغذية الجانب الاجتماعي، وملء الفراغ برؤى قرآنيّة، وإنْ كَانَ هَذَا الأمر لا ريب فِي الحاجة إليه.

وَهَذَا السبب متينٌ وقويمٌ إلَّا أنَّ الابتعاد عَنْ التّفسير التّأويلي بالمرة ينتج عَنْهُ إخفاقات ـ كَمَا مَرَّ ـ نظير ما حدث لبعض المدارس الكلاميّة، بَلْ حَتّى عِنْدَ مشارب عِدَّة مِنْ عُلَمَاء الإماميّة، فَهُنَاك مسالك مُتعدِّدة رغم أنَّها مِنْ مذهب واحد، واختلاف المسالك لديها فِي تفسير التّوحيد الذي هُوَ مبحث حسَّاس وخطير، وَكَانَتْ لديهم كثيراً مِنْ البحوث تجريديّة، وَلَمْ تلحظ تداعياتها عَلَى أرض الواقع الاجتماعي، وَمِنْ ثَمَّ صارت تجريديّة، وإنْ كَانَ البعض يصفها بأنَّها بحوث نظريّة تنظيريّة.

ولذا لَمْ يشغل كثير مِنْ المُفَسِّرين مساحات كثيرة فِي مبحث التَّوحيد إلَّا بمقدار ما لَهُ مِنْ تداعيات مثلاً عَلَى مستوى البُعد الاجتماعي، أو السّياسي أو التّشريعي وغيرها، وَمِنْ ثَمَّتَ سُجِّلَت مؤاخذات وإشكالات عَلَى المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتماعي.

المؤاخذات التي رصدت على المنهج التفسيري ذو البعد الاجتماعي:

المؤاخذة الأُولى: قراءة كُلّ بُعْدٍ ملكوتي غيبي عقائدي بقراءة اجتماعية، ولازم هَذَا أَنَّهُ لابُدَّ أنْ يَكُون لِكُلِّ بُعْدٍ غيبي أثر اجتماعي، وَإلَّا يَكُون البُعد

الغيبي شيئاً مُبهماً ومتروكاً، ولرُبَّما يجحَدُ وينعت بأنه مِنْ القضايا السفسطية، أو مِنْ الأسطوريات أو الخرافيات وما شاكل ذَلِكَ، كَمَا قَدْ تبنّاه جملة منهم ـ والعياذ بالله ـ

وهكذا الحال فِي مباحث الرُّوح وغيرها، وكيف تقرأ المباحث العقائدية الغيبيّة بلغة اجتماعية محضة كمعرفة الذَّات الإلهية الأزلية السّرمديّة وأنَّ صفاته عين ذاته مَعَ أنَّ استكشاف الآثار الاجتماعيّة مِنْ المباحث العقائديّة لا يُصابُ استقصاؤه وإنْ كَانَ هُنَاك حقيقة ارتباط جَمٌّ بين العقيدة والعقائد وتداعياتها الاجتماعية الَّتِي لا تُحْصَى، إلَّا أنَّ اكتشاف ذَلِكَ الارتباط بنحو كامل تامّ عَلَى غَيْر المعصوم شيء فِي غاية الصّعوبة، بَلْ ممتنع؛ لِأنَّ دين الله لا يُصاب كُلّ محيطه بالعقول، فَإنَّ هُنَاك أموراً لا أحد يستطيع اكتشاف بيان مدى الارتباط العميق بين البُعد الغيبي والأثر الاجتماعي، إلَّا أنَّ الذات المعصومة كَمَا وَرَدَ فِي بيان أمثال ذَلِكَ فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام، مِنْهَا ما وَرَدَ فِي تفسير الصمد فِي سورة التوحيد عَنْ الإمام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)﴾ **والشّرائع مِنْ الصمد ...»**[1].

بتقريب: أنَّ الإمام عليه السلام زوَّده الله بقدرة عَلَى أنْ يستخرج كُلّ ما لَهُ ارتباط بالدِّين مِنْ لفظة الصَّمد فِي سورة التّوحيد بما فِي ذَلِكَ الفروع

---

(١) التَّوحيد للصّدوق: ص٩٢.

المُرتبطة بالبُعد الاجتماعي وغيره، بَلْ بما فِي ذَلِكَ تداعي أيّ فقرة فِي الدِّين سواء كَانَتْ مِنْ الطَّبقة العُليا أو المُتوسّطة أو الدُّنْيَا مَعَ بعضها البعض.

وهكذا قوله صلى الله عليه وآله: «**إنَّما العلم ثلاثةٌ: آية مُحكمةٌ، أو فريضةٌ عادِلَة، أو سُنَّة قائمة، وما خلاهن فَهُوَ فضلٌ**».

بتقريب: أنَّ الآية المُحكمة بلحاظ عالم الرُّوح والسُنّة القائمة بلحاظ عالم الاخلاق والفريضة العادلة بلحاظ عالم الفروع، وَهَذَا يُدَلِّل عَلَى أنَّ كُلّ صفة أخلاقية لها تداعيات عَلَى عمل الإنسان، وكذلك كُلّ عمل لَهُ تداعيات فِي توليد صفات أخلاقية لدى الإنسان، وَكُلّ صفة أخلاقية لدى الإنسان لها تداعيات فِي توليد عقيدة ومعرفةٍ لدى الإنسان ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾[1].

والنتيجة مِنْ كُلّ هَذَا هُوَ أنَّ اكتشاف الصِّلة بين عالَم الغيب والأثر الاجتماعي وغيره واقع موجود، إلَّا أنَّ اكتشافه لَيْسَ بمتناول كُلّ البشر إلَّا المعصوم، فَإنَّ دين الله لا يُصاب بعقول عادي البشر، واكتشاف وارتباط الحلقات مَعَ بعضها البعض وارتباطها بعقول ما وراءها مهيمنة عَلَيْهَا ولها ارتباط لا يستطيع اكتشاف هَذَا الارتباط التَّام والعميق والدقيق إلَّا المعصوم.

وعدم معرفتنا بغالب الارتباط العميق لا ينفي واقع التَّأثير والارتباط،

---

(١) سورة الروم: الآية ١٠.

فَإِنَّ واقع الارتباط والتأثير شيء والمعرفة شيء آخر.

وهكذا منظومة عقائد مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وَمِنْهَا ما يرتبط بشعائر سيد الشُّهداء أبي عبدالله الحسينعليه السلام، وَالَّتِي لَمْ تَتَّضح كُلّ أسرار صورتها ـ إلى الآن ـ أمام كثير مِنْ العُلَماء وذوي اللُّب، حَتّى بَعْدَ مرور ما يقرب مِنْ الـ (١٤) أربعة عشر قرناً، فإنْ لَمْ يَتِمُّ الالتفات إلى تمام وكمال الارتباط وتداعيات منظومة عقائد مدرسة أهل البيتعليهم السلام، وتأثير شعائر الإمام الحسينعليه السلام عَلَى البُعد الاجتماعي والبُعد السياسي والأخلاقي وغيرها، بَعْدَ كون كُلّ مِنْ الكتاب وسنة المعصومين قولاً وفعلاً وتقريراً لها ظاهر وطبقات مِنْ الباطن، بَلْ وسبعين بطناً، بَلْ طبقات لا تُحصى مِنْ الباطن، وعدم علمنا بكيفية الارتباط والتّأثير لا يدعو إلى التنكّر لتلك الحقيقة الدِّينيّة.

المؤاخذة الثَّانية: تأثير البُنية الأخلاقية الَّتِي يدعو لها الإسلام لحلّ الأزمات الاقتصادية، وَهَذِهِ أحد الوصايا الَّتِي أمر بها رسول اللهصلى الله عليه وآله وَهُوَ التزام الجانب الأخلاقي فِي حَلِّ مشاكل وعُقد الاقتصاد، فَإِنَّ الحرص والشره والتبذير والإسراف والبخل والطّمع والاستئثار والدناءة وغيرها مِنْ الرذائل الأخلاقية بخلاف ما يقابلها مِنْ الفضائل هِيَ فِي قمَّة التّأثير عَلَى البناء المعاملي والاقتصادي للبشر، بَلْ ما يجرّه الفساد الاقتصادي مِنْ تداعيات وأمواج سلبية عَلَى الأمن والسِّلم البشري والحرب والعدوان والجناية والتّعدي والفاحشة والخطيئة بالغ التأثير.

وهكذا تأثير ارتباط الأُسرة المُسلمة وَالَّتِي يدعو الإسلام إلى المُحافظة عَلَيْهَا لأنَّها لَبنَة أساسيّة فِي بناء مجتمع إسلامي وتزويد المجتمع بأفراد صالحين يُقَلِل وقوع الجرائم فِي المجتمع، علماً إنَّ نظام تأسيس الأُسرة الصالحة الذي جذَّره الإسلام هُوَ أكبر لَبنَة فِي بناء الحضارة، وما كَانَ لبشرٍ أنْ يفهمها سيّما المدّ العلماني رغم الدّراسات والبحوث الكثيرة فِي هَذَا المجال.

وَهَذَا ما أشار إليه رسول الله ﷺ بقوله: «**ما استفاد امرءٌ مسلم فائدة بَعْدَ الإسلام، أفضل مِنْ زوجة مسلمة تَسُرُّه إذَا نظر إليها، وتطيعه إذَا أمرها، وتحفظه إذَا غاب عنها فِي نفسها وماله**»[1].

إلَّا أنَّهُ وَإلى الآن هُنَاك مشاكل كثيرة تواجه أصحاب المدّ العلماني وَلَمْ يحاولوا حَلّها خاصَّة المجتمع الغربي، كمسألة تجارة الرقيق الأبيض وَالَّتِي عالجها الإسلام وحَلَّ عُقَدَها بحلول جذريّة قبل أكثر مِنْ (١٤) أربعة عشر قَرْناً، بَلْ عَلَى العكس الآن هُمْ يحاولوا أنْ يعتموا عَلَى هَذِهِ المسألة ـ الرقيق الأبيض ـ وغيرها لمنفعة تعود إليهم.

البعد التأويلي له هيمنة محورية فِي نظم ما دونه مِن طبقات البيئات والعلوم:

يتمتع كُلّ مِنْ المعنى التّأويلي وَمَعْنَى الولاية بأنَّ لِكُلِّ منهما أمومة نظم كُلّ معاني القُرآن وأنواره وهداياته.

---

(١) الكافي: ج٥، كتاب النكاح: ب ١٩٨ مَنْ وفق لَهُ الزوجة الصالحة، ص٣٣١ ح ١. والفقيه ج٣، باب ١١٠ ما يُستحب ويحمد مِنْ أخلاق النِّساء: ح٧.

المؤاخذة الثَّالثة: إنَّ المشكلة الَّتِي أبداها أصحاب المنهج التفسيري ذو البُعد الاجتماعي هِيَ تركيز النَّظر وَالرُّواية عَلَى المركز مِنْ دون الالتفات إلى شجون ومعاناة المجتمع، وَهَذَا أشبه ما يَكُون بالبحث التجريدي السفسطي، نعم يوجد ارتباط بين البُعْد الغيبي والبُعْد الاجتماعي ـ كَمَا مَرَّ ـ إلَّا أنَّ اكتشاف تمام ذَلِكَ الرَّبط لا يَكُون إلَّا للمعصوم.

وهكذا نموج آخر لبيان عمق الارتباط بين التّفسير الاجتماعي والبُعْد التّأويلي وهيمنة المعنى التّأويلي هُوَ مسألة حصر زكاة النقدين فِي الذَّهب والفضَّة وتساؤل جماعة مِنْ أَنَّهُ لا مَعْنَى للحصر بهما ـ النقدين ـ وأنَّ المُشرِّع لـمَ لا يُعمم ذَلِكَ لِكُلِّ نقد، إلى أنْ جاء الردّ عَلَى تساؤلات البعض عَنْ طَريق العاصفة الماليّة الَّتِي اجتاحت الاقتصاد العالمي لأكثر مِنْ عقد مِنْ الزَّمان، وأُغْفِل أنَّ الحصر النبوي للزّكاة فِي النقدين ـ الذَّهب والفضَّة ـ لَهُ مغزى عَلَى أساس أنَّ التّعدي فِي صدق النقد إلى غَيْر الذَّهب والفضَّة كالنَّقد الورقي فضلاً عَنْ الورق الالكتروني الفضفاض كبيئة خصبة للتّلاعب والتمويه عَلَى الآخرين، ممّا يُؤدّي بالتالي إلى أكل المال بالباطل، ويُسبِّب فِي سَرِقةِ أموال المواطنين، أو سرقة دولة مال دولة أُخْرَى وهكذا.

إنْ قُلْتَ: قَدْ يتخيل البعض إنَّ حصر زكاة النقد بالذهب والفضة بأنَّها أحكام زمانيّة ومكانيّة مضت فِي وقتها، وَقَدْ أكل الدَّهر عَلَيْهَا وشرب؟

قُلْتُ: إنَّ هَذَا التّصور ناشئ مِنْ عدم الالتفات إلى ارتباط طبقة علم التّشريع مَعَ بحث المعارف، أو أمومة الولاية، والآن تبلورت براهين تزيل مثل هَذِهِ التّصورات والتخيّلات، فَإِنَّ التشريعات القُرآنيّة والنبويّة لا

يتصوّر فيها عدم إحاطة المشروع الإلهي بجميع الأزمنة والأمكنة، وكذلك الحال فِي التّشريعات الولوية غَيْر الراجعة إلى التّدبير الزّماني المُؤقت.

وصية منهجية لأجل مراعة المعنى التأويلي

فِي كل آيات القرآن الكريم:

إنَّ المعنى التّأويلي فِي كُلّ آية هُوَ المحور الأساس، ولكن لا يعني هَذَا إغفال لطبقات المعاني الأُخْرَى للآية الواحِدَة، وعدم الاهتمام بها والذي مِنْهَا المعاني التّنزيليّة، وَلَيْسَ فِي المسألة إفراط فِي كلا الطّرفين، بَلْ هِيَ عملية استكشاف الارتباط بين الحلقات والمنظومة مَعَ محوريّة المعنى التّأويلي كأصل تشريعي فوقي مما يكشف أنَّ المعنى التّأويلي لَيْسَ معننى سفسطيّاً ولا ترف تخيليّ بَلْ هُوَ أصل محوري ناظم ونظم النِّظام يجب اكتشافه وإنْ لَمْ يكن اكتشافاً تامَّاً ومحيطاً، إلَّا أنَّ ما لا يُدرك كُلَّهُ لا يترك جُلَّه أو كُلَّهُ.

وسبب التّركيز عَلَى المنهج التّأويلي الموزون بَعْدَ أهميته وخطورته البالغة هُوَ هجرانه بدرجة بالغة مِنْ التقصير لا تتناسب مَعَ خطورته، علماً أَنَّهُ كَانَ معمولاً به عِنْدَ جُملة مِنْ أعلام القُدماء وغيرهم أمثال الشَّيْخ المُفيد وَالسَّيِّد المُرتضى والشَّيْخ الطّوسي والمُحقّق الحلّي ـ قدست أسرارهم جميعاً ـ وغيرهم.

لا تدافع بين آيات القرآن الكريم

تناسق وتوالف آيات القرآن وسوره:

ممّا تَقَدَّمَ يُعلَم أَنَّهُ لا تدافع بين آيات القُرآن وسورة، بَلْ يوجد تناسق وتوالف تامٌّ بنصّ القُرآن الكريم ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ

مُحْكَمَتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾[1].

إنَّ القُرآن الكريم يقسم نفسه إلى قسمين: محكمٌ ومتشابه، بينما فِي موضع آخر فِي سورة العنكبوت يصف القُرآن نفسه بأنه كُلَّهُ بيِّنٌ ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾[2].

بتقريب: إنَّ المُراد الأعظم والجلّي مِنْ الآية المُباركة ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ هُمْ أئمة أهل البيت المعصومين، فإنَّهُ لَيْسَ عندهمعليهم السلام متشابه، وَإنَّما عندهم القُرآن كُلَّهُ بيِّنٌ، والمُتشابه فَهُوَ عِنْدَ غَيْر المعصوم، وَمِنْ هَذَا يُعْرَف أنَّ الخطاب القرآني عَلَى درجات.

الخطاب القرآني على درجات:

انطلاقاً ممّا وَرَدَ فِي بيانات أهل البيتعليهم السلام «**إنَّما يُعرف القُرآن مَنْ خُوطِبَ به**» فَإنَّ الخطاب القرآني فِي آيةٍ واحِدَة مُتعدِّد والظهور النِّسبي عِنْدَ عقول البشر المُخاطبين مُتفاوتٌ، فَإنَّ بَعْض عقول البشر يَكُون خطاب القُرآن فِي حَقِّها كُلّهُ جَليٌّ وبيِّنٌ، فأمثال هؤلاء لا محالة مخاطبون بكُلِّ مراتب القُرآن، بخلاف مَنْ يَكُون خطاب القُرآن فِي حقّه مُجملاً وَغَيْر بيِّن، فيَكُون خطابه لَهُ بالظّاهر، أو يُخاطب بما هُوَ مقدورٌ لَهُ ولو بالسَّعي لكي يشمل المُقصِّرَ، وَهَذَا خيرُ دليل عَلَى أنَّ خطاب القُرآن عَلَى درجات وطبقات.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٩.

ولا يتوهّم أنَّ القُرآن بكُلِّ طبقاته وبطونه وأسراره خُوطِبَ به الكل، وَلَيْسَ هَذَا إفراطٌ فِي القول، وَمِنْ ثمَّ اعترف المُفَسِّرون مِنْ الفريقين أنَّ القُرآن لَهُ نزولان:

نُزُولٌ نجوميٌّ: نزل به جبرئيل وَهُوَ نزول مُتفرِّقٌ بحسب أزمان أسباب النُّزول.

ونُزُول دفعي جُمَلي: لحقائق القُرآن، وَلَمْ يكن لجبرئيل عليه السلام فيه وساطة، بَلْ مرتبته ـ حقائق القُرآن ـ أعلى مِنْ توسّط جبرائيل عليه السلام وأنَّ أهل البيت عليهم السلام ممّن اختُصَّ بخطاب طبقات حقائق القُرآن فِي النُّزول الحقائقي الجُمَلي الدُفعي.

المعاني التأويلية والتنزيلية على طبقات

الظهور على طبقات ودرجات:

يُعْلَم ممّا تَقَدَّمَ أنَّ تعدّد الظّهور لَيْسَ بالأمر الغريب، بَلْ هُوَ مِنْ لدُن عليم حكيم طبق موازين يقدر عَلَيْهَا مَنْ يمتلك سعة وعاء الرُّوح والقلب والنُّفوس والعقل بالعلم، وَأنَّها تزداد كُلّما تزيد فيه، بحسب قدرة الإنسان وبسعة وعائه لتحمُّل العلم، وهكذا المعاني التّأويليّة هِيَ الأُخْرَى عَلَى طبقات ووفق ضوابط وموازين، وبحسب قدرة عَلَى الأخذ مِنْهَا وبسعة وعائه لتحمُّل العلم، وَعَلَيْهِ فَإنَّ كُلاً مِنْ المعاني التّأويليّة والتنزيليّة ليست خارجة عَنْ موازين الأدلَّة أبداً، بَلْ داخلة لكنَّ غاية الأمر يحتاج إلى سعي علمي للفحص عَنْ تلك الموازين الموجودة، إلّا أنَّ الفحص غالباً غيرُ مُتوفِّر؛ لا أنَّ الموازين غَيْر موجودة، وَهُنَاك فرق بين عدم وجود الميزان والطريق لحل تلك المسألة والمشكلة فِي علم مِنْ العلوم، وبين الفحص

واكتشاف ذَلِكَ الطريق، وفي العلوم الحديثة الآن وَبَعْدَ السَّعي والفحص اكتشفتْ الحل فِي جُملة مِنْ الموارد الذي كَانَ مجهولاً، وبالتّالي فَإِنَّ الطريق موجود إِلَّا أَنَّهُ مجهول، وَعَلَيْهِ فَهُنَاك فرقٌ بين المقولتين والتّصورين بين القول أنَّ الطّريق أصلاً غَيْر موجود ثمَّ وُجِدَ، وَهَذَا ما يُعَبَّرُ عَنْهُ بالمصطلح بالاختراع، وبين الطريق موجود غاية الأمر هُوَ مجهول ويحتاج إلى سعي وفحص علمي حَتّى يكتشف، وَهَذَا ما يُسمّى بالمصطلح بالاكتشاف.

وَهَذَا نظير المُعجزة الَّتِي يَكُون لها طرقٌ وأسبابٌ لكنَّها مجهولة ولا يستطيع أحدٌ اكتشاف أسبابها إِلَّا الْنَّبِيّ ﷺ صاحب المُعجزة وغيره لا يستطيع وإنْ كَانَ نبيَّاً.

وبالتالي فَإِنَّ الأسباب إلى الاكتشاف يجب أنْ تقع ضمن موازين وضوابط مُعيّنة، وبالتّالي فَإِنَّ ما يكتشف مِنْ طبقات الظُّهور لدى الأجيال العلميّة اللاحقة لَيْسَ وليد تكوِّن السَّاعة، بَلْ هُوَ مُتقرّرٌ فِي شؤون طبقات معاني الألفاظ وتركيباتها وَإِنَّما اكتشفت بَعْدَ ذَلِكَ.

كَذَلِكَ الحال بالنِّسبة إلى المعنى التّأويلي فَإِنَّهُ طيلة القرون الأثنى عشر الماضية كَانَتْ المدارس الإسّلاميَّة توجه الطعن إلى منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام بأنه منهج باطني، الآن وَبَعْدَ أنْ تبيَّن أنَّ هَذَا الباطن الذي كَانَ يُطعن به عَلَى منهاج مدرسة أهل البيت عليهم السلام وَأَنَّهُ مَثلَبةٌ ونقصٌ تبيَّن أَنَّهُ شموخ عظمة وبنيان عملاق، وَعَلَيْهِ فَلابُدَّ مِنْ الالتفات إلى جُملة موارد:ـ

مِنْهَا: تعدّد القراءات.

وَمِنْهَا: الالتفات إلى وجود مَعْنَى تأويلي وبطون وتنزيل وظهور،

وَمِنْ خلال هَذَا كُلَّهُ يتبيَّن أنَّ التّعدد فِي طبقات المعاني لَهُ نظام وموازين اكتشفها مَنْ اكتشف، وَقَدْ بيَّن أئمة أهل البيتعليهم السلام طرقها ـ إِلَّا أَنَّهُ كَمَا تَقَدَّمَ ـ غاية الأمر قدرات الباحثين متفاوتة فِي اكتشاف تلك الطرف الَّتِي بيَّنها أئمة أهل البيتعليهم السلام وَمِنْ قبلهم القُرآن، وَهَذَا يحتاج إلى تظافر جهود أجيال مِنْ البشر جيلاً بَعْدَ جيل، والسَّابق منهم يُمَهِّدُ للاحِقِ ويتحمَّل جزء مِنْ مسؤوليّة الاكتشاف كَذَلِكَ فِي المعنى التّأويلي.

التأويل منهج قرآني عظيم، والمعنى التأويلي هوَ الأم الآية الواحدة مِن آيات القرآن فيها درجات مِن الظهور:

تتمتّع الآية الواحدة مِنْ آيات القُرآن الكريم بدرجات ظهور ومحوريّة مُتعدِّدة، وكذلك المعنى التّأويلي لَيْسَ مُجرَّد سعة وتعدّد موازين، وَإِنَّما الأمومة والمحوريّة والمركزيّة للمعنى التّأويلي؛ لِأنَّ المعنى التأويلي مشيٌّ، والمعنى التنزيلي محوريٌّ مركزي، كَمَا هُوَ مبنى جُملة مِنْ أعلام العصر[1] بينما العكس هو الصَّحيح الذي نتبنّاه فِي منهجنا التّفسيري المُختار أمومة الولاية عَلَى المُحكمات فِي القُرآن فضلاً عَنْ المُتشابهات، مِنْ أنَّ المعنى التّأويلي كُلّما ازداد خفاءاً وغموضاً كُلّما ازداد محوريّة وأمومة ومركزيّة، وَهُوَ المحور ويُعْرَض عَلَيْهِ لا العكس، وَهَذَا منهج قُرآني عظيم.

نعم، المعنى التّنزيلي حبل ممدود طرف مِنْهُ عِنْدَ النَّاس ومُرتبط بطبقات المعاني التّأويليّة والحقائق الَّتِي هِيَ طرف عِنْدَ الله، وَمَعْنَى ممدود أيّ غَيْر مُتناهي،

---

(١) كالسيد مُحَمَّد حسين الطباطبائيرحمه الله، صاحب تفسير الميزان فِي القُرآن، وَالسَّيِّد الخوئيرحمه الله فِي البيان، وَالسَّيِّد عبدالأعلى السبزواريرحمه الله فِي مواهب الرحمن و .... الخ.

والمعنى التنزيلي هُوَ الفرع والظهر والمعنى النازل، بخلاف المعنى التأويلي الذي هو الأُم والمحور والبطن، كَمَا قَالَ الإمام الصَّادق عليه السلام لهيثم التّميمي: **«يا هيثم أنَّ قوماً آمنوا بالظّاهر وكفروا بالباطن فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً وجاء قومٌ مِنْ بعدهم فآمنوا بالباطن وكفروا بالظّاهر فَلَمْ ينفعهم ذَلِكَ شيئاً، ولا إيمان بظاهر إِلَّا بباطن ولا بباطن إِلَّا بظاهر»**[١].

بتقريب: أَنَّهُ لابُدَّ فِي كُلّ علم مِنْ ظاهر وباطن، وأنَّ البطن والباطن هُوَ الأصل.

أسباب التأكيد والتركيز على طبقات المعنى التأويلي ومحوريته في علم التفسير:

إنَّ أحد أهم أسباب التّركيز عَلَى المعنى التّأويلي وأهميّته وهيمنته ومركزيّته بناءاً عَلَى التّوصية الأكيدة فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام وقبلها بيانات القُرآن الكريم مِنْ التأكيد عَلَى المعنى التأويلي، مُضَافاً إلى أسباب أُخر:

مِنْهَا: إنَّ نظرة بَعْض المُفَسِّرين والباحثين غَيْر واقعية عَنْ المعنى التّأويلي فِي المنهج التفسيري، والواقع أنَّ الأمر عَلَى العكس تماماً، فَإِنَّ الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام فِي خصوص بيان المعنى التّأويلي هِيَ عَلَى موازين وضوابط ـ كَمَا مَرَّ ـ اكتشفها مَنْ اكتشف، والتّعبير عَنْ ذَلِكَ فِي المصطلح الأُصولي تعبدٌ ظنّي يعني إدراك أجمالي مبهم، أيّ لَمْ يستطع إدراك تفصيل الحال، وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ فِي علم التفسير، بَلْ فِي سائر العلوم

---

(١) مقدمة تفسير البُرهان للعلامة الفتوني: ص٢٢.

الأُخْرَى كعلم العقائد وَالفِقْه والحديث وغيرها، وَمِنْ ثَمَّ كَانَ إدراك فَهْم متن الحديث بلغة العلم الَّتِي يذكرها متن الحديث هِيَ علم تفصيلي بمتنه ومضمونه وَهُوَ ما يُسمّى بدراية الحديث، وَكَمَا وَرَدَ فِي بيانات أهل البيت عليهم السلام عَنْ الإمام الصَّادق عليه السلام: **«حديث تدريه خيرٌ مِنْ ألف حديث ترويه، ولا يَكُون الرَّجل منكم فقيهاً حَتّى يَعْرف معاريض كلامنا، وأنَّ الكلمة مِنْ كلامنا لتنصرِف عَلَى سبعين وجهاً لنا مِنْ جميعها المخرج»**[1].

أَمَّا اعتبار السَّند ـ سند الحديث ـ فَقَطْ فَإنَّ هَذَا منهج إبهامي إجمالي فِي معرفة الحديث، وَهُوَ الُمعبِّر عَنْهُ برواية الحديث لا درايته، وأين مرتبة الظَّن والُمبهم الإجمالي مِنْ مرتبة اليقين والعلم التفصيلي فهل يستويان فِي المرتبة أم لا؟.

نموذج تطبيقي للمعنى التأويلي

التأويل مرتبة من مراتب الظهور:

قوله تَعالَى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾[2].

فَإنَّ جُملة مِنْ الروايات الواردة عَنْ أئمة أهل البيت عليهم السلام فِي تفسير هَذِهِ الآية الُمباركة ـ وَالَّتِي هِيَ وصيّة مِنْ وصايا الباري عَزَّ وَجَلَّ لبني إسرائيل ـ تدلُّ عَلَى أنَّ تفسير الصَّبر هُوَ رسول الله صلى الله عليه وآله، وَالصَّلاة هِيَ ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، أو الولاية فتشمل الأئمة عليهم السلام.

---

(١) معاني الأخبار للصَّدوق، الكافي للكليني: ج٨، خاتمة الُمستدرك للمحدِّث النوري: ج١.

(٢) سورة البقرة: الآية ٤٥.

وإنْ كَانَ الغالب فِي منهج جملة مِنْ المُفَسِّرين يتعاطى مَعَ الرُّوايات الَّتِي تُبدي معاني خفيَّة أو باطنة الخفاء للآيات أنَّها معاني تأويليّة محضة، أو تطبيقيّة وليست معاني مرتبطة بشؤون قالب الظهور للآية.

إلفات نظر: إنَّ تأويل الصَّبر فِي الآية المُباركة برسول الله ﷺ الذي يعني قوَّة التّحمل لا يعني هَذَا ترك مَعْنَى الصَّلاة المُتبادر إليه فِي الذِّهن، ولا ترك مَعْنَى الصَّبر المُتبادر إليه فِي الذهن، ولا نعني بذلك ترك البحث عَنْ كيفية ملاحظتها المعاني وكيفية ملاءمتها وائتلافها مَعَ هَذَا المعنى التأويلي.

إنْ قُلْتَ: ما هِيَ الشَّواهد عَلَى تفسير الصَّبر برسول الله ﷺ فِي الآية، وَالصَّلاة بالولاية؟

قُلْتُ: هُنَاكَ قَاعِدة تَقَدَّمَ بحثها[1] [خُذ الغايات واترك المبادئ]، أو أنَّ الألفاظ موضوعة لأرواح المعاني، بتقريب: إنَّ الصَّبر فيه خاصيّة قدرة تحمُّل رؤية إجمالية للغيب بلحاظ غاية مُعيّنة ورجاء، وَبِهَذَا يفترق مَعْنَى الصَّبر عَنْ مَعْنَى اليأس وَقَدْ حصل فيه خلط والتباس لدى الكثير فِي التفريق بينهما فَإنَّ اليأس فيه نمط مِنْ التجرّع الرُّوحي إلَّا أنَّهُ لا بلحاظ غاية مُعيّنة ورجاء.

مُضَافاً إلى ما وَرَدَ فِي زيارة النَّبيّ ﷺ إلى أنَّ صَبْرَه ﷺ أعْظَم ـ مِنْ صبر علي، وصبر علي أعظم مِنْ صبر فاطمة، وأنَّ صبر فاطمة اعظم مِنْ صبر الحسن والحسين عليهما السلام، وصبر الحسنين أعظم مِنْ صبر الأئمة عليهم السلام وبالتالي فَإنَّ الصَّبر عَلَى درجات.

---

(١) الجزء الأوّل مِنْ تفسير أمومة الولاية والمُحْكَمات فِي القُرآن للشيخ السند.

ثُمَّ إِنَّ لِكُلِّ آية مِنْ آيات القُرآن لها طبقات مِنْ المعاني حَتّى تصل إلى المعنى التأويلي ولا يلزم مِنْ هَذَا التعدّد فِي الطَّبقات حصول تدافع أو تناقض بين كون الآية واحدة، وبين تكثُّر وتعدُّد معاني الآية الواحِدَة.

وَقَدْ يعترض: أوليس هَذَا تلاعبٌ بقواعد اللُّغَة وعلوم الأدب وغيرها؟

ويُجابُ: إِنَّهُ دِقّة ومتانة فِي تطبيق تلك القواعد[1] عَلَى ما سيتّضح خلال البحث، وبالتالي يمكن الحكم بالصَّحة سواء كَانَ الظهور نسبياً أو لا.

وَقَدْ يعترض: إنَّ المقرر فِي الظهور ثابت ومطلق للجميع، وَلَيْسَ نسبياً لبعض دون بَعْض، فكيف يحكم بصحَّة المعنى التّأويلي بحسب ظهور الكلام.

ويُجابُ: الحكم بالصّحة معناه أنَّ المراتب الأوليّة مِنْ الظهور واضحة، فَهُوَ لَيْسَ نسبيّاً بالنسبة إلى الآيات والرّوايات، وَإلى طرف دون طرف، وأمَّا كون الظّهور نسبياً أيّ أنَّ الالتفات وقدرة الفهم والوصول إلى المراتب الخفيّة مِنْ معاني الآيات والروايات فَإنَّها ـ أيّ القدرة والفهم ـ نسبيّة، وأمَّا نفس المعاني والموازين التّركيبية الموصّلة إليها فَهِيَ ثابتةٌ ومُطلقة، وليست نسبيّة، ويتوسّط إليها بالموازين فَهِيَ جليّة واضحة وظاهرة لبعض مَنْ عِندَه قدرة، وخفيّة عَنْ بَعْض آخر.

---

(١) وَالَّتِي تَقَدَّمَ بحث قسم مِنْهَا الجزء الأوّل مِنْ تفسير أمومة الولاية عَلَى المُحْكَمات ـ فضلاً عَنْ المُتشابهات فِي القُرآن الكريم، للشيخ مُحمَّد السند.

النسبية لها واقع علمي
وليست مِن السفسطة كما تخيله البعض:

تنبيه: إنَّ الحكم بالصّحة سواء كَانَ الظُّهور نسبياً أو لا، فَهَذَا شأنٌ لا يختص بالقُرآن الكريم، والحديث النبوي الشَّريف وبيانات أئمة أهل البيت عليهم السلام فحسب، بَلْ هُوَ شأن كُلّ العلوم الَّتِي يتعاطاها البشر سواء علم الفيزياء، أو علم الرياضيات وغيرها، فَإِنَّهُ فِي كُلّ علم تجد طبقةً مُبَدَّهَةً وظاهِرَةً عِنْدَ الجميع، وَهُنَاك كَذَلِكَ طبقات غَيْر مُبَدَّهة ونسبيّة، فإحاطة الطبقة الأعلى مِنْ كُلّ علم تختلف عَنْ إحاطة الطبقة المتوسّطة وما دونها.

وهكذا الكلام بالنسبة إلى علم اللُّغَة، فَإِنَّهُ توجد ثلة مِنْ عُلَماء أيّ لغة يدركون ما لا يدركه الآخرون، فالأمر بالنِّسبة لِلَّذِيْنَ يدركون جليٌّ وواضِحٌ، ولغيرهم خفيٌّ.

مُضَافَاً إلى أنَّ جلاء هَذَا المطلب عِنْدَ النوابغ مِنْ ذَلِكَ العلم كعلم الرّياضيات والفيزياء وغيرها لا يزعزع حقانيّة النتيجة الرِّياضيّة أو الفيزيائية الَّتِي يكتشفونها، وهكذا خفاؤه عِنْدَ الكثيرين لا يزعزع حقانيّة النتيجة الَّتِي يكتشفها الروّاد القادرون، وَلَيْسَ هَذَا الكلام مِنْ قسم السفسطة، فَإِنَّ نظام النِّسبة والنسبيّة فِي قدرة البشر ودرجات فهمه، ودرجات قابليّة إدراكه لا فِي الموازين نفسها، وَإِنَّما الظُّهور مبتنٍ عَلَى ضوابط وموازين، فَإِنَّ القدرة بين عقول البشر متفاوتة، فواقع الصّرح العلمي ثابت حقيقي، لا كَمَا قَدْ يتخيّله البعض مِنْ الحداثويين، أو أصحاب مسلك القراءات والفلسفات الألسنيّة الحديثة مِنْهَا والقديمة، مِنْ أنَّ النسبيّة سفسطيّة ولا واقع علمي

لها، فالامر لَيْسَ كَمَا تخيّلوه، فَإِنَّ واقع الصّرح العلمي أمرٌ ثابتٌ فِي الواقع، ولكن القدرات الَّتِي أودعها الله تَعَالَى فِي عقول البشر متفاوتة وَمُخْتَلِفَة باختلاف قدرات البشر، ولذا نشأت مسألة أنَّ ظهور النتائج أمرٌ نسبيٌّ عِنْدَ بَعْض، وجليٌّ عِنْدَ آخرين فِي كُلّ علم مِنْ العلوم.

تساؤل: هل أن هذا التأويل للآية المباركة بعيد عن الظهور أو لا ؟

والإجابة عَنْ هَذَا التّساؤل عَلَى منهجنا التّفسيري المُختار فِي الظُّهور والتّأويل تختلف عَنْ مسلك الأعلام، ومنهم السَّيِّد العلّامة مُحَمَّد حسين الطباطبائي ﷺ فَعَلَى مسلكهم يَكُون تأويل الآية تعبدٌ ظنّيٌّ، وَعَلَى مسلكنا المُختار فِي التّأويل وأنَّ التّأويل هُوَ أحد مراتب الظُّهور، بَلْ التّأويل هُوَ المغزى للظُّهور ولبُّ لُبابه، وَهُوَ المُراد الأصلي مِنْ الظُّهور، وَهَذَا ما غفل عَنْهُ جُملة مِنْ أعلام المُفَسِّرين، وغفلوا كَذَلِكَ عَنْ أنَّ التّأويل كُلّما ازداد بطوناً كُلّما كَانَ هُوَ المعنى الأصلي الأساس مِنْ غايات كلام المُتكلِّم، والذي لأجله تكلَّم حَتّى يصل إلى تلك الغاية النّهائية وَالمُراد الجدّي، ومداعبة ذهن السَّامع بتصوّرات ويحسّسه بمشاعرة تفهيميّة حَتّى يصل إلى المعنى النّهائي الذي هُوَ أعظم مِنْ كُلّ مراد، وَلَيْسَ مُراد المُتكلِّم الوصول إلى غاية مُتوسّطة.

وَعَلَيْهِ فَإِنَّ التّأويل بحقٍ هُوَ مِنْ مُحكم المُحكمات فِي القُرآن الكريم، ولا ينحصر المُحكم فِي القُرآن الكريم بخصوص التّنزيل.

وَبَعْدَ أنْ عرفنا أهمّيّة ومركزيّة التّأويل وَأَنَّهُ لُبُّ اللّباب وغاية الغايات فكيف نجعله بعيداً عَنْ شؤون الدلالة والكلام.

وخيرُ شاهدٍ عَلَى ذَلِكَ ما ذكره الإمام الكاظمعليه السلام فِي رواية .. عَنْ يعقوب بن جعفر، قَالَ كُنْت عِنْدَ أبي إبراهيمعليه السلام وأتاه رجلٌ مِنْ اهل نجران اليمن مِنْ الرُّهبان، فَقَالَ لي: وهل تعرف بين المَقْدِس؟ قلتُ: لا أعرف إلَّا بيت المُقَدَّس الذي بالشَّام؟ قَالَ: لَيْسَ بيت المَقْدِس ولكنَّه البيت المُقدَّس، وَهُوَ بيت آل مُحمَّدصلى الله عليه وآله، فقلتُ لَهُ: أمَّا ما سمعته به إلى يومي هَذَا فَهُوَ بيت المَقْدِس، فَقَالَ لي: تلك محاريب الأنبياء، وَإنَّما كَانَ يُقَال لها: حضيرة المحاريب[1].

بتقريب: إنَّهُ مِنْ خلال جواب الإمام الكاظمعليه السلام قُرّرت قَاعِدة مُهِمّة وحيويّة، وَهِيَ: «**أنَّ القُرآن الكريم أو الكتب السّماوية المنزّلة، الظهر مِنْهَا فِي شيء، والبطن فِي شيء آخر، وَهُوَ أنَّ البطن يؤول كُلَّهُ بمُحمَّد وآل مُحمَّدصلى الله عليه وآله وَهُوَ المغزى وغاية الغايات**» وهكذا ما جاء فِي رواية مسعدة بن صدقة عَنْ الإمام الصادقعليه السلام: «**إنَّ الله جعل ولايتنا أهل البيت قطب القُرآن وقطب جميع الكتب عَلَيْهَا يستدير محكم القُرآن وبها نوّهت الكتب ويستبين الإيمان**»[2].

هَذَا وغيره يكشف عَنْ محوريّة ومركزيّة التّأويل، وَلابُدَّ أنْ نتعامل مَعَ الرُّوايات التّأويليّة أنّها محوريّة وليست هامشيّة، وأنَّ ذَلِكَ المعنى التّنزيلي ظِلِّيٌ تبعي للمعنى التّأويلي ثبوتاً وإنْ كَانَ إثباتاً المعنى التّنزيلي طريق للوصول إلى المعنى التّأويلي، وَهَذَا هُوَ الذي نتبنّاه، وَهُوَ مختارنا، عَلَى عكس

---

(١) أصول الكافي للكليني: ج١، ص٥٥٤ ح٥، باب ١٧٧ مولد أبي الحسن موسى بن جعفرعليه السلام.
(٢) تفسير العيّاشي: ج١، ص٧٨ ح٨.

ما بنى عَلَيْهِ الأعلام.

تنقيح التأريخ مِن خلال الكتاب والسنة:

تَقَدَّمَ فِي أبحاث سابقة فِي تأريخ أسباب النُّزول، إِنَّهُ إِذَا أردنا معرفة مصير الأُمَّة الإسّلاميَّة وَهُدَاها وصراطها، فيجب أنْ نعتبر بما جرى مِنْ سنن إلهيّة، وما ذكره القُرآن الكريم مِنْ الملاحِم عَنْ بني إسرائيل وغيرهم مِنْ سائر الأمم والأقوام السَّابقة هِيَ سنن إلهيّة بعينها جرت فِي هَذِهِ الأُمَّة الإسّلاميَّة، وَيَكُون عِبْرَة وعِظَةً لها.

فهرس الموضوعات